أول إصدار لهذه الرواية

الختم الرسمي لأعمال «نورا روبرتس» يضمن أن هذه الرواية أحد أعمالها الأدبية الجديدة.

NR

نورا روبرتس

dodyadodo
www.rewity.com

الزهرة الحمراء

الجزء الثالث من ثلاثية «حديقة الزهور»

الزهرة الحمراء

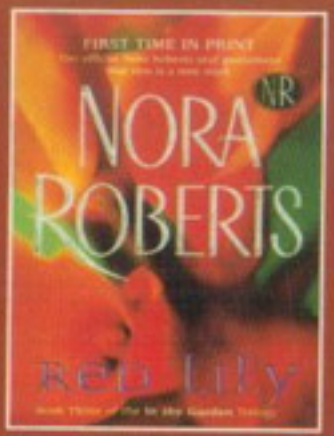

ثلاث نساء يلتقين في مفترق طرق حياتهن. كلٌ منهن تبحث عن وسائل جديدة لتحقيق النجاح والازدهار والنمو - وكلٌ منهن تجد في الأخريات الدعم والمساندة التي تشجعها على مواجهة المستقبل بشجاعة وثقة.

في ظلّ الدعم المستمرّ من أصدقائها، بدأت هيلي وابنتها التي رزقت بها مؤخراً حياتهما الجديدة في مدينة جديدة. وعندما تحوّلت العلاقة بينها وبين أحد أصدقائها الجدد إلى أكثر من مجرد صداقة، كان على هيلي أن تختار بين نوعين مختلفين من الحب...

الرواية الثالثة من ثلاثية جديدة للروائية التي حقّقت مؤلفاتها المركز الأول في المبيعات طبقاً لصحيفة «نيويورك تايمز».

www.dvd4arab.com

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة
6 281072 052010
282204047

المقدمة

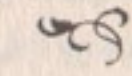

ممفيس
يناير ١٨٩٣

لقد كانت يانسة ، محرومة ، مختلة العقل .

ولكنها كانت فى يوم من الأيام امرأة جميلة ، وذكية ولديها طموح شديد ، وقد حققت ما كانت تصبو إليه من رفاهية وحياة رغدة مستغلة جسدها فى الإغراء ، وعقلها فى حساب كل خطوة ، ولقد أصبحت بالفعل عشيقة أحد أغنى وأقوى الرجال فى " تينيسى " .

وكان منزلها نموذجاً للجمال والأناقة ، فقد تم زخرفته وإعداده على هواها ، وبأموال ريجنالد ، وكان لديها الخدم الذين يلبون كل طلباتها ، ولديها من الثياب ما تنافس به أكثر السيدات أناقة فى باريس ، وهناك المجوهرات والأصدقاء ، وعربتها الخاصة .

كانت تقيم الحفلات الصاخبة ، وكانت مصدر حسد ورغبة الآخرين .

لقد أصبحت وهى ابنة الخادمة تملك كل ما كانت تتمناه وترغبه .

ولقد رزقت بابن قد غير حياتها تماماً ، تلك الحياة التى كانت لا ترغب من داخلها فى الاستمرار فيها ، لقد أصبح ابنها محور عالمها ، بل إنه كان الشىء الوحيد الذى أحبته أكثر من نفسها ، لقد كانت تخطط لحياته ، وكانت تحلم به ، وكانت تغنى له منذ أن كان جنيناً فى رحمها .

لقد ولدته بعد معاناة وألم ، ولكنه الألم الممزوج بالسعادة والفرح ، السعادة النابعة من إدراكها بأنها ستأخذ وليدها الغالى بين ذراعيها بعد زوال الألم والمعاناة .

ولكنهم أخبروها بأنها قد أنجبت بنتاً ، ولقد أخبروها بأن الطفلة قد ولدت ميتة .

لقد كذبوا عليها .

لقد علمت ذلك فى حينه ، وكانت تدرك ذلك عندما كانت غارقة فى أحزانها ، عندما سقطت فى ظلمات اليأس ، بل عندما أصابها مس من الجنون ، كانت تدرك أن الأمر كله كذبة ، وأن ابنها على قيد الحياة .

لقد سرقوا طفلها من بين أحضانها ، لقد احتجزوه من أجل فدية .

وكيف يكون الأمر غير ذلك وهى تشعر بنبضات قلبه مثلما تشعر بنبضات قلبها ؟

ولكن ليس الطبيب أو الخادمة هما اللذين سرقا وليدها ، بل إنه ريجنالد ، مستغلاً أمواله لشراء ضمير من ساعدوه على ذلك .

إنها تتذكر الطريقة التى كان يقف بها فى الردهة ، حينما جاء إليها بعد شهور من الحزن والقلق ، وبعد أن نال غرضه منها ، أخذت ترتدى فستانها الرمادى بأصابع مرتجفة ، لقد انتهى الأمر وحصل على ما أراده منها وهو ابن ، وريث ، وهو الشىء الوحيد الذى لم تستطع زوجته القاسية أن تمنحه إياه .

لقد استغلها ، ثم انتزع منها أعز ما تمتلك ، كما لو كان ذلك حقه ، ثم أعطاها بعض النقود واصطحبها فى رحلة إلى إنجلترا على سبيل التعويض .

سيدفع الثمن ، سيدفع الثمن ، سيدفع الثمن ، أخذت هذه الكلمات تتردد فى ذهنها وهى تهندم من ثيابها ، لا ، ليس بالأموال ، لا ، ليس بالأموال .

إنها مفلسة الآن ، ولكنها ستجد حلاً ، بالطبع ستجد سبيلاً ، ولكن بعد أن تستعيد جيمس العزيز إلى أحضانها مرة أخرى .

أما الخدم ـ الذين تركوها فى محنتها كالفئران الهاربة من السفينة الغارقة ـ فقد سرقوا بعضاً من مجوهراتها ، لقد عرفت ذلك ، وكان عليها أن تبيع معظم ما تبقى فى حوزتها الآن ، ولقد غشوها فى السعر ، وماذا تتوقع غير ذلك من هذا الصائغ ذى الفم المقوت ؟ إنه فى النهاية رجل ، شأنه شأن كل الرجال .

فكلهم كذابون ولصوص وغشاشون ومخادعون .

لابد أن يدفعوا جميعاً ثمن ما فعلوه .

إنها لا تجد سوارها المصنوع من الياقوت والماس ، والأحجار الكريمة التى على شكل قلوب ، تلك المجوهرات

التى أعطاها إياها ريجنالد القاسى كهدية عندما علم بأنها حامل .

صحيح أنها ضئيلة القيمة ، وصغيرة بالنسبة لها ، ولكنها تريدها ، فأخذت تبحث عنها خلال الفوضى التى تعم غرفة النوم وخزانة ملابسها .

وأخذت تبكى ، كالطفل ، عندما وجدت بدلاً منها البروش المصنوع من الياقوت الأزرق ، ولما جفت دموعها ، أطبقت أصابعها على البروش ، ونسيت أمر السوار ورغبتها فى أن تجده .

بل لقد نسيت أنها كانت تبحث عنه ، وأخذت تبتسم وهى ترى وميض الأحجار الزرقاء الثمينة ، إنه يكفى الآن لأن تبدأ بداية جيدة لها ولجيمس ، ستأخذه بعيداً ، ربما إلى الريف ، حتى تتحسن صحتها ، وتعود قوية كما كانت .

إن الأمر بسيط حقاً ، لقد أدركت ذلك وقد علت وجهها ابتسامة شاحبة وهى تتفحص نفسها فى المرآة ، إن الرداء الرمادى هادئ - وقور - فهو أنسب رداء لأم محترمة ، وإذا كان فضفاضاً بعض الشىء أو يتدلى قليلاً عند الصدر ، فلا يمكنها إصلاحه ، فليس لديها أى خدم الآن أو خيّاطة حتى تقوم بتعديلها ليلائمها ، إنها ستستعيد وزنها مرة أخرى بمجرد أن تذهب هى وجيمس إلى عالمهما الجميل فى المدينة .

وجعدت أطراف شعرها ، وتجنبت وضع أحمر الشفاه ، فقد حدثت نفسها بأن المظهر الهادئ أفضل بالنسبة لطفلها الصغير . إنها ستذهب إليه الآن ، ستذهب إلى منزل هاربر وتستعيد ما يخصها .

كان الطريق من المدينة إلى منزل هاربر الكبير طويلاً ، وكان بارداً ومكلفاً ، إنها لم تعد تمتلك عربة خاصة بها ، وسرعان ما سوف يعترضها أعوان ريجنالد ويلقون بها خارج المنزل كما هددوها بذلك من قبل .

ولكن الأمر كان يستحق ثمن إيجار عربة خاصة ، وإلا كيف كانت ستصطحب جيمس معها إلى ممفيس حيث تحمله إلى حجرة نومه ، وتضعه فى مهده وتغنى له لينام ؟

وأخذت تغنى بصوت خفيض الأغنية التى كانت تغنيها لوليدها منذ أن كان جنيناً فى رحمها وهى تشبك أصابعها الرفيعة معاً محدقة إلى الأشجار التى تصطف على جانبى الطريق .

لقد أحضرت له غطاء كانت قد طلبته من باريس ، وقلنسوة صغيرة زرقاء ، وجوربا من الصوف ، كان لا يزال فى مخيلتها طفلا حديث الولادة ، فإن الأشهر الستة الماضية ليس لها وجود فى عقلها المشوش .

أخذت العربة تقطع الطريق الطويل ، وأخيراً ظهر منزل هاربر شامخاً ، وكان يملأ المكان .

وكانت الحجارة الصفراء والزخارف البيضاء تعطى إحساساً بالدفء مقارنة بالسماء ذات اللون الرمادى ، وكانت طوابقه الثلاثة متينة وشامخة تحيطها الأشجار ، والمروج الخضراء .

ولقد علمت أنه كان يوجد فى ضيعته العديد من الطواويس التى كانت تتمشى مزهوة بذيولها المنقوشة ، ولكن ريجنالد لم يأبه بها أو بصرخاتها وتخلص منها جميعاً حينما أصبح المالك .

dodyadodo www.rewity.com

كان يحكم مثل ملك ، وها هى قد منحته ولى العهد ، ولكن يوماً ما ، سيغتصب ابنها عرش أبيه ، وستحكم هى منزل هاربر مع جيمس ، جيمس العزيز .

وعلى الرغم من أن نوافذ المنزل العظيم كانت تبدو خالية وينعكس عليها ضوء الشمس ، إلا أنه كانت هناك عيون خفية تحدق إليها ، وأخذت تتخيل نفسها وهى تعيش فى المنزل مع جيمس ، وتتجه به إلى هذا المكان ، وتسير معه فى الحديقة ، وهى تسمع ضحكاته تتردد فى أرجاء المكان .

وهذا ما سوف يحدث فى يوم من الأيام ، إن المنزل سيكون ملكه وبالتالى ملكها ، وسيعيشان هنا معاً فى سعادة وحدهما فقط ، كما كانت ترغب .

ونزلت من العربة ، امرأة شاحبة ، هزيلة ، ترتدى رداء رمادياً لا يناسب مقاسها ، واتجهت ببطء نحو الباب الأمامى .

وأخذ قلبها يدق بعنف وبشدة ، إن جيمس ينتظرها .

وطرقت الباب ، وعقدت ذراعيها لأن يديها أبتا أن تظلا ساكنتين .

وكان الرجل الذى فتح الباب ، متشحاً بالسواد ، وعلى الرغم من أنه تفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها ، إلا أن وجهه لم ينم عن أى تعبيرات .

وسألها : " هل يمكننى مساعدتك يا سيدتى ؟ " .

قالت : " لقد جئت من أجل جيمس " .

فرفع حاجبه الأيسر فى دهشة : " إننى آسف يا سيدتى ، لا يوجد هنا من يدعى جيمس ، وإذا كنت تبحثين عن خادم ما ، فمدخل الخدم فى الخلف " .

قالت : " جيمس ليس بخادم ، كيف تجرؤ على قول ذلك ؟ إنه ابنى ، إنه سيدك ، لقد جئت من أجله " ، واندفعت داخل المنزل وهى تقول : " أحضره إلىّ حالاً " .

قال : " أعتقد أنك أخطأت فى المنزل يا سيدتى ، ربما ... " .

فهرعت ناحية درجات السلم وقد خدش ذراعها عندما جذبها كبير الخدم وهى تقول : " إنك لن تمنعه عنى ، جيمس ، جيمس ، ماما هنا " .

وظهرت امرأة أخرى فى ثياب الخدم الأسود ، وقد اندفعت نحو الردهة الواسعة وهى تقول : " داندى ما الخطب ، ماذا يحدث هنا ؟ "

" هذه ... السيدة ، إنها فى حالة هياج شديد " .

قالت : " سيدتى ؟ أرجوك ، سيدتى ، أنا هافرز ، مديرة المنزل ، عليك أن تهدئى من روعك قليلاً ، وأخبرينى ما الأمر " .

أخذت يداها ترتعدان وهى ترفعهما لتسوى شعرها : " لقد جئت من أجل جيمس ، عليك أن تحضريه إلىّ الآن ، فقد حان وقت نومه " .

كان وجه هافرز يوحى بالطيبة ، وأضافت بابتسامة رقيقة : " استريحى لدقيقة وتمالكى نفسك " .

" وهل ستحضرين جيمس إلىّ ؟ هل ستعطيننى ابنى ؟ " .

ورمقت داندى بنظرة جعلته يطلق سراحها وقالت : " تعالى هنا ، فى الردهة إن الطقس بارد اليوم ، أليس كذلك ؟ وهناك مدفأة بالداخل ، والآن دعينى أصطحبك للداخل " .

ولكن إميليا هرعت ناحية درجات السلم وهى تصرخ وتنادى على جيمس وهى تقول : " إنها خدعة ، خدعة أخرى " ، وكانت قد صعدت إلى الطابق الثانى ، قبل أن تنهار وتسقط على قدميها الواهنتين .

وانفتح أحد الأبواب ، وظهرت منه سيدة منزل هاربر وكانت إميليا تعلم أنها بياتريس زوجة ريجنالد ، فقد رأتها فى المسرح ذات مرة ، وكذلك فى أحد المحلات .

كانت جميلة ، ولكنه جمال صارم إلى حد ما ، وكانت عيناها كقطع من الثلج الأزرق ، ولها أنف دقيق ، وشفتان ممتلئتان كانت تلويهما فى اشمئزاز ، وكانت ترتدى رداء من الحرير الوردى الداكن ذى ياقة عالية ، وضيق عند الخصر .

قالت : " من هذه المخلوقة ؟ " .

فأجابتها هافرز التى كانت أسرع من الخادم فوصلت أولاً إلى باب غرفة المعيشة وقالت : " إننى آسفة يا سيدتى ، إنها لم تفصح عن اسمها " وانحنت ، ووضعت يدها بتلقائية على كتفى إميليا وأردفت : " إنها تبدو فى محنة ، كما أنها ترتعد " .

" لقد جئت من أجل ابنى جيمس " ، قالت ذلك ثم توجهت ناحية بياتريس التى أزاحت تنورتها جانبا متعمدة وقالت إميليا : " جيمس ، لقد جئت من أجل جيمس ، ابنى " .

وتغيرت ملامح بياتريس قبل أن تقول : " أحضريها إلى الداخل " ، واستدارت وخطت داخل حجرة المعيشة وقالت : " انتظرى هنا " .

تحدثت هافرز بهدوء وهى تساعد المرأة على النهوض وقالت : " لا تخافى ، فلن يؤذيك أحد " .

فتوسلت إميليا إليها وهى تقول : " إننى أريد طفلى ، أرجوك أحضرى لى طفلى " .

قالت هافرز : " ادخلى إلى الحجرة الآن وتحدثى إلى السيدة هاربر ، سيدتى ، هل أقدم الشاى ؟ " .

ردت بياتريس بحدة : " بالطبع لا ، وأغلقى الباب خلفك " .

واتجهت ناحية مدفأة جميلة من الجرانيت وأشعلتها ، فاشتعلت النيران خلفها ، وظلت عيناها باردتين عندما أغلق الباب فى هدوء .

ثم قالت : " أنت ـ وصححت كلماتها وهى تلوى شفتيها فى اشمئزاز ـ أقصد كنت إحدى عشيقات زوجى " .

قالت إميليا : " أنا إميليا كونور ، ولقد جئت ... " .

قاطعتها قائلة : " لم أسألك عن اسمك ، فإنه لا يعنينى فى شىء ، ولا أنت أيضاً ، إن السيدات اللاتى على شاكلتك ، هؤلاء اللاتى يعتبرن أنفسهن عشيقات أو غوانى لديهن من الدهاء والموهبة ما يمنعهن من دخول بيوت من يطلقن عليهم عشاقهن " .

وأخذت إميليا تتجول ببصرها فى الحجرة وقد أخذها جمالها بمصابيحها المطلية ووسائدها المخملية الناعمة وقالت : " ريجنالد ، هل ريجنالد هنا ؟ " ولم تستطع أن تتذكر كيف جاءت إلى هنا ، وتلاشى كل الغضب والجنون ، وأصبحت باردة ولكن من داخلها مرتبكة .

www.rewity.com

قالت : " إنه ليس بالمنزل واعتبرى نفسك محظوظة لذلك ، فإننى على دراية كاملة ... بعلاقتكما ، وأعتقد أنك نلت تعويضا مناسبا " .

لقد تخيلت ريجنالد ، من خلال عقلها المشوش ، يقف أمام المدفأة ... لا ، ليست هذه المدفأة بل مدفأتها هى ، فى منزلها .

ويقول لها : " هل تعتقدين أننى سأسمح لامرأة مثلك بأن تربى ابنى ؟ " .

" ابن ، ابنها ، جيمس ابنى ، لقد جئت من أجل جيمس ، لقد أحضرت غطاءه معى فى العربة ، وسآخذه معى إلى المنزل " .

قالت بياتريس : " إذا كنت تعتقدين أننى سأعطيك نقوداً من أجل شراء صمتك ، فقد أخطأت " .

ولاحت ابتسامة مرتعدة على شفتيها وهى تخطو إلى الأمام وقد مدت ذراعيها وهى تقول : " لقد ... أتيت من أجله ، إنه يحتاج لأمه " .

قالت : " لقد أطلقنا على الوغد الذى أنجبته اسم ريجنالد على اسم أبيه وهذا شيء قد فرض علىّ " .

قالت : " لا ، لقد أسميته جيمس ، قد قالوا لى إنه مات ولكنى أستطيع سماع بكائه الآن " ، وفى تلك اللحظة بدت عليها أمارات الحزن والقلق بينما أخذت تجول ببصرها عبر الحجرة وقالت : " هل تسمعين بكاءه ؟ إننى أريده ، أريد أن أغنى له لينام " .

قالت : " إنك مجنونة ، وأنا أشفق عليك " .

نهضت بياتريس ، وقد تراقصت النيران من خلفها وقالت : " ليس لك أى اختيار فى هذه المسألة شأنك فى ذلك

شأنى تماماً ، ولكننى أنا زوجته على الأقل ، لقد أنجبت له أطفاله ، أطفالاً شرعيين ، ولقد عانيت من فقدان الأطفال ، ولم يكن هناك غبار على سلوكى أو تصرفاتى ، ولقد تغاضيت عن علاقاته ، وتظاهرت بعدم المعرفة بأى منها ، ولم أعطه سبباً لأى شكوى ، ولكننى لم أمنحه الولد ، وتلك هى خطيئتى التى لا تغتفر " .

وتدافعت الدماء إلى وجنتيها من شدة الغضب ، وقالت : " هل تعتقدين أننى أريد طفلك المزعج هذا أن يُفرض علىّ وينسب لى ؟ هذا الوغد ابن العاهرة الذى سيناديني بأمى ؟ من سيرث كل هذا ؟ " وأخذت تلوح بيديها مشيرة إلى أرجاء منزلها الفخم ثم قالت : " كل هذا ، لكم تمنيت أن يموت فى رحمك وأنت معه " .

قالت : " أعيديه إلىّ ، لقد أحضرت غطاءه " ، ونظرت إلى يديها الخاويتين وأضافت : " ها هو غطاؤه ، سآخذه معى " .

قالت بياتريس : " لقد انتهى الأمر ، وكلنا فى سفينة واحدة ، ولكنك على الأقل تستحقين العقاب ، أما أنا فلم أفعل شيئاً " .

قالت : " لا يمكنك الاحتفاظ به ، فأنت لا تريدينه " ، واندفعت إلى الأمام ، وكانت عيناها زائغتين ، وشفتاها ترتعشان فصفعتها بياتريس على إحدى وجنتيها ، فاندفعت للخلف ثم سقطت على الأرض .

وتحدثت بياتريس بهدوء قاتلة وكأنها تعطى أمراً لخادمتها : " ستغادرين هذا المنزل فورا ، ولن تتحدثى فى هذا الأمر ثانية ، وإلا سأضعك فى مستشفى الأمراض العقلية ، ولن تمسى سمعتى بأى سوء ، وإياك أن تطأ قدمك

منزل هاربر أو أيًّا من ممتلكات هاربر ولن ترى طفلك أبداً ، وهذا هو عقابك الذى تستحقينه ولو أنه فى نظرى لا يكفى " .

" جيمس ، سأعيش هنا مع جيمس " .

فقالت بياتريس باستخفاف : " إنك مجنونة ، عودى إلى حياة الغوانى ، وستجدين من يمنحك طفلاً آخر " .

واتجهت ناحية الباب ، وفتحته على مصراعيه وقالت : " هافرز ! " وانتظرت متجاهلة الدموع المنهمرة خلفها : " اجعلى داندى يلقى بهذا الشىء خارج المنزل " .

ولكنها عادت ، حملوها خارج المنزل ، وأمروا السائق بأن يأخذها بعيداً ، ولكنها عادت ، عادت فى المساء البارد ، وكان عقلها مشوشاً ، ولكنها قطعت الرحلة للمرة الأخيرة ، وكانت تقود عربة مسروقة ، وقد ابتل شعرها من المطر وقد التصق بجسمها رداء نومها الأبيض .

كانت ترغب فى قتلهم ، قتلهم جميعاً ، تقطعهم إرباً ، وحينئذٍ تستطيع أن تحمل جيمس بعيداً ، بيدها الملطخة بالدماء .

ولكنهم لن يدعوها تفعل ذلك ، ولن تأخذ طفلها بين ذراعيها ، ولن ترى وجهه المليح .

إلا ، إلا .

وغادرت العربة بينما كان يلقى القمر بظلاله على منزل هاربر ، وانعكست أشعته على النوافذ المعتمة ، والكل بالداخل نيام .

وتوقف هطول الأمطار ، وأصبحت السماء صافية إلا أن الضباب قد غطى الأرض وكوّن ما يشبه الثعابين الرمادية

حول قدميها العاريتين الباردتين ، وقد تدلت أطراف ردائها فوق المياه والوحل ، وأخذت تهمهم وتغنى .

سيدفعون الثمن غاليا .

لقد ذهبت إلى المشعوذة ، وعرفت ما يجب عليها عمله ، لتصل إلى ما تريده وتحافظ عليه إلى الأبد .

أخذت تمشى خلال الحدائق ، ثم اتجهت ناحية الإسطبل لتبحث عما تريده ووجدته .

وأخذت تغنى وهى تحمل ذلك الشىء فى يدها وهى تمشى فى الهواء الرطب وتتجه ناحية المنزل الضخم ، بأحجاره الصفراء المضاءة بنور القمر .

وراحت تغنى : " نم يا صغيرى ، نم يا صغيرى " .

www.dvd4arab.com

الفصل الأول

منزل هاربر
يوليو ٢٠٠٥

كانت هيلى تشعر بتعب شديد ، وأخذت تتثاءب حتى آلمها فكاها ، وكانت تشعر بثقل رأس ليلى على كتفيها ، ولكنها كانت عندما تتوقف عن هدهدتها ، كانت الطفلة تتلوى وتتشنج ، وتعبث تلك الأنامل الرقيقة بالغطاء القطنى الذى تنام عليه هيلى .

وحاولت هيلى أن تجعلها تنام مرة أخرى وراحت تغمغم بأصوات رقيقة لتهدئة الطفلة وهى تقوم بتحريك الكرسى الهزاز .

كانت تعلم أن الساعة قد شارفت على الرابعة صباحاً ، وقد استيقظت مرتين لتهدهد طفلتها القلقة .

وقد حاولت فى الساعة الثانية صباحاً أن تضع الطفلة فى الفراش حتى تأخذ قسطاً من النوم ، إلا أن ليلى لا ترضى بشيء إلا الكرسى الهزاز .

لذا ، أخذت تهدهدها وتتثاءب وهى تتساءل إذا ما كان يمكنها أن تنام لثمانى ساعات مرة أخرى .

فهى لا تعرف كيف يفعل الناس ذلك ؛ وبخاصة السيدات اللاتى يربين أولادهن بمفردهن . كيف توفين بمتطلبات القلب ، العقل ، الجسد ـ والمتطلبات المادية ؟

كيف كانت ستواجه كل ذلك إذا كانت بمفردها مع ليلى ؟ وكيف سيكون شكل الحياة إذا لم يكن بجوارها من يشاركها أوقات القلق ، والمعاناة ، والمرح ؟ لقد كان مجرد التفكير فى ذلك مرعبًا .

لقد كانت متفائلة وعلى ثقة كبيرة بنفسها بصورة تبعث على السخرية ، وكانت أيضاً غبية .

إنها تتذكر كيف تركت وظيفتها حينما كانت حاملاً فى الشهر السادس ، وباعت معظم أشيائها وحزمت أمتعتها فى تلك العربة القديمة ، لكى تهرب .

يا إلهى ، لو كانت تدرك حينئذٍ ما تدركه الآن لما فعلت ذلك .

ولكن ربما كان من الأفضل أنها لم تعلم ؛ لأنها لم تعد بمفردها . وأغمضت عينيها ، وأراحت وجنتها على شعر ليلى الأسود الناعم ، هل كان لديها أصدقاء ؟ ـ لا ، أو عائلة ـ أناس يهتمون بها وعلى استعداد لمساعدتها ؟

إن ما يظللها الآن ليس فقط جدران منزل عادى وإنما هو منزل هاربر الفخم ، ولديها روز وهى إحدى قريباتها من بعيد ، وقد وفرت لها منزلا ، ووظيفة ، ولديها

ستيلا ـ صديقتها الحميمة فى هذا العالم ، التى تفضى إليها بأدق أسرارها وتتعلم منها .

وأخذت تحدث نفسها بأن كلاً من روز وستيلا مطلقتان ـ واستطاعتا أن تتكيفا مع حياتهما ، فستيلا لديها ولدان قامت بتربيتهما بمفردها ، أما روز فلديها ثلاثة أبناء .

وهى تتساءل كيف يمكن لها أن تربى طفلة واحدة ، على الرغم من كل المساعدة التى تلقاها .

وهناك أيضاً ديفيد بجوارها الذى يدير المنزل ، ويقوم بأعمال الطهى ، ديفيد الرائع ، ماذا عساه أن يكون الأمر إذا كان عليها أن تقوم بالتسوق ، وأعمال النظافة ، والاعتناء بالمنزل وكل شىء بمفردها بجانب الاستمرار فى عملها ورعاية رضيعة يبلغ عمرها أربعة عشر شهراً .

حمداً لله أن هناك من يساعدها .

فهناك لوجان زوج ستيلا الجديد الرائع الذى على استعداد دائما لإصلاح سيارتها عندما تتعطل . وهناك ولدا ستيلا ، جافين و ليوك ، اللذان لا يحبان فقط اللعب مع ليلى وإنما كانا يرشدان الأم عن الأشياء التى ستمر بها الرضيعة خلال نموها فى السنين القادمة .

وهناك أيضاً ميتش ، وهو ذكى ولطيف ، ودائماً ما يلعب مع ليلى ويرفعها فى الهواء عدة مرات متتالية أو يحملها على كتفيه وهى تضحك عندما يفعل ذلك ، ولقد أصبح يتواجد طوال الوقت فى المنزل بمجرد عودته هو وروز من شهر العسل .

لقد كانت تشعر بالسعادة وهى ترى ستيلا و روز وهما تقعان فى الحب ، فقد شعرت بأنها ركن أساسى فى هذه

العلاقة الجديدة ، وغمرتها الإثارة والسعادة لاتساع دائرة عائلتها الجديدة .

بالطبع ، كان يعنى زواج روز ألا تتباطأ هيلى فى العثور على مكان لتقيم فيه ، فالمتزوجون حديثاً يجب أن يكون لهم مساحتهم من الخصوصية .

كانت تتمنى أن تعثر على مكان قريب من منزل هاربر حتى لو كان مجرد منزل صغير داخل الحديقة . فكرت فى ذلك وهى تربت على ظهر ليلى .

هاربر آشبى ، وهو المولود الأول لروزاليند هاربر آشبى ، وكان وسيماً وبالطبع لم تفكر فى وسامته فلقد كان صديقاً ، وزميلا فى العمل وهو أول من تعلقت به ابنتها الرضيعة وكان من الواضح أن الحب بينهما متبادل .

وتثاءبت مرة أخرى ، وقد غلبها النعاس هى الأخرى نتيجة لاهتزاز الكرسى وهدوء الصباح .

كان هاربر رائعًا مع ليلى ، وكان صبوراً ولطيفاً ، هادئاً وحنوناً ، وكانت كثيرا ما تفكر فيه كأب بديل لليلى ـ ولكن دون أن يكون هناك معاشرة بينهما .

ولكنها كانت تتخيل ذلك فى بعض الأحيان ـ وما الضرر فى ذلك ؟ كانت تتخيل وجود معاشرة بينهما ، فماذا عساها أن تفعل تلك الفتاة الأمريكية ـ أمام رجل وسيم ، أسمر ، طويل خاصة حينما تكون له تلك العينان البنيتان اللتان لا تقاومان ؟

بالإضافة إلى كونه ذكياً ، فقد كان يعرف كل شىء تقريباً عن النباتات والزهور ، فقد كانت تحب أن تشاهده وهو يعمل فى حديقة المنزل .

www.rewity.com

وكانت تحب أن تراه وهو يحمل المنجل أو يقوم بربط الأزهار والنباتات . وكان يقوم بتعليمها أعمال الحديقة والزراعة وكانت ممتنة لذلك ، وكانت تتخيل الأوقات السعيدة التى كانا يقضيانها معاً .

وأوقفت حركة الكرسى الهزاز وحبست أنفاسها وانتظرت ، وشعرت بانتظام أنفاس ليلى .

الحمد لله

فنهضت ببطء ، تسللت نحو سرير الطفلة وهى تأمل فى بعض الراحة وكانت يداها تؤلمانها ، ورأسها يدور من شدة التعب وانحنت ووضعت الطفلة ببطء فى فراشها ، وبمجرد أن سحبت الغطاء عليها ، بدأت ليلى تتحرك ، وشرعت فى البكاء .

فأخذت هيلى تربت عليها ، وتهدهدها ، وتهز قدميها قائلة : " اهدئى يا حبيبتى ، وامنحى أمك بعض الراحة " .

ويبدو أن لمستها الحانية قد أتت مفعولها وأبقت هيلى يدها على ظهر الطفلة فسكن الرأس الصغير ، وانحنت على الأرض ، وأدخلت يدها خلال عواميد السرير الجانبية وأخذت تربت عليها .

وراحت هى فى سبات عميق .

* * *

لقد كان الغناء هو ما أيقظها . كانت ذراعها مخدرة ، وبقيت على هذا الحال حينما فتحت عينيها . وكانت الغرفة باردة ؛ وكان المقعد الذى تجلس فيه بجوار مهد الطفل

أشبه بمقعد من الثلج . وكانت تشعر بوخز فى ذراعها يمتد إلى أعلى الكتف حتى أطراف أصابعها وهى تنهض لتضع يدها على ظهر ليلى لحمايتها .

جلس أمامها شبح على هيئة سيدة بردائها الرمادى على الكرسى الهزاز ، وأخذت تغنى بصوت هادئ إحدى أغنيات الأطفال القديمة . وتقابلت عينا السيدتين ، إلا أنها استمرت فى الغناء ، وفى هز الكرسى .

ولقد اقشعر بدن هيلى من هول الصدمة ، وتسارعت ضربات قلبها وفكرت : ترى ماذا يتعين أن تقول لشبح تلك السيدة الذى لم تره منذ عدة أسابيع ؟ هل تسألها عن حالها ؟ أم ترحب بها ؟ ترى ماذا تقول خاصة أن شبح تلك السيدة يبدو فى حالة رثة ؟

تجمدت عروق هيلى حينما حاولت النهوض على قدميها لتقف بين الكرسى الهزاز والمهد ، محاولة أن تحمى طفلتها . ولأنها كانت تشعر وكأن آلاف الإبر مغروزة فى ذراعها ، فأخذت تحك ذراعها فى جسدها بعنف .

وأخذت تذكر نفسها : " علىّ أن ألاحظ كل التفاصيل ، فميتش يريد جميع التفاصيل " .

أخذت هيلى تحدث نفسها .

حسناً ، إنها تبدو هادئة نوعاً ما بالنسبة لشبح مضطرب ذهنياً ، إنها هادئة وحزينة ، تماماً كما رأتها أول مرة ، ولكن كان لها عينان متورمتان يملؤهما الحزن والجزع .

فوجهت حديثها للشبح قائلة : " لقد تم تطعيمها اليوم ، وكانت قلقة ومستيقظة طوال الليل ، ولكننى

www.rewity.com dodyadodo

أعتقد أنها قد هدأت الآن ، ولن تستيقظ قبل ساعتين حتى تأخذ القدر الكافى من النوم ، لذا ، اذهبى الآن حتى لا تستيقظ " .

واختفى شبح السيدة بالفعل فى لحظات قبل أن يبدأ صوت الغناء .

* * *

قدم لها ديفيد كعكة التوت فى طعام الإفطار ، وكانت قد أخبرته من قبل ألا يعد لها هذه الكعكة فى عدم وجود روز وميتش ، ولكنه كان يصر على إعدادها ، وعندما رأته منهمكاً فى إعدادها فى المطبخ ، فآثرت ألا تخذله أو تثبط من عزيمته .

بجانب ذلك ، كانت الكعكة رائعة .

داعب " ديفيد " وجنتها قائلاً : " إنك تبدين شاحبة بعض الشىء " وبالمثل فعل ذلك مع ليلى ليجعلها تضحك .

قالت : " لم آخذ قدراً كافياً من النوم ، فقد كان لدينا زائر أمس " .

هزت رأسها بالإيجاب ، عندما رفع حاجبيه والتوت شفتاه فى تعجب فأضافت : " إنه ليس رجلاً للأسف ، إنها إميليا " .

وسرعان ما حل القلق والاهتمام محل المرح وهو يقترب منها ومن طاولة الإفطار وقال : " هل حدث مكروه ؟ هل أنت بخير ؟ " .

قالت : " لقد كانت تجلس فقط على الكرسى الهزاز وهى تغنى وعندما أخبرتها بأن ليلى على ما يرام ، وأن

عليها أن تذهب الآن ، فعلت ، لقد كانت لطيفة وهادئة تماماً " .

قال : " ربما تكون قد هدأت واستراحت مرة أخرى ، نأمل ذلك . هل شعرت بالقلق لهذا السبب ؟ " .

وأخذ يتفرس وجهها جيداً وقد لاحظ الهالات السوداء تحت العينين الزرقاوين ، والشحوب أسفل وجنتيها اللتين صبغتهما بعناية فأضاف : " ألهذا السبب لم تنامى جيداً ؟ " .

قالت : " إلى حد ما ، فالأمور هنا غريبة منذ شهور ، والإوز فى حالة هياج دائم ، والآن هذا الغناء ، إنه لشىء مرعب ومخيف " .

مد يده ليربت على يدها ، وكانت أصابعه طويلة ورشيقة فهى أصابع عازف بيانو متمرس ، وقال : " لا تقلقى ، فديفيد بجوارك ، وكذلك سيعود كل من روز و ميتش اليوم ، ولن يكون المنزل خالياً وموحشاً بعد الآن " .

فأخرجت نفساً عميقاً عبر عن ارتياحها وقالت : " إنك تشعر بذلك أيضاً ، إننى لم أشأ أن أقول لك ذلك حتى لا تعتقد أن وجودك بجوارنا لا يكفى ، ولكنه كافٍ بالفعل " .

قال : " وأنت أيضاً جوهرتى الثمينة ، لقد كنا مدللين أليس كذلك ؟ وكان المنزل يعج بالحركة والحياة طوال العام " . وألقى نظرة على المقاعد الخالية حول المائدة وقال : " كم أفتقد هؤلاء الأطفال " .

www.rewity.com dodyadodo

قالت : " آه ، يا عزيزى ، ولكننا لا نزال نراهم ، جميعهم طوال الوقت ، ولكن من الغريب أن يكون كل شىء هادئا هكذا " .

وبدت ليلى وكأنها تدرك ما يقولانه ، فألقت بالكوب الذى فى يدها فسقط على الأرض .

فقال لها ديفيد : " يا لك من فتاة شقية " .

فنهضت هيلى لتلتقط القدح من على الأرض ، وكانت طويلة ونحيلة رغم ما مرت به من مرحلتى الحمل والولادة ، وذلك على عكس ما توقعت حيث كانت تريد أن تكتسب المزيد من الوزن وقالت : " أتعرف ماذا أيضا ؟ إن مزاجى متقلب بعض الشىء ، ولكننى لا أعنى أننى أشعر بملل لأننى أحب العمل فى المشغل وإننى كنت أحدث نفسى الليلة الماضية ـ وذلك عندما استيقظت ليلى آلاف المرات ـ بأننى جد محظوظة لوجودى هنا ، وحولى كل هؤلاء الناس " .

ومدت ذراعيها وقالت : " ولكنى أشعر يا ديفيد بأنى ... لا أعرف " .

قال : " أأنت بحاجة لأن تقومى ببعض التسوق ؟ " .

فابتسمت وأمسكت بمنشفة لتمسح بها وجه ليلى المغطى بالشراب المحلى قائلة : " إن ذلك دواء جيد ، ولكننى بحاجة لبعض التغيير ، أريد شيئًا أكثر من مجرد زوج أحذية جديد " .

فقام بتوسيع حدقة عينيه متعمدًا وقال : " أهناك شىء أكبر ؟ " .

قالت : " أعتقد أننى سأقوم بقص شعرى ، هل تعتقد أنه علىّ ذلك ؟ " .

قال : " ممم " وهو يهز رأسه ، ويتفرسها بعينيه الزرقاوين الجذابتين وهو يقول : " إنه رائع ، بلون الماهجونى اللامع ، ولكننى أفضل طريقة التصفيف التى كان عليها ، حينما جئت إلى هنا أول مرة " .

قالت : " أحقا ؟ " .

قال : " لقد كان مدرجاً ، مسترسلاً ، ومثيراً " .

فمررت يدها على شعرها وقالت : " حسنا " فلقد جعلته ينمو حتى أصبح مسترسلاً على كتفيها ، حتى تستطيع أن تعقصه بسهولة فيكون مناسبا للعمل أو حينما تكون بصحبة ليلى ، فلم يعد لديها الوقت الكافى أو المجهود لكى تصففه على أحدث صيحات الموضة ، ولم تعد تهتم بما يبدو عليه شعرها .

ونظفت وجه ليلى ، وقامت بإنزالها من فوق المقعد المرتفع ، حتى تتمكن من التجوال بحرية حول المطبخ وهى تقول : " ربما أقوم بتصفيفه وقصه ، ربما " .

ثم قال لها : " ولا تنسى زوج الأحذية يا حبيبتى ، فربما يفيدك شراؤها " .

فى أيام الصيف الحارة ، يتباطأ معدل العمل داخل المشتل ويقل حيث تعم الرطوبة والحرارة منطقة غرب " تينيسى " خاصة فى شهر يوليو بعد أن تنقضى رياح الشتاء الباردة ، وبالتالى لا يحتاج المزارعون مجهودا كبيرا فى الزراعة والاعتناء بزهورهم .

مستغلة تلك الظروف ، وحالتها المزاجية ، تمكنت هيلى من الحصول على موعد لدى أحد صالونات الزينة ، بعد أن استأذنت ستيلا فى ساعة بعد فترة الراحة .

وبعد أن رجعت مرة أخرى إلى العمل بعد فترة الراحة الطويلة تلك ، كانت قصّة شعرها جديدة ، ومرتدية حذاء جديداً أيضاً ، وقد شعرت بتحسن ملحوظ فى حالتها المزاجية بعد أن قررت أن تتبع نصيحة ديفيد .

كانت تحب المشاتل كثيرا ، ففى معظم الأحيان لم تكن تشعر بأنها ذاهبة للعمل بل للاستمتاع ، فكانت ترى أن هذا العمل يجمع كل المميزات التى كانت تطمح فى الوصول إليها .

وكانت تعشق مجرد رؤية المبانى البيضاء التى كانت تبدو كالمنازل المريحة وليس كمكان للعمل ، حيث كانت تحيط به الأزهار ، وكانت أوانى الأزهار مليئة بالبراعم الملونة .

وكانت تحب المشغولات والنقوش المصنوعة من الحصى وتكتلات النباتات ، والأرصفة الصغيرة ، والمبانى .

حينما كان المشتل يعج بالزبائن ، الذين كانوا يملأون الممرات ويجرون العربات أو الجرارات الصغيرة المليئة بالنباتات وأوانى الزرع فكان الجميع يحمل فى يده شيئاً ما وكان المكان أشبه بقرية صغيرة ، وليس مجرد محل بيع بالتجزئة .

وكانت هى جزءًا من هذا كله .

خطت إلى الداخل ، والتفتت نحو روبى ، البائع ذى الشعر الأبيض والذى كان جالسًا خلف طاولة البيع .

وعلق روبى عليها قائلاً : " إنك تبدين متأنقة اليوم " .

فمررت أصابعها داخل شعرها القصير والكثيف ، ثم تركته ينسدل مرة أخرى وقالت : " لم أغير تسريحة

شعرى منذ عام ، والأكثر من ذلك أننى نسيت شعورى وأنا أجلس على كرسى المصفف ويتولى شخص ما الاعتناء بشعرى " .

فسألها قائلاً : " إن الأوضاع تتبدل فعلاً حينما يكون عليك الاعتناء برضيع صغير . كيف حال طفلتنا الجميلة ؟ " .

قالت : " لقد كانت قلقة ومتعبة ليلة أمس بعد ما أخذت التطعيم ، ولكنها أصبحت بصحة جيدة هذا الصباح ، لقد كنت أحملها طوال الليل وآلمتنى ذراعى بشدة ، وثنت ذراعها لتريه بعض التورمات فى عضلات ذراعها " .

" إن ستيلا ترغب فى رى كل النباتات ، وأنا أعنى كل شىء ، كما أننا ننتظر تسلم شحنة كبيرة من النباتات والزرع اليوم ، وستكون بحاجة إلى تنظيم وترتيب بمجرد وصولها " .

قالت : " إنى ملك يدك " .

وبدأت برى أحواض النباتات تحت لهيب الحرارة الشديد ، وقد أخذت تغمر مجموعة النباتات المعمرة والحولية بالمياه ولقد ذكرها ذلك بأطفال المدرسة الذين لا ينتمون لأى فريق ، وتمنت لو كان لديها مكان حتى تقوم بزرع هذه النباتات لتنمو وتزدهر .

حتماً فى يوم من الأيام ستجد مكاناً ، تحيطه حديقة تملؤها بالزهور والنباتات ، وستقوم فيها بتطبيق كل ما تعلمته من أعمال البستنة ، وتفعل شيئاً جميلا ومميزاً وستحتوى هذه الحديقة على أزهار الزنبق الحمراء التى تشبه تلك التى أهداها لها هاربر بعدما ولدت ليلى ، لقد

dodyadodo www.rewity.com

كانت مجموعة يانعة من زهور الزنبق ذات الرائحة الذكية التى تذكرها بأنها محظوظة بشدة .

وتساقط العرق على عنقها ، ورطبت المياه ألواح التزحلق الموجودة فى الحديقة ، أما رذاذ المياه الخفيف فقد أزعج مجموعة النحل التى كانت تغطى أعشاب السيدوم ، فحدثت نفسها قائلة عندما رأتها تطير بعيداً وهى تطلق طنيناً مزعجاً : " عودى عندما أنتهى ، فكلنا يبغى نفس الشىء " .

وتحركت ببطء ، ناحية المناضد وهى تحمل فى يدها رشاش المياه وقد شردت بتفكيرها .

ففى يوم من الأيام سيكون عندها حديقة ، حيث تلهو ليلى على الحشائش وبين الزهور مع كلبها الصغير . نعم ، ستبتاع لها كلباً صغيراً ، سميناً مرحاً ذا شعر ناعم ، ولكن إذا كان بإمكانها أن توفر كل هذا ، ألا يكون من حقها أن يكون فى حياتها رجل ؟ رجل يحبها ويحنو على ليلى ، شخص وسيم وجذاب قادر على أن يجعل ضربات قلبها تدق بعنف حينما ينظر فى عينيها ؟

ويجب أن يكون وسيماً ، وما الفائدة إذا لم يكن غير ذلك ؟ وسيكون مرتفع القامة ذا ساقين طويلتين وجسد ممشوق وستكون له عينان بنيتا اللون جذابتان ، وشعر داكن كثيف تشعر بالمتعة وهى تمرر يدها خلاله ووجه مليح ووجنتان ناعمتان .

" يا إلهى ، إنك تغرقين الزنبق؟ "

فانتفضت بشدة ، فباعدت رشاش المياه بسرعة ، واعتراها القلق لبرهة ثم أبعدته إلى الخلف مرة أخرى ، ولكن كانت المياه قد أغرقت هاربر .

وانتابها الخجل والضحك فى آن واحد ، ونظر هو إلى قميصه الذى أغرقته المياه وسرواله الجينز وبدا مستسلماً لما حدث .

وقال : " هل معك تصريح بذلك ؟ " .

قالت : " إننى آسفة ، جد آسفة ، ولكن كان يجب ألا تتسلل من خلفى هكذا " .

قال : " إننى لم أكن أتسلل ، لقد كنت أسير بطريقتى المعتادة " .

وأخذت تحدث نفسها : إن صوته يشوبه بعض الضيق وهو مثلها تماماً حينما يتغير صوتها عندما تشعر بالضيق أو الإثارة .

قالت : " إذن ، حاول أن تحدث صوتاً عالياً المرة القادمة وأنت تسير ، وإننى جد آسفة ، فأعتقد أننى شردت بتفكيرى بعض الشىء " .

قال : " من الطبيعى أن يشرد الذهن ويهيم فى هذه الحرارة المرتفعة ، ثم يغفو المرء بعد ذلك " وأبعد القميص المبتل عن بطنه ، وظهرت التجاعيد حول عينيه عندما ضاقت حدقتاه ثم سألها : " ماذا فعلت بشعرك ؟ " .

مدت يدها بطريقة تلقائية ومررت أصابعها خلال شعرها وقالت : " ماذا ؟ ، لقد قمت بقصه ، ألم يرق لك ؟ " .

قال : " نعم ، إنه رائع " .

ضغطت إصبعها على زر الرشاش وهى تقول : " أرجو أن تكف عن هذا المديح وإلا سأغتر بنفسى " .

فابتسم لها ، وكانت ابتسامته رائعة وجعلت وجهه أكثر إشراقا ، ولمعت تلك العينان البنيتان الداكنتان ـ لقد سامحته .

فقال : " إننى سأذهب إلى المنزل ، فقد عادت أمى " .

قالت : " هل عادوا ؟ وكيف حالهم ، وهل أمضوا وقتاً سعيداً ؟ أم أنك لا تعرف لأنك لم تعد إلى المنزل بعد ؟ فحينما تذهب إلى هناك ، أخبرهم بأننى أشتاق إلى رؤيتهم كثيراً ، وأخبرهم أن كل شيء على ما يرام هنا ، وأخبر روز ألا تقلق ، وأن بإمكانها أن تستأنف عملها فى أى وقت ، و ... " .

فوضع إبهام يده فى الجيب الأمامى لسرواله الجينز القديم وقال : " دعينى أدون كل ذلك أولاً حتى لا أنسى شيئا " .

فانفجرت فى الضحك وقالت وهى تدفعه بعيداً : " إذن ، اذهب الآن وسأخبرهم بذلك بنفسي " .

قال : " أراك لاحقا " .

وذهب بعيداً ، ذهب فتى أحلام يقظتها ، وقد تساقطت بعض قطرات المياه من ملابسه .

ولكنها حذرت نفسها بأن عليها ألا تفكر فى " هاربر " كثيراً ، إنه ليس لها ، وهى تعلم ذلك ، واتجهت نحو الشجيرات والنباتات المتسلقة لترويها .

لم تكن على ثقة إذا ما كانت تريد أى شخص بجوارها ـ الآن على الأقل ـ فـ " ليلى " تأتى فى المقام الأول فى حياتها ويليها وظيفتها بعد ذلك ، فإنها تريد أن تكون طفلتها سعيدة وبصحة جيدة وفى ازدهار وأن تؤمن لها

حياتها ، كما أنها تريد أن تتعلم الكثير ، وأن يكون مستقبلها المهنى أكثر إشراقا .

إنها تبذل مجهوداً كبيراً فى عملها ـ هذا صحيح ولكنها تريد أن تبذل مجهوداً أكبر .

وبعد العناية بـ " ليلى " ، والاهتمام بعملها وكذلك أسرتها تأتى المهمة المثيرة والغامضة وهى التعرف على إميليا تلك الشبح الذى يظهر لها وأن تجعل روحها تهدأ وتستقر .

والجزء الأكبر من هذه المهمة يقع على عاتق ميتش فهو المختص بعلم الأنساب ، وذلك بالتعاون مع ستيلا ، والتى تتمتع بالعقل الأكثر تنظيماً فى مجموعتهم .

أليس من اللطيف أن يقع ميتش و روز فى حب بعضهما وذلك بعد أن استعانت به روز حتى يبحث عن موقع إميليا فى شجرة العائلة ؟

ولكن إميليا لا تهتم بذلك الحب الذى تولد بينهما ، ولا تكترث له بالمرة .

وأخذت هيلى تفكر بأنها قد هدأت قليلاً بعد وجود ميتش فى منزل هاربر ولكن ذلك لا يعنى أنها ستظل هكذا إلى الأبد .

على كل فهى على استعداد لقدوم العاصفة ...

www.rewity.com dodyadodo

الفصل الثانى

دلفت هيلى إلى داخل منزل هاربر . الذى كان بارداً منعشاً بالداخل. وهى تحمل ليلى على كتفيها ، ثم أنزلتها حتى تقف على قدميها ، ثم أفرغت محتويات حقيبتها وكذلك حقيبة الحفاضات حتى تكون فى متناول يدها وتستطيع حملها بسهولة إلى أعلى حيثما تتجه فهى تريد أن تأخذ حماماً بارداً ، وأن تجلس في الماء البارد أطول فترة ممكنة ، ثم تتناول مشروباً باردا .

ولكن قبل أن تفعل أى شىء ، تذكرت روز وكم تشتاق إلى رؤيتها .

وكأنها تقرأ أفكارها ، بزغت روز قادمة من ردهة المنزل . وحين رؤيتها أطلقت كل من هيلى وليلى صيحات تحمل البهجة والسرور اللذين ارتسما على وجهيهما ، غيرت ليلى من وجهتها ، حيث إنها بدأت تخطو باتجاه

روز التى اجتازت المسافة بينها وبين ليلى الصغيرة بسرعة وحملتها بين يديها .

احتضنتها بشدة وقبلتها فى رقبتها الرقيقة قائلة : " ها هى حلوتى الصغيرة " ، قالتها ثم توجهت بابتسامة دافئة إلى هيلى ، ثم أعادت نظرها مرة أخرى إلى الطفلة الجميلة التى بين يديها والتى كنت تصيح فى سعادة وتتمتم بكلمات غير مفهومة ، ثم أردفت روز قائلة : " لا أصدق كم كبرت يا حلوتى فى هذا الأسبوع ؛ لا أدرى ماذا كنت سأفعل لو لم تكونى هنا معى " ، ثم ابتسمت إلى هيلى مرة أخرى وقالت لليلى : " كيف حال أمك ؟ "

أجابت هيلى فاردة ذراعيها لتحتضنهما معاً : " أنا فى خير حال ، حمداً لله على سلامتك ، لقد افتقدناك كثيراً " .

قالت روز : " جميل أن تفتقدانى مثلما افتقدتكما ها انظرى إلى قصة شعرك الجديدة " ، قالتها وهى تمر بإصبعها فى شعر هيلى .

" لقد قمت بتغيير قصّة شعرى اليوم ، لقد أحسست برغبة ملحة للقيام بذلك عند استيقاظى من النوم ، يا إلهى ! إنك أنت من تبدين جميلة حقاً " .

" لا ، لا تبالغى " .

ولكن هيلى لم تكن تبالغ ، لقد كانت تلك هى الحقيقة الدائمة ، فقد كانت روز جميلة حقاً ، وقد أصبحت أكثر جمالاً بعد أن مضى أسبوع شهر العسل فى الكاريبيان ، وها هى قد عادت وقد صبغت أشعة الشمس بشرتها البيضاء بلون برنزى ، فبدت عينا روز الواسعتان الداكنتان أكثر جاذبية وجمالاً ، وأما وجهها فكان يحيطه شعر قصير ناعم ، زاد

من جمالها الذى لم تفعل هيلى حياله شيئاً سوى الشعور بالحسد .

وعلقت روز قائلة : " لقد أعجبتنى تلك التصفيفة ، إنك تبدين صغيرة وجذابة " .

" لقد كنت أريدك بجوارى لترفعى من معنوياتى ، لقد قضينا أنا و ليلى ليلة عصيبة ، لقد أخذت جرعات التطعيم أمس " .

احتضنت روز ليلى بشدة وقالت : " آوه ، دعونا نر إذا ما كان يمكننا تعويض القطة عما حدث ، تعالى إلى هنا يا صغيرتى الجميلة " واحتضنتها مرة أخرى عندما رجعت من الردهة وهى تقول : " دعينا نر ماذا أحضرنا من أجلك " .

وكان أول شىء رأته هيلى هو دمية بالحجم الطبيعى ذات شعر أحمر وابتسامة جميلة مرحة .

قالت : " إنها رائعة ، وهى تقريباً بحجم ليلى " .

قالت روز : " هذا هو المراد ، فقد رآها ميتش قبلى ، ولم نستطع مقاومتها ، فأحضرناها معنا من أجل ليلى ، ما رأيك يا صغيرتى الحلوة ؟ "

حاولت ليلى أن تثقب عينى الدمية ، ثم جذبت شعرها ، وفى النهاية أجلستها على الأرض لتلعب بها .

قالت هيلى : " إنها من ذلك النوع من العرائس الذى ستلعب به لسنة ونحو ذلك ، ثم سأحتفظ بها فى غرفتها حتى تصل ليلى إلى مرحلة الجامعة ، أشكرك بشدة يا روز " .

قالت روز : " هذا ليس كل شىء ، فها هو المتجر الصغير الذى يحوى أجمل الملابس " ، وبدأت تخرج الملابس من الحقيبة ، بينما بدأت هيلى تحملق إلى الأشياء ، وكان

منها ما هو من القطن الناعم الملون ، والدانتيل المزركشة ، والجينز المطرز قالت روز : " انظروا أيضاً إلى هذه الفساتين الرائعة ، من يستطيع مقاومة ذلك ؟ " .

قالت هيلى : " إنها رائعة ، إنها آية فى الجمال ، إنك تدللينها كثيراً " .

قالت : " نعم ، بالطبع " .

قالت : " إننى لا أعرف ماذا أ... إنها ليس لها جد أو جدة أ ... أعنى من يدللها هكذا " .

أخذت روز تفرد أحد الفساتين وهى تقول : " يمكنك أن تعتبرينى جدتها ، فذلك لا يرعبنى ، إننى أحب أن أكون جدة وقورة " .

قالت : " إننى بحق محظوظة ، بل جميعنا محظوظون " .

قالت روز : إذن لماذا أنت قلقة هكذا ؟ " .

قالت : " لا أعرف ، لقد كنت أفكر فى كل ما مر بى مؤخراً ، أين أنا ، وكيف وصلت إلى هنا ، ماذا كان سيصبح حالنا إذا ما كنت أنا وليلى بمفردنا " .

قالت : " لكننا لم نرك " .

قالت : " أعلم ذلك ، إننى سعيدة لأننى قد جئت إليك ، إننى كنت أفكر الليلة الماضية ، أنه يجب علىّ أن أشرع فى البحث عن مكان " .

قالت : " من أجل ماذا ؟ " .

قالت هيلى : " من أجل أن أعيش فيه " .

قالت روز : " أهناك شىء يزعجك فى هذا المكان ؟ " .

قالت : " إنه أجمل مكان رأيته فى حياتى فها هى هيلى فيليب من ليتل روك تقطن فيه ، تقطن فى منزل

www.rewity.com

فخم ، يحتوى على أجمل التحف وأروعها ، وعلى أثاث وثير وفاخر ، ونوافذ فخمة تطل على مساحات من الأفدنة الأكثر جمالاً " .

قالت : " كنت أفكر أنه يجب أن أبحث عن مكان ، ولكننى لا أرغب فى ذلك ، على الأقل ليس الآن " ، خفضت عينيها وراقبت ليلى وهى تصارع من أجل أن تحمل الدمية عبر الغرفة ، ثم أردفت قائلة : " إننى أريدك أن تخبرينى ، وأنا أعلم أننا أصدقاء للدرجة التى تصارحيننى بها عندما ترغبين فى ذلك " .

قالت روز : " حسناً ، اتفقنا ؟ "

قالت هيلى : " اتفقنا " .

قالت روز : " ألا ترغبين فى رؤية ما أحضرناه من أجلك ؟ " .

برقت عينا هيلى الزرقاوان وهى تقول : " هل أحضرت شيئاً من أجلى أنا أيضاً ؟ إننى أحب الهدايا ولا أخجل أن أقول ذلك " .

فأخرجت روز صندوقاً من الحقيبة وقدمته إليها وهى تقول : " آمل أن يعجبك هذا " .

" أوه ، إنها رائعة " .

قالت : " فكرت فى أن المرجان سيناسبك كثيراً " .

فأخرجت هيلى القرط المرجانى من الصندوق وارتدت القرط وهرعت إلى إحدى المرايا لتراه على أذنيها كانت الثلاث كرات الحمراء الرقيقة تتدلى من مثلث لامع من الفضة وقالت : " إنها رائعة يا إلهى ، لدىّ شىء من أوروبا ، إننى لا أكاد أصدق " .

واندفعت لتحتضن روز وهى تقول : " إنه جميل حقاً ، أشكرك ، أشكرك كثيرا ، إننى لا أطيق الانتظار حتى أرتديه " .

قالت روز : " يمكنك أن ترتديه الليلة إذا وددت ، فستأتى ستيلا ، لوجان ، الأولاد ، فقد أخبرنى ديفيد بأنه سيقيم عشاء من أجل الترحاب بعودتنا إلى المنزل " .

قالت هيلى : " ولكنك ستكونين متعبة من أثر السفر " .

قالت : " متعبة ، لماذا ، هل أنا فى الثمانين من عمرى ؟ إننى عائدة لتوى من إجازة "

غمزت لها هيلى وهى تقول : " إنه شهر عسل ، وأراهن أنك لم تأخذى قدرًا كافيًا من الراحة " .

قالت روز : " لقد كنا ننام فى الصباح أيتها اللئيمة " .

قالت هيلى : " فى هذه الحالة ، سنحتفل ، سأصعد أنا وليلى لنستعد ونكون فى أبهى صورة " .

قالت روز : " وأنا سأساعدك فى إعداد كل شىء " .

قالت هيلى : " أشكرك يا روز ، إننى سعيدة بعودتك للمنزل وقد شعرت باستقرار داخلى " .

لقد كان شيئاً ممتعاً أن ترتدى القرط الجديد ، وأن ترتدى ليلى أحد فساتينها الجديدة ، وأن تعتنى بأناقتها هى وابنتها ، وهزت رأسها من فرط سعادتها وإعجابها بشعرها المسترسل وقرطها المتدلى من أذنيها .

أخذت تفكر بأنها لم تعد تشعر بأى ملل أو وحدة ، ولأنها كانت سعيدة ، فقد ارتدت حذاءً جديدا ، وقد كان هذا الصندل الأسود ذو الكعب الرفيع ، غير عملى ولا تحتاج إليه ومن ثم كان الحذاء هو الخيار الأمثل .

قالت موجهة حديثها لليلى الصغيرة : " لقد كان هناك تخفيض على هذه الأحذية ، إنها أجمل من " بروزاك " أو أى ماركة أخرى " .

لقد كان إحساساً رائعاً أن ترتدى رداءً قصيراً ، وحذاءً مثيراً ـ مع قصّة شعرها الجذابة ، وأن تضع طلاء شفاه لونه أحمر قاتم .

والتفتت لتلقى نظرة أخيرة على هيئتها فى المرآة ، ربما تكون نحيفة بعض الشىء ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً حيال ذلك ، ولكنها كانت ترتدى ملابس جديدة وأنيقة وقرطاً جديداً وتصفف شعرها تصفيفة جديدة .

" أيها السيدات والسادة ، لقد عدت " .

وفى الطابق الأسفل ، كان هاربر يتمدد على أحد المقاعد ، ويرتشف كوباً من العصير وهو يراقب ميتش وهو يتحسس شعر أمه وذراعيها ـ وهما يرويان نوادر رحلتهما إلى لوجان وستيلا والأولاد .

ولقد كان هاربر قد سمع جزءًا كبيرًا من هذه الحكايات عندما مر بالمنزل فى فترة الظهيرة ، ولم يكن ينصت بانتباه كامل ، بل كان يراقبهما وهو يفكر بأنه كان شيئاً جيداً أن تعثر أمه على الشخص المناسب الذى استطاع أن يؤثر فيها ويخلب لبها .

لقد كان سعيداً من أجلها ، وقد شعر بالراحة أيضاً ، إن الأمر ليس مجرد قدرة أمه على العناية بنفسها ، وهو يدرك أنها تستطيع ذلك ، ولكنه كان يشعر بالارتياح لوجود رجل جذاب وذى شخصية قوية بجوارها .

فلولا ما حدث فى الربيع الماضى وانتقال ميتش إلى المنزل ، لكان قد انتقل هو للعيش فى المنزل مع أمه ، ولو أن الأمر كان سيبدو محرجاً فى وجود هيلى بالمنزل .

وأخذ يفكر بأن ذلك أفضل لكل فرد ، أن يستمر فى العيش فى المنزل المتنقل ، صحيح أنه لن يكون بعيدًا من الناحية الجغرافية ، ولكنه سيفى بالغرض من الناحية النفسية .

وأردفت روز قائلة وهى تلوح بكوب العصير بيد واحدة ، واليد الأخرى تربت بها على ساق ميتش : " لقد أخبرته بأنه مجنون ، التزلج على الماء ؟ فلماذا يكون علينا بحق السماء أن نتمايل ونتأرجح على قطعة من الخشب مثبت بها شراع ؟ ولكنه كان يحاول " .

جلست ستيلا وكان شعرها الأحمر المجعد يسترسل على كتفيها وقالت : " لقد جربت هذه الرياضة مرة واحدة ، حينما كنت فى الجامعة ، لقد كانت ممتعة بمجرد أن تشبثت بها " .

غمغم ميتش قائلاً : " آه ، هكذا " ، فضحكت روز .

قالت : " لقد كان ينهض ويقف على اللوح الخشبى وفى غضون ثانيتين ، يسقط فى الماء ، ثم ينهض ثانية وينتظر ، وأعتقد أنه قد تشبث بها جيدا ، ثم ما يلبث أن أراه يسقط " .

قال ميتش مدافعاً عن نفسه وقد وكزها : " لقد كان باللوح بعض العيوب " .

قالت روز وهى تشيح بنظرها بعيداً : " نعم ، بالطبع ، فالشىء الوحيد الذى تستطيع أن تقوله عن ميتش إنه

ماهر ، فلا أعرف عدد المرات التى كان يظهر فيها على سطح الماء ويمتطى اللوح الخشبى " .

قال : " ستمائة واثنان وخمسون " .

ولوح لوجان بكوب العصير إلى روز وقد كان قوى البنيان ويجلس بجوار ستيلا وقال : وماذا عنك يا روز ؟ " .

قالت روز وهى تتفحص أظافرها : " آه ، إننى لا أحب التفاخر ؟ " .

قال ميتش وهو يمد ساقيه الطويلتين : " لا ، إنها تحب التفاخر بالفعل " .

قالت : " لكننى استمتعت بالتجربة كثيراً " .

لوح ميتش بيده فى الهواء شارحا لهم : " لقد أبحرت ، أبحرت وكأنها قد ولدت فوق أحد هذه الألواح اللعينة " .

قالت روز : " نحن أبناء هاربر لدينا قدرات رياضية هائلة وتوازن رائع " .

فأوضح ميتش قائلاً : " وهى مع ذلك لا تحب التفاخر " ، ثم التفت عندما سمع وقع أقدام على درجات السلم الخشبية .

وفعل هاربر نفس الشىء وشعر بأن توازنه قد اختل .

فقد بدت هيلى مذهلة ورائعة الجمال ، بفستانها الأحمر الذى يكشف عن قوامها ، والحذاء ذى الكعب العالى والذى يضفى عليها أنوثة طاغية ، وكان شعرها مثيراً وشفتاها جذابتين ومصبوغتين باللون الأحمر .

ولكنه ذكّر نفسه بأن لديها طفلة ، فيجب عليه ألا يفكر فى الارتباط بها فى وجود هذه الطفلة ، وإلا سيكون تفكيرا خاطئا .

وأطلق لوجان عبر الحجرة صفيراً ينم عن الإعجاب ، مما جعل وجه هيلى يشرق .

قال : " مرحباً أيتها الجميلة ليلى ، يالك من طفلة رائعة الجمال وأنت أيضاً يا هيلى " .

وأغرقت هيلى فى الضحك ، وأجلست ليلى على ساق لوجان وهى تقول " : لهذا السبب سأجلسها على ساقيك " .

قالت روز : " ما رأيك فى احتساء بعض الشراب ؟ " .

قالت : " إننى أريد بعضاً من المياه الغازية المثلجة " .

فانتفض هاربر من مقعده وخرج على الفور من الردهة وهو يقول قبل أن تجيب : " سأحضرها لك " ، وقد تمنى أن يعود إلى حالته الطبيعية أثناء ذهابه إلى المطبخ .

وأخذ يذكر نفسه بأنها تعتبر كابنة عمه ، وهى كذلك موظفة لديهم وهى ضيفة أمه فى بيتهم ، وهى بالإضافة إلى ذلك أم ـ فكل تلك الأسباب تعنى أنه يجب ألا يفكر فى هيلى على الإطلاق ، أضف إلى ما سبق أنها لم تفكر فيه هى الأخرى بنفس الطريقة ، ولم تنظر إليه بنفس النظرة .

وعندما يقترب شخص ما من امرأة فى هذه الظروف ، فيجب أن يطلب منها أن تكون علاقتهما صداقة فحسب .

فأخرج زجاجة من المياه الغازية ، وبينما كان يصب بعضاً منها سمع وقع أقدام على الأرض الخشبية ، فنظر ولمح ليلى تجرى و هيلى تحاول اللحاق بها .

قالت : " إنها تريد بعض المياه الغازية أيضاً " .

وضحكت وقد شرعت فى حمل ليلى لأعلى ، فاحمر وجهها فقالت لها هيلى : "إنك هكذا دائماً كلما حملتك " .

فحملها هاربر وهو يقول : " إنها فتاتى الجميلة " ، فأضاء الوجه الصغير الجميل بالابتسامات العذبة .

dodyadodo www.rewity.com

فتظاهرت هيلى بالاستياء بينما انتهت من صب المياه الغازية لنفسها وهى تقول : " إذن ، فماذا أكون بالنسبة لها ؟! " .

قال : " لقد أخذت المياه الغازية ، إذن اتركى لى الصغيرة " .

أحاطت ليلى عنق هاربر بيدها ، وأراحت رأسها الصغير على وجنته ، فأومأت هيلى برأسها ولوحت بالكأس وهى تقول : " يبدو أنها تريدك أنت بالفعل " .

أخذت هيلى تفكر أنه شىء رائع أن يلتف الجميع حول المائدة مرة أخرى ، وها هم أفراد عائلة هاربر يجلسون معاً ويحيطهم ديفيد برعايته .

لقد كانت دوماً تفتقد شعور العائلة الكبيرة ، فلقد نشأت ولم يكن هناك سواها هى ووالدها ، ولكن هذا ليس معناه أنها كانت تشعر بالحرمان بأى شكل من الأشكال ، فلقد كانت هى ووالدها دائمًا كفريق ، وحدة واحدة ، وكان والدها من أكثر الرجال الذين عرفتهم عطفاً ورقة .

ولكنها كانت تفتقد وجبات كهذه ، المائدة التى يلتف حولها أفراد كثيرون ـ أصوات متداخلة ، بل إنها حتى تفتقد النقاش وحتى المشاكل التى قد تنشأ فى العائلات الكبيرة .

وسوف تنشأ ليلى فى هذا المناخ نتيجة لترحيب روز بوجودهما وسط هذه العائلة ، ولذا سوف تستمتع ليلى بتناول وجبات كهذه ، وسط أخوال وخالات وأولاد خالات ، بل لديها أجداد أيضاً واختلست هيلى نظرة إلى

روز وميتش وهى تفكر فى ذلك ، وعندما يزورهم أبناء روز وميتش الآخرون فسوف تتسع دائرة العائلة .

وفى يوم من الأيام سيتزوج أبناء روز وميتش وسينجبون المزيد من الأولاد .

وحولت نظراتها إلى هاربر وهى تحاول تجاهل شعورها بالغيرة والألم النابع من مجرد تفكيرها فى أنه قد يتزوج فى يوم من الأيام ، وينجب أطفالاً من سيدة لا تعرف ماذا سيكون شكلها .

من المؤكد أنها ستكون جميلة ، فقد تكون شقراء ، ممشوقة القوام وذات عينين زرقاوين ، تلك الحقيرة .

ولكن أيا كانت هى ، وما شكلها ، فهى مصممة على أن تصادقهما حتى ولو أدى الأمر لقتلها .

غمغم ديفيد بجوارها قائلاً : " هل ثمة خطأ فى طهو البطاطس ؟ " .

قالت : " مم ، لا ، إنها رائعة " .

فقال لها : " إننى كنت أتساءل يا عزيزتى : لماذا تبدين وكأنك تتناولين دواء شديد المرارة ؟ " .

قالت : " إننى فقط كنت أفكر فى شىء علىّ فعله ولكن دون رغبتى ، فالحياة مليئة بمثل هذه المواقف والأشياء ولكن هذا لا يشمل تناول البطاطس ، بل إننى أتساءل إذا ما كان بمقدورك تعليمى طهو بعض الأصناف ، إننى أطهو جيداً ، لقد كنت أنا وأبى نقتسم المهام المنزلية ، وكان عمل كل منا لا بأس به ، ولكن ابنتى ليلى نشأت وتعودت على مذاق أطعمتك ، لذا أريد أن أتعلمها حتى يكون باستطاعتى طهوها حينما تحتاج إلى ذلك " .

قال : " هكذا تريدين أن تكونى صبى الطاهى ، على الرحب والسعة " .

وعندما بدأت ليلى تلقى ببعض قطع الأطعمة ، على الأرض نهضت هيلى وقالت : " انظروا ، مَنْ فعل هذا ؟ " .

" جيفن ، لماذا لا تصطحب ليلى أنت وليوك لتلعبوا معاً بالخارج ؟ " .

هزت هيلى رأسها لسماعها اقتراح ستيلا وهى تقول : " أوه ، إننى لا أريدهما أن يتحملا عبء رعايتها " .

نهض جيفن قائلاً : " لا ، إننا نستطيع ذلك ، فهى تحب أن تلعب بالكرة وتجرى وراءها ، كما تحب أيضاً لعبة الفريسبى " .

كان جيفن يبدو أكبر من سنه ، الذى كان يشارف على العاشرة ، أما ليوك الذى كان خلفه مباشرة ، فقد أتم الثامنة ، وكانا يلعبان مع ليلى ويعتنيان بها أثناء لعبهم فى الحديقة الخلفية . قالت : " حسناً ، أنا لا أمانع أن تأخذاها للعب وأعلم أنها تحب ذلك أيضاً ، فقط إذا شعرتما بالتعب ، فأحضراها إلى هنا " .

قال ديفيد : " وسأعد الآيس كريم مكافأة لكما على ذلك " .

وقد سر الجميع سروراً شديداً من إعلانه هذا .

وعندما انتهى وقت اللعب ، والتهموا جميعهم الآيس كريم ، حملت هيلى ليلى من أجل أن تعدها للنوم ، وجعلت ستيلا الأولاد يجلسون فى غرفة المعيشة حيث يشاهدون التلفاز .

قالت لها ستيلا : " يرغب كل من ميتش وروز فى مناقشة أمر إميليا ، هل تعرفين ذلك " .

قالت هيلى : " لا ، ولكن لا بأس ، سوف أهبط حالاً " .

قالت ستيلا : " هل تحتاجين إلى المساعدة ؟ " .

أجابتها : " لا ، ليس هذه المرة ، أشكرك ، لقد بدأت عيناها تنعسان " .

كان الأمر ممتعاً بالنسبة لها ، أن تستمع للأصوات الصاخبة والضجيج المنبعث من حرب الفضاء الدائرة فى التلفاز وأن تستمع لتعقيب الأطفال عليها ، فلكم افتقدت هذه الأصوات والضجة المحببة إليها منذ زواج ستيلا .

وأرقدت ليلى فى فراشها وتفحصت شاشة المراقبة وأضواء المساء ، ولم تغلق الباب تماماً ، واتجهت إلى أسفل .

ووجدت الجميع ينتظرها فى المكتبة ، وهو مكان الالتقاء المعتاد للحديث عن الشبح ، لم تغرب الشمس تماماً ، لذا غمر الحجرة شعاعها الأرجوانى ، ومن خلال النافذة بدت الحدائق يانعة ، مزدهرة ومليئة بالأشجار والنباتات ، فها هى البراعم تتراقص فوق أحواض من الزهور البيضاء التى تزينها نقاط من اللون الوردى .

ولمحت أوراق البتونى الناعمة ، وزهور البيغونيا الجذابة والنباتات ذات اللون الأرجوانى والرؤوس البنية .

لقد افتقدت تريضها فى المساء بصحبة ليلى ، وعزمت على أن تصطحب ابنتها للسير فى الحديقة فى اليوم التالى .

وعلى غير عادتها اتجهت نحو المائدة ، حيث توجد فوقها شاشة المراقبة فى غرفة ابنتها وبجوارها مزهرية تحتوى على زهور الزنابق الحمراء .

وعندما تأكدت من أن الشاشة تعمل ، اتجهت إلى حيث يجلسون .

dodyadodo www.rewity.com

بدأ ميتش حديثه قائلاً : " والآن والجميع حاضرون ، سأطلعكم على آخر ما توصلت إليه " .

قال ديفيد : " هل تريد أن تخبرنا بأنك كنت تقوم بالبحث خلال شهر العسل ؟ " .

قال : " لا تقلق ، لقد كنا نستقطع بعض الوقت لمناقشة بعض النظريات المختلفة من هنا وهناك ، والنقطة الأساسية هى أننى قد تلقيت رسالتين عبر البريد الإلكترونى من مصدرنا فى بوسطن وهى من أحفاد مديرة منزل هاربر خلال الفترة التى عاش فيها كل من ريجنالد وبياتريس " .

قال هاربر وقد فضل أن يجلس على الأرض بدلاً من أن يجلس على أحد المقاعد : " وهل وجدت شيئاً ؟ " .

قال : " لقد كنت أمدها بالمعلومات التى لدينا ، وأخبرتها بما عثرنا عليه فى مذكرات بياتريس هاربر بشأن جدك الكبير ، هاربر ، والحقيقة أنه لم يكن ابنها ولكن ابن ريجنالد من عشيقته التى من المحتمل أن تكون إميليا ، وأثناء بحثها وللأسف لم تجد أى خطابات أو مذكرات تخص مارى هافرز مديرة المنزل آنذاك ، ولكنها وجدت بعض الصور الفوتوغرافية ، وأرسلت لنا نسخة منها .

نظرت هيلى إلى الرف الثانى من المكتبة ، وإلى الطاولة المكدسة بالكتب وبجهاز الحاسب المحمول الخاص بميتش ، وإلى الحامل الموضوع بجوار المائدة والملىء بالصور وبنسخ من الخطابات والمذكرات وقالت : " وما فائدة كل تلك الأشياء ؟ " .

قال : " كلما كان هناك شىء ملموس ومرئى كان هذا أفضل ، ولقد تحدثت هى إلى جدتها ، والتى لا تتمتع بصحة جيدة الآن ولا تتذكر الأشياء جيدًا ، ولكن هناك

بعض الأوقات التى يكون فيها ذهنها صافياً وذاكرتها قوية ، وتسترجع الجدة حديث أمها وابنة خالتها التى كانت تعمل هنا أيضاً عن أيامها فى منزل هاربر ، وكان معظم حوارهما عن الحفلات المقامة وعن منزل هاربر ، وعن طبيعة عملهم ، ولقد استرجعت حديث ابنه خالتها عن السيد الصغير ، وهو الاسم الذى كانت تطلقه على ريجنالد الابن ، وأشارت إلى أن العشيقة قد حصلت على أموال طائلة بعد ولادته . ولقد أخبرتها أمها ألا تذكر مطلقاً أمر الأموال الملطخة بالدماء أو اللعنات ، فالطفل برىء ، وعندما سألتها ماذا تعنى ؟ لم تتفوه أمها بشىء سوى أنها قامت بواجباتها تجاه عائلة هاربر ، وأنه يجب عليها أن تكمل حياتها معهم على هذا النحو ، ولكن أسعد أيام حياتها كانت عندما غادرت هذا المنزل " .

مدت روز يدها وربتت على كتف هاربر وهى تقول : " لقد كانت تعلم أن جدى قد انتزع من أمه ، وإذا كانت هذه السيدة تسترجع الأحداث جيداً ، فالأمر يبدو وكأن إميليا لم تكن على استعداد للتخلى عن طفلها " .

كررت ستيلا العبارة : " الأموال الملطخة بالدماء واللعنات ، فمن الذى تلقى رشوة ؟ وما الشىء الملعون ؟ " .

ففرد ميتش ذراعيه وهو يقول : " ربما كان هناك طبيب وممرضة متواجدان فى اليوم الذى وضعت فيها إميليا مولودها ، ومن المؤكد أنهما قد أخذا رشوة ، كما تم رشوة أحد الخدم أيضاً " .

قالت هيلى : " أعرف أن ذلك شىء بشع وبغيض ، ولكنك لا تستطيع أن تطلق على مثل هذه الأموال أنها أموال ملطخة بالدماء ، بل أموال من أجل التستر على شىء ما " .

قال لها ميتش : " إنك على حق ، فإذا كانت هناك أموال ملطخة بالدماء ، فأين هى الجريمة ، أين تلك الدماء ؟ " .

انحنى لوجان إلى الأمام وهو يقول : " موت إميليا ، فهى تحوم هنا . وهذا معناه أنها ماتت هنا ، وبما أننا لم نجد أى دليل على ذلك ، فهذا معناه أنه تم التستر على مقتلها ، وأسهل وسيلة للتستر على شىء هى الأموال " .

أومأت ستيلا برأسها موافقة : " إننى أوافقك الرأى ، ولكن كيف وصلت إلى هنا ؟ فليس هناك أى إشارة لإميليا فى مذكرات بياتريس ، فلم يرد اسم عشيقة ريجنالد وكيفية قدومها إلى هاربر هاوس ، لقد كتبت عن الطفل ، وكيف كان شعورها عندما أحضره ريجنالد إلى هنا وهو يتوقع أن يتظاهر بأنها هى التى ولدته ، أليس من المفترض أن تكون فى قمة غضبها وأن تكتب عن قدوم إميليا إلى المنزل إذا كان ريجنالد قد فعل ذلك حقا ؟ "

تحدثت هيلى بهدوء : " إنه لم يكن ليفعل ذلك ، فمن خلال المعلومات التى لدينا عنه أنه لم يكن ليحضر امرأة من طبقتها إلى منزله ، امرأة يعتبر أنها مجرد وسيلة لهدف معين ، كيف يحضرها إلى المنزل الذى يفتخر به ، ويجعلها تبقى بجوار ابنه - الابن الذى اعتبره ابنًا شرعيًا وفى هذه الحالة سوف تذكره إميليا بعكس ذلك طوال الوقت " .

مد هاربر ساقيه وقال : " هذا تفسير سليم ولكن إذا كنا نعتقد أنها ماتت هنا ، إذن علينا أن نصدق أنها كانت هنا " .

قالت ستيلا : " ربما قدمت إلى هنا كخادمة " ، وأخذت تشير بيدها وهى تتحدث فلمع خاتم زواجها فى الضوء

الخافت . وأردفت قائلة : " إذا لم تكن بياتريس تعرفها ولم تعرف شكلها ، فبإمكان إميليا حينئذٍ أن تتخذ لها مكانا فى المنزل وبهذه الطريقة تكون بجوار ابنها ، إن إميليا الشبح تغنى للأطفال فى المنزل ، فهى مولعة بالأطفال على طريقتها ، أليس من الممكن أن تكون على هذا النحو مع ابنها ؟ " .

عقب ميتش قائلاً : " هناك احتمال كبير ، وبما أننا لم نجد أى إشارة لها خلال مذكرات أى فرد من أفراد المنزل ، فهذا احتمال وارد " .

نظرت روز إلى ستيلا ثم إلى هيلى وقالت : " أو ربما جاءت إلى هنا لتحاول أن تسترد ابنها ، فإنها أم ، يائسة ، ثائرة ، وليست متزنة نفسيا ، وإنها لم تفقد عقلها بعد موتها ، من السذاجة أن نصدق ذلك ، ألا يمكن أن تكون قد أتت إلى هنا ، وحدث شىء فظيع ، علينا أن نأخذ ذلك فى الاعتبار ، إنه إذا كانت قد جاءت إلى هنا ، فمن المحتمل أن تكون قد قتلت ، وتم دفع أموال للتستر على هذه الجريمة " .

رفع هاربر كتفه وقال : " إذن ، فالمنزل ملعون ، وهى تحوم حول المنزل حتى ... ماذا ، تنتقم ؟ كيف ؟ " .

صحت هيلى قائلة : " لكى تأخذ حقها ، أعتقد أنها جاءت لكى تنتقم من هاربر وتقتله وذلك حتى تستريح وتهدأ " .

ارتعد ديفيد وهو يقول : " هذا يبدو منطقيًا ومخيفًا " .

قالت ستيلا وهى تذكره : " إننا مجموعة من البالغين ، نتحدث عن شبح ، وهذا لا يخيف فى شىء " .

قالت هيلى : " لقد رأيتها بالأمس " .

حوّل الجميع نظرهم ناحية هيلى عندما تفوهت بهذه الجملة وقال هاربر : " ولم تخبرينا بذلك ؟ " .

ردت عليه قائلة : " لقد أخبرت ديفيد هذا الصباح ، وإننى أخبر الجميع الآن بالفعل ، فلم أشأ أن أقول شيئاً أمام الأولاد " .

نهض ميتش ناحية المائدة ليحضر جهاز التسجيل وهو يقول : " علينا أن نسجل ذلك " .

قالت : " إن الأمر لا يستحق " .

جلس ميتش مرة ثانية وقد وضع جهاز التسجيل فوق المائدة وقال : " لقد اتفقنا فى الربيع الماضى بعد ظهورها مرتين أننا سنسجل كل شىء ، هيا أخبرينا " .

منحها التحدث فى جهاز التسجيل ثقة بالنفس ولكنها قصت كل شىء .

قالت : " كنت أسمعها تغنى أحياناً وحينما أذهب لأتبين ما يحدث ، تكون قد اختفت ، أتدرون لقد كانت هناك ، فأحياناً أسمعها وهى تغنى فى غرفة الأولاد ، حجرة جيفن وليوك القديمة ، وأحياناً أخرى أسمعها تبكى ، وأعتقد أننى ذات مرة ... " .

فبادرها ميتش قائلاً : " ماذا حدث ؟ " .

قالت : " أعتقد أننى رأيتها وهى تسير بالخارج ، وكان ذلك فى الليلة التى غادرتم فيها كى تمضوا إجازة شهر العسل وذلك بعد انتهاء حفلة الزفاف ـ فلقد استيقظت فى تلك الليلة وأنا أعانى من الصداع ، وتناولت بعضًا من الأسبرين ، وذهبت لأطمئن على ليلى ولقد تهيأ لى أننى رأيت شخصاً ما خارج النافذة ، وكان ضوء القمر كافياً لكى أرى شعرًا أشقر ، ورداء أبيض ، وكانت وكأنها تتجه نحو

الإسطبل ، ولكننى حينما فتحت الباب واتجهت نحو الخارج حتى أتبينها بوضوح ، كانت قد اختفت " .

قال هاربر قد بدت رنة الغضب فى صوته : " ألم نعقد اتفاقاً من قبل بعدما كانت ستغرق أمى فى الحمام أننا سنقوم بتسجيل كل شىء ؟ ، هل ننتظر أسبوعاً لعيناً قبل أن نعلن ما حدث ؟ " .

قالت روز : " هاربر ، لقد انتهينا من ذلك الموضوع ، لا تحاول فتحه مرة أخرى " .

قال : " لقد اتفقنا من قبل " .

قالت هيلى محملقة إلى هاربر فى غضب : " لم أكن واثقة مما رأيت ، وما زلت غير واثقة حتى الآن ، ولا يعنى مجرد رؤيتى لامرأة تتجه نحو المكان الذى تبينت فيه أنها شبح ، أليس من المحتمل أن تكون امرأة حقيقية وليست شبحًا ، فما الذى يمكننى عمله حينئذٍ يا هاربر ، هل أستدعيك من هناك وأخبرك أن لك مكالمة ؟ " .

قال هاربر : " يا إلهى " .

أومأت برأسها قائلة : " تبدو وكأنك لم تزرك امرأة من قبل " .

قال : " حسناً ، حسناً ، لم تأت أى امرأة لزيارتى فى تلك الليلة ، وفى المرة القادمة ، عليك أن تتأكدى من ذلك " .

قال ميتش بهدوء وقام بوضع علامة بالقلم الرصاص على المفكرة التى فى يديه : " أرجوكم يا سادة ، هل يمكن أن تخبرينا بالمزيد عما رأيت يا هيلى ؟ " .

قالت : " فى الحقيقة ، لقد استغرق الأمر عدة ثوان فقط ، لقد كنت أقف هناك ، وأنا آمل أن يبدأ مفعول

الأسبرين قبل الصباح فلمحت حركة ما ، ورأيت امرأة ـ ذات شعر أشقر ، وكانت ترتدى رداء أبيض ، واعتقدت أن ذلك من حسن حظ هاربر " .

قال هاربر معقباً : " نعم ، من حسن حظى " .

أردفت قائلة : " ثم فكرت فى أمر إميليا ، وعندما خرجت لأستوضح الأمر ، كانت قد اختفت ، لقد ذكرت ذلك لأنها إذا كانت هى بالفعل ـ وهذا ما أعتقده ـ فذلك يعنى أننى رأيتها مرتين فى غضون أسبوعين ، وهذا لا تحتمله أعصابى " .

أوضح لوجان قائلاً : " لقد كنت أنت المرأة الوحيدة المتواجدة فى المنزل خلال هذا الأسبوع ، وهى تفضل أن تظهر للسيدات " .

قالت : " هذا منطقى " ، وجعلها ذلك تشعر بالراحة .

قالت روز : " وأضف إلى ذلك ، أنها كانت ليلة زواجى أنا وميتش ، فلقد كانت غاضبة " .

قال ميتش موجهاً حديثه إلى هاربر : " وتلك هى المرة الثانية التى نعلم فيها أنها تتجه نحو الإسطبل ، فلابد أن هناك شيئاً ما " .

قالت : " إنها لم تخبرنى بالسبب حتى الآن " .

رفع ميتش يده قائلاً : " علينا أن نستمر فى البحث ، فنحن نعتقد أنها كانت تقطن فى تلك المنطقة ، لذا فالاحتمال الأقوى أن ريجنالد قد حبسها فى أحد ممتلكاته ، فإننى أرجح هذا الاحتمال " .

سألته هيلى قائلة : " إذا استطعنا معرفة اسمها بالكامل ، فهل بإمكانك البحث والعثور على كل المعلومات التى تخصها ، تماماً كما فعلت مع عائلة هاربر ؟ " .

قال : " سيكون ذلك مجرد بداية لا بأس بها " .

قالت هيلى : " بإمكانها أن تخبرنا ، إذا ما اتبعنا الأسلوب الأمثل لسؤالها " ، ثم انخفض صوتها . عندما انبعث صوت الغناء من خلال شاشة المراقبة وهى تقول : " إنها مع ليلى الآن ، لقد ظهرت مبكراً هذه الليلة ، سأصعد لأطمئن على ليلى " .

نهض هاربر قائلاً : " سأذهب معك " .

لم تجادله ، فمازال هذا الصوت على الرغم من مرور عام يرسل قشعريرة فى جسدها . وكانت قد أضاءت الأضواء فى غرفتها كالعادة ، وذلك حتى لا تسير فى الظلمة ، وقد جعلتها أشعة الشمس التى تشرق وكذلك أصوات ليوك وجافين تشعر بالاطمئنان .

قال هاربر : " إذا كنت تشعرين بعدم الأمان بمفردك هنا ، فيمكنك أن تنتقلى إلى الجناح الآخر لتكونى بالقرب من ميتش وأمى " .

خفضت صوتها حتى صار همساً وهى تقول : " أعتقد أن المتزوجين حديثاً لا يكونون بحاجة إلى وجودى أنا وطفلة رضيعة بجوارهم ، على كل حال ، لقد اعتدت على ذلك ، إنها لا تتوقف عن الغناء ، ولكنها فى الغالب ما تتوقف عن الغناء قبل أن أصل إلى الباب " .

وبحركة تلقائية مدت يدها نحو يد هاربر وهى تفتح الباب لقد كان الطقس بارداً ، ولكنها كانت تتوقع ذلك ، فغالباً ما كانت تستمر تلك البرودة حتى بعد اختفاء إميليا ، ولكن ذلك لم يزعج ليلى ، فكان تنفسها منتظماً ، ولكن هيلى انزعجت قليلاً عندما سمعت صرير الكرسى الهزاز .

dodyadodo www.rewity.com

حدثت هيلى نفسها قائلة : " هذا شىء جديد " .

كانت إميليا تجلس على الكرسى الهزاز ، وترتدى فستانها الرمادى وكانت تضع يدها على ساقيها وهى تغنى ، كان صوتها جميلاً رخيماً ولكنه هادئ كالصوت الذى يجب أن يكون عند التغنى بأغانى الأطفال .

ولكنها عندما حولت رأسها ونظرت ناحية الباب ، تجمدت الدماء فى عروق هيلى تماماً كهواء الغرفة .

لم تكن هناك ابتسامة على وجهها ، بل كان وجهها متجهماً ، كانت عيناها متورمتين ، ويغلب عليهما الاحمرار الشديد .

هذا ما يفعلونه ، هذا ما يمنحونه .

وأثناء حديثها ، بدأ الشكل يتحلل ، فذاب اللحم حتى أصبح الشبح الذى يجلس على الكرسى الهزاز هيكلا عظميا يهتز داخل ثياب رثة .

ثم اختفى تماماً .

قالت هيلى بصوت مرتعد : " أرجوك ، أخبرنى بأنك قد رأيت ما رأيته لتوى ، هل سمعت ذلك ؟ " .

قال وهو يحكم قبضته عليها ويساعدها حتى وصلت إلى مهد الطفلة : " نعم ، هل المكان هنا أدفأ ، هل تشعرين بذلك ؟ إن هناك دفئًا حول المهد " .

قالت : " إنها لم تفعل أى شىء من قبل لإخافة ليلى ، إننى لا أريد أن أتركها وأهبط لأسفل ، سوف أشعر بأننى أفضل إذا ما بقيت هنا بجوارها ، ويمكنك أن تخبر الآخرين بما حدث " .

قال : " يمكننى أن أبقى هنا بالجوار الليلة ، فى إحدى غرف الضيوف " .

قالت وهى تسوى غطاء ليلى : " لا تقلق ، سأكون بخير ، سنكون جميعاً بخير " .

أمسك بيدها ، ولوح لها بأن تعود معه إلى الردهة وقال : " هذه أول مرة يحدث فيها ذلك ، أليس كذلك ؟ " .

قالت : " إنها أول مرة بالنسبة لى ، سوف تهاجمنى الكوابيس بسبب ذلك " .

تحسس وجنتها ، وحدثت نفسها بأن ذلك أيضاً المرة الأولى وقال : " هل أنت واثقة من أنك ستكونين بخير ؟ " .

كانا يقتربان من بعضهما البعض ، وهو يمسك بيدها ، وأصابعه تتحسس وجنتيها .

كان كل ما عليها فعله أن تقول لا ، ابق بجوارى الليلة .

ثم ماذا ؟ فيمكن حينئذٍ أن يبدأ بينهما شىء ، ولكنها ستحطم كل شىء بعد ذلك .

قالت : " نعم ، سأكون بخير ، إنها ليست غاضبة بسببى ، فليس ثمة سبب وراء ذلك ، نحن بخير ، من الأفضل أن تهبط إلى أسفل ، وتقص على الآخرين ما حدث " .

قال : " إذا حدث شىء أزعجك هذه الليلة ، فاستدعنى وسآتى على الفور " .

قالت : " أشكرك " .

وسحبت يدها من يده ، وتراجعت واتجهت نحو غرفتها .

وأخذت هيلى تفكر فى الأمر وهى تحدث نفسها قائلة : " لا ، ليس هناك سبب وراء غضب إميليا منى ، إنها ليس

dodyadodo www.rewity.com

لديها صديق ، أو زوج أو حبيب ، والرجل الوحيد الذى ترغبه بعيد المنال ومحظور أن تفكر فيه " .

فغمغمت قائلة : " عليك أن تهدئى وتستريحى ، فسأظل وحيدة لفترة طويلة قادمة " .

الفصل الثالث

أخذ يفتش عنها فى اليوم التالى ، فى منتصف الظهيرة ، ولكن كان عليه أن يكون حذرا وألا يشعرها بذلك ، فهو يعرفها بدرجة تكفى لأن يكون متأكدا من أنها ستصده إذا ما أيقنت أنه يحاول أن يمد لها يد العون أو يقدم لها أى نوع من المساعدة .

فهيلى فيليب هى هيلى فيليب ، وستقول له حتما ، إننى بخير ، ولا تقلق على ابنتى .

حدث هاربر نفسه بأنه ليس ثمة ما يعيب ذلك ، فهناك نساء كثيرات لو كن فى موضعها ، لا نتهزن فرصة كرم أمه وضيافتها ، أو على الأقل اعتبرن ذلك الكرم شيئا مسلما به ، ولكن هيلى لم تفعل ذلك ، وهو يحترم فيها هذا الجانب ، بل إنه يروقه ويعجبه التزامها بمبدئها

ووجهة نظرها ، ولكنه كان يعتبر فى كثير من الأحيان أن ذلك يشوبه شيء من العناد .

لذا ترك الأمر للمصادفة ، حتى عندما كان يمر بين بيتين من البيوت الزجاجية ، متجهاً نحو المبنى الرئيسى وذلك قبل أن يعثر عليها وهى تقوم بزرع مجموعة من النباتات .

كانت ترتدى مئزر المشتل فوق سروال أسود وقميص ذى ياقة مفتوحة ، وكان هناك بعض الطين الرطب العالق بمئزرها وكذلك فوق ساعدها ، وكانت تبدو جذابة فى ذلك الحين .

قال لها : " مرحباً ، كيف الحال ؟ " .

قالت : " ليس سيئاً إلى حد كبير ، فلدينا الكثير من العمل فى أحواض الزهور ، فلقد جاءت الآن إحدى العميلات وابتاعت خمس قطع من النباتات لتزين بها المائدة من أجل الغداء الذى تقيمه جمعية السيدات ، ولقد تحدثت معها وأقنعتها بأن تأخذ شجرة النخيل الصغير من أجل حديقتها " .

قال : " حسناً ، أعتقد أنك مشغولة الآن " .

نظرت إليه وهى تقول : " ليس إلى هذا الحد ، فستيلا تريد المزيد من أحواض الزهور ، لكنها مشغولة مع لوجان ، فهناك طلبية كبيرة ، ولذا فهى متواجدة معه فى المكتب ولا تريده أن يغادر حتى تدرس كل تفاصيل العقد ، وعندما مررت بهما ، لم يكن مسروراً لذلك على الإطلاق " .

قال : " إذن سيستغرقان بعض الوقت ، إننى سأذهب من أجل تقليم بعض البراعم ، وقد أحتاج لبعض المساعدة ولكن — " .

قالت : " حقاً ؟ هل يمكننى معاونتك ؟ إننى على استعداد لمعاونتك حتى تستدعينى ستيلا أو روز إذا كانا فى حاجة إلىَّ " .

قال : " إننى بحاجة لمساعدة " .

قالت : " سأعود على الفور ، انتظرنى " .

اتجهت ناحية الباب الزجاجى ، وعادت بعد حوالى ثلاثين ثانية وقد وضعت حزامًا حول خصرها .

قالت : " لقد قرأت بعض المعلومات من قبل عن تقليم الأشجار ، ولكننى لا أتذكرها " .

قال لها وهما يشرعان فى العمل : " إنها طريقة قديمة ، ولكنها تُستخدم الآن على نطاق واسع أكثر من ذى قبل ، سنقوم ببعض أعمال تزيين وتهذيب الأشجار وأنسب وقت لذلك هو منتصف الصيف " .

شعرت بموجة من الحرارة تلفح وجهها ، فقالت : " هذا منتصف الصيف لا شك " .

أمسك بدلو ملىء بالمياه كان قد تركه خارج الباب وقال : " سنبدأ بشجرة الماكنوليا ، فعليها إقبال بدرجة كبيرة " .

وسارا فوق الحطب وسط اثنين من البيوت الزجاجية واتجها ناحية الحقول وقال : " هل سارت الأمور على ما يرام الليلة الماضية ؟ "

قالت : " لم نلمحها بعدما تعرضنا له ليلة أمس ، وأتمنى ألا تفعل ذلك ثانية " .

قال : " إنها تدرك تماماً كيف تجذب انتباهك على أية حال ، والآن ها هو ما سنبدأ به " .

وتوقف أمام شجرة ماكنوليا طويلة . وأردف قائلاً : " سأقوم بانتزاع بعض الأغصان الصغيرة الناضجة ، وعليك

dodyadodo www.rewity.com

أن تنتزعى غصنا لا يزيد سمكه على قلم رصاص ، ولكنه ذو براعم ناضجة ، هل ترين ذلك ؟ " .

وبيدين عاريتين خاليتين من قفازين ، ثنى أحد الأغصان الصغيرة النابتة .

قالت : " وماذا بعد ذلك ؟ " .

قال : " سأقتطعه " وأخرج آلة تستخدم لشذب النباتات وأردف قائلاً : " انظرى سأبدأ من هنا حيث الجزء الخشبى ، فهذا هو ما نبحث عنه ، فنحن لا نريد أغصاناً خضراء ، فهى لاتزال ضعيفة " .

وبعد أن قام هاربر باقتطاعه ، وضعه فى مياه الدلو وقال : " سنحتفظ به نديا ، فإذا جف لن يمكننا ضمه مع الأغصان الأخرى والآن عليك اقتطاع واحد آخر الآن " .

وبدأت هيلى تدور حول الشجرة ، ولكنه أمسك بيدها قائلاً : " من الأفضل أن تنتقى من الجزء المعرض للشمس " .

قالت وهى تضع شفتها السفلى بين أسنانها وتبحث عن الغصن المناسب : " ما رأيك بهذا ؟ " .

قال : " جيد ، والآن قومى بقطعه " .

أخذت آلة القطع ، وترامت إلى أنفه رائحة عطرها ـ وهو عطر خفيف ـ ممتزجة بنباتات الحديقة .

قالت : " كم عدد الأغصان التى تريدها ؟ " .

قال : " حوالى عشرة " ثم وضع يده فى جيبه وانحنى ليراقبها وهى تعمل ليشم رائحتها مرة أخرى ثم أضاف : " هيا ، عليك التقاط غصن آخر " .

وقامت بثنى غصن آخر ونظرت ناحية هاربر وهى تقول : " إننى لا أتواجد فى الحقل كثيراً ، إن الأمور

تختلف هنا كثيراً عن البيع والعرض ، والتحدث إلى العملاء " .

قال : " إنك ماهرة فى ذلك " .

قالت : " نعم ، إننى كذلك بالفعل ، وستيلا وروز أيضاً فإنهما تعلمان كل شىء ، وأنا أحب أن أتعلم ، وكلما بعت أكثر ، تعلمت أكثر " .

قال : " ولكنى أفضل ذلك العمل عن البيع كل يوم " .

ابتسمت وهى تعمل وقالت : " ذلك لأنك تفضل العزلة ، أليس كذلك ؟ أما أنا ، فأحب أن أقابل الناس كل يوم وأحب أن يحادثونى عما يبحثون ولماذا ، وكذلك فإننى أحب البيع أيضاً حيث أقول لهم : " يمكنكم أخذ هذا الشىء الجميل ، وأعطونى النقود " .

وابتسمت وهى تضع غصناً آخر فى الدلو وقالت : " لذا فأنت وروز بحاجة لشخص مثلى ، فيمكنكما الانطواء فى الكهوف والعمل مع النباتات لساعات طويلة ، أما أنا فعلىّ بيعها " .

قال : " هذا يبدو منطقياً " .

قالت : " ها هى دستة تقريباً ، ماذا سنفعل بعد ذلك ؟ " .

قال : " لدىّ هنا بعض الأغصان ذات الجذور جئت بها من النباتات متعددة السيقان لكى نقوم بتطعيمها " .

قالت : " التطعيم ، أعلم ماذا يعنى ذلك " ، ونظرت إلى أحواض الزرع وإلى أغصانها الرفيعة والمستقيمة ثم قالت : " ستقوم بتقليب الأرض حتى تستحث الجذور على النبات ثم تقوم بعد ذلك بقطع الجذور التى نبتت من الشجر الذى نطلق عليه الشجر الأم وتقوم بزرعها فى مكان آخر " .

قال : " لقد قرأت عنها بالفعل يا هيلى " .

قالت : " إننى أحب أن أتعلم " .

وكانت هذه معلومة جديدة بالنسبة له ، فلم يجد من قبل امرأة تعجبه جسدياً ، وعاطفياً وتشاركه حبه لأعمال البستنة ، فقال : " حسناً ، علينا استخدام سكين حادة ونظيفة ، وعلينا أن نستأصل كل الأوراق من الجذور التى جمعناها لتونا ولكننا سنترك حزمة صغيرة - حوالى ثمن بوصة من عنق ورقة النبات أو البتلات .

قالت : " إننى أعرف ما هو عنق ورقة النبات أو البتلات " . وراقبت هاربر جيداً قبل أن تبدأ هى فى العمل على النبات .

أخذت تحدث نفسها بأن له يدين ماهرتين ، سريعتين وواثقتين وأن أعمال البستنة قد أضافت إلى يديه سمه رجولية رائعة . وأن يديه تعكسان شخصيته جيداً ، هذا المزيج بين الأصول الراقية والطبقة العاملة .

وانحنى جانباً بزاوية حتى ترى ما يفعله وقال : " سنقوم بقطع الطرف الناعم من أعلى ؟ راقبى جيداً ، فنحن نريد هذا الجذر ، لذا فسنقوم بقطعه من السيقان ، هنا بأسفل ، وعليك أن تقومى بالقطع بزاوية ، ثم لأسفل ، ثم لأعلى خلف الجذر ، و ... " ، وأمسك بساق النبات .

قالت : " إننى أستطيع أن أفعل ذلك " .

قال : " هيا قومى بذلك " ، ثم وضع جذر النبات بعد تقليمه فى حقيبة بلاستيكية وأخذ يرقب عملها .

كانت حريصة على ما تعمل ، وهو ما أشعره بالراحة ، وسمعها وهى تهمس مرددة تعليماته لنفسها مع كل خطوة .

قالت : " لقد فعلتها " .

قال : " عمل رائع ، دعينا ننجز بقية الأعمال " .

وقام بتقليم سبعة جذور فى الوقت الذى انتهت هى فيه من ثلاثة فقط ، وعلمها كيف تقوم بإزالة الأوراق والجذور المتفرعة من أسفل الساق .

كانت تعلم أنه عمل يحتاج إلى براعة ، ولكنها أدت محاولتها الأولى بغير إتقان ولكن عن عمد .

قال : " لا ، أنت بحاجة لأن تضعيه بين ساقيك ، هكذا " .

وكما تمنت ، تقدم ووقف خلفها ، وأحاطها بذراعيه وأحست برعشة عندما كانت يداه تحيطان بخصرها .

قال : " انحنى لأسفل قليلاً ، هكذا والآن ... " ، وأمسك بيدها ليعلمها كيف تقطع وغمغم قائلاً : " مجرد قطعة صغيرة من اللحاء " ، ولفحت أنفاسه أذنيها وقال : " هل ترين ، ها هو القلب (وهو طبقة من النسيج الخلوى اللين واقعة بين لحاء الشجرة وخشبها) وعليك أن تتركى تجويفاً صغيراً ، حيث سيتم تثبيت الجذر فى الشجرة الأخرى " .

كانت رائحته تشبه رائحة الأشجار ، وكانت تشعر بقوة جسده وهو يقترب منها ، كانت تتمنى أن تستدير حتى يتقابل وجهاهما .

كانت مناورة ، وشعرت بالخجل ولكنها نظرت إليه وكانت عيناها خاليتين من أى تعبير وابتسمت قائلة :

" هل هذا أفضل ؟ " .

قال : " أفضل بكثير " .

وكما تمنت وجدته ينظر لأسفل ، ناحية شفتيها وأخذت تحدث نفسها قائلة : " خطوة كلاسيكية تؤدى إلى نتائج كلاسيكية " .

قال : " سأعلمك الباقى " .

وظل صامتاً للحظة ، وكأنه رجل قد نسى ما كان يفعله فى منتصف مهمة ما ، واعتراها شعور غامر بالسعادة .

تراجع للخلف ، ومد يده من أجل أن يقوم بإخراج شريط لاصق .

كان الأمر لطيفاً ، فلقد تلاقيا لثوان ، بالطبع إنها تشعر بأن كل كيانها قد اهتز ، ولكنها كانت سعيدة .

ولكى تكفر عن الإثم الذى ارتكبته فى رأيها نتيجة لشعورها هذا ، قامت بدور الطالبة الشغوفة وهى تضع الجذر فى القلب ، تماما كما تلاقت هى وهاربر منذ ثوان .

وضعت الجذر فى الشجرة الجديدة بواسطة الشريط اللاصق ولفته فوق الجذر .

قال : " رائع ، جيد " .

كان لا يزال يشعر بأن أنفاسه متقطعة ، وكانت راحتا يديه لا تزالان مبللتين ، فقام بمسحهما فى سرواله ، وأردف قائلا : " سوف يتحد الجذر فى غضون ستة أسابيع أى ما يقارب شهرين ، وحينئذٍ نقوم بنزع الشريط اللاصق ، وفى أواخر الشتاء القادم ، سنقوم بقطع أعلى الشجرة ، فوق هذا الجذر تماماً ، وخلال الربيع ، يطرح هذا الجذر غصنًا آخر كبيرًا " .

قالت : " أليس شيئاً رائعاً أن تنتزع أشياء صغيرة من أشياء أكبر ، ثم تضعهما من أجل طرح المزيد " .

قال : " هذا هو الهدف " .

قالت : " هل يمكنك أن تعلمنى بعض الأساليب الأخرى فى الزراعة فى أى وقت آخر ؟ وذلك كما علمتنى التطعيم مثلا " ، وكانت تنحنى فوق جذر آخر وأكملت قائلة : " لقد علمتنى روز وستيلا بعض أساليب التكاثر وسأحاول أن أجرب بعضها فى معمل التطعيم " .

لم تتحرك مشاعره نحوها مثلما تحركت الآن ، وشعر برغبة عارمة فى ضمها إلى صدره ولكنه أخذ يقاوم هذا الشعور .

قال : " بالطبع ، بالطبع ، ليست هناك أى مشكلة فى ذلك " .

قالت وهى تنحنى لأجل وضع جذر جديد فى تجويف غصن آخر : " هل كنت تعتقد حينما بدأت تولى العمل فى هذا المكان أن يكون بهذا الشكل ؟ "

كان عليه أن يركز انتباهه على كلماتها ، وعلى العمل وأن يتجاهل تلك الرغبة التى تعتريه تجاهها .

وأخذ يذكر نفسه بأنها أم ليلى ، وهى ضيفة فى منزلهم ، وموظفة هل يمكن أن يكون الأمر أكثر تعقيداً من ذلك ؟

يا إلهى ، ساعدنى

قالت : " هاربر ؟ "

كان يقوم بلف الشريط اللاصق ، فأجابها : " آسف ، نعم كنت أعتقد ذلك " ، وأخذ ينظر حوله نحو الحقول والبستان وعلى أحواض الزرع ، والبيوت الزجاجية " وأردف قائلا : " أعتقد أننى كنت أتوقع ذلك لأننى أردت أن يكون المكان هكذا ، بالإضافة إلى أننى أعرف أمى جيداً ، فهى إذا ما صممت على شىء ، فعلته " .

dodyadodo www.rewity.com

قالت : " ولكن افترض ، إذا لم تكن ترغبه هى فى ذلك ، فماذا كنت ستفعل ؟ " .

قال : " إذا لم تكن تريد ، لكنت فعلته أنا ، وبدأت العمل به ، وإذا رأتنى هى مصممًا على ذلك ، فكانت ستساعدنى ، ولانتهينا إلى ما نحن فيه " .

قالت : " ولكنها هى الأفضل ، أليس كذلك ؟ وإنه لشىء جيد أن تدرك كم أنت محظوظ ، إننى أرى أن كلاً منكما يقدر الآخر ، إننى أتمنى أن أكون أنا وليلى على هذا النحو " .

قال : " يبدو أنكما ستكونان كذلك بالفعل " .

ابتسمت هى عند سماع ذلك ، ونهضت واتجهت ناحية مجموعة أخرى من الجذور .

وقالت : " هل تعتقد أن علاقتك بروز وكذلك علاقة إخوتك بها تسير على هذا النحو لأنه لم يكن هناك وجود للأب فى حياتكم ؟ أعنى أننى كنت وأبى قريبين من بعضنا البعض ؛ لأنه لم يكن هناك سوانا ، إننى كنت أتساءل " .

قال وقد تساقط شعره الكثيف الأسود على جبهته فأزاحه للخلف بيده وقد شعر بالضيق لأنه لم يحضر قبعة معه :" ربما ، إننى أتذكر علاقتها بوالدى ، لقد كان زوجًا مميزًا ، فعلاقتهما كانت تشبه علاقتها بميتش ـ لا ، ليس مثلها تماماً ، لا ليست تشبهها على الإطلاق ، ولكن هناك شىء مميز فى علاقتهما وهذا ما تستحقه "

قالت : " ألم تفكر قط فى العثور على شخص ما ؟ شخص مميز وذى صفات حميدة ؟ " .

قال : " أنا ؟ لا ، لا ، لا حتى الآن ، لماذا ؟ هل عثرت أنت على الشخص المناسب ؟ " .

سمعها وهى تتنهد وتنحنى نحو حوض الزهور وتقول : " ليس الآن " .

* * *

وعندما فرغا من عملهما ، وغادرته هى ، اتجه هاربر ناحية غدير الماء وأفرغ محتويات جيوبه ، وألقى بنظارته الشمسية على الحشائش ثم غاص فى المياه .

فهذا شىء دائماً ما كان يفعله منذ طفولته ، فليس هناك شىء أجمل من الغوص فى البحيرة فى يوم صيف حار .

غاص فى مياه البحيرة مع أوراق الزئبق والزيزفون الطافية كان يشعر بالسعادة الشديدة تغمره حينما أمسك بيدها .

ولكن يجب عليه ألا يفكر فى ذلك ، كما كان يفعل منذ ما يقرب من سنة ، إنها تنظر إلى ما بينهما على أنه علاقة صداقة فقط ، بل ربما تفكر فيه كأخ ، ولا شىء أكثر من هذا .

عليه أن يتحكم فى مشاعره وألا يجعلها تتجاوز حدود الصداقة إلا إذا اندلعت شرارة الحب بينهما معلنة عن مولد حب حقيقى . ولكن وحتى ذلك الحين عليه أن يكبت مشاعره .

وأفضل شىء يجب أن يفعله هو الخروج والانطلاق ، فإنه يقضى وقتاً طويلاً فى المنزل ، ومعظم هذا الوقت يقضيه بمفرده ، ربما كان يجب عليه أن يذهب للمدينة ليلاً ، وأن يجرى بعض المحادثات الهاتفية ، ويتقابل مع بعض الأصدقاء ، والأفضل من هذا كله أن يجد من يرتبط بها ، ويتقابلا معًا ، ويتناولا عشاءهما بالخارج وهما يستمعان

للموسيقى الهادئة حتى يقاوم مشاعره تجاه هيلى ، تلك المرأة التى لديها طفلة ترعاها .

ولكن المشكلة تكمن فى أنه لا يستطيع أن يفكر فى أى امرأة أخرى ، أو أن يلتقى بها على العشاء أو يستمعا للموسيقى معًا ، وهذا سبب عدم إقامة أى علاقة مع امرأة أخرى .

إنه لا يستطيع أن يقيم أى علاقة مع أى امرأة أخرى أو يتظاهر بذلك ، بينما المرأة التى يريدها قابعة فى بيته .

ولكنها بعيدة عنه كبعد النجوم فى السماء .

خرج هاربر من المياه ، وأخذ يهتز لينثر المياه ، ربما يذهب للمدينة ليلا ، التقط أشياءه ووضعها فى جيبه ، وعقد العزم أنه سيرى إذا ما كان يود أحد من أصدقائه أن يشاهد أحد الأفلام المعروضة ، أو يرغب فى إقامة حفلة شواء أو الذهاب إلى النادى ، إنه يريد أن يفعل أى شىء الليلة حتى يصرف انتباهه عما يفكر فيه .

ولكن عندما عاد إلى المنزل ، لم يكن فى حالة مزاجية تسمح له بالخروج ، وأخذ يلتمس الأعذار لنفسه ، فالجو حار ، أو أنه متعب ، أو أنه لم تكن لديه الرغبة فى القيادة . فكل ما كان يحتاج له بالفعل حمام بارد وزجاجة من المياه الغازية ، وكان على ثقة من أن هناك بعضًا من البيتزا المجمدة التى أعدها ديفيد بينما تذاع مباراة كرة قدم فى التلفاز .

ماذا يحتاج أيضاً ؟

إنه يحتاج لامرأة جميلة ، بشرة ناعمة ، وعينين زرقاوين واسعتين وشفتين مثيرتين لتكون بجواره .

ولكنه لا يستطيع ذلك ، فقرر أن يأخذ حمامًا باردًا وأن يخفض من درجة حرارة جسده .

وبعدما انتهى ، كانت المياه لا تزال تتساقط من شعره ، ارتدى ملابسه واتجه ناحية المطبخ من أجل زجاجة من المياه الغازية المثلجة .

وكبقية أنحاء المنزل ، كان المطبخ صغيراً ، إنه لم يكن بحاجة إلى مطبخ كبير ، فلقد نشأ فى منزل كبير ، ولكنه يحب حجرته الصغيرة المريحة ، وكان المنزل المتنقل ذو الطابقين يذكره بالأكواخ الريفية ؛ لأنه كان يبعد عن المنزل الرئيسى وتحيطه الحدائق ذات الطرق المتعرجة ، وتظلله الأشجار الباسقة التى تمنحه إحساسًا بالعزلة والخصوصية وهو ما يتناسب مع شخصيته تماماً ، وهو لا يبعد عن المنزل الرئيسى ، لذا فهو بجوار أمه إذا ما احتاجته فى شىء .

وإذا كان يريد الصحبة فكل ما عليه السير لخطوات قليلة ، أما إذا كان لا يرغب فى ذلك ، فليبق بمفرده فى المنزل ، ولكنه فى أغلب الأحيان كان يفضل البقاء بمفرده .

لقد تذكر اليوم الذى انتقل فيه إلى المنزل وكان قد اعتزم أن يطلى جميع الجدران باللون الأبيض ، ولكن عارضه كل من أمه وديفيد ، وعليه أن يعترف بأنهما كانا على حق .

لقد أحب جدران المطبخ الفضية والطاولات الرمادية ، والخزانات الخشبية ، ولقد أوحت له الألوان أن يملأ المكان بقطع الفخار القديمة ، وأن يقوم بزراعة بعض الأعشاب ويضعها على حافة النافذة .

لقد كان المكان لطيفًا بالنسبة له ، حتى لو كان يتناول شطيرة بجوار الحوض ، كان يحب أن يقف هناك ، ليطل بنظرة على البيوت الزجاجية والحدائق الغنّاء .

dodyadodo www.rewity.com

لقد لاحظ أن أشجار الشويلاء قد نمت بدرجة كبيرة ، وربما يقتطع بعضاً منها ويضعها فى مكان ما فى المنزل ولقد منح الحديد الذى وضعه هاربر حول تلك الأشجار قوة .

وها هى الفراشات تطير وتحوم حول الحديقة التى زرعها هو وأمه ، تحوم بأجنحتها الملونة حول الأعشاب والحشائش اليانعة ، وزهور البق ، ونبات رعى الحمام ذى الرائحة الذكية ، وزهور النجمة .

قد يقوم بقطف بعض من الزهور ويأخذها إلى المنزل ويضع بعضًا منها فى حجرة ليلى ، لقد أحبت الزهور ، أحبتها حينما كان يصطحبها لتمشى بين الزهور فى الحديقة ، حيث تتلمس تلك الزهور بيدها .

وكانت عيناها ـ الزرقاوان كعينى أمها ـ تتسعان عندما كان يخبرها بأسماء تلك الزهور وكأنها كانت تفهم تلك الأسماء وتحفظها فى ذاكرتها .

يا إلهى من كان يصدق أن تأسره طفلة ما بهذا الشكل ؟

لقد كان يشعر بمتعة وسعادة حينما كانت تمشى معه فى الحديقة وتضع يدها الصغيرة فى يده ، ثم تتوقف وتمد له ذراعيها ليحملها ، وقد أشرق وجهها الصغير الجميل بالفرحة لأنها تعلم أنه سوف يحملها لأعلى ، ولكم كان يحب ذراعيها الصغيرة حينما تلتفان حول عنقه أو تربت على شعره . لقد أسرته حقا .

يا للروعة والجمال أن تحب ، وأن يحبك أحد بهذا الأسلوب البديع ، السلس .

تناول رشفة من زجاجة المياه الغازية ، ثم فتح الفريزر بحثًا عن البيتزا ، ولكنه سمع طرقات على الباب لمدة ثوان قبل أن يقوم بفتحه .

قال ديفيد : " آمل ألا أكون قد قاطعت شيئاً ممتعاً ، ثم خطا إلى الداخل ونظر نحو هاربر وهو يقول : " ماذا ، أليس هناك أى فتيات راقصات ؟ " .

قال هاربر : " لقد غادرن لتوهن " .

قال ديفيد : " أعتقد أنك قد استمتعت بوقتك كثيراً " .

" أنت تعرف كيف تستمتع بوقتك أنت أيضاً ؟ هل ترغب فى بعض من المياه الغازية ؟ " .

" أود ذلك ، ولكن لا ، لن أتناولها ، إننى أود تناول بعض العصير ، إننى سأتوجه إلى ممفيس لمقابلة بعض الأشخاص ، ما رأيك أن ترتدى ملابسك وتأتى معى ؟ " .

" إن الطقس شديد الحرارة " .

" لا تخف ، فأنا الذى سيقود السيارة ، ولقد زودت سيارتى بمكيف هواء ، هيا وارتد حذاءً للرقص ، فسنذهب إلى بعض الملاهى الليلية " .

لوح هاربر بكوب العصير إلى صديقه وهو يقول : " فى كل مرة ، أصحبك إلى أحد النوادى ، أجد من يصطدم بى وفى الغالب يكون من الفتيات " .

قال ديفيد : " سأحميك يا محطم قلوب العذارى ، وسألقى بنفسى أمام من تحاول أن تسبب لك أذى ، فماذا ستفعل هنا يا هاربر بمفردك ، هل ستتجول فى الشقة وتتناول المياه الغازية وبعض المقرمشات والجبن طوال الليل ؟ " .

" إن المقرمشات والجبن هما عشاء الأبطال ، ولكننى سأتناول البيتزا المجمدة الليلة ، وبجانب ذلك ، هناك مباراة " .

dodyadodo
www.rewity.com

" لقد صدمت قلبى يا هاربر ، إننا مازلنا فى ريعان الشباب ولدينا مشاعر وأحاسيس حارة ، ألا تتذكر مغامراتنا وما كان لنا من ذكريات يا هاربر ؟ وأمسك به من كتفيه وهو يلوح بحركة مسرحية وقال : " ألا تتذكر السطوة التى كنا نحظى بها ؟ ؟ " .

ابتسم هاربر وقال : " لقد كانت أياماً ومضت " .

قال : " لا يزال أمامنا الكثير " .

جلس ديفيد على النضد وتناول رشفة من كوب العصير وقال : " إننى أشعر بالقلق من أجلك " .

قال : " حقاً ، لِمَ ؟ " .

قال ديفيد : " أنت فى عزلة عن الجنس الآخر تماماً يا هاربر ؟ "

تناول هاربر رشفة من المياه الغازية وقال : " يا إلهى ، ديفيد ، الأمر لم يعد يهمنى " .

قال : " لقد اعتدت أن أرى الفتيات الجميلات وهن يصطففن أمام منزلك ، والآن أنت لا ترغب فى معرفة أى واحدة منهن " .

لقد كان حديثه أقرب للصواب وقال : " إننى فى إجازة منهن ، أعتقد أننى سئمت من ذلك ، بالإضافة إلى أننى منهمك ومشغول فيما يحدث هنا ، فأنا مشغول بأمر الشبح ، وبخاصة عندما اكتشفت أنها كانت جدة جدتى ، فهناك من هددها وأكرهها على شىء ، وأنا لا أريد أن أكون مهملاً أو غير مبال بعد الآن " .

نزل ديفيد من على النضد وهو يقول : " إنك لم تكن كذلك أبداً ، منذ متى ونحن أصدقاء ؟ منذ أمد طويل ، ولم أرك يوماً مهملاً أو غير مبال مع أى فرد ، إنك لم تكن قط

غير مراع لمشاعر الآخرين يا هاربر ، وليس معنى أن ريجنالد كان وغداً ، أنك أنت أيضاً كذلك " .

قال هاربر : " أنا أعلم ذلك ، إننى فقط قررت الابتعاد قليلاً حتى أعرف ما أريده فى المرحلة القادمة " .

قال ديفيد : " إنك بحاجة إلى صحبة ؟ إننى سأصحبك لتناول شىء أقل فظاعة من البيتزا " .

قال هاربر : " لا ، إننى أفضل البيتزا المثلجة " ، ثم قاده إلى الباب الأمامى وقال : " هيا اذهب أنت وامرح كما شئت " .

قال ديفيد : " حدثنى على المحمول إذا ما غيرت رأيك " .

فتح هاربر الباب واستند عليه وقال : " أشكرك ، ولكن أثناء تجوالك فى شارع بيال ، سأكون أنا جالساً فى جو لطيف وبارد أشاهد فريق برافز يذيق مرارة الهزيمة لمارينز " .

قال : " إنه لشىء يثير الشفقة يا بنى المسكين " .

قال هاربر : " قلت لك إننى لا أرغب فى أى سهرات " ، وشعر بوخزة فى معدته عندما شاهد هيلى وليلى تسيران فى الحديقة .

" والآن ها هو منظر جميل " .

قال هاربر : " نعم ، إنهما رائعتان " ، كانت الطفلة ترتدى فستاناً ورديا بخطوط بيضاء ، وتضع مشبك شعر ورديا ، وكان شعرها داكنا كشعر أمها ، وكانت تبدو جميلة وحلوة حقاً .

أما أمها ، فكانت ترتدى سروالاً أزرق قصيراً ، ومن فوقه كانت ترتدى قميصاً ذا أزرار . كانت تبدو جذابة حقاً . كانت الاثنتان فى قمة الروعة والجمال

تناول رشفة من زجاجة المياه الغازية ليثلج صدره ولمحتهما ليلى ، وأطلقت صيحة سعادة وفرح ، وأفلتت يدها من يدى هيلى وانطلقت ناحية المنزل المتنقل بأقصى سرعة تستطيعها قدماها الصغيرتان .

سار ديفيد نحوها ليحملها وهو يقول : " مهلاً أيتها الحلوى الجميلة " فأخذت تربت على وجهه بكلتا يديها ، وهى تنطق بكلام غير مفهوم ثم مدت يدها نحو هاربر .

قال ديفيد : " كالعادة ، لا تعيرنى أى اهتمام فى وجودك " .

أجلسها هاربر على ساقيه وأخذت تهز هى ساقيه فى سعادة ومرح وقال : " مرحباً ، أيتها الجميلة " .

وردا منها على ذلك ، أراحت رأسها على كتفيه

عقبت هيلى على ذلك وهى تتجه نحوهم قائلة : " يا له من غزل ، لقد كنا نتريض عبر الحديقة ، ونتبادل حديث الفتيات وإذا فجأة لمحت شابين وسيمين ، فتجاهلتنى وابتعدت " .

قال ديفيد : " لماذا لا تتركينها بصحبة هاربر ، وترتدين فستاناً جميلاً ، وتذهبين معى إلى ممفيس " .

قالت : " آه ، أنا ـ " .

حاول هاربر أن يجعل صوته طبيعياً وهو يداعب ليلى وقال :

" بالطبع ، يمكن أن تبقى معى ، وبإمكانك أيضاً أن تحضرى المهد المتنقل حتى أضعها فيه إذا ما شعرت بالتعب " .

قالت هيلى : " إننى أقدر لك هذا ، ولكن كان اليوم طويلاً ، وأعتقد أنه لن يكون بمقدورى الذهاب إلى ممفيس " .

انحنى ديفيد ليقبل ليلى وقال : " لقد خاب أملى ، وسأذهب وحيداً بمفردى ، والأفضل أن أذهب الآن ، أراكم لاحقاً " .

قال هاربر : " إننى لا أمانع فى أن أعتنى بها إذا ما رغبت فى الذهاب "

قالت : " لا ، لقد حان موعد نومها ، ثم سألحق بها أنا بعد ذلك ، لماذا لم تذهب أنت مع ديفيد ؟ "

قال وقد قرر أن تلك هى أفضل ذريعة : " إن الطقس شديد الحرارة اليوم " .

قالت : " أهو كذلك ؟ وستترك كل اللهو بالخارج ، هيا بنا يا ليلى " .

ولكن حينما حاولت أن تأخذ الطفلة ، أخذت الطفلة تتلوى وتتعلق بهاربر بشدة ، وأخذت تصدر أصواتاً تنم عن الاعتراض وبدا كما لو كانت تقول با ـ با .

احمر وجه هيلى خجلاً وهى تصدر ضحكة خاصة وتقول : " إنها لا تعنى شيئاً ، وهذه الأصوات هى أسهل شىء بالنسبة لها ، وحرف الباء هو الأسهل على الإطلاق وهى تعترض على أشياء كثيرة هذه الأيام : " هيا يا ليلى " .

www.rewity.com

ولكن الطفلة هذه المرة أخذت تتشبث بشدة بعنق هاربر ، وشرعت فى الصراخ .

قال هاربر : " أترغبين فى البقاء بالداخل لبعض الوقت ؟ "

قالت هيلى بسرعة : " لا ، لا ، لقد كنا نأخذ جولة سريعة فى الحديقة ، ولقد انتهينا منها وعليها أن تأخذ حماماً قبل الخلود للنوم " .

أدار هاربر رأسه ناحية ليلى وقبل وجنتيها وهمس فى أذنيها قائلا : " سأعود معك " ، فضحكت الطفلة وتعلقت به .

قالت هيلى : " ليس من المفروض أن نحقق لها كل رغباتها " .

مد يده ، وأغلق الباب وهو يقول : " ستتعلم ذلك فى القريب العاجل " .

dodya.blogspot.com
www.rewity.com

أعدت هيلى الحمام والفراش ، وانشغلت باحتياجات ليلى حتى راحت الطفلة فى سبات عميق .

حاولت أن تقرأ أو تشاهد التليفزيون ، ولكن لم يكن لديها الرغبة فى ذلك ، فأدارت شريط كاسيت من شرائط تمرينات اليوجا كانت قد ابتاعته من أحد المراكز التجارية ، وهبطت لأسفل من أجل تناول بعض من المقرمشات ، ثم بعد ذلك أدارت موسيقى هادئة ولكنها أغلقتها بعد قليل .

وظلت قلقة ومستيقظة حتى منتصف الليل ، فنهضت وخرجت إلى الشرفة حتى تستمتع بدفء الليل .

كانت الأضواء مضاءة فى المنزل المتنقل ، وخمنت أنها أضواء غرفة نومه ، إنها لم تصعد مطلقاً إلى الطابق الثانى أو ما يطلق عليه الدور العلوى حيث ينام ، ومن المحتمل أن يكون فى الفراش الآن يقرأ كتاباً ما .

كان ينبغى عليها ألا تسلك هذا الطريق مع ليلى ، فقد كانت أمامها اتجاهات كثيرة لتسلكها ، ولكنها اتجهت ناحية المنزل المتنقل وكأنها مسحورة أو مسلوبة العقل .

يا إلهى ، لقد غاص قلبها فى قدميها حينما سلكت هذا الاتجاه ورأته .

لقد كان يتكئ على الباب ولا يرتدى سوى هذا السروال القصير ، إنه له صدر قوى ، عضلات مفتولة ، بشرة برنزية وكان شعره مجعداً ومبتلاً ، وكانت هناك ابتسامة خافتة لا مبالية على وجهه وهو يرتشف المياه الغازية المثلجة .

لقد كان يبدو جذاباً ، ساحراً وهو يقف على عتبة الباب تحيطه الزهور ، ومثيراً فى تلك الحرارة الشديدة ، ولكن دهشت من نفسها ، لأنها استطاعت أن تنتقى الكلمات المناسبة ، بينما كان يهتز كل كيانها وهى تقف هناك أمامه .

ولكن يجب أن تتوقف كل هذه الأحاسيس والمشاعر ويعود الأمر إلى سابق عهده ، حينما كانت حاملاً فلقد كانت تشعر حينئذ بالراحة معه ، وحتى بعد ولادة ليلى بشهور ، كانت أيضاً كذلك ، متى بدأ الأمر يتغير ؟ وتغيرت أحاسيسها ومشاعرها ؟

إنها لا تستطيع معرفة متى حدث ذلك تحديداً ، فكل ما تدركه أن الأمور تغيرت ، وهذا ما حدث .

فلم تكن ليلى هى الوحيدة التى لا تستطيع الحصول على ما تريده .

الفصل الرابع

كانت تشعر بالملل وبأنها ليست فى حالة مزاجية جيدة أثناء عملها ، وكانت تشعر بوخز وبثقل فى رأسها ، إنها تمارس تمرينات اليوجا بشكل كبير بالنسبة لها كمبتدئة ، وكذلك تمارس أعمالا كثيرة ولا تأخذ القدر الكافى من النوم ربما تكون فى حاجة إلى إجازة ، عليها أن تأخذ بضعة أيام تذهب فيها إلى ليتل روك ، وتزور بعض أصدقائها القدامى وزملائها السابقين فى العمل ، ليروا ليلى .

ولكن قد يخل ذلك بالميزانية التى خصصتها من أجل أن تصطحب ليلى إلى ديزنى لاند فى عيد ميلادها الثالث ، ولكن كم سيتكلف ذهابها إلى ليتل روك ؟ بضع مئات من الدولارات لا يهم ، فتغيير المناظر المحيطة قد يجعلها فى حالة أفضل .

مسحت جبهتها بظهر يدها ، كان الجو حاراً فى البيوت الزجاجية ، وكانت يداها ثقيلتين وهى ترتب أحد الأحواض ، وكانت لا تدرى لماذا عليها أن تقوم بهذا العمل ، فيمكن لستيلا أو روبى أن تؤدياه ، وبإمكانها هى أن تقف أمام مكتب الاستقبال ، فحدثت نفسها بأن أى طفل صغير يمكنه أن يقوم بهذا العمل فى هذا الوقت من السنة .

كان يجب أن تأخذ اليوم إجازة ، وتكون فى المنزل ، حيث الطقس اللطيف ، والاسترخاء . ولكن هنا ، فالجو خانق مما جعلها تتصبب عرقا وجعل ملابسها متسخة ويعلق بها الطين وتقوم بترتيب النباتات ، لأن ستيلا أمرت بذلك ، أوامر ، أوامر ، أوامر ، متى يتسنى لها القيام بما يحلو لها ، فى الوقت الذى يحلو لها ؟

إنهما يحطان من قدرها لأنها ليست من سلالة الأشراف المباشرين ، ولم تأخذ حظها من التعليم العالى ، ولم تكن لها تلك الأصول التى جعلت كلاً منهم فرداً مهما ، ولكنها كانت ماهرة مثلهم تماماً ، بل أفضل منهم ، إنها أفضل لأنها شقت طريقها بنفسها ، من العدم لأنها .

" مهلاً ، أنت ! إنك تكسرين جذور " اللوديسيا " " .

قالت هيلى : " ماذا ؟ " أخذت تحدق إلى النبات ، وقد جذبتها ستيلا من بين أصابعها ، فقالت هيلى : " إننى آسفة ، هل أضررت بها ؟ إننى لا أدرى فيما شردت " .

قالت ستيلا : " لا بأس ، إنك تبدين مكتئبة ، ما الخطب ؟ " .

قالت وهى تهز رأسها وقد شعرت بالخجل يعتريها من جراء أفكارها وهواجسها : " لا شىء ، لا أدرى فالحرارة الشديدة تزعجنى ، وتسبب لى الصداع ، أعتقد ذلك ، وآسفة

لأننى لم أنجز جميع الأعمال ، فيبدو أن انتباهى مشتت ولا أستطيع التركيز " .

قالت ستيلا : " لا بأس ، على كل حال ، لقد أتيت كى أساعدك " .

قالت هيلى : " لا يمكننى إنجاز ذلك ، ولا يجب أن تضيعى وقتك " .

قالت ستيلا : " هيلى ، إنك تعلمين جيداً أننى أفضل تنسيق النباتات كلما سنحت لى الفرصة " ، ثم مدت يدها إلى مبرد المياه وأخرجت زجاجتين من المياه وقالت : " خذى خمساً " .

ما الذى كانت تفكر فيه من قبل ؟ أخذت تتساءل وهى ترتشف رشفة طويلة من المياه ، يالها من أفكار دنيئة مثل تلك الأشياء السخيفة ، ذلك ليس هو ما تشعر به ، ولكن انتابتها تلك الأفكار لدقيقة أو اثنتين وهو ما جعلها تشعر بأنها شخصية سيئة .

قالت : " إننى لا أدرى ماذا بى يا ستيلا " .

قطبت ستيلا جبينها ووضعت يدها على جبهة هيلى وكأنها أم حنون وقالت : " قد يكون أصابك برد الصيف " .

قالت " هيلى " : " أعتقد أنه الرتابة والضيق وليس الغضب ، مجرد ضيق ، ولا أدرى لماذا ينتابنى هذا الشعور ، فلدىّ أجمل طفلة فى العالم وأحب عملى كثيراً ولدىّ أصدقاء مخلصون " .

قالت " ستيلا " : " يمكن أن يكون لديك كل هذا ، ولكن تشعرين بالضيق والرتابة " جذبت ستيلا ميدعة وأخذت تتفرس هيلى وهى تساعدها على ارتدائها وأضافت : " إنك لم ترتبطى بأى شخص ولم تحاولى ذلك منذ أكثر من عام " .

قالت هيلى وقد جعلها هذا الحديث ترتشف كمية كبيرة من المياه : " بل منذ ما يقرب من عامين ، لقد فكرت فى الأمر ، ولقد طلب أشخاص كثيرون أن يرتبطوا بى ، أتعرفين ابن السيدة بنتلى وايت ؟ لقد كان هنا منذ عدة أسابيع ليبتاع لأمه باقة من الزهور من أجل عيد ميلادها وكان يغازلنى بشدة ، وقد دعانى إلى العشاء " .

قالت ستيلا : " إنه شخص لطيف " .

قالت : " إنه كذلك بالفعل وقد فكرت فيه بالفعل ولكننى لم أرد أن أخوض فى علاقة كهذه وتراجعت " .

قالت ستيلا : " إننى أتذكر جيداً كيف كنت تدفعيننى دفعاً عندما رفضت فى بادئ الأمر أن أدخل فى علاقة مع لوجان " .

ابتسمت ابتسامة خافتة وقالت : " نعم ، لقد كنت أدفعك دفعاً وأحاول إقناعك بشتى الطرق " .

وقبل أن تقوم ستيلا بانتقاء بعض النباتات ، قامت بإحكام مشبك الشعر الذى يمسك بشعرها الأحمر المجعد .

وقالت : " ربما تكونين متوترة ومتخوفة بعض الشىء ، ولكن يجب أن تكون لديك الشجاعة للدخول فى علاقة عاطفية وللارتباط مرة أخرى " .

قالت : " إننى لست قلقة ، وأنا أعلم أنك أنت وروز وديفيد يمكن أن تعتنوا بليلى فى عدم وجودى " ، وقد جعلتها هذه المعلومة تشعر بالذنب من أجل الأفكار السخيفة التى طرأت على ذهنها منذ قليل ، وأردفت قائلة : " وأعلم أنها ستكون بخير ، وهذا ليس بذريعة ولكننى لا أشعر بالرغبة فى أن أفعل شيئاً كهذا " .

قالت ستيلا : " ربما لم تلتق بعد بالشخص الذى يمكنه أن يحرك مشاعرك مرة أخرى " .

تناولت رشفة كبيرة من المياه وعقدت ذراعيها وهى تقول : " أعتقد ... ربما ، إن الأمر يا ستيلا " .

وعندما طالت فترة صمت هيلى ، نظرت ستيلا إلى أعلى وحولت نظرها عن أصيص الزرع وقالت : " ما الأمر ؟ " .

قالت هيلى : " عليك أولاً أن تعديني ، وتقسمى ألا تخبرى أحداً بما سأقوله لك ، حتى لوجان ، لن تتفوهى بشيء " .

قالت : " اتفقنا " .

قالت : " أتقسمين على ذلك ؟ " .

قالت ستيلا : " لن أتفوه بشيء لأى شخص يا هيلى ، وعليك أن تثقى فى كلامى " .

سارت هيلى فى الممشى بين المناضد ثم عادت مرة أخرى وقالت : " الشيء الذى أود قوله هو أننى معجبة بهاربر " .

أومأت ستيلا : " بالتأكيد ، وأنا أيضاً " .

قالت فى إحباط وشعرت بالخزى لأنها قالت بصوت عال : " لا " ، ثم وضعت المياه جانباً ثم وضعت يدها على وجهها وهى تقول : " يا إلهى " .

مرت دقيقة لكى تستوعب ستيلا الأمر وتقول : " أوه " اتسعت عيناها : " أوه ، أوه " ، وكررت مقطع الكلمة ثانية وقالت : " أوه " .

قالت هيلى : " إذا كان هذا أقصى ما تستطيعين فعله ، فسأضربك " .

قالت ستيلا : " إننى أحاول أن أستوعب الأمر وأهضمه " .

قالت هيلى : " إنه جنون ، أعلم أن ذلك ضرب من الجنون وأنه ليس من الصواب فى شيء ولكن أنا ... انسى أى شيء تفوهت به " .

قالت ستيلا : " إننى لم أقل إن ذلك جنون ، ولكنه شيء غير متوقع ، وإذا كنت أرى أن ذلك ليس من الصواب ، لما كنت تبادلت معك الحديث فيه " .

قالت هيلى : " إنه ابن روز ، روز السيدة التى ساعدتنى وآوتنى " .

قالت ستيلا : " آه ، تقصدين حينما كنت مفلسة ، عارية وتعانين من أمراض الضعف والشيخوخة ؟ ولقد كان من الشفقة والعطف أن تؤويك وتهبك الملابس وتسهر على راحتك وتطعمك الليلة بعد الأخرى " .

قالت هيلى : " إننى لا أبالغ فقد منحتنى العمل ، وآوتنى فى منزلها أنا وليلى ، فى حين أتخيل أنا أن أرتبط بابنها الأكبر " .

قالت ستيلا " إذا كنت منجذبة لهاربر ـــ " .

قالت هيلى : " بل إننى مولعة به ، مغرمة و ـــ " .

وضعت ستيلا يدها على قلبها وقالت : " كفى ، كفى ، أرجوك إننى ضعيفة أمام ذلك " .

قالت هيلى : " إننى أشعر بانجذاب شديد نحوه . ولكننى لا أستطيع أن أفعل شيئاً حيال ذلك ، فنحن أصدقاء ، ألا تذكرين ما حدث مع روس وراشيل ، وإن قصة مونيكا وشاندلر مختلفة ولكن ـ .

" هيلى " .

غمغمت من خلال ضحكات ستيلا وهى تقول : " ولكنك تعرفين أن الأعمال الفنية محاكاة للحياة الواقعية ؟ إلى

جانب ذلك ، إنه لا يفكر فىّ على هذا النحو على الإطلاق " .

قالت ستيلا : " بنفس أسلوبك ، هل أنت على ثقة من أنه لا يفكر فيك على هذا النحو ؟ " .

قالت هيلى : " إنه لم يقدم على أى خطوة ، أليس كذلك ؟ وماذا يجرى إذا بدأت أنا بتلك الخطوة ووجدت أن ذلك صدمه أو سبب له إزعاجاً " .

قالت : " وماذا إذا لم يحدث ذلك ؟ بل ماذا لو حدث العكس ؟ " .

قالت : " هذا أسوأ ، ماذا لو دخلت معه فى علاقة ، سيكون علىّ أن أرحل أنا وليلى ، لأن روز لن توافق على ذلك ولن ترغب فى التحدث إلىّ ثانية "

قالت ستيلا وهى تربت على كتفيها : " هيلى ، هذا مجرد رأيى وانطباعى ولكننى على ثقة من أن روز تعلم أن لهاربر علاقات نسائية كثيرة " .

قالت : " إنك تدركين تماماً ما أعنى ، سيكون الأمر مختلفاً إذا ما دخل فى علاقة مع امرأة غريبة ، أما أنا فقريبة منهم " .

أضافت ستيلا وهى تضحك قائلة : " بالطبع ، ستكون فى منتهى السعادة إذا ما دخل فى علاقة مع امرأة غريبة عنها ، وبالطبع سوف تصدم عندما تعلم أنه دخل فى علاقة مع امرأة تعرفها جيداً وتحبها ، بالطبع ستكون تلك طعنة غادرة بالنسبة لها " .

قالت : " إنها نوع من الخيانة " .

قالت : " ليس هناك أى خيانة ، إنه رجل ناضج يا هيلى ، ولا دخل لأحد فى اختيار من يهواه ، وروز أول

إنسانة ستقول ذلك ولا شك فى هذا ـ وهى أيضاً أول من ستقول لك إنها لا تريد أن تكون أحد الأضلاع فى المثلث الذى شكلته " .

قالت : " ربما ، ولكن ـــ " .

لوحت ستيلا بيدها دون حماس قائلة : " ربما ، ربما ، لكن ، ولكن " ، وكان على هيلى أن تنحنى وتطرف بعينيها . واستطردت ستيلا قائلة : " إذا كنت مهتمة بهاربر ، عليك أن تخبريه بذلك ، وانتظرى ما سيحدث ، بجانب ذلك ، أنا أعتقد أنه يبادلك نفس المشاعر منذ البداية " .

قالت هيلى : " لا ، ليس هذا صحيحاً " .

هزت ستيلا كتفيها فى استهجان وقالت : " إنه رأيى وانطباعى " .

دق قلبها بعنف لسماعها ذلك وقالت : " حقاً ؟ أعتقد أنه إذا كان مولعاً بأحد ، فهى ليلى ، ولكننى سأفكر فى أن أحاول أن أقدم على أى خطوة ، ونرى ما سيحدث " .

قالت ستيلا : " تفكير إيجابى ، والآن دعينا ننتهى من تنسيق أحواض الزرع هذه " .

وضعت هيلى أصبعها فى الأرض الطينية وهى تقول : " لقد أقسمت على أنك لن تبوحى بشىء إلى روز " .

رفعت ستيلا يدها عاليًا وهى تقسم وتقول : " أقسم بذلك " .

وعندما رأتها هيلى تفعل ذلك قالت : " أووه " .

dodyadodo www.rewity.com

لقد كانت تشعر بانها أفضل الآن فبعدما أفضت لشخص آخر بما يعتمل داخلها من مشاعر وأحاسيس أحست وكأن هناك حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلها . وبخاصة إذا كانت ستيلا هى هذا الشخص ، وأخذت تذكر نفسها قائلة إن ستيلا دهشت فقط ولم تُصدم وهذا مؤشر جيد .

وكان من الأفضل أيضاً أن تأخذ إجازة ليومين ، وتفكر فى الأمر ، بل إنها كانت تفكر فيه بالفعل ، عندما كانت ليلى تخلد إلى النوم فى المساء ، تمددت على الأريكة فى حجرة الجلوس ، وأخذت تروِّح عن نفسها بمشاهدة التلفاز .

وأخذت تقلب قنوات التلفاز بتكاسل وهى تحدث نفسها بأنه ليس هناك أمتع من أن يجلس المرء دون أن يفعل شيئاً لساعة كاملة ، ولكن ليست مشاهدة البرامج والأفلام المكررة هى ما ترغب فى عمله خلال ساعة من الراحة والتسلية .

ثم أدارت مؤشر التلفاز على فيلم أبيض وأسود ، لقد كان فيلماً من الأفلام الرومانسية ، حيث يرتدى الأبطال الملابس الأنيقة ويذهبون كل ليلة للرقص فى الملاهى الفاخرة حيث الفرق الموسيقية والمغنيات الجميلات المثيرات .

كان الجميع يشرب فى الكئوس الطويلة المدورة .

وأخذت تتساءل وهى تتثاءب لماذا يطلقون عليها كئوساً عالية ؟ ربما لأن الكئوس طويلة بالفعل ولكن لماذا يطلق عليها مدورة ؟ سوف تبحث عن هذه الكلمة فيما بعد .

ماذا يكون شعور المرء حينما يرتدى ملابس فاخرة ويذهب للرقص فى مكان ملىء بالديكورات والزخارف والأضواء المبهرة ؟ وسيرتدى هو بالطبع ملابس السهرة ، إن هاربر سيكون رائعاً فى هذه الملابس .

وكيف سيكون الأمر إذا ما كان كل منهما يأتى فى صحبة شخص آخر ، ولكن تتلاقى أعينهما من خلال الأضواء والأناقة التى تحيط بهما ، ويتعرفان إلى بعضهما البعض .

عندئذٍ ، سوف يرقصان طوال الليل ، ويتلاشى كل شىء حولهما ، فهذا ما يحدث فى الأفلام القديمة ، حيث تتلاشى وتذوب أى حواجز أو عوائق ، هكذا ببساطة دون أى تعقيد ، ويختفى كل الناس من حولهما ولا يبقى سواهما والموسيقى تنبعث من حولهما ـ ثم يتزوجان ويعيشان حياة سعيدة وهادئة إلى الأبد .

دخلت هيلى فى أحلام اليقظة وكأنها بطلة الفيلم الذى تشاهده، وذابت فى رقص رائع على الموسيقى الناعمة وكأنها ترقص على إحدى السحابات وتتساقط من حولها الزهور وتتراقص الفراشات .

كان البطل يقف من بعيد مرتدياً سترته الأنيقة ومبتسماً لها وقدم يده نحوها ليشاركها الرقص على أنغام تلك الموسيقى الحالمة ، مدت يدها نحوه هى الأخرى وتلامست يداهما وتلاقت أعينهما ، اقترب البطل منها وشعرت بأنفاسه الدافئة تداعب وجنتها ، ضمها إليه وتلاحمت نبضات قلبه مع نبضاتها ، قبلها قبلة حانية على وجنتها وأخذ يضمها إليه أكثر ولكن يديه كادتا تعتصرانها ، بدأت تشعر بالاختناق ، إنه يكاد يعتصرها ... لا تستطيع التنفس ... يبدو كل شىء لها حقيقياً ... أحست بالاختناق .

وفجأة ، نهضت هيلى من فوق الأريكة . وكأنها قد سقطت من فوق ظهر حصان ، وكان قلبها يدق بعنف

وبشدة ، وسمعت ضحكة من حولها ، أعادتها إلى واقعها ، فقد انتابها الشعور بأنها بطلة الفيلم المعروض ـ بل شعرت بكل أحاسيس البطلة ـ وكذلك كانت تشعر وكأن البطل يعتصرها ، كان الأمر مرعباً بالنسبة لها ، وكادت تبكى من شعورها بالارتياح عندما تخلصت من ذلك الثقل الذى شعرت به يطبق على صدرها ، عندما عادت إلى أرض الواقع مرة أخرى .

يا إلهى ما الذى انتابها ؟

هذا ليس بحلم ، لا يمكن أن يكون حلماً .

لقد أعادتها إلى أرض الواقع تلك الضحكة العالية ، فانتفض جسدها انتفاضة شديدة حتى كاد يرتطم بظهر الأريكة . لم يكن هناك سوى التلفاز ، رأته بينما كانت تعقد ذراعيها بشدة على صدرها وكأنها تحمى نفسها من شىء ما . لم يكن هناك سوى ذلك التلفاز والشخصيات المتحركة بداخله ذات اللونين الأبيض والأسود .

غادرت الحجرة ، لتطمئن على ليلى ، وكانت طفلتها نائمة ومتشبثة بلعبتها الصغيرة التى على شكل جرو صغير .

وحاولت أن تهدئ من نفسها ، وهبطت لأسفل ، ولكن عندما وصلت إلى المكتبة ، ترددت ، فقد كان ميتش جالساً قبالة المائدة فى المكتبة ، وهو ينقر بأصابعه على لوحة مفاتيح الكمبيوتر النقال ، ولم تشأ أن تزعجه ولكن كان عليها أن تفهم وتتأكد مما حدث ولن تطيق الانتظار حتى الصباح .

دلفت إلى الداخل وقالت : " ميتش ؟ " .

قال : " ممم ، ماذا ؟ ، أين ؟ ونظر إلى أعلى بعينين نصف مفتوحتين وقال : " مرحباً " .

قالت : " إننى جد آسفة ، لقد أزعجتك " .

قال : " لا ، إننى كنت أتفحص البريد الإلكترونى ، هل تحتاجين إلى شىء ؟ " .

أجابت : " لقد أردت فقط ... " لم تكن تشعر بالحرج أو التكلف ، ولكنها كانت لا تدرى كيف تقص على زوج رئيستها ما مرت به منذ لحظات . وبعد لحظة صمت قالت أخيراً : " هل تعتقد أن روز مشغولة ؟ "

قال : " لِمَ لا نتحدث إليها ونعرف ؟ " .

قالت : " إننى لا أريد أن أسبب لها أى إزعاج إذا ... نعم ، نعم ، يمكنك التحدث إليها ، وهل من الممكن أن تطلب منها أن تهبط إلينا ؟ "

مد يده إلى سماعة الهاتف ليتحدث إليها فى غرفة النوم وانتظر حتى ترد وقال لهيلى : " هل حدث شىء ؟ " .

سارت نحو ، الدرجة الثانية خلف المائدة وتفحصت الصورة التى تظهر على شاشة الحاسب وقالت : " نعم ، لقد حدث شىء ما " .

حدقت إلى صورة الرجل الذى كان يرتدى ملابس رسمية ـ وذى ملامح جامدة ، شعر داكن ، عينين جذابتين " .

وقالت : " هذا ريجنالد هاربر ، أليس كذلك ؟ الجد الأكبر " .

قال ميتش : " نعم ، إنه هو ، روز ، أيمكنك الهبوط إلى المكتبة ، فهيلى هنا وهى بحاجة لأن تتحدث معك ، ووضع سماعة الهاتف ووجه حديثه لهيلى : " إنها ستنزل على الفور ، هل تودين تناول شىء : مياه ـ قهوة ؟ " .

dodyadodo www.rewity.com

هزت رأسها وقالت : " لا ، أشكرك ، إننى بخير ، ينتابنى شعور غريب فقط ، آه حينما جاءت ستيلا إلى هنا ، وعاشت هنا ، كانت تنتابها بعض الأحلام أليس كذلك ؟ وقبل ذلك كانت ... تحدث بعض الحوادث وترى بعض المشاهد ، ولكن لم يحدث شيء خطير كما سمعت روز - أعنى فيما يخص الشبح " .

قال : " نعم ، هو كذلك ، وتصاعدت الأمور عندما جاءت ستيلا إلى هنا مع الأولاد " .

قالت : " ولحقت أنا بها بعد عدة أسابيع قليلة وكنا نحن الثلاثة نعيش فى هاربر هاوس " ، كانت لا تزال هيلى تشعر بالبرودة ، فأخذت تحك ذراعيها العاريتين وتمنت لو كان معها سترة ، واستطردت قائلة : " وكنت حاملاً ، وستيلا لديها الأولاد وروز من سلالة الأشراف " .

أومأ برأسه قائلاً : " نعم ، استمرى " .

أردفت : " وكانت بعض الأحلام تنتاب ستيلا ، أحلام عتيقة ، وكنا نعتقد أنها نتيجة الأفكار المترسبة فى عقلها الباطن عن إميليا ، أعلم أن هذه ليست طريقة علمية لعرض الأمر ولكن ـــ " .

قال : " إنها جيدة " .

وقالت : " وعندما بدأت العلاقة بين ستيلا ولوجان ـــ " قاطعها دخول روز فى الحجرة فقالت : " إننى آسفة لأننى قد أزعجتك " .

قالت روز : " لا بأس ، ماذا حدث ؟ "

اقترح ميتش قائلاً : " انتهى أولاً مما تسردين ، وحاولى تجميع أفكارك " .

قالت : " حسناً ، وعندما ارتبط كل من ستيلا ولوجان ، ولم يرق ذلك لإميليا ، أصبحت أحلام ستيلا أكثر عنفاً . وكانت هناك أحداث مزعجة ، بلغت أشدها عندما منعتنا إميليا من دخول غرفة الأولاد فى تلك الليلة ، وهى الليلة الأولى لمجيئك يا ميتش " .

قال : " لن أنسى هذه الليلة ما حييت " .

وأكملت روز قائلة : " لقد أخبرتنا باسمها فى تلك الليلة ، فقد تقدمت منها ستيلا ، وأخبرتها عندئذٍ باسمها " .

قالت هيلى : " نعم ، وذكرت بعد ذلك ، أنها قد تركت ستيلا منذ ذلك الحين ولم تأت إليها أو تزعجها أليس كذلك ؟ لأن ستيلا كانت ستخبرنا إذا ما انتابتها بعض الأحلام أو إذا كان قد وقع لها أى شيء مباشرة " .

قال ميتش : " لقد ركزت إميليا انتباهها بعد ذلك على روز " .

أومأت هيلى برأسها وقد شعرت بالسرور لأن أفكارهم واحدة : " نعم ، وكانت أكثر حدة أليس كذلك ؟ كأحلام اليقظة التى انتابت روز ؟ " .

قالت روز : " نعم ، لقد تزايد السلوك العدوانى " .

قالت : " وكلما اقتربت من ميتش أكثر ، ازدادت هى حدة وغضباً ، فهذا أكثر ما يثير حنقها ، لقد كادت تقتلك ، ولكنها ساعدتك عندما أصبحت فى مشكلة ولم يكن أمامك أى سبيل للنجاة ، ولكن قبل ذلك كانت تهاجمك ، وتراجعت عن أفعالها العنيفة عندما تزوجت أنت وميتش " .

خطت ستيلا نحوها ووضعت يدها على ذراع هيلى وقالت : " ويبدو أنها تهاجمك الآن ، أليس كذلك ؟ " .

قالت هيلى : " أعتقد ذلك ، أعتقد أن وجود ثلاثتنا فى المنزل أنا وأنت وستيلا يثير غضبها " ، ثم نظرت نحو ميتش ، ورفعت يدها وقالت : " لا أدرى ماذا أقول ، ولكن يبدو أن الدائرة تدور علىّ ، أرجو أن تكونوا قد فهمتم ما أعنيه " .

قال ميتش : " إننى أفهمك ، وهذا شىء مثير للاهتمام حقاً ، فأنتم ثلاث سيدات فى مراحل مختلفة من العمر ، ولم تكن هناك صلة بينكن ، ولكن عندما توثقت علاقتكن ببعضكن ، كان هذا يعنى شيئاً بالنسبة لها ، وعندما ارتبطت كل من ستيلا وروز عاطفياً ، زاد سوكها حدة " .

قالت روز : " هل أصابتك بسوء يا عزيزتى ؟ " .

ضغطت هيلى شفتيها وهى تقول : " لا " ، ثم نقلت بصرها بين روز وميتش وقالت : " أعلم أنه علينا أن نخبر ميتش بكل شىء ، حتى يقوم بتسجيله ، ولكننى لا أدرى كيف أقص ما حدث ، إن الأمر محرج ، الأمر محرج للغاية " .

سألها ميتش : " أتريدين أن أغادر الحجرة حتى تستطيعى أن تخبرى روز ؟ " .

قالت : " لا ، إننى فقط مذهولة مما حدث ، وإن روز ستخبرك على أية حال " . أخذت هيلى نفساً عميقاً حتى تهدأ وقالت : " إننى رغبت أن أسترخى لساعة ، وأشاهد التليفزيون فى حجرة المعيشة بأعلى ، وكان التليفزيون يعرض هذا الفيلم القديم ، وفجأة استغرقت فى أحلام اليقظة ، وأنا أشاهد الملابس الأنيقة الفاخرة والأضواء

المبهرة والملاهى الفخمة التى يذهب فيها الناس للرقص ، وكنت أتخيل كيف يكون الحال إذا ما ارتبطت عاطفياً بشخص ما ، وارتديت تلك الملابس الأنيقة وذهبنا للرقص ؟ " .

وتوقفت عن الحديث للحظة ولم تشأ أن تخبرهم أن الشخص الذى تمنته هو هاربر ، فلا يهم ذلك كثيراً .

وأكملت : " وذهبنا للرقص واستمتعنا بوقتنا كحبيبين ، هل تفهم ما أعنى ؟ " .

ابتسمت روز قائلة : " بالطبع " .

قالت : " ثم وجدتنى أتخيل ماذا سيحدث بعد ارتباطنا وزواجنا أعنى النهاية ؟ وتخيلت ليلة الزفاف والورود التى تحيطنا ، هذا محرج للغاية " .

قالت روز : " لا عليك ، كل الفتيات يفكرن فى ذلك " .

أكملت هيلى : " كان الأمر لطيفاً ، رومانسياً ، وفجأة تغير كل شىء ، بل أنا التى تغيرت ، لقد شعرت فجأة وكأن كل هذه الخيالات حقائق ، فلقد شعرت بجسد هذا الشخص الذى تخيلته يقترب منى ، بل كنت أشم رائحة الزهور ، وكنت أتخيل زهور الزنبق ، وشعرت بيديه تحيط خصرى ، لقد كانت ناعمة ورقيقة ، ورأيت شعرى مختلفاً ، كان أشقر ومجعداً ، لقد رأيته يتدلى فوق وجهى ، كنت أرانى بهذا الشكل ، كأنى أنا ، وليس شيئاً أشاهده أمامى ، ورأيته ، رأيت وجهه " .

والتفتت ناحية شاشة الكمبيوتر وأشارت إلى ريجنالد : " هذا هو الوجه الذى رأيته ، لقد كان يقترب منى ، رأيت وجهه " .

أخذت هيلى نفساً عميقاً وقالت : " ماذا ترون ؟ " .

dodyadodo www.rewity.com

وبعد فترة من الصمت ، تحدثت روز قائلة : " لا أعتقد أنه من الغريب أن يشرد ذهنك فى مثل تلك الأشياء ، لقد أمضينا وقتاً طويلاً ونحن نتحدث عن هؤلاء الناس ، ونحاول أن نرتب الأحداث ، وعلمنا أن إميليا هى عشيقته ، وأنجبت منه طفلاً ، ولقد كانت علاقتهما بمثابة صفقة مثلما افترضنا " .

قالت هيلى : " ولكنى كنت أشعر وكأنه بجانبى ويحتضننى بالفعل كان يلمسنى حقاً ، كنت أشعر بيديه وأنفاسه لقد كان ذلك واقعاً ، لقد شعرت بكل تلك الأحاسيس وأنا مستيقظة ، وبل عندما استيقظت أو أفقت مما كنت فيه ، شعرت بملمس يده لايزال على جسمى وشممت رائحة الزهور ، ورأيت هيئته وشكل جسمه " .

كان عليها أن تأخذ نفساً عميقاً وازدردت لعابها حتى تستطيع الاستطراد فى حديثها وقالت : " لقد شعرت بأنفاسه ، لقد شعرت بقربه منى ، أعنى منها ، لقد كنت أنا هى أثناء وجودها معه ، لقد كنت أنا بداخلها ، أو هى بداخلى ، لا أدرى ، لقد كنت أشعر بكل أحاسيسها ومشاعرها وهى بصحبته ، لم أكن أنا التى معه بل هى ، لم يكن ذلك تخيلاً " .

قال لها ميتش : " إننى أصدقك " .

وقالت روز مؤكدة : " نحن نصدق ما تقولين فحينما ماتت إميليا ، كانت فى مثل عمرك تقريباً ، أو على الأقل العمر الذى نعتقد أنها ماتت فيها ، وربما تحاول أن تظهر لك لتخبرنا بما كان يحدث لها أو ما مرت به " .

تراجع ميتش فى مقعده وقال : " ربما يكون الأمر كذلك ، وما يحدث يعرفنا عنها بعض المعلومات ، ماذا يمكن أيضًا أن تخبرينا به عنها ؟ " .

قالت : " لا شىء سوى أنها كانت قوية الشخصية وقادرة على التحكم فى مشاعرها وانفعالاتها وهى معه " .

وارتسمت على شفتى هيلى ابتسامة خجولة ، وعقدت ذراعيها أمام صدرها وأردفت قائلة : " وعلى الرغم من ذلك كانت تظهر له أنها فى أوج مشاعرها معه ، إلا أنها كانت باردة من داخلها وتفكر فيما يمكن أن تحصل عليه من هذا الرجل ، لقد كانت تمتلكه وتسيطر عليه من خلال حبها ومشاعرها المتأججة ، وقد كانت تحمل بداخلها سخرية - وهذا أفضل ما يمكن وصفه بها - لزوجة ذلك الرجل . أعتقد أن ذلك كل ما كانت تشعر به " .

لقد كان ما حدث شيئاً مخيفاً ، أن أكون شخصية أخرى وأشعر بأحاسيس امرأة أخرى ولكن على أية حال ، إننى أشعر بأنى أفضل الآن ؛ لأننى قد أفضيت بما مر بى ، إننى سأذهب الآن ، وربما أمارس بعض تمرينات اليوجا ، وأعتقد أنها لن تزعجنى مرة أخرى ، وأشكركم على سماعكم إياى " .

قالت لها روز : " إذا حدث أى شىء آخر ، أرجو أن تقصيه علىَّ " .

قالت هيلى : " هذا وعد " .

انتظرت روز حتى ذهبت هيلى ، فاستدارت موجهة حديثها إلى ميتش قائلة : " إن ما حدث لها يدعو إلى القلق ، أليس كذلك ؟ "

أمسك بيدها وقال : " لا داعى للقلق ، ولكن علينا أن نراقبها جيداً ونهتم بها " .

الفصل الخامس

كانت هيلى تستطيع أن ترى الحدائق الخلفية الممتدة من خلال نافذة مطبخ ستيلا ، حيث المكان الظليل بين الأشجار والمنزل الخشبى الذى بناه لوجان والأولاد ، والمنزوى بين فروع وأغصان شجر الجميز .

وكانت ترقب لوجان وهو يدفع الأرجوحة التى جلست عليها ليلى والتى تم تثبيت طرفيها بين شجرتين ، بينما كان الأولاد يلقون بكرة قديمة كان يطاردها بارك الجرو الصغير ويجرى وراءها .

حدّثت نفسها قائلة إن ما يحدث أمامها هو تابلوه رائع لليلة من ليالى الصيف ، فهذه السعادة وهذا المرح والنشاط لا يكون إلا فى ليالى الصيف قبل أن يذهب الأولاد لتناول العشاء وتضاء أنوار المنزل ، تلك الأضواء الصفراء التى

dodyadodo
www.rewity.com

تجذب الفراشات الصغيرة والتى يطاردها الصغار ، ذلك الجو الرائع الذى يجعلها تشعر بأنها فى بيتها .

كانت تتذكر كيف كان يمر عليها شهر أغسطس وهى لا تزال طفلة صغيرة ، فقد كانت تحب حرارته الشديدة وكانت تجرى وتمرح وتقضى كل دقيقة فى اللهو واللعب قبل أن تغرب الشمس .

أما الآن ، فهى تتعلم معنى الأمومة ، أن تكون فى الجانب الآخر ترقب طفلتها وأن تكون هى الشخص الذى يضىء أضواء المنزل .

قالت هيلى لستيلا : " هل اعتدت على هذا المشهد ، أم أنك تنظرين إلى الخارج فى بعض الأحيان وتحدثين نفسك قائلة : " إننى أسعد امرأة على وجه الأرض " ؟ .

اتجهت ستيلا ناحية النافذة وابتسمت قائلة : " أحياناً ينتابنى الشعور بأننى اعتدت على هذا المشهد ، وأحياناً أخرى لا ، هل ترغبين أن تجلسى بالخارج لبعض الوقت وتتناولى شراب الليمون ؟ " .

قالت هيلى : " إننى لا أود التحدث بشأن هذا الموضوع أثناء العمل ، ليس فقط لأنه وقت العمل ، ولكن لأننا فى ضيعة هاربر وهى هنا فى الضيعة ، ولا تستطيع أن تأتى إلى هنا " .

وضعت ستيلا يدها على كتف هيلى وقالت : " لقد أخبرتنى روز بما حدث لك " .

قالت هيلى : " إننى لم أخبرها بأن الشخص الذى كنت أتخيله فى البداية كان هاربر " .

قالت ستيلا : " هل وقع شىء آخر منذ ذلك الحين ؟ " .

قالت وهى ترقب لوجان وهو يقذف بالكرة مما جعل الأطفال والجرو يجرون وراءها فى هستيريا ومرح فيما كانت ليلى تدفع بالأرجوحة وتصفق فى سعادة : " لا ، لم يحدث شيء ، ولا أدرى إذا كان من الصواب أن أتمنى أن يحدث شيء أم لا " .

" وإذا كان علىّ أن أظهر فى حياة شخص ، فيجب أن يكون لك نصيب فى هذا " .

ضحكت ستيلا وقالت : " إننى أعرف أنك صديقة مخلصة ووفية ، ولكن لن أسمح لك أن تأخذى زوجى منى " .

ضحكت هيلى ووكزت ستيلا وقالت : " تقولين ذلك وتعلمين من هو المتربع فى قلبى " .

قالت هيلى : " على أية حال ، إننى كنت أتساءل ماذا سيكون الحال إذ ما عثرت على شخص يحبنى بجنون تماماً مثلما يفعل لوجان ويكون لدى أطفال رائعون ، ومنزل جميل أعددتماه معاً ، عندئذٍ لن يكون هناك داعٍ للتخيلات والأحلام أو الأوهام " .

قالت ستيلا : " سوف تنالين ما تحلمين به فى يوم من الأيام " .

قالت هيلى : " استمعى إلىّ جيداً يا ستيلا ، إنك تعتقدين أننى الطفلة الصغيرة ذات الشعر الأحمر ، إننى لا أفهم ما أصابنى مؤخراً " ، وحركت كتفيها وكأنها تزيح ثقلاً من عليهما وأردفت قائلة : " إننى أقوم بنفس المهام كل يوم بشكل روتينى ، وهذا ليس من صفاتى يا ستيلا ، إننى سعيدة ، وحتى عندما لا أشعر بالسعادة ، كنت أبحث عن

dodyadodo www.rewity.com

وسيلة لتجعلنى كذلك ، فأنا لا أبحث عن القلق أو التعاسة " .

قالت ستيلا : " إنك لست كذلك " .

قالت : " ربما أكن بعض المشاعر لهاربر ، وأشعر بالإحباط لعدم تطور علاقتنا ولكن هذا ليس سبباً كافياً لإصابتى بالملل أو الاكتئاب ، إننى أريدك أن تصغينى فى المرة القادمة ، إذا ما سمعتنى أعبر عن أسفى لما ينتابنى وأشعر بالأسى على هذا النحو " .

قالت ستيلا : " بالطبع سأفعل ، وإلا ماذا تكون فائدة الأصدقاء ؟ "

كانت هيلى تعنى ما قالته ، فلم تكن من ذلك النوع الذى يجلس ليعد الجوانب السلبية فى حياته ويشعر بالحزن والسخط حيالها ، ويجعلها تطغى على الجوانب الإيجابية ، ولكنها كانت تحاول التغلب على ما يواجهها من أزمات ومشكلات ، فكانت لا تجلس هكذا مسكينة ، بل تحاول التغلب على مشكلاتها والمضى قدماً .

وإذا لم تتمكن من حل مشكلة ما ، فإنها كانت تحاول أن تتعايش وتتكيف معها .

فعندما تركتها أمها ، كانت حزينة ، مجروحة وخائفة ، ولكن لم يكن بوسعها أن تجعل أمها تعود مرة أخرى ، لذا استطاعت أن تشق حياتها بدونها ـ وبنجاح ، أخذت تحدث نفسها بذلك وهى فى طريق عودتها إلى هاربر هاوس .

فقد تعلمت كيف تساعد أباها فى إدارة المنزل ، وكانت تحيا وأباها حياة سعيدة هادئة ، وكان أبوها يحبها بشدة ، وكانت ذات فائدة .

وكانت تبلى بلاءً حسناً فى المدرسة ، واستطاعت أن تلتحق بالعمل خلال دراستها حتى تستطيع أن تغطى نفقاتها ، لقد تعلمت كيف تقوم بعملها على أكمل وجه وكيف تستمتع به ، وكيف تبيع للناس الأشياء التى تجعلهم سعداء .

وإذا كانت قد مكثت فى ليتل روك ، فى متجر الكتب ، لأصبحت مديرته ، أو امتلكته .

ثم توفى والدها ، واهتز كيانها كله لذلك ، وانقلبت حياتها رأساً على عقب ، فلقد كان أبوها سندها وخير معين لها فى الحياة ، وكذلك كانت هى بالنسبة له ، وبعد وفاته أحست بالوحدة وعدم الاستقرار ، وأصابها الحزن والأسى لفترات طويلة .

فحاولت أن تجد صديقاً يشاركها وحدتها وأحزانها - واعترفت لنفسها وهى فى طريقها إلى هاربر هاوس بأنه لم يكن أكثر من ذلك ، لقد كان شاباً لطيفاً ، شعرت معه بالسكن والراحة .

كانت ليلى ثمرة زواج سرى بينهما لم تكن تخجل منه ، ولكن بعد فترة من الزواج طالبته بإعلان الزواج ولكنه رفض وظل يماطلها ولم ترض هى بذلك ، وأدركت بعد الزواج أن كل ما جذبها إليه فى البداية هو وحدتها وحزنها على أبيها وأنها كانت تريد شخصاً يشاركها تلك الأحزان ، وانفصلا بهدوء وحينها أدركت أن ليلى تنمو فى أحشائها .

وعلى الرغم من عدم اهتمامه بها أو عدم اهتمامه بابنتهما أو الإنفاق عليها ، لم تشعر بالسخط أو الكراهية تجاهه ، وإنما تحملت مسئولية ونتيجة زيجتها الفاشلة ، وعزمت على أن تشق طريقها فى الحياة بدون زوجها وأن ترعى ابنتها وتنشئها تنشئة حسنة .

وأرادت أن تهرب من ذكرياتها الأليمة ، فقد أصبحت تشعر بأنها لا تجد راحتها فى ليتل روك ، أو المكتبة ، أو فى المنزل الذى كان يجمعها وأباها ، فقررت مغادرة ليتل روك مبتعدة عن هذه الذكريات وعن الأشخاص الذين بدأوا يتهامسون عليها .

وركنت السيارة ونزلت منها ، ورفعت ليلى من مقعدها الخاص فى السيارة .

وكانت لا تزال مسترسلة فى استرجاع ذكرياتها ، فقد باعت كل شىء ، وحزمت أمتعتها ، ورحلت وأول شىء كانت تتطلع إليه حينما قدمت إلى هنا هو إيجاد عمل حتى تستطيع الإنفاق على ابنتها ، فقابلت روز التى منحتها العمل والعائلة التى حرمت منهما .

وحدثت نفسها بأن حسن الحظ والتوفيق يأتيان عندما يتخذ المرء مواقف وردود أفعال عندما يأخذ خطوة للأمام ، ويبذل قصارى جهده ، ويحالفه حسن الحظ فيجد أناساً يساعدونه ويعطونه الفرصة ليبلوا بلاءً حسناً .

رفعت ليلى لأعلى ، وغمرت وجهها بالقبلات وهى تقول لها : " ها قد وصلنا يا ليلى ، فنحن فتاتان محظوظتان " .

ورفعت حقيبة الحفاضات فوق كتفها وأغلقت الباب برجلها ، ولكن طرأت على ذهنها فكرة ما وهى تتجه نحو المنزل .

ربما يكون هذا هو الوقت لكى تجرب حظها مرة أخرى .

فلا فائدة من الجلوس والانتظار دون اتخاذ موقف أو عمل شيء ، ولكن لابد من اتخاذ خطوة ما وإما أن يحالفها الحظ أو تفشل ، فذلك أفضل من الانتظار والجلوس دون عمل شيء .

ودارت حول منزل هاربر ، استغرقت وقتاً فى التفكير لترى إذا ما كان بامكانها أن تتراجع ، ولكن كانت الفكرة قد اختمرت فى رأسها ولا سبيل لوأدها .

قد تنتابه الدهشة أو الصدمة أو الإحجام ، ولكن تلك ستكون مشكلته هو ، فعلى الأقل ستعرف هى مشاعره الحقيقية تجاهها ، إذا كان يحبها أم لا ، وحينئذٍ تهدأ حيرتها وتكف عن التساؤل اللعين طوال الوقت .

وعندما وصلت بالقرب من منزله ، أنزلت ليلى وجعلت الصغيرة تتجه نحو الباب الأمامى .

قد لا يكون بالمنزل ، أو خرج فى صحبة امرأة أخرى ، وربما يكون الأمر أسوأ من ذلك وتكون هناك من تزوره فى بيته الآن من صديقاته ، لا بأس ستعرف كيف تتعامل مع ذلك .

لقد حان الوقت لتقدم على أى خطوة .

وعلى الرغم من أن الظلام لم يلف المكان بعد ، إلا أن الطريق كان مضاءً ، فقد كانت تلك المصابيح الخضراء

الخافتة تمتد على جانبى الطريق ، كما كانت هناك مصابيح صغيرة مضاءة فوق الزهور والحشائش .

وأحاطتها روائح نباتات رقيب الشمس ، والعطرة ، وكذلك روائح الورود والزهور العاطرة ، ورائحة الأرض المرتوية اللاذعة وكانت هذه الروائح المختلطة برائحة الحشائش تجعلها تفكر فى هاربر وفى هذا المكان .

أمسكت بليلى ثم طرقت الباب ، وبحركة تلقائية تراجعت للخلف ثم جانباً ، وتركت صغيرتها تقرع باب هاربر بيديها الصغيرتين ، وكانت أنوار الشرفة الأمامية مضاءة وتعكس دوائر صفراء .

وعندما فتح هاربر الباب ، سمعت ليلى تلقى بتحيتها الخاصة ، وهى مزيج من كلام غير مفهوم وصيحة سعادة ومرح .

سمعته يقول : " انظروا ماذا وجدت ببابى ؟ " .

واستطاعت ليلى من خلال موقعها أن ترى ذراعى ابنتها ترفعان عالياً ، فانحنى هاربر ، ثم رفع ليلى عالياً ، وكانت ليلى لا تزال تهمهم بكلماتها غير المفهومة التى تنم عن السعادة والفرح .

قال هاربر لليلى : " هل يصح هذا ؟ تمرين بى لتقولى مرحباً ؟ هذا لا يليق ، يجب أن تتفضلى بالدخول وتتناولى بعضاً من رقائق البسكويت ، ولكن علينا أن نجد أمك أولاً " .

ظهرت هيلى وهى تضحك قائلة : " هأنذا " ، وخطت ناحية الباب الأمامى وقالت : " آسفة ولكنى اعتقدت أنها قد تكون مزحة لطيفة ، فأنت تدرك أنها لا تستطيع أن تمر

www.rewity.com

أمام منزلك دون أن تراك ، لذا طرأ على ذهنى أن أجعلها تقرع الباب وتقف بمفردها " .

وكالعادة فعندما يكون هاربر منهمكاً فى الحديث ، تهز ليلى رأسها وتحيط صديقها بذراعيها .

قال : " لقد قمت بتحيتها ودعوتها للدخول " .

قالت هيلى : " هل أنت مشغول ؟ " .

قال : " لا ، إننى كنت أفكر فى تناول بعض المياه الغازية والقيام ببعض الأعمال الكتابية " .

نظرت خلال غرفة المعيشة ، بينما كان هو يحمل ليلى ناحية المطبخ . وقالت : " إننى أحب القدوم إلى هذا المكان ، إن المكان منظم جداً بالنسبة لوجود رجل أعزب فيه " .

وضع ليلى على ساقيه قائلا : " أعتقد أن السبب هو أننى أعيش مع أمى " . ثم مد يده وأخرج من خزانة المطبخ صندوقاً من المقرمشات ، وأمسك به لتأخذ هى منه وقال : " من الذى جاء بهذا ؟ " .

ثم قام بفتح الصندوق ، وجعل هيلى تأخذ واحدة منه وقال لها : " هل ترغبين فى زجاجة من المياه الغازية ؟ " .

قالت : " لا بأس ، لقد مررت بستيلا بعد الغداء ، ثم تناولت بعضاً من شطائر البرجر ولم أتناول أية مشروبات بعدها " .

قدم لها زجاجة من المياه الغازية ، وأحضر واحدة أخرى لنفسه ثم قال : " كيف حالك ؟ " وعندما أدارت له رأسها ، هز كتفيه بلامبالاة وقال : " إن الأخبار تتناقل سريعاً ، ولقد سمعت بما حدث لك ، ولكن على أية حال ، إن ما حدث يهمنا جميعاً ، وعلينا أن نعرف ما يجرى " .

قالت : " إنه لشىء محرج أن تتناقل الأخبار عن أحلامى بأنى أحب وأتزوج " .

قال : " ليس هناك عيب فى أن تحلمى بالحب والزواج " .

قالت : " فى المرة القادمة سأجعلها مشاعرى وأحاسيسى أنا " ، ثم وضعت زجاجة المياه الغازية جانباً وقالت : " أتدرى ، إنك تشبهه كثيراً " .

قال : " عفواً ؟ " .

قالت : " أقصد ريجنالد ، وبخاصة أننى قد رأيته وهو يقترب منى بدرجة كبيرة ، رأيته بشكل شخصى وهو أكثر من مجرد صورة فوتوغرافية ، وأنت تشبهه فى لون البشرة ولك نفس الملامح ، والفم ، ولكنه لا يتمتع بمثل بنيتك الجسدية القوية " .

قال : " حقاً " . ثم رفع كوب المياه ورشف رشفة طويلة .

قالت : " لقد كان نحيفاً بعض الشىء ، ولكنه رقيق ، مثل يديه تماماً ، ولكنه كان يكبرك فى العمر ولديه بعض الشعيرات البيضاء ولديه بعض الخطوط والتجاعيد فى وجهه ، ولكنه لا يزال يتمتع بالوسامة والفحولة " .

ثم أخرجت من حقيبتها كوب العصير الخاص بليلى وكذلك لعبتها الموسيقية ، فقد أرادت أن تشاغلها وتجعلها تبتعد عن هاربر وتجلس على الأرض .

واستطردت فى حديثها قائلة : " ولكنك تتمتع بكتفين قويتين ولست بديناً " ، وقالت ذلك وهى تضغط إصبعها فى بطنه مداعبة إياه .

قال : " حسناً " .

نزلت ليلى على الأرض ومعها لعبتها الموسيقية وشرعت فى اللعب بها .

قالت هيلى : " لم يكن الأمر بالنسبة لى مجرد حلم ، بل كان كأنه واقع " .

فقال : " علمت ذلك " .

قالت : " لقد لاحظت أوجه الشبه والاختلاف بينك وبينه ، لأننى عندما كنت أحلم وأتخيل كانت بداية الحلم معك " .

قال : " ماذا ؟ "

حدثت نفسها قائلة : " عظيم لم تصبه صدمة شديدة . وإنما ارتباك " ، فأردفت قائلة : " نعم ، لقد كنت أحلم بك فى البداية ، أو شىء كهذا " .

ثم اقتربت منه فى دلال ووضعت يديها على عنقه ، واختلجت أنفاسها وأخذ قلبها يدق بعنف وشعرت بحرارة أنفاسه ، وبنعومة شعره على يديها ، فضمها هو إليه وشعرت بيديه القويتين على ظهرها .

وكانت لعبة ليلى تصدر أصواتاً عالية ، فتراجعت هيلى إلى الخلف وهى تذكر نفسها ، يجب أن يأتى الأمر تدريجياً ، وعلى الرغم من أن كل كيانها يهتز إلا أنها بذلت قصارى جهدها لتبدو طبيعية ، ثم أخذت رشفة من المياه الغازية ، بينما كان يحدق هو إليها بتلك العينين الداكنتين .

وقالت : " إذن ما اعتقادك فيما حدث ؟ " .

رفع إحدى يديه ثم خفضها ثانية وقال : " يبدو أننى قد فقدت القدرة على التفكير السليم " .

قالت : " إذن عندما تستعيد قدرتك مرة أخرى ، أخطرنى " .

فمد يده وجذبها من خصرها وقال : " هيلى ، آه " .

فرقص قلبها طرباً وسعادة ، ونظرت إليه وقالت : " ماذا يعنى ذلك ؟ "

قال لها : " هل جئت إلى هنا لتجعلينى أشعر بتلك الأحاسيس الجميلة ثم تذهبين ، هل هذا تجسيد لما حدث مع إميليا ، أم أنه شىء آخر ؟ " .

قالت : " لقد كنت أتساءل ماذا يمكن أن يكون ذلك ، لذا قررت أن أكتشف الأمر " .

فجعلها تستدير ناحيته ، وخفض عينيه ليرى إذا كانت ليلى لا تزال منشغلة فى اللعب فجذب هيلى ناحية النضد .

وضمها إليه وقال : " إننى أيضاً أتساءل ماذا يمكن أن يعنى هذا الحلم ، وأعتقد أن كلينا يعرف معناه الآن " .

قالت : " يبدو ذلك " .

وعندما اقتربت منه ليلى لتتعلق به ، رفعها هاربر وأجلسها على ساقيه : " أعتقد أن الأمر معقد " .

قالت : " نعم ، شديد التعقيد إن أمر ارتباطنا ليس بهذه السهولة ، وعلينا أن نفكر فيه على مهل ولفترة طويلة " .

قال : " بالطبع ، ويمكننى مناقشته عندما أزورك فى المساء " .

قالت على عجل : " إننى - إننى أرغب فى أن أقول نعم ، أو أعتقد أننى أوافقك ، إن كلمة الموافقة تتردد فى رأسى ولكنى لا أستطيع أن أتفوه بها ، فهى ما أرغب فيه تماماً " .

www.rewity.com

فأومأ برأسه موافقاً : " ولكن ، حسناً ، دعينا ننتظر بعض الوقت ، وتأكدى من ذلك ، تأكدى من مشاعرك نحوى ومن رغبتك فى الارتباط بى " .

رددت الكلمة ثانية : " تأكدى من ذلك " ثم شرعت تلملم أشياء ليلى وأردفت قائلة : " علىّ أن أذهب الآن ، علينا ألا نندفع ، وأود أن أعد ليلى للنوم ، إننى لا أريد خلط الأمور يا هاربر ، لا أريد خلط الأمور " .

قال : " لن نفعل " .

أمسكت بليلى ، على الرغم من انفجارها فى البكاء لأنها ستغادر هاربر وقالت : " لن نفعل ، أراك فى العمل " .

قال : " بالطبع ، يمكننى أن أصحبك الآن إلى المنزل " .

أسرعت نحو الباب بينما كانت ليلى تصرخ بين ذراعيها : " لا ، ستكون بخير " .

تصاعد البكاء إلى نوبة صراخ شديدة مع ركل بالأرجل ، وتشنج بالجسد فقالت لها هيلى : " أرجوك يا ليلى ، فسوف ترينه بالغد ، إنه لن يذهب للحرب " .

وانزلقت حقيبة الحفاضات من فوق كتفيها فشعرت بثقل وزنها ، بينما احمر وجه ابنتها من فرط الغضب ومن شدة البكاء ، وشعرت بألم شديد وبكدمات فى ساقيها وبطنها ، وفخذيها من جراء ركلات ليلى الغاضبة ، ولحملها العشرين رطلاً خلال حرارة الصيف الشديدة .

وجهت حديثها لابنتها قائلة فى خيبة أمل : " أتعلمين ، لقد كنت أرغب أنا أيضاً فى البقاء ، ولكننا لا نستطيع ، لذا علينا أن نعقد اتفاقاً " .

تصبب العرق على وجهها وعينيها ، وحجب عنها الرؤية ، فرأت المنزل القديم أمامها وهو يتراقص كالسراب ، كان خيالاً لن تصل إليه أبداً .

وسيظل يبتعد عنها ، لأنه ليس حقيقة بالنسبة لها ، إنها لا تنتمى إلى هنا ، ولذا فمن الأفضل والأسهل أن تحزم أشياءها وترحل ، فالمنزل وهاربر أشياء لا تئول إليها ، وكلما طال بقاؤها هنا ، ظلت تعيش فى وهم وخيال .

" ما كل هذا الصخب ؟ " .

شاهدت روز من خلال الحرارة الشديدة ، وضوء الشفق ، وشعرت بجسدها يتمايل ككل شىء حولها واعترتها نوبة غثيان ، ثم رأت الدموع الشديدة المنهمرة من عينى ليلى ، فألقت بها بين ذراعى روز .

قالت هيلى بوهن بينما كانت ليلى تبكى بشدة والدموع تنهمر من عينيها وهى تحيط ذراعيها حول عنق روز : " إنها غاضبة منى " .

أخذت روز تربت على ظهر ليلى ، والتى كانت تهتز من شدة الغضب والبكاء وقالت : " ما الذى أغضبها ؟ "

قالت هيلى : " لقد رأت هاربر ، وأرادت أن تمكث معه " .

قالت روز : " من الصعب عليك أن تتركى صديقك العزيز " .

" إنها بحاجة إلى أن تأخذ حماماً وتأوى إلى الفراش ، على أن أقوم بإعدادهما الآن ، آسفة لأننا قد أزعجناك ، أعتقد أن هناك من سمع صراخها فى ممفيس " .

قالت روز : " إنك لم تزعجينى على الإطلاق ، فهى ليست أول طفلة أراها فى حالة غضب ولن تكون الأخيرة " .

قالت هيلى : سأصحبها إلى أعلى " .

قالت روز : " لا ، بل سآخذها أنا " واستدارت روز واتجهت نحو الطابق الثانى وأردفت قائلة : " لقد أرهق كل منكما الآخر ، وهذا فى الغالب ما يحدث عندما يريد الأطفال شيئاً ، وبينما تعرف أمهاتهم أنهم يريدون شيئاً آخر ، وينتهى الأمر بشعورك بالذنب ، لأنهم حينئذٍ يتصرفون وكأنها نهاية عالمهم وتكونين أنت المتسببة فى ذلك " .

تساقطت دمعة من عينى هيلى ، فأزاحتها بيدها وهى تقول : " إننى لا أحب أن أخذلك أو أسبب لك أى ضيق " .

قالت روز وهى تفتح باب البستان ، وأضاءت الأنوار : " وكيف تسببين له ضيقاً وأنت تريدين ما هو أفضل لها وما هو فى مصلحتها ، هذه الطفلة متعبة ، ويتصبب منها العرق ، إنها بحاجة أن تأخذ حماماً ، وأن تأوى إلى فراشها فى هدوء ، هيا ، أعدى الحمام وسأخلع عنها ملابسها " .

قالت هيلى : " حسناً ، إننى ـــ " .

قالت روز : " عزيزتى ، عليك تعلم المشاركة " .

وعندما كانت روز تحمل ليلى التى هدأت الآن ، اتجهت هيلى ناحية الحمام ، وجعلت المياه معتدلة فى حرارتها ، وألقت ليلى فى حوض الاستحمام المليء بالفقاعات الذى تحب أن تسبح فيه ، ووضعت أيضا البطة والضفادع المطاطية ، ووجدت نفسها تبتلع الدموع أكثر من مرة .

وسمعت روز وهى تقول : " انظروا ، لدىّ طفلة جميلة عارية الآن وانظروا إلى جسمها الجميل الذى أريد أن ألتهمه " .

جعلتها ضحكات ليلى تمسح مزيداً من الدموع ، بينما دلفت روز إلى الحمام .

سألتها روز : " لماذا لا تأخذين حماماً ؟ فأنت تشعرين بالحر ، كما أنك متوترة وعصبية بعض الشيء ، وسوف نلهو أنا وليلى فى حوض الاستحمام " .

قالت هيلى : " إننى لا أريد أن أسبب لك أى إزعاج " .

قالت روز : " إنك تعرفيننى جيداً بما يكفى ، وتعرفين أيضاً أننى لن أتطوع بعمل شيء لا أرغبه ، هيا ، اذهبى وخذى حماماً باردا لتتنعشى " .

فذهبت على الفور ولم تجادلها لأنها خشيت أن تنفجر فى الدموع وقالت : " حسناً " .

شعرت بالانتعاش والنظافة ، عندما عادت إلى الحجرة ووجدت أن روز قد ألبست ليلى قميص نوم صغيراً من القطن .

وانبعثت فى المكان رائحة الصابون المنعشة الذكية ، وكانت تنعم بالهدوء .

رفعت روز ، ليلى إلى أعلى وهى تقول : " وها هى أمك جاءت لتمنحك قبلات المساء " ، فمدت ليلى ذراعيها نحو هيلى فأردفت روز قائلة : " اتبعينى إلى حجرة المعيشة عندما تخلد إلى النوم " .

فضمت ليلى وأخذت تتشمم رائحة شعرها وهى تقول : " حسناً ، أشكرك بشدة يا روز " .

www.rewity.com

ووقفت مكانها وهى تحتضن طفلتها وتقول : " إن أمك آسفة يا حبيبتى ، إننى أود أن أمنحك العالم بأكمله ، هذا العالم الواسع وأمنحك علبة من الفضة لتضعيه فيها " .

وغمرتها بالقبلات وهى تضعها فى مهدها وبجوارها جروها الصغير ، وغادرت الحجرة وأضاءت نورا خافتا وهبطت إلى حجرة المعيشة .

قالت روز وهى تمنحها زجاجة من المياه : " لقد أحضرت بعض المياه المعدنية من الخزانة " وأعطتها واحدة وهى تقول : " هذه من أجلك " .

قالت هيلى : " آه يا روز ، إننى أشعر بالغباء ، إننى لا أدرى ماذا كنت سأفعل بدونك " .

قالت روز : " ستكونين بخير وكذلك سيكون الجميع " ، ثم جلست روز ومدت ساقيها ، وكانت قدماها عاريتين ، وكانت تضع طلاء أظافر ورديًا فى أصابع قدميها وأردفت قائلة : " ستظلين تلومين نفسك ؛ لأن طفلتك أصابتها نوبة من الغضب والبكاء . كفى عن هذا وإلا سيتقدم بك العمر قبل أن تصلى حتى إلى الثلاثين من العمر " .

قالت : " لقد كنت أعلم أنها متعبة ، وكان علىّ أن أصحبها مباشرة إلى المنزل بدلاً من اصطحابها لزيارة هاربر " .

قالت روز : " ولكنى أعلم يقيناً أنها استمتعت بزيارة هاربر مثله تماما ، والآن هى تنام فى هدوء وسلام فى مهدها ، ولم يصبها أى ضرر أو أذى " .

قالت هيلى : " إننى لست أمًا سيئة إلى هذه الدرجة ، أليس كذلك ؟ " .

قالت روز : " بالطبع أنت لست كذلك ، فطفلتك تنعم بالسعادة والصحة والحب ، ولديها رأى خاص بها ، فهى تعرف ماذا تريد ، وهذا فى رأيى دليل على الشخصية القوية ، ولديها مزاج معتدل كأى شخص آخر ، أليس كذلك ؟ " .

قالت : " نعم ، إنها كذلك ، ولكنى لا أدرى ما الذى يعترينى يا روز " ، ثم وضعت الزجاجة جانبا دون أن ترتشف منها شيئا وأردفت قائلة : " إننى أكون عصبية وثائرة فى بعض الأحيان ، وأحياناً أخرى أكون فى حال طيبة وأتمتع بمزاج معتدل ، إنها تشبه أعراض الحمل ، فكأنى حامل للمرة الثانية ، وهذا شىء بعيد الاحتمال إلا إذا أتى الشخص المناسب وتزوجته عما قريب " .

قالت روز : " قد تكونين قد أصبت فى ذلك ، فأنت لا تزالين صغيرة وتتمتعين بصحة جيدة ، ولديك احتياجات ويجب أن يكون هناك من يهتم بك ويرعاك " .

قالت هيلى : " ولكن من الصعب أن تفكر امرأة فى مثل ظروفى فى هذا الآن " .

قالت روز : " إننى أتفهمك تماماً ، وأعلم أنك تدركين أنك سوف تكونين بحاجة إلى جليسة أطفال إذا ارتبطت برجل ما " .

قالت هيلى : " أعلم ذلك بالفعل " .

قالت روز : " أعتقد يا هيلى أن العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة هى أحد المفاتيح للوصول إلى إميليا " .

قالت : " إننى آسفة يا روز ، إننى مستعدة لأن أفعل أى شىء ولكن أن تتعرض لى إميليا مرة أخرى ، وتجعلنى أشعر بأحاسيسها ، فلست على استعداد لذلك مطلقا " .

قالت روز من خلال ضحكاتها : " لقد كنت أتحدث أنا وميتش عما حدث لك فى الليلة السابقة ، فقد كنا نحاول إثبات صدق نظريتنا ، إن علاقة إميليا بريجنالد كانت هى كل شغلها الشاغل وقد أنجبت منه طفلا ولكن من أجل أن تحصل على المال " .

قالت هيلى : " ولكن من المحتمل أنها كانت تحبه ، حقاً حباً صادقاً ، فكل ما لدينا هو مذكرات كتبت من وجهة نظر بياتريس ، وبالتالى فهى ليست مصدراً محايداً " .

أخذت روز رشفة من المياه وقالت : " وجهة نظر سليمة ، ولكن نعود إلى نقطة البداية ، وهى علاقة إميليا بريجنالد تلك العلاقة الحميمية بينهما حتى إن كان أساسها الحب من جانب إميليا إلا أنها كانت قائمة على المصلحة من جانب ريجنالد ، فقد كان الهدف الذى يصبو إليه ريجنالد هو أن تنجب له ولداً وريثاً ـ لذا فإن العلاقة الحميمية بين أى اثنين هى ما يشغل بال إميليا .

قالت هيلى : " حسناً " .

قالت روز : " وهذا ما يقود إلينا نحن الثلاثة ، فنحن نعيش معاً فى هذا المنزل ، ولقد سمعتها ستيلا ورأتها ، وهذا غير مألوف بالنسبة لها ؛ لأنها لديها ثلاثة أطفال ، ولكن كانت هناك علاقة عاطفية تربط بين ستيلا ولوجان ، لذا بدأت الأمور تتفاقم وتتصاعد ، ثم دعينا ننتقل إلىّ أنا وميتش ، وهى علاقة أخرى ، ثم أنت الآن " .

فقالت هيلى : " ولكنى لست على علاقة حميمية بأحد ، فما الذى يثير حفيظتها ؟ " .

قالت روز : " ولكنك تفكرين فى ذلك ، كما فعلت أنا وستيلا من قبل " .

قالت هيلى : " إذن أنت تعتقدين أنها تصب اهتمامها علىّ الآن ، وسوف تزداد الأمور حدة مرة أخرى ؛ لأن ما يجذبها هو العلاقة العاطفية بين أى اثنين " .

قالت روز : " أعتقد ذلك ، وبخاصة إذا ما ارتبطتِ بعلاقة عاطفية بشخص ما بالفعل " .

قالت هيلى : " فهذا يعنى أنها قد تصيبنى بسوء ، إذا ما ارتبطت بشخص ما ، أو يمكن أن تؤذى ليلى ـ " .

وضعت روز يدها على هيلى وقالت : " انتظرى ، إنها لم تؤذ طفلا من قبل طوال كل تلك السنوات الماضية ، لذا فليس ثمة ما يدعو للتفكير فى أنها قد تلحق بليلى أى ضرر ، ولكنك شىء آخر " .

زفرت هيلى بشدة وهى تقول : " إنها قد تلحق بى أى ضرر ، وعلىّ أن أتأكد من أنها لن تفعل ، وبإمكانها أيضاً أن تؤذى أى شخص آخر ، قد يكون أنت أو ميتش ، أو ديفيد أو أى واحد منا ، وإذا ما كان هناك أى شخص أريده وأود الارتباط به ، فهذا يعنى أنها قد تلحق به الضرر أيضاً ، أليس كذلك ؟ " .

قالت روز : " من المحتمل ، ولكن من غير المعقول أن تتوقف حياتك على الاحتمالات ، فأنت لديك حياتك يا هيلى ولا أريدك أن تشعرى بأنك مجبرة على البقاء هنا أو الاستمرار فى العمل معنا فى البستان " .

قالت هيلى : " أتريدينني أن أرحل ؟ " .

أحكمت روز قبضتها على هيلى وقالت : " بالطبع لا ، فإذا كنت أنانية فسأقول لك ، امكثى هنا ، فأنا أريدك معنا ، فأنت الابنة التى لم أنجبها ، وهذه حقيقة يعلمها الله ، وتلك الطفلة الكائنة فى الحجرة الأخرى هى النور

www.dvd4arab.com

الذى يضىء حياتى ، ولأنك تعنين الكثير بالنسبة لى ولأنك تهميننى ، أقول لك عليك أن تذهبى " .

أخذت هيلى نفساً عميقاً وهى تنهض ، ثم اتجهت نحو النافذة وأخذت تتطلع إلى الحدائق الممتدة والتى تتلألأ أضواؤها فى الظلام ، ومن خلفها يقطن المنزل المتنقل والذى تتلألأ أضواء شرفاته .

قالت هيلى : " لقد هجرتنا أمى ، فلم نكن أنا وأبى كافيين بالنسبة لها ، ولم تكن تحبنا بشكل كاف ، وعندما مات أبى ، لم أكن أعرف مكانها حتى أكتب لها وأخبرها ، وهى لن ترى حفيدتها وأعتقد أن هذا أمر مخجل بالنسبة لها ، وليس بالنسبة لليلى ، فأنت تحلين محلها بالنسبة لليلى ، ولى ، وإنى سأرحل إذا ما طلبت منى ذلك ، وسأجد مكاناً آخر ، وعملاً آخر ، وسأبتعد عن هاربر هاوس ، ولكنى أريدك أن تخبرينى أولاً بشىء ، وأنا على ثقة من أنك ستخبرينني بالحقيقة لأن هذا ما عهدته فيك " .

قالت روز : " حسناً " .

استدارت هيلى للخلف وتلاقت عيناها بعينى روز وقالت : " إذا كنت فى مكانى ، وعليك أن تتخذى قراراً بأن تتركى أناساً تحبينهم - وبخاصة إذا كان بإمكانك مساعدتهم - ومكاناً تعشقينه وعملاً تحبينه ، وعليك أن تقرري ذلك لأن من المحتمل حدوث شىء ما ، قد يكون مأزقاً أو مكروهاً ، أو ربما يكون عليك مواجهة موقف صعب ، فماذا تفعلين يا روز ؟ " .

نهضت روز وقالت : " أعتقد أنه عليك أن تمكثى " .

قالت : " وأنا أعتقد ذلك أيضاً " .

قالت روز : " لقد أعد ديفيد كعكة الخوخ " .

قالت هيلى : " أوه ... رائع " .

أمسكت روز بيدها وقالت : " هيا بنا نلتهمها ، وأخبرك عن متجر الزهور الذى أبغى أن أفتتحه فى العام القادم " .

وفى المنزل كان هاربر يتناول طعامه ، وكان يفكر فى هيلى وهو يأكل بعضاً من قطع الدجاج المقلية التى كان ديفيد قد أعدها .

لقد غيرت طريقتها فى اللعب ، وألقت بالكرة فى ملعبه ، وهو لا يدرى ماذا يفعل ، لقد قضى عاماً ونصف العام وهو يكبت مشاعره حينما تتجه نحو هيلى ، وكان يعتقد من خلال تصرفاتها نحوه أنها تعتبره كصديق ، بل كأخ بديل .

وقد كان بالفعل يحاول تأدية هذا الدور .

والآن ، تأتى هى وتقلب كل هذا ، وتفقده صوابه فما هذا بحق الجحيم ؟ هل تلعب بمشاعره ؟، هل تحبه حقاً ؟ .

وما المفترض أن يفعله الآن ، هل يطلب منها أن تواعده ؟ لقد كان له علاقات غرامية متعددة ، وهذا شىء طبيعى ، ولكن الشىء غير الطبيعى هو ما يحدث الآن ؟ بعدما أقنع نفسه تماماً بأنها غير مهتمة به ، وأنه عليه ألا يفكر فيها على هذا النحو .

وأضف إلى ذلك أنهما يعملان معاً ، وإنها تقطن فى المنزل الرئيسى مع أمه ، يا إلهى ، ويجب أن يأخذ ليلى فى اعتباره ، لقد كانت تمزق نياط قلبه عندما كانت تبكى حينما أخذتها هيلى للمنزل ، ماذا يحدث لو ارتبط هو

وهيلى ، ووقع خلاف بينهما ؟ هل ستؤثر عواقبه على علاقته بليلى ؟

عليه أن يتأكد من أن ذلك لن يحدث ، وعليه أن يكون حذراً وأن يتصرف بحكمة وعلى مهل .

إنه يرغب حقاً فى أن يكون مع هيلى ولكن عليهما التمهل فى أمر ارتباطهما أو زواجهما .

قام كعادته بتنظيف المطبخ ، ثم صعد إلى الدور العلوى ، حيث غرفة نومه ، والحمام وحجرة صغيرة كان يستعملها كمكتب ، وأمضى ساعة فى إنجاز بعض الأعمال المكتبية ، وكان يجبر ذهنه على التركيز فى العمل ، كلما اتجه نحو هيلى .

أضاء نور المصباح ، وانتقى كتاباً ، وانهمك فى القراءة وهى إحدى الهوايات المفضلة لديه ، وأثناء الاستراحة بين أشواط مباراة فى البيسبول ، وشرد ذهنه فى الشوط الثامن عندما كان فريق بوسطن متخلفاً بنقطتين ، ولاعب فريق يانكز عند القاعدة الثانية .

وحلم أنه يجلس مع هيلى فى منتزه فينواى بارك يتسامران ويضحكان ، ويتجاذبان أطراف الحديث ويلعبان معاً على الحشائش الخضراء وينظر إلى عينيها الزرقاوين حتى يغرق فى بحرهما العميق .

وفجأة أيقظه من أحلامه هذه صوت ارتطام الكرة بالمضرب ، فانتفض ، وهز رأسه لينفض عنه النوم .

يا إلهى ! ووضع يده على وجهه ، كان أمراً غريباً حقاً ، ثم نحى الكتاب جانبًا .

أما صوت الارتطام الثانى الذى سمعه والذى كان أشبه بطلق نارى ، كان يأتى من أسفل ، ولكنه لم يكن حلمًا هذه المرة .

فهب واقفاً على قدميه ، فى لمح البصر ، وأمسك بمضرب البيسبول الذى كان يقتنيه منذ عيد ميلاده الثانى عشر وهو يهرع خارج الحجرة .

وطرأ على ذهنه أنه من الممكن أن يكون برايس كليرك - زوج أمه السابق - قد خرج من السجن وجاء إليهم من أجل إثارة المشاكل ، أخذ هاربر يحدث نفسه وهو يمسك بالمضرب بأنه سوف يأسف على مجيئه إلى هنا ، وغلى الدم فى عروقه وهو يتجه نحو صوت الارتطام الشديد .

أضاء الأنوار فى الوقت الذى رأى فيه أحد الصحون يلقى ناحيته ، وبحركة غريزية انحنى ليتفاداه ، فتهشم الصحن إلى قطع صغيرة .

ثم ساد الصمت المكان .

بدا المطبخ الذى قام بتنظيفه قبل أن يصعد إلى أعلى وكأن مجموعة من اللصوص والمخربين قد سطت عليه ، فقد تناثرت على الأرض قطع الصحون المكسورة ، بالإضافة إلى زجاجات العصير المسكوبة ووجد أن باب الثلاجة مفتوح على مصراعيه ، بينما تناثرت محتوياتها على الأرض ، وتلطخت الحوائط والنضد بمزيج من الكاتشب والخردل ، ولم يكن هناك أحد سواه ، واستطاع أن يرى البخار الناتج عن تنفسه خلال برودة الجو .

مرر أصابعه خلال شعره وقال : " أيتها الحقيرة " .

www.rewity.com

وكانت قد استخدمت الكاتشب ـ الذى حمد الله أنها قد استخدمته بدلاً من الدماء ـ وذلك لتكتب تلك الرسالة على الحائط .

لن أهدأ أو أستريح

تفحص الفوضى من حوله وقال : " يبدو أنك لست وحدك " .

الفصل السادس

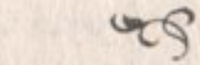

عدل ميتش من وضع منظاره ، ونظر عن كثب إلى الصور الفوتوغرافية ، فلقد التقط هاربر صوراً لما حدث فى مطبخه من جميع الاتجاهات والزوايا ـ القريبة والعريضة .

وكانت يداه ثابتتين ، وذهنه صافياً .

لكن ...

" كان يجب عليك أن تبلغنا فور حدوث ذلك " .

" لقد كان ذلك فى الواحدة صباحاً ، ماذا يعنى هذا ؟ " .

" يبدو أنك قد ضايقتها أو أزعجتها . ألديك أى فكرة ؟ " .

" لا " .

نشر ميتش الصور الفوتوغرافية أمامه ، وقام بترتيبها بينما نظر ديفيد إلى هاربر سائلا إياه : " هل قمت بتنظيف كل تلك الفوضى ؟ " .

قال وقد بدا انفعاله وتوتره واضحاً من حركة كتفيه : " نعم ، لقد أتت على كل الصحون الموجودة فى المطبخ " .

التقط ديفيد إحدى الصور وهو يقول : " إن ذلك لا يعد خسارة كبيرة ، فقد كانت هذه الصحون قبيحة المنظر على أية حال ، ولكن ما هذا ؟ تـوينكيز ؟ أمازلت فى الثانية عشرة من عمرك يا هاربر ؟ " ، ولكن كان وجهه يدعو للإشفاق فهز ديفيد رأسه وقال : " إننى قلق عليك " .

قال هاربر : " إننى أحب التوينكيز " .

رفع هاربر يديه وقال : " دعونا نترك الحديث عن المقرمشات والوجبات الخفيفة جانباً ـــ " .

قاطعه ديفيد وهو يقرص هاربر من خصره قائلاً : " إن التوينكيز هى عبارة عن كرات من السكر والدهون والمواد الحافظة " .

قال هاربر : " كف عن هذا " ، ولكن هذه الحركة قد أضفت بعض السرور على هاربر .

قال ميتش فى عذوبة : " نعود إلى المسألة التى بين أيدينا ، فهناك تغيير فى سير الأحداث ، فإنها لمعلوماتكم لم تدخل المنزل المتنقل مطلقاً ، ولم تسبب لك أى إزعاج من قبل ، " ونظر إلى هاربر حتى يؤكد له ما قاله .

قال هاربر : " لا " ، وهذا هو الظهور المدمر لها " جعلته النظرة التى ألقاها على الصور الفوتوغرافية يعيد إلى ذاكرته الصدمة التى اعترته من جراء ما حدث ، والوقت الذى استغرقه حتى يصلح ما دمرته إميليا .

قال ميتش : " ستعرف أمك بما حدث " .

قال هاربر وهو لا يزال يتميز من الغيظ : " نعم ، نعم " ، ثم اتجه صوب الباب الخلفى ، وقد قطب جبينه

عندما رأى ضباب الصباح وانتظر متعمداً حتى رأى أمه تبدأ فى ممارسة رياضة الجرى الصباحية ، ثم أردف قائلاً : " إننى أقدر قيمة حياتى ، أليس كذلك ؟ ولكنى أريد أن نتداول الأمر أولاً قبل أن نخبرها به " ، ثم اتجه ببصره نحو سقف الحجرة وهو يتخيل هيلى وهى تبدأ يومها فى الطابق الأعلى واستطرد : " أو أياً منهن " .

قال ديفيد فى مبالغة : " هل ذلك من أجل التخطيط لحماية معشر النساء ؟ ، إننى لا أوافق يا بنى ، فإن روز لن تأبه أو تخاف مما حدث " ، ثم أشار بإبهامه نحو السقف وقال : " ولا هى أيضاً " .

قال هاربر : " إننى لا أريدهن أن يخضن فى الأمر أكثر من اللازم ، فبإمكاننا أن نهون ونخفف من أثر ما حدث ، فالأمر كله لا يعدو تكسير بعض الصحون وإحداث بعض الفوضى فى المطبخ " .

قال ميتش : " إنه اعتداء شخصى يا هاربر ، ليس عليك بل على ممتلكاتك ، فى منزلك ، هذه هى حقيقة الأمر ، وهى الحقيقة التى سوف يرونها " ، ثم لوح ميتش بيده لهاربر قبل أن يقول شيئاً ثم استطرد قائلا : " لقد تعاملنا جميعاً مع ما هو أسوأ من ذلك ، وسوف نستطيع التعامل مع ما يحدث الآن ، ولكن الأهم من ذلك كله هو معرفة السبب وراء حادث أمس " .

تراجع هاربر للوراء وقال : " ربما لأنها مجنونة ، قد يكون ذلك عاملا مساهماً صغيراً " .

قال ديفيد : " إنه يحذو حذو أمه عندما يشعر بالضيق ، فيكون عنيداً شرساً " .

dodyadodo www.rewity.com

اتكأ ميتش بساقه على المائدة وقال : " لقد لاحظت أنها شوهدت وهى تتجه صوب المنزل المتنقل فى الماضى ، ولقد رأيتها بنفسك عندما كنت صبيًا صغيرًا ، ونحن نعتقد أنها فعلت ذلك فى فترة من فترات حياتها ، ونخمن أن ذلك حدث عندما أحضر ريجنالد هاربر طفلهما العزيز إلى هنا حتى يجعله وريثاً شرعياً " .

وأضاف ديفيد : " وتستطيع أن تقول أيضاً إنها مجنونة كالقرد الثائر من الهيئة التى تبدو عليها " .

" لكن منذ متى ونحن نعلم أنها لم تعبث بالمنزل منذ أن انتقلت أسرة هاربر للعيش هنا ؟ " .

هز هاربر كتفيه فى استهانة وضرب على ساقيه بأصابعه وهو يقول : " يا للعنة ، لا أدرى ، لقد رأيتها منذ أن كنت بالجامعة ، منذ ست أو سبع سنوات تقريباً " .

قال ميتش : " ولكنها ذهبت إلى المنزل المتنقل الآن ، ودمرت كل شىء ، قد تكون مجنونة ، ولكن ثمة سبب ما وراء تصرفها هذا ، فكل شىء تفعله له أصل وسبب ، هل قمت بإحضار أى شىء هناك مؤخراً ؟ أى شىء جديد ؟ " .

قال : " أوه ، لا " ، ولكن هذا الرأى جعله يفكر فى الأمر بدلاً من الشعور بالغضب والقلق وأردف قائلا : " النباتات ، لقد زرعت بعض النباتات ، ولكنى أفعل ذلك منذ سنوات ، وأحضر إلى البيت الأشياء المعتادة مثل البقالة ، أسطوانات ، ملابس ، فليس هناك شىء غير معتاد " .

قال ميتش : " ولم يدخل المنزل أى فرد ؟ " .

قال هاربر : " آسف ، لا أفهم " .

قال ميتش : " هل جاء إلى منزلك شخص لم يدخله من قبل ؟ امرأة مثلاً ؟ " .

قال هاربر : " لا " .

وضع ديفيد يده على كتف هاربر وقال : " هذا مؤسف للغاية لقد فقدت جاذبيتك ؟ " .

قال هاربر : " لا ، ليس الأمر كذلك ، فجاذبيتى لا تزال أخّاذة ولكننى كنت مشغولاً فى الآونة الأخيرة " .

فسأل ديفيد : " وقبل أن تعم تلك الفوضى ، أين كنت ؟ " .

أجاب هاربر : " لقد كنت أشاهد مباراة البيسبول فى الطابق العلوى ، ثم ترامى إلى مسامعى أصوات ارتطام وضوضاء شديدة " .

ثم سمع صوت ليلى وهى تنادى عليه بسعادة وفرح فقال : " ها هم قادمون ، ميتش ، دعنا نرجئ هذا الأمر حتى — " .

ثم توقف عن الحديث وأخذ يلوم نفسه لأنه لم يتحرك بصورة أسرع عندما كانت ليلى تجرى نحوه ومن خلفها هيلى ، وكانت ليلى تتجه نحوه مباشرة ، والابتسامة تعلو وجهها وكانت تمد ذراعيها أيضاً .

قالت هيلى وهى تحمل ليلى لأعلى : " عندما سمعت صوتك ، أشرق وجهها بالسعادة والفرح " .

قال ديفيد بطريقة جافة : " إن له جاذبية أخّاذة مع الأطفال الرضع " .

اتجهت هيلى نحو الثلاجة لتحضر بعضاً من العصير وقالت : " إنها عادتها المفضلة لكى تبدأ صباحها " ،

وعندما استدارت وكانت تحمل كوب العصير الخاص بليلى فى يديها لمحت الصور وقالت : " ما كل هذا ؟ " .

قال : " لا شىء ، إنها مغامرة فى منتصف الليل " .

قالت : " يا إلهى ، ما كل هذه الفوضى ! كنت تقيم حفلة ولم تدعنا إليها ؟ " ثم شحب وجهها عندما رأت الصور عن كثب فأضافت : " آه ، إميليا ، هل أنت بخير يا هاربر ؟ هل أصابتك بسوء ؟ " ثم سقط الكوب البلاستيكى الخاص بليلى من يدها وهى تميل نحوه وتردد : " هل أصابتك بسوء يا هاربر ؟ " .

قال وهو يربت على يدها التى كانت تمررها على وجهه وذراعيه : " لا ، لا ، إنها فقط قد حطمت بعض الصحون " .

انحنى ديفيد وهو يعيد الكوب البلاستيكى وهو يهز حاجبه إلى ميتش وقال : " آه " .

أمسكت هيلى باحدى الصور وقالت : " ولكن انظر لما أصاب مطبخك الصغير اللطيف ، ترى ما الذى أصابها ؟ ما الذى يجعلها تتصرف بهذا الأسلوب ؟ " .

قال : " إن حقيقة موتها ، تسبب لها الضيق والإزعاج ، أعتقد أن ليلى تريد العصير الخاص بها " .

قالت : " حسنا ، حسنا ، إذا لم يكن هناك سبب واحد ، فهناك ستة أسباب ، لقد سئمت مما يحدث " . ثم قامت بصب العصير وأحكمت غطاء الكوب ثم أعطته لليلى وقالت : " ها هو يا صغيرتى ، ولكن ما الذى سنفعله حيال ذلك ؟ " قالت ذلك وهى تدور حول ميتش .

قال ميتش وهو يرفع يديه مفكراً إياها : " سنتخذ موقف المتفرج " .

قالت : " نحن بالفعل كذلك ، ولكن يبدو أن ذلك لا يعنى لها شيئا ، تلك الحقيرة " ، ثم جلست ومدت ذراعيها .

سألها ديفيد وهو يصب لها بعضاً من القهوة : " أتشعرين بأنك أفضل الآن " .

قالت : " لا أستطيع تحديد شعورى الآن " .

أجلس هاربر ليلى على مقعدها المرتفع وقال : " إنها مجرد صحون ، وطبقاً لرأى ديفيد فهى صحون قبيحة الشكل " .

لاحت على وجه هيلى ابتسامة وقالت : " إنها ليست بهذه الدرجة من القبح ، إننى آسفة يا هاربر " ، ولمست يده فكررت ثانية : " إننى آسفة " .

سألتها روز وهى تخطو بالداخل : " آسفة على ماذا ؟ " .

قال ديفيد وهو يشير بقدح القهوة : " لقد أحضرنا اثنين منهما ، أعتقد أننى سأضع كعكة محلاة بالسكر " .

لم تستطع هيلى التركيز ، ولكنها كانت تمارس أعمالها اليومية المعتادة من انتظار العملاء ، والقيام ببعض الحسابات ، وعندما شعرت أنها لا تستطيع الحديث مع أى شخص ، اتجهت نحو مكتب ستيلا حتى تخفف عنها .

قالت هيلى : " أرجو أن تكلفينى ببعض الأعمال اليدوية ، إننى أريد أن أبتعد عن النضد ، أرجوك ، إننى أشعر بأن تلك الحقيرة تسيطر على تفكيرى ولا أريد أن يلاحظ ذلك أى من العملاء " .

www.rewity.com

تراجعت ستيلا بمقعدها إلى الخلف وهى تتفرس فى هيلى وتقول : " لماذا لا تأخذين فترة راحة بدلاً من ذلك ؟ " .

قالت : " عندما أكف عن العمل ، أشرع فى التفكير ، ثم تتراءى لى صور مطبخ هاربر " .

قالت : " أعلم أن ذلك مؤلم يا هيلى ولكنى ـــ " .

قالت : " إنها غلطتى أنا " .

قالت ستيلا : " وما علاقتك بالفوضى التى حدثت فى مطبخ هاربر ، وهل لك علاقة بالمزهرية التى تحطمت فى حجرة معيشتى ولم يتحمل أحد فى منزلى مسئولية ما حدث ، بل الكل قال لا أعرف ؟ " .

قالت : " إن جملة " لا أعرف " هى الجملة القديمة المعتادة " .

قالت هيلى : " ليس هناك بينى وبينه أى شىء آمن أو مقدس " .

ألقت هيلى بنفسها على المقعد ، وأخرجت نفساً عميقاً وقالت : " سآخذ راحة لدقائق قليلة ، هل يمكنك أنت ذلك أيضاً إننى أريد أن أتحدث معك قليلاً " .

قالت ستيلا وهى تبعد عن شاشة الحاسوب : " بالطبع " .

" عندما غادرت منزلى أمس ، ذهبت إلى هاربر ، فلقد صممت على أن أتخذ بعض الخطوات الإيجابية ، بعض الأفعال ، فلقد وجدت أنه يعتبرنى أخته أو أمًا لليلى أو أى شىء آخر يعتقده هو ، ولكنى عزمت على أن أغير فكرته تلك " .

قالت ستيلا : " ثم ؟ " .

قالت : " وبالفعل ذهبت إليه ، ووقفت فى المطبخ ، ثم أمضينا وقتاً لطيفاً ونحن نتحدث هناك ، وأشعرته أننى أهتم به " .

قالت ستيلا وقد لاحت على وجهها ابتسامة : " وهل فهم هو ما تعنيه أنت ؟ " .

قالت هيلى : " يمكنك أن تقولى إنه اندهش فى البداية ، ولكنه شعر بأننى فتحت الطريق أمامه ، ولكن كانت هناك مؤشرات جيدة جعلتنى أشعر بأننى كنت مخطئة فيما اعتقدته من قبل " .

قالت ستيلا : " هذا رائع ؟ وهذا هو ما كنت تريدينه " .

قالت هيلى : " إن المسألة ليست مسألة ما أريده ، أو ربما هى كذلك ، لا أدرى " ، ثم جاهدت للوقوف على قدميها ولكن المكان فى المكتب كان ضيقاً ، وأردفت قائلة : " قد تكون هذه هى النقطة ، يا ستيلا ، لقد شعرت بانجذابه الشديد ناحيتى ، ولقد تبادلنا حديثنا فى المطبخ ، ثم جاءت هى بعد ذلك بساعات قليلة لتدمر المكان ،إن المسألة واضحة ، لقد مهدت له الطريق ، ولكن لم يرق لها ذلك " .

قالت ستيلا : " إنك تخلطين الأمور ، إننى لم أقل إنك مخطئة تماماً ، ثم أضافت وهى تمد يدها لتفتح زجاجة المياه المعدنية : " ولكننى أقول إن الخطأ ليس خطأك ، إنها متقلبة دائماً يا هيلى ، ولا أحد منا مسئول عن تصرفاتها أو أفعالها أو ما حدث لها فى الماضى " .

قالت هيلى بينما كانت تمد لها ستيلا يدها بالمياه : " لا ، أشكرك " . ثم أضافت : " ولكن حاولى أن تخبريها بذلك " .

قالت ستيلا : " إن ما نحاول فعله الآن هو البحث فى أصول ما حدث واكتشاف الحقيقة ، ومحاولة إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح ولكن علينا أن نستأنف حياتنا بشكل طبيعى أثناء ذلك " .

وأردفت قائلة : " إن روز تعتقد أن الأمر برمته يتعلق بالعلاقة الغرامية بين إميليا وريجنالد ، وأعتقد أنها بصدد اكتشاف شيء ما " .

" هل أخبرت روز بما دار بينك وبين هاربر ؟ "

ارتشفت رشفة كبيرة وقالت : " لا ، ولا يوجد فى الواقع علاقة قوية بينى وبين هاربر " ، ويعتقد روز وميتش عموماً أن ما أثارها هو تطور العلاقات الغرامية ، لذا على أن أنحى جانباً بعض هذه المشاعر والأحاسيس " .

قالت ستيلا : " إذا استطعت ذلك بالفعل ، فأنت لا تضعين مشاعر هاربر فى الاعتبار " .

قالت : " يمكننى أن أتولى ذلك الأمر جيداً ، وذلك حينما يوجه مشاعره نحوى " ، ثم أحكمت قبضتها على الزجاجة ، ثم أردفت قائلة : " ولكننى أعتقد أن هاربر كانت له علاقات نسائية كثيرة من قبل ، فلماذا لم يثرها ذلك ؟ " .

قالت ستيلا : " لا تعليق مرة أخرى ، ولكن إذا كان الأمر له صلة بك وبهاربر ، فلهذا دلالة ما ، وقد تكون دلالة ذات مغزى خطير ، فما فعلته حيال علاقتى أنا ولوجان ، وكذلك ميتش وروز يدل على أن هناك شيئاً خطيراً ومهماً وراء كل ذلك " .

قالت هيلى : " إننى لا أستطيع التفكير فى ذلك الأمر الآن ، بل أريد أن أنهمك فى العمل لأنسى ذلك كله ، أريد أن أقوم بشيء يتطلب قوة عضلية " .

قالت ستيلا : " أريدك أن تقومى بإخراج كل النباتات الزائدة من البيوت الزجاجية ، وضعيها فى واجهة العرض ، على أن تكون هناك مائدة للنباتات الحولية وأخرى للمعمرة ، وقومى بعمل خصم ثلاثين بالمائة من السعر " .

قالت : " سأفعل ذلك على الفور ، أشكرك " .

نادتها ستيلا قائلاً : " لا تنسى أن تشكرينى عندما يصيبك الإغماء من حرارة الشمس " .

قامت هيلى بنقل أوانى وأصص الزهور ووضعتها حول واجهة المبنى ، ولقد استغرق منها ذلك أربع مرات ذهاباً وإياباً . وقامت بوضع النباتات على الموائد بطريقة تجعلها تلفت نظر العملاء والمارة .

وكان عليها أن تتوقف عن العمل من آن لآخر لتتحدث إلى بعض العملاء أو ترشدهم لشيء ما ، ولكنها كانت معظم الوقت بمفردها .

وكان الطقس خانقاً والهواء محملاً بالرطوبة ، مما يوحى بقدوم عاصفة رعدية ، وكانت تتمنى أن يحدث ذلك ، فإنها تناسب تماماً الحالة المزاجية التى هى عليها الآن .

وانشغل ذهنها بالعمل تماماً ، وأخذت تمارس لعبة استرجاع اسم كل فصيلة من فصائل النباتات التى تقوم بتفريغها ، فعما قريب ستكون لها نفس براعة روز وستيلا

www.rewity.com

فى المعرفة والدراية بأنواع النباتات ، وكانت على ثقة من أنها حينما تنتهى من العمل ، ستكون منهكة بدرجة تمنعها من التفكير فى أى شىء .

قطب هاربر جبينه وهو يقترب منها ويقول : " هيلى ، لقد كنت أبحث عنك ، ماذا تفعلين هنا ؟ " .

أخذت تمسح بيدها العرق المتصبب على وجنتها وهى تقول : " إننى أعمل ، فهذا هو ما أفعله هنا " .

قال : " إن الجو شديد الحرارة اليوم ولا يصلح لمثل تلك الأعمال ، فالجو سيئ ، ـ فمن الأفضل أن تأتى إلى الداخل " .

قالت : " إنك لست رئيساً هنا " .

قال : " بل إننى كذلك من الناحية الفنية ، حيث إننى أحد مالكى هذا المكان " .

كانت أنفاسها تتقطع ، واستمر العرق يتصبب على عينيها مما زاد من توترها ، قالت : " لقد طلبت منى ستيلا أن أقوم بترتيب هذه النباتات ، وأنا أفعل ذلك ، فهى رئيستى المباشرة " .

انفجر قائلا : " ما كل هذا الغباء ـ " ، ثم قطع حديثه وسار إلى الداخل .

واتجه مباشرة نحو مكتب ستيلا وقال : " ما الذى تفعلينه هذا بحق السماء ، تطلبين من هيلى نقل النباتات فى هذا القيظ ؟ " .

قالت ستيلا فى انزعاج وقد نهضت من مكتبها قائلة : " يا إلهى ، ألا تزال تفعل ذلك ؟ ليس لدىّ فكرة أنها لا تزال ـ "

قال : " من فضلك أعطينى زجاجة من المياه " .

أخرجت ستيلا واحدة من المبرد وقالت : " هاربر ـ لم أعتقد أنها ـ " .

رفع يديه ليقاطعها وقال : " أرجوك ، كفى عن هذا " .

ثم غادر المكتب مرة ثانية وهرع إلى الخارج واتجه ناحية هيلى مباشرة ، وجذبها من ذراعها فضربته ضربة عنيفة ولكنه استمر فى جذبها بعيداً عن واجهة المبنى .

قالت : " أطلق سراحى ، ماذا أنت فاعل بى ؟ " .

قال : " أريد أن آخذك لمكان ظليل " ، ثم جذبها للخلف بين الموائد ـ والشجيرات الصغيرة وكذلك بين البيوت الزجاجية حتى وصل إلى جوانب البركة الظليلة .

قال : " اجلسى وارتشفى من المياه " .

قالت : " إننى لا أحب هذه الطريقة " .

قال : " تناولى هذه المياه واعتبرى نفسك محظوظة لأننى لم ألق بك فى البركة " ، ثم أردف قائلا عندما كانت هيلى تصب بعض المياه : " على الرغم من أن هذا فصل الصيف الثانى الذى تقضيه هنا ، إلا أن ستيلا مازالت متشبثة بعادات اليانكى (الأمريكيين من سكان الولايات الشمالية فى الولايات المتحدة) ولكنك أنت قد ولدت ونشأت هنا ، وتدركين تماماً ما الذى تفعله مثل هذه الحرارة الشديدة " .

قالت : " ولكنى أعرف تماماً كيف أتعامل معها ، وأرجوك لا تلق باللوم على ستيلا فى أى شىء " ، ولكنها عليها أن تعترف بأنها أقل توتراً وأهدأ الآن . تمددت هيلى على الحشائش وقالت : " ربما أكون قد أجهدت نفسى فى هذا الجو الحار وبالغت فى أداء الأعمال ، ولكنى انهمكت فى العمل ولم أدر بما حولى ، فهذا كل ما فى الأمر " ، ثم

أدارت رأسها ونظرت ناحيته وقالت : " ولكنى لا أحب أن يملى علىّ أحد شروطه " .

قال : " إننى لا أحب أن أملى شروطى على أحد ولكن يكون الناس فى حاجة إلى ذلك فى بعض الأحيان " ، ثم خلع قبعته ثم لوح بها أمام وجهها حتى يحرك الهواء لينعشها ثم أردف قائلا : " إن مرأى بشرتك الآن يوحى بأنك كنت فى حاجة إلى من يدفعك لذلك " .

كان من الصعب أن تجادله وهى تشعر بالراحة والسرور الآن وهى تتمدد على الحشائش ، وهو بجوارها ويقوم بتحريك قبعته من أجل إنعاشها .

كانت الشمس ساطعة من خلفه وتمرق أشعتها خلال الأغصان السميكة العالية فأضفت عليه رومانسية وجاذبية شديدة وهو يجلس فى الظلال .

فما أجمل شعره الداكن المجعد من أطرافه من جراء الحر والرطوبة ، وما أصفى هاتين العينين البنيتين العميقتين ـ وتلك العضلات القوية ـ .

حدثت نفسها قائلة إنه بمقدورها أن ترقد هكذا لساعات طويلة تمعن النظر إليه فقط ، ولكنها رأت أن هذه فكرة حمقاء بدرجة جعلتها تبتسم .

قالت : " لقد أفلت بفعلتك هذه المرة ، لقد كان ذهنى مشغولاً بأشياء كثيرة ، ولذا فالعمل وبذلك الجهد يجعلنى أتناساها " .

انحنى نحوها ثم قال : " لدىّ أسلوب آخر للتعامل معها " . ثم توقف عن الحديث وأمال رأسه عندما رفعت يديها عاليا وقالت : " إننا فى وقت عمل الآن " .

قال : " اعتقدت أننا فى وقت راحة " .

قالت : " إننا فى محيط العمل الآن " ، ثم اتخذت قرارها ، وهو قرار لا يتعلق برغباتها وبما تريده وإنما يتعلق بما ينبغى عمله وما هو صواب فقالت : " لقد أدركت أن مثل تلك الأشياء ليست بفكرة جيدة " .

قال : " ما هذه النوعية من الأشياء التى تتحدثين عنها ؟ " .

قالت : " الأشياء التى تخصنى أنا وأنت " ، ثم نهضت وأزاحت شعرها إلى الوراء وحرصت على أن ترسم ابتسامة على وجهها ، إن الأمور كلها ستختل بالنسبة لها إذا تجاوزا حدود الصداقة ، فأردفت قائلة : " إننى معجبة بك يا هاربر وأنت تعنى الكثير بالنسبة لى وكذلك بالنسبة لليلى وأنا أريد أن نظل أصدقاء ، وأعتقد أن الأمور ستكون أسوأ إذا ما تعدينا حدود ذلك " .

قال : " ليس علينا ذلك " .

ولمست ساقيه وربتت عليهما وقالت : " لقد كنت مسرورة أمس عندما اقتربنا من بعضنا البعض وتغيرت الأمور بيننا بعض الشىء ، لقد كان الأمر لطيفاً " .

قال : " لطيفاً ؟ " .

ولأنها تفهم تماما هذا التعبير المرتسم على وجهه ـ أو بمعنى أصح جمود ملامح وجهه ـ وهو يعنى أنه غاضب ويغالب انفعالاته فرسمت ابتسامة عريضة على وجهها وقالت : " بالطبع ، إن الاقتراب من شخص وسيم مثلك لهو شىء لطيف ، ولكن من الأفضل بالنسبة لى أن نترك الأمور كما هى عليه " .

www.rewity.com dodyadodo

قال : " إن الأمور لم تعد كما كانت ، فلقد قلبت كل شيء رأساً على عقب عندما أتيت أمس ، قد أشعرتنى بأن هناك ما هو أكثر من حدود الصداقة " .

قالت : " هاربر ، إن الملاطفة بين الأصدقاء لا تعد شيئاً كبيراً " ثم ربتت على يده ، وهمت بالنهوض ولكنه طوق خصرها بيديه .

قال : " ما حدث بيننا كان أكبر من ذلك " .

ولاحظت تغيراً فى حالته المزاجية ، ولكنها حدثت نفسها قائلة من الأفضل أن يشعر الآن بالغضب أو الجرح ، فسوف يستمر ذلك لفترة قصيرة من الوقت .

قالت : " هاربر ، إننى أعلم جيدا إنك لم تعتد على أن تصدك أى امرأة ، ولكننى لن أجلس هنا لنتناقش حول إذا ما كنت أرتبط معك بعلاقة عاطفية أم لا " .

قال : " إن الأمر أكثر من ذلك " .

أكثر ، وجعلت هذه الكلمة قلبها ينبض بشدة فقالت : " لا ، ليس الأمر كذلك ، وأنا لا أريده أن يكون كذلك " .

قال : " ما هذا ؟ أهى لعبة ما ؟ لقد أتيت إلىّ ، وجعلتنى أشعر بمشاعر مختلفة نحوك ، مشاعر تفوق حدود الصداقة ، والآن كل ما حدث هو بالنسبة لك شيء لطيف ولكنك لست مهتمة ؟ " .

قالت : " هذا هراء ، علىّ أن أستأنف العمل الآن " .

ظل صوته هادئاً مما يوحى بشيء خطير وقال : " إننى أدرك تماما ما كنت تشعرين به وأنت بين يدى " .

قالت : " أرجوك يا هاربر ، لقد اعترتنى بالطبع بعض المشاعر والأحاسيس ، فإننى لم أرتبط بأى شخص منذ فترة " .

أحكم قبضته حولها ، ثم أطلق سراحها وقال : " إذن فقد كنت تبحثين عن علاقات عابرة " .

لم يكن قلبها الذى خفق هذه المرة ، بل شعرت بوخز فى معدتها وقالت : " لقد أقدمت على فعل طائش ، ما كان يجب أن أفعله ، كان يجب علىّ ألا أذهب إليك فى منزلك وأجعلك تشعر بكل تلك المشاعر والأحاسيس " .

واهتزت الرؤية أمام عينيها وكانت تنظر إليه واعترتها موجات شديدة من الغضب وقالت : " إن الرجال هم الذين يكذبون ويتحايلون ويغشون ، والمرأة بالنسبة لهم ما هى إلا نزوة عابرة ، عشيقة لا أكثر . إما يحتفظون بها من أجل إشباع رغباتهم أو يلقون بها إذا ما سئموا منها ، إن الرجال هم الذين يخططون من أجل إشباع نزواتهم العابرة " .

وقد تغيرت نظرة عينيها تماما ، ولم يستطع هاربر أن يعرف كيف ، ولكنه شعر بأنه لا ينظر إلى هيلى من خلال عينيها ، ولقد اعتراه خوف شديد عليها فقال : " هيلى " .

وارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتيها وقالت : " والآن ماذا تريد يا سيدى هاربر ، تريدنى ، وماذا ستعطينى فى مقابل ذلك ؟ " .

فأمسك بكتفيها وهزها بعنف وقال : " هيلى ـ كفى عن ذلك " .

قالت : " هل تريدنى أن أقوم بدور الجارية ، العشيقة ؟ إننى بارعة فى ذلك ، ويمكنك استخدامى من أجل الحصول على طفل " .

كان عليه أن يبقى هادئاً ، على الرغم من الغضب العارم الذى كان يعتريه فقال : " لا ، إننى أريدك كما أنت يا هيلى " ، ثم أمسك بذقنها ، ثم ركز عينيه عليها وقال :

" إننى أتحدث إليك ، لدينا بعض الأعمال التى علينا إنجازها الآن ، ثم عليك بعد ذلك أن تقومى باصطحاب ليلى إلى المنزل ويجب عليك ألا تتأخرى فى ذلك " .

فقطبت جبينها وأزاحت يديه وقالت : " ماذا ؟ آه ، لقد قلت إننى ... " .

وضع يديه مرة أخرى على كتفيها وربت عليهما بحنان وقال : " ماذا قلت ؟ أخبرينى مرة أخرى ماذا ذكرت لتوك " .

تصاعدت الدماء إلى وجهها وقالت : " لقد قلت إننى قد تصرفت تصرفًا طائشًا ، لقد قلت ـ ماذا ؟ ـ يا إلهى ـ إننى لم أقصد ـ " .

قال : " هل تتذكرين ما قلته لتوك ؟ " .

ضغطت بيدها على بطنها ، حيث انتابها شعور بالغثيان وقالت : " لا أدرى ، إننى أشعر بأنى لست على ما يرام ، إننى أشعر بالإنهاك والتعب " .

قال : " حسنًا ، سأصطحبك إلى المنزل " .

كانت ركبتاها ترتعدان وهو يساعدها على النهوض على قدميها وقالت : " إننى لم أقصد كل تلك الأشياء التى تفوهت بها يا هاربر ـ لقد كنت مستاءة ، إننى أتفوه بأشياء حمقاء عندما أكون غاضبة ولكنى لم أقصد ما قلت إننى لا أعرف من أين جئت بهذا الكلام " .

لانت لهجته وهو يساعدها ليسير بها أمام المبنى وقال : " حسنًا ، إننى أتفهم " .

كانت ترغب فى الاستلقاء على الحشائش مرة أخرى حتى يختفى الدوار الذى تشعر به فى رأسها قالت : " إننى لا أفهم ما يحدث " .

www.rewity.com

قال : " سأصطحبك إلى المنزل أولاً ، ثم نخوض فى هذا الحديث بعد ذلك " .

قالت : " يجب أن أخبر ستيلا ـــ " .

قال : " سأخبرها أنا ، إننى لم أحضر سيارتى ، أين مفاتيح سيارتك ؟ " .

قالت : " مم ، فى حقيبتى ، خلف النضد ، يا هاربر ، إننى حقًا أشعر .... " .

فتح باب السيارة ودفعها برفق إلى داخلها وقال : " سأحضر حقيبتك " .

كانت ستيلا تجلس وراء النضد عندما هرع إلى الداخل وقال : " أريد حقيبة هيلى ، إننى سأصطحبها إلى المنزل " .

قالت : " آه ، هاربر ، هل أصابها التعب والإنهاك ؟ إننى جد آسفة ، إننى ـــ " .

انتزع الحقيبة من يد ستيلا وقال : " إن الأمر ليس كما تظنين ، سأشرح لك فيما بعد ، أخبرى أمى بأن تأتى ، أخبريها بأننى أريدها أن تأتى إلى المنزل الآن " .

على الرغم من أن هيلى كانت ثائرة إلا أنها شعرت بأنها أفضل ، واصطحبها إلى المنزل ، ثم أشار إلى ديفيد قائلاً : " أعد لها بعضاً من الشاى " .

قال ديفيد : " ماذا أصاب فتاتنا العزيزة ؟ ...

قال هاربر : " فقط عليك إحضار الشاى ، وكذلك أجعل ميتش يحضر إلى هنا " .

قالت : " هاربر ، إننى لست مريضة ، إننى فقط متعبة من شدة الحرارة " ولكن كان من الصعب أن تحاول مع رجل يلقى بها فوق الأريكة .

مرر أنامله فوق وجنتيها وقال : " إن هناك شيئاً يقلقنى ، فأنت لا تزالين شاحبة " .

قالت : " قد يكون سبب ذلك ، إننى مازلت أشعر بالحرج من جراء ما تفوهت به من عبارات ، كان لا يجب علىّ أن أقول ذلك على الإطلاق يا هاربر حتى إن كنت غاضبة " .

نظر حوله بينما كان ميتش يدخل الحجرة وقال : " إنك لم تكونى غاضبة إلى هذا الحد " .

قال ميتش : " ما الذى يجرى هنا ؟ " .

قال : " لقد حدث شيء ما " .

اتجه ميتش ناحية الأريكة بجوار هيلى وقال : " ما الأمر يا عزيزتى ؟ " .

كانت تشعر بوهن شديد فارتسمت ابتسامة خجلة على وجهها وقالت : " لقد أصابتنى الحرارة بالهذيان " .

فقال هاربر مصححاً : " إنها ليست الحرارة ولست أنت الغاضبة أو من أصابك مس من الجنون ، إن أمى فى طريقها إلينا فعلينا أن ننتظرها " .

قالت : " هل تحدثت إلى روز وجعلتها تترك عملها لتأتى إلى هنا ؟ إننى أشعر بالاستياء " .

قال هاربر بلهجة آمرة : " اهدئى " .

قالت : " إننى لا ألومك إذا ما انتابك الغضب من ناحيتى ، ولكنى لن أستلقى هنا و ـــ " .

قال : " بل ستفعلين ، وأمامنا ساعتان حتى نحضر ليلى ، وسيذهب واحد منا لإحضارها " .

ولم يسعها سوى أن تطبق فمها فى صمت ، بينما كان ديفيد يحمل صينية الشاى إلى داخل الحجرة ، فقال له

هاربر : " هل يمكنك أن تحضر ليلى من عند جليسة الأطفال ؟ " .

قال ديفيد : " ليست ثمة مشكلة فى ذلك " .

قالت هيلى : " لأنها ابنتى ، فأنا التى سأقوم بإحضارها " .

قال لها هاربر ملاحظاً : " لقد تغير لون بشرتك مرة أخرى ، عليك تناول الشاى " .

قالت : " أرجوك ، لا أريد تناول أى شيء " .

قال ديفيد وهو يضع حامل الشاى ويقوم بصبه : " وها هو السكر ، إنه شاى أخضر لذيذ عليك أن تكونى فتاة لطيفة " .

قطبت جبينها ولكنها أمسكت بقدح الشاى وقالت : " أرجوكم أن تكفوا عن هذا ، فإننى أشعر بأنى بلهاء ، ولكن طالما طلبت منى ذلك يا ديفيد فسأفعل ، ثم قطبت جبينها ثانية وهى ترتشف من الشاى ، ثم تمتمت بكلمات غاضبة وهى تسمع صوت روز وهى تدلف من الباب الأمامى .

" ما الأمر ، ماذا حدث ؟ " .

قالت هيلى : " إن هاربر فى حالة ثورة " .

قالت روز وهى تربت على يديه وقد أزاحتهما جانباً حتى تتفحص ابنها هاربر وقالت : " متى ستتخطين كل هذا ؟ " .

قالت هيلى : " روز ، إننى آسفة لما سببته من مشكلات ، لقد أصابنى التعب والقلق من فرط الحرارة ، وسأعمل وقتاً إضافياً فى الغد حتى أعوض الوقت الذى ضاع اليوم " .

قالت : " أوه حسناً ، إننى بذلك لن أقوم بفصلك يا هيلى ، والآن أرجو أن يخبرنى أحد بما حدث " .

قال هاربر : " كانت تعمل خلال الحرارة الشديدة " .

قالت : " لقد بذلت بعض المجهود ولكنه ليس ـــ " .

قال : " ألم أقل لك من قبل أن تهدئى ولا تتحدثى ؟ " .

فوضعت القدح جانباً وقالت : " لا أعرف متى ستكف عن الحديث معى بهذه اللهجة " .

وكانت النظرة التى رمقها بها نظرة رائعة وعذبة كنبرته تماماً وقال : " ربما أنه لا يفلح معك شىء ، فإننى أطلب منك أن تصمتى لقد اصطحبتها إلى مكان ظليل ، ثم سكبت عليها بعض المياه " ، ثم استطرد قائلا : " وتحدثنا لدقيقتين ، ثم حدثت بيننا مشادة كلامية ، وفى منتصفها ، لم تكن هى التى تحدثنى بل إميليا " .

قالت : " لا ، ليس معنى أننى تفوهت ببعض الأشياء التى ما كان يجب أن ـــ " .

فقال : " هيلى ، إنك لم تكونى أنت التى تفوهت بهذا الكلام " ثم وجه حديثه لميتش قائلا : " لقد بدت مختلفة ، لقد كانت نبرة صوتها مختلفة ، أما لهجتها فكانت لهجة أهل ممفيس تماماً ، وليست أركانساس ، أما عيناها فكانتا ، لا أعرف كيف أصفهما لك ، لقد بدوتا باردتين وتوحيان بعمر أكبر من عمرها الحقيقى " .

شعرت هيلى بالبرودة وقالت : " هذا ليس معقولاً " .

قال : " إنك تدركين ذلك تماماً ، وتعرفين أنه حدث " .

جلست روز بجوار هيلى وقالت : " حسناً ، إذن ماذا حدث من وجهه نظرك يا هيلى " .

قالت : " لم أكن أشعر بأنى على ما يرام ـ بفعل الحرارة ، ثم حدثت مشادة بينى وبين هاربر ، وأثار غضبى هذا كل ما حدث ثم رددت أنا عليه ، وقلت أشياء ، لقد قلت ... " .

وارتعدت يداها وهى تمسك بروز وقالت : " يا إلهى ، لقد شعرت بأنى انفصلت عن الواقع ، لا أدرى كيف أصف ذلك وفى ذات الوقت ، كنت أشعر بأنى فى قمة غضبى ، ولم أكن أدرى ماذا أقول ، فبدا الأمر وكأنى قد توقفت أنا عن الحديث ثم ناداني باسمى ، وشعرت بالتوتر وللحظة أصبحت لا أتذكر شيئاً ـ ثم شعرت بتبلد ذهنى وكأننى أفقت من غفوة للوهلة الأولى ، وشعرت بالغضب والتوتر " .

فقال لها ميتش فى عذوبة : " هيلى ، هل حدث ذلك من قبل ؟ " .

أغلقت عينيها للحظة وقالت : " لا ، لا أدرى ، لقد انتابتنى هذه الأفكار وتلك الحالة المزاجية ، وكل تلك الأشياء ليست من صفاتى ، قد كان هذا سوء خلق . لقد كنت أشعر بأنى سيئة الأخلاق وكأننى جارية أو عشيقة ، وهذا كل ما فى الأمر يا إلهى كيف سأتصرف ؟ " .

نصحها هاربر قائلا : " عليك أن تتحلى بالهدوء وسنتباحث فى الأمر " .

هزت رأسها قائلة : " من السهل عليك أن تقول ذلك فأنت لا يتقمصك شبح مضطرب ذهنيا " .

dodyadodo www.rewity.com

الفصل السابع

عقبت ستيلا قائلة وهى تجلس فى حجرة المعيشة بالطابق العلوى مع روز وهيلى وفى يدها زجاجة من العصير : " إننا نستعيد الأيام الخوالى " .

قالت هيلى : " علىَّ أن أقوم بإعداد العشاء لليلى " .

رشفت روز بعضاً من العصير ، ثم التقطت ثمرة من العنب الأخضر المحلى الذى كان قد أحضره ديفيد . قالت : " هيلى ، أنت تعلمين جيداً أنها فقط لن تأكل ولكنها تعتنى بكل الرجال الموجودين فى المنزل وستنشر البهجة بينهم " .

قالت ستيلا : " أعتقد أن هذا تدريب جيد بالنسبة للوجان ، فنحن نعتقد أنه قد يمكننا إنجاب طفل آخر " .

وللمرة الأولى شعرت هيلى بالسعادة وهى تقول : " حقاً ، أعتقد أن ذلك رائع ، وسيكون طفلاً جميلاً وأعتقد

أن جافين وليوك سيشعران بالسعادة إذا ما أنجبتما لهما أخاً وأختاً " .

قالت : " إننا لا نزال نتباحث الأمر ولم نأخذ قراراً بعد " .

سألت روز ، هيلى : " هل تشعرين بأنك أفضل الآن ؟ " .

قالت : " نعم ، أشعر بأنى أفضل بكثير ، وآسفة لأننى قد سببت لك إزعاجاً " .

قالت : " أعتقد أننا من الممكن أن نسمح لك بأن تفقدى أعصابك بين الحين والآخر ، إنك لا ترغبين فى أن تقصى لنا عما وصفه ميتش بأنه أثارك ، لقد كنت فى حاجة إلى بعض الوقت لكى تنفسى عن غضبك وها أنت بالفعل قد حصلت عليه " .

قالت : " لا شىء يجعل الرجال تهرب سوى ثورة النساء فى وجوههم " .

قالت روز : " وهو شىء أعتقد أنك كنت ترغبينه على أية حال " ، رفعت روز حاجبيها وهى تلتقط بعضاً من حبات العنب وقالت : " إنك لا ترغبين فى مناقشة ذلك مع ميتش ، وما هى المشادة التى حدثت بينك وبين هاربر - وما قالته له أو ما قالته إميليا " .

وبدلاً من أن ترفع عينيها لتلتقيا بعينى روز ، ثبتت هيلى عينيها على الصحن الكبير لكى تهرب من الرد عليها وقالت : " لا أرى شيئاً ذا أهمية فيما قلته ، ولكن المهم هو ما حدث بالفعل ، أعتقد أنه يجب علينا جميعاً أن ... " .

وكان صوت روز عذباً وهى تقول : " هذا هراء ، فكل شىء مهم وأية تفاصيل مهما كانت صغيرة فهى ذات أهمية . إننى لم ألح على هاربر لكى يقص ما حدث ولكنى سأفعل ، ولكنى أفضل أن أسمع منك ما حدث ، وأعتقد أن

الأمر يمسنا جميعاً ، لذا عليك أن تنحى كبرياءك جانباً يا هيلى وقصى ما حدث " .

قالت : " إننى آسفة ، لقد تحايلت عليك واستغللتك " .

سألتها روز : " وكيف فعلت ذلك ؟ " .

أخذت هيلى رشفة من كوب العصير وقالت : " لقد أبديت إعجابى بـ هاربر " .

قالت روز : " ثم ؟ " .

أربكها هذا السؤال للحظة فقالت : " ثم أويتنى فى منزلك أنا وليلى وتعاملت معنا كأسرة واحدة ، بل أكثر من ذلك ، وإنك ـــ " .

قالت روز : " لا تدفعينى للندم على أشياء لا يعنينى التفكير فيها ، فهاربر رجل ناضج وقادر على اتخاذ قراراته بنفسه فيما يخص أشياء كثيرة ، وإذا كنت قد أشعرته بانجذابك نحوه ، فهو قادر على أن يصدك أو يبادلك ذلك إذا شاء " .

وبينما ظلت هيلى صامتة ، اتكأت روز بظهرها للوراء وفى يدها كوب العصير ورفعت ساقيها لأعلى وأخذت ترتشف من العصير وأردفت قائلة : " وإننى أراهن أن ابنى سينجذب إليك " .

قالت هيلى بسرعة عندما أدركت رد فعل روز بالنسبة لما حدث : " لقد دار حديثنا واقتربنا من بعضنا البعض فى المطبخ وكانت ليلى معنا وكانت تلك هى المرة الأولى التى أتحدث فيها إلى هاربر بهذا الأسلوب وأشعره بميلى نحوه ... " .

فغمغمت روز قائلة : " المطبخ " .

فارتعدت هيلى قائلة : " نعم ، نعم ، هذا ما حدث ؟ وفى تلك الليلة قامت هى بتدمير المطبخ وقلبه رأساً على عقب ، لذا اعتقدت أن سبب رد فعلها العنيف هذا يكمن فى انجذابى نحوه ، ثم أخبرته بعد ذلك بأن ذلك كان تصرفاً طائشاً وأننى لا أهتم مطلقاً بإقامة أى علاقة بيننا وأعتقد أننى قد جرحت مشاعره ، ولكن ذلك أفضل من أن يحدث شىء آخر ويصاب هو بسوء " .

قالت روز وهى ترقب هيلى من وراء الكوب الزجاجى الذى تمسكه بيدها : " ممم ، " ثم شعر هو بالاستياء لذلك .

وضعت هيلى الكوب جانباً حتى تستطيع أن تعبر بكلتا يديها بحرية وقالت : " ليس كذلك بالضبط ، فقد تفوه عن عمد بكلمات أغضبتنى لأن كل ما حدث بيننا كان مجرد ملاطفة ليس أكثر من ذلك لم تتعد الأمور مرحلة الإعجاب والمشاعر البريئة " .

وقالت روز : " نعم ، أعلم ذلك " .

أكملت هيلى : " ولكننى لست سيئة إلى هذا الحد و ـــ " .

قاطعتها ستيلا قائلة : " كلنا يعلم ذلك ، ولا نشك فيه حتى لدقيقة واحدة ، وإننا نتفهم جيداً كونك بحاجة إلى رجل يساندك ويحنو عليك ، ولا أريدك أن تتحدثى عن نفسك بهذا الأسلوب لأنك صديقة حميمة بالنسبة لى " .

ابتسمت روز وانحنت للأمام وقالت : " عظيم " .

قال ستيلا : " أشكرك " .

قالت هيلى بعد دقيقة : " لقد نسيت أين توقفت " .

قالت ستيلا لتساعدها كى تتذكر ما قالته : " لقد احتدم النقاش بينك وبين هاربر وإنك لست سيئة إلى هذا الحد " .

www.rewity.com dodyadodo

جعلها ذلك تضحك واستأنفت قائلة : " حسناً ، لقد احتدم النقاش بيننا ، ثم حدث ما قلته وتفوهت ببعض الكلمات التى لم أعلم من أين أتت ، فقد شعرت بأن كل الرجال غشاشون ومحتالون . والنساء بالنسبة لهم ما هن إلا نزوات عابرة وعلاقات سريعة وفى بعض الأحيان يعاملونهن كعشيقات ، لكن تفوهت بكلمات غير لائقة وذلك لم يكن صحيحاً ، وليس هو ما أشعر به وبخاصة فيما يتعلق بهاربر " .

ذكرتها ستيلا قائلة : " عليك أن تتذكرى أولاً أنك لست أنت التى تفوهت بهذه الكلمات ، والشىء الثانى أن الكلمات والأسلوب الذى تحدثت به ينطبق تماماً على إميليا وعلى سلوكها وأفكارها ، فالرجال هم أعداؤها ، والعلاقات العاطفية هى أكثر ما يثيرها " .

قالت روز : " هل حدث أن قال لك هاربر شيئاً أثار حفيظتك أو قلل من شأنك قبل ظهور إميليا ؟ " .

التقطت هيلى كوب العصير مرة أخرى ونظرت إلى روز قائلة : " إنه لم يكن يعنى ما فهمته " .

حركت روز رأسها وقالت : " لا تختلقى الأعذار من أجل ابنى فلو كانت شخصيته متكاملة ، لما كان ابنى ، المسألة هى أنك شعرت بذلك ، فظهرت هى وتلفظت بتلك الكلمات " .

قالت : " روز ، أريدك أن تعلمى أننى لن أكمل علاقتى بهاربر فهذا شىء شخصى " .

رفعت روز حاجبيها وقالت : " أهو كذلك ؟ وما العيب فيه ؟ " .

نظرت هيلى إلى ستيلا لكى تساندها فيما تقول وقالت وهى تبتسم : " لا شىء يعيبه على الإطلاق " .

قالت روز : " إذن ، فأنت منجذبة إليه ، ولا شىء يعيبك ولكنك تريدين أن تنهى العلاقة قبل أن تبدأ ، لماذا ؟ " .

قالت هيلى : " لأنه ... " .

أكملت روز حديثها وقالت : " لأنه ابنى ؟ وما الذى يعيبنى ؟ " .

مدت هيلى يدها ووضعتها على وجهها ثم قالت : " لا شىء ! ، إن الأمر جد محرج " .

قالت روز : " أتوقع أن تتعاملى أنت وهاربر مع هذا الأمر بنجاح ، ويجب أن تبعدانى عن هذه المسألة ، ولكنى سأبدى ملحوظة لكونى أمه ، إذا علم هاربر بأنك تدفعينه بعيداً عنك وتغلقين الباب فى وجهه من أجل حمايته من ضرر قد يلحق به فى المستقبل ، فسوف يواجه هذا الخطر ولن يتخلى عنك ، وسوف أشجعه وأبدى استحساناً لرد فعله هذا " .

قالت هيلى : " إنك لن تخبريه ، أليس كذلك ؟ " .

قالت : " ليس من شأنى أن أخبره ، إنه شأنك أنت " ، ثم هبت واقفة وقالت : " والآن ، سأهبط لأسفل ، وسوف أناقش هذا الأمر مع ميتش خلال العشاء ، وفى نفس الوقت ، أعتقد أنه لديك ساعة لكى تغضبى خلالها ، وأتوقع بعد ذلك أن تستعيدى حالتك الطبيعية " .

أشارت ستيلا بكوب العصير الذى تمسك به فى يدها ثم ارتشفت منه وقالت : " إنها مروعة ، أليس كذلك ؟ " .

اشتكت هيلى قائلة : " لم تكونى لى عوناً كبيراً " .

قالت : " قد كنت كذلك بالفعل ، فلقد كنت أوافقها على كل شيء قالته فى النهاية ، ولكنى لم أتفوه به ، فأعتقد أن ذلك كان بمثابة دعم كبير لك ، لقد أصبحت على ما يرام بعد تلك الساعة التى استغرقتها فى الغضب والتذمر ، ولم يتبق أمامك سوى دقيقتين فقط " .

قالت هيلى : " من الأفضل أن تغلقى فمك ثانية " .

قالت ستيلا : " أحبك يا هيلى " .

قالت : " يا إلهى " .

قالت ستيلا : " وإننى قلقة بشأنك ، وكلنا كذلك ، لذا سنتباحث فى هذا الأمر ، جميعاً ، وفى نفس الوقت عليك أن تقررى ما هو الأفضل بالنسبة لعلاقتك أنت وهاربر ، لا يجب عليك أن تدعى إميليا تفسد الأمور " .

قالت : " إنه من الصعب أن تلومنى على الأمور بهذا الشكل ، إنها تكمن بداخلى وتتقمصنى يا ستيلا " .

نهضت ستيلا ، واتجهت نحو الأريكة لتجلس بجانب هيلى لتضع يدها على كتف صديقتها " .

همست هيلى قائلة : " إننى جد خائفة مما يحدث " .

قالت ستيلا : " وأنا أيضا " .

كانت تشعر بانها تسير على قشر بيض ولكنه كان حاداً كشفرة سكين ، فقد أصبحت تتشكك فى كل شيء تفعله أو تقوله .

فقد كانت هذه طبيعتها قررت ذلك وهى تبدل ملابسها استعداداً للنوم ، فلقد تذوقت سلطة المكرونة ، والطماطم الطازجة على العشاء ، ولقد كانت تشعر بصداع شديد فى رأسها ، وهى تضع ليلى فى مهدها .

ولكن إلى متى تظل هكذا تبالغ فى حساب كل تصرف وكل نفس تتنفسه دون أن تصاب بالجنون ؟

هناك أشياء عليها القيام بها ، وستبدأ فى القيام بها فى اليوم التالى ، لكن أول شيء هو إرهاق ميزانية بطاقة الائتمان بشرائها للكمبيوتر المحمول . فشبكة الإنترنت مليئة بمعلومات كثيرة عن المس والاستحواذ .

وقد حصلت على معظم معلوماتها عن هذا الموضوع من خلال الكتب والروايات ، وقد كانت تستمتع حينئذٍ بالوخز الذى كانت تشعر به فى عمودها الفقرى كلما استمعت إلى هذه القصص ، ربما يمكنها الآن أن تقوم بتطبيق ما قرأته على موقفها الآن وأول رواية ترامت إلى ذهنها كانت رواية كريستين لستيفن كينج ولكن إميليا امرأة وليست سيارة قديمة عندما فكرت فى الأمر ملياً وجدت أن تحطيم سيارة إلى قطع صغيرة ليس حلاً عملياً وعلى كل لم ينجح الأمر على أية حال .

ثم فكرت بعد ذلك فى رواية قاهر الأرواح الشريرة ، ولكن ذلك الفيلم يتناول الشياطين ، ولكن إذا تطور الأمر للأسوأ فإنه يمكنها أن تذهب إلى رجل دين ، وبالفعل ذهبت لزيارة دور العبادة .

قررت أنها ربما تكون مبالغة فى ردود أفعالها ، ثم ارتدت تى شيرت وسروالاً قصيراً من القطن ، وليس معنى أن ذلك حدث مرة ، أنه سيتكرر مرة أخرى ، وبخاصة أنها تدرك ما يحدث لها الآن فبإمكانها أن تمنعه من الحدوث ، قدرتها على السيطرة على نفسها .

ربما تكون بحاجة إلى أداء بعض تمرينات اليوجا ، ومن يدرى ربما تكون علاجاً للاستحواذ أو المس .

لا ، إن ما ستفعله الآن هو استنشاق بعض الهواء النقى ، فقد بدأت العاصفة الرعدية التى انتظرتها فى الهبوب ، وأخذت الرياح تهب ، ولمحت وميض البرق من خلال النافذة ، سوف تفتح باب الشرفة وتدع الهواء يملأ الغرفة ، ثم ستقرأ شيئاً خفيفاً كرواية رومانسية كوميدية ، ثم بعد ذلك تخلد إلى النوم .

اتجهت نحو الباب وجذبته بعنف .

ثم لمحت شبحاً أمامها فصرخت .

جذبها هاربر قبل أن تطلق صرخة ثانية وقال : " يا إلهى ، يا إلهى إننى لست بسفاح ، هدئى من روعك " .

قالت : " أهدأ ؟ لقد أفزعتنى وتطلب منى أن أهدأ ؟ " .

قال : " إننى لم أكن أتسلل ، بل كنت على وشك أن أقوم بقرع الباب عندما كنت تفتحينه ، وأعتقد أنك قد ثقبت طبلة أذنى " .

قالت : " أتمنى ذلك ، ماذا تفعل هنا بالخارج ؟ إن هناك عاصفة على وشك الهبوب " .

قال : " لسببين ، أولهما أننى لمحت أضواء الحجرة وأردت أن أطمئن عليك وأتأكد من أنك على ما يرام " .

قالت : " كنت كذلك قبل أن تصيبنى بأزمة قلبية " .

قال وهو يتفرسها من أعلى حتى أخمص قدميها : " عظيم ، ما هذا الثوب اللطيف " .

قالت وقد بدا عليها الضيق ومدت يدها لتخفى بها جسدها وهى تقول : " كف عن هذا ، إنه يشبه الثوب الذى أرتديه عندما أجرى فى الحديقة مع الأطفال " .

قال : " نعم ، لقد شاهدتك وأنت تجرين حول الحديقة ، والسبب الثانى هو أننى كنت أفكر فيما حدث فى فترة ما بعد الظهيرة " .

قالت : " هاربر ، إننى لا أستطيع التفكير فى أى شىء آخر منذ ساعات " ، ثم مررت أصابعها خلال شعرها وقالت أعتقد أنى لا أستطيع التفكير فيما حدث ثانية فى هذه الليلة " .

قال : " لا ينبغى عليك التفكير فيه ثانية ، ولكن كل ما عليك هو إجابة سؤال ما " ، وعندما هم بالدخول ، دفعته إلى الخلف بقوة .

قالت : " لم أطلب منك الدخول ، وأعتقد أنها ليست فكرة جيدة أن تدخل إلى الحجرة وأنا فى رداء النوم " .

رفع حاجبيه وهو يتكئ على مقبض الباب ، وفكرت فى أن دهشته تلك ترمى إلى أنه من يمتلك المكان وليس هى . وهذا حقيقى .

قال لها : " دعينى أوضح لك بعض الأشياء ، إنك جئت إلى هنا منذ ما يقرب من عام والنصف وخلال ذلك الوقت كنت أمنع نفسى من الاختلاط بك ، وأعتقد أنه يمكننى أن أستمر فى ذلك لعدة دقائق أخرى " .

قالت : " إنك تشعر بالقلق ، أليس كذلك ؟ " .

قال : " إننى أشعر بالقلق بالفعل وبخاصة عندما تصرين على أن يستمر حوارنا وأنا أقف هنا بالخارج وأنت بالداخل " .

وبدأت حبات المطر تتساقط ، فرفع حاجبيه مرة ثانية ، بنفس طريقة أمه .

قالت : " حسناً ؟ يمكنك أن تتدخل الآن ، بدلاً من الوقوف هكذا مبتلاً كالأبله " .

قال : " أشكرك جزيل الشكر " .

أشارت بأصابعها نحو الباب وهى تقول : " اترك هذه الأبواب مفتوحة ، فإنك لن تمكث طويلا " .

فقال : " حسناً " .

هبت الرياح بشدة وأعقبها هدير الرعد ، ووقف وهو يضع أصبعى الإبهام فى جيبى سرواله الجينز .

وتساءلت لماذا لم تهذ بأى كلمات .

بدأ حديثه قائلاً : " أتدرين ، عندما بدأت أهدأ ، وأقلب ما حدث فى رأسى ، كما فعلت أنت ، حدث شىء أثار اهتمامى " .

قالت : " هل ستلقى خطبة أم تطرح سؤالا ؟ " .

مال برأسه نحوها وقال : " لقد دأبت على تجاهلى منذ أن قدمت إلى هنا ، ولقد تحملت ذلك لعدة أسباب ، ولكن الشىء الثير الذى حدث لى بعد ذلك هو التغيير الذى اعتراك ، لقد حاولت التقرب إلىّ ولكنك أردت أن تأخذ علاقتنا الوقت الكافى لكى تنمو على مهل ، وفجأة انقلب كل شىء وأخبرتنى بأن ما حدث كان مجرد نزوة وأنك لست على استعداد للدخول فى أى علاقة " .

قالت : " هذا صحيح وإذا كان سؤالك هو أننى قد غيرت رأيى ... " .

قال : " ليس هذا سؤالى ، ولكن خلال تلك الفترة ، زارتنى إميليا المجنونة التى قامت بتدمير مطبخى وقلبه رأساً على عقب وهو ما حدث أولاً ، وسؤالى هو كيف أثر ذلك على مشاعرك تجاهى ؟ " .

قالت : " لا أفهم ، ماذا تعنى ؟ " .

قال : " إنك تكذبين الآن ، فى وجهى " .

قالت وقد بدت تعبيرات الشفقة على وجهها والتى بدأت تشعر بها حقاً : " أرجو أن تتركنى الآن يا هاربر ، فأنا متعبة وأشعر بصداع ، فاليوم شاق بالنسبة لى " .

قال : " لقد تراجعت لأنك اكتشفت أنها لا تريد أن يكون بيننا أى علاقة ، ولقد قامت بإعطائنا إنذاراً أولياً " .

قالت : " لا ، لقد تراجعت لأن هذا موقفى بالفعل وأعتقد أن ذلك كافٍ " .

قال : " يجب أن يكون الأمر كذلك إذا كان ما تقولينه صحيحاً ، ولتعلمى أننى لن أجبرك على شىء لا تريدينه ، ولن أفعل ذلك مع أى امرأة لا تريدنى ، فإننى لدىّ من الكرامة والكبرياء ما يمنعنى من الإقدام على ذلك " .

ثم خطا خطوة نحوها وقال : " وهذه هى نفس الأسباب التى تجعلنى أواجه أى معركة وألا أهرب منها وأجعل شخصاً آخر يحمينى " .

ثم حنى رأسه ثانية وانحنى على ركبتيه وقال : " لذا ، لا تعتقدى أننى سأتركك تفعلين ذلك يا هيلى ، وأن تتخلى عن علاقتنا من أجل حمايتى " .

رفعت حاجبيها وقالت : " لقد قلت إنك لا تفرض نفسك على أى امرأة لا تريدك ولكننى أشعر بذلك الآن و ـــ " .

قال : " لقد أردتك منذ اللحظة الأولى التى رأيتك فيها " .

وضعت يدها جانباً وقالت : " لا ، ليس هذا صحيحاً " .

قال : " لقد أشرقت حياتى منذ الوهلة الأولى التى رأيتك فيها " ، ثم ثبت عينيه على عينيها ووضع يده على صدره وقال : " إننى لا أدرى ماذا أقول " .

www.rewity.com dodyadodo

وضعت يدها على قلبها وهى تأمل أن يظل مكانه وقالت : " يا إلهى ، كف عن هذا الكلام ، لا يجب عليك أن تتفوه بمثل هذه الكلمات " .

قال : " ربما " ، ثم ارتعشت شفتاه ، وكانت تطل من عينيه نظرة دافئة وقال : " لن تكون مجرد كلمات فقط " ، ثم مد يده وأحاطها بذراعيه .

قالت : " هاربر ، لا يجب علينا أن ـ " ، ثم ضمها إليه بشدة وهم بتقبيلها وهو يهمس إليها بكلمات حانية .

قالت : " يجب علينا أن نكف عن هذا " .

ولكنه لم يبتعد عنها وظل يطوقها بذراعيه .

قائلاً لها : " إننى أحبك يا هيلى ولن أبتعد عنك إننى أرغب فى أن تكونى شريكة حياتى إلى الأبد ، لا يجب أن ندع أى ظروف تقهر حبنا هذا " .

قالت : " إننى خائفة يا هاربر ، خائفة عليك وعلى حياتى وعلى ابنتى لا أدرى ماذا يمكن أن يحدث " .

قال وقد ضمها إلى صدره بقوة وكأنه يحميها ويبعث إلى قلبها الشعور بالدفء والأمان : " لا تخافى حبيبتى فأنا هنا معك " . وشرع فى تقبيلها .

وفجأة قالت : " هاربر ، يا إلهى ، توقف ، انظر " .

كانت إميليا تقف عند عتبة الباب ، وهبت عاصفة شديدة ، من خلفها ومن حولها ، واستطاعت هيلى أن ترى الأشجار وهى تهتز بشدة ، وتكاثفت السحب بشدة فى السماء .

وكان شعرها أشعث أغبر ، وقد تلطخ ثوبها الأبيض بالطين الذى كان يتساقط منها مكوناً بركة أسفل قدميها العاريتين الملطختين بالدماء وكانت تحمل فى إحدى يديها

سكيناً طويلة وفى اليد الأخرى حبلاً ، وكان يعلو وجهها غضب جامح .

ارتعدت هيلى من الخوف وهى تقول : " هل تراها ؟ إنك تراها " .

قال هاربر : " نعم ، نعم أراها " ، وقد تحرك حركة سريعة فأصبحت هيلى تقف خلفه ، ثم أردف قائلاً موجهاً حديثه إلى إميليا : " عليك أن تكفى عن ذلك ، أنت ميتة الآن ، أما نحن فلا ، نحن أحياء " .

ولكن هبت ناحيته عاصفة شديدة ، فألقت به للخلف مسافة خمس أقدام فارتطم بالحائط وشعر بمذاق الدماء فى فمه .

صاحت هيلى : " كفى عن هذا " ، ثم جعلها الخوف تخطو ناحية هاربر وهى تقاوم الرياح الشديدة الباردة . ثم قالت : " إنه حفيدك ، إنه قطعة منك وينتسب إليك ، لقد كنت تغنين له حينما كان طفلاً صغيراً ، فلا يجب أن تلحقى به أى أذى الآن " .

ثم بدأت تتجه ناحيتها ، وهى لا تدرى ما الذى يمكن أن تفعله إذا ما اقتربت من إميليا ، وقبل أن يجذبها هاربر للخلف ، هبت رياح شديدة فعصفت بها للخلف وجعلتها تقع وتتمدد على الأرض ، وخيل إليها أنها سمعت صرخة غضب أو ألم وحزن ثم فجأة هدأ كل شىء ولم يبق سوى صوت الرياح .

انحنى هاربر بجانبها ليساعدها على النهوض وهو يقول : " هل جننت ؟ " .

قالت : " لا ، هل فقدت صوابك أنت ؟ إنك من ينزف فمه " .

مسح فمه بجانب يده وهو يقول : " هل أصابك أذى ؟ " .

قالت : " لا ، لقد ذهبت ، لقد ذهبت أخيراً ، يا إلهى ، هاربر لقد كانت تمسك بسكين " .

قال : " لقد كان منجلاً ، وهو جديد " .

قالت : " ولكنه ليس حقيقياً ، أليس كذلك ؟ أعنى أنها ليست آدمية ، لذا ، فليس كل ما تمسك به حقيقياً ، فهى لا يمكنها أن تستخدم هذا المنجل لإيذائنا ، أليس كذلك ؟ " .

قال : " لا " ولكنه أخذ يتساءل إذا ما كان يمكنها أن تجعل المرء يتخيل أن السكين قد أصابتك بالفعل ، أو تجعل المرء يلحق الضرر بنفسه وهو يحاول حماية نفسه منها .

جلست هيلى على الأرض وهى تحاول أن تلتقط أنفاسها ومالت نحوه وهى تنظر ناحية الأبواب المفتوحة وقالت : " عندما جئت إلى هنا أول مرة ، كنت حاملاً ، وكانت إميليا تأتى إلى حجرتى أحياناً ، وكانت عصبية بعض الشىء ، ولكن لم يكن هناك ما يبعث على الخوف منها ، فكانت تبدو وكأنها تأتى لتطمئن علىّ وترى إذا كنت بخير ، هذا ما كنت أشعر به حينئذٍ ، أما الآن ـ فهى ... " .

وفجأة هبت من مكانها وأخذت تجرى بمجرد أن سمعت صوت الغناء ينبعث من خلال الشاشة الموضوعة لمراقبة حجرة طفلتها .

أخذت تهرول بشدة ومن خلفها هاربر ووقفت عند باب حجرة ليلى ، فقال لها هاربر : " إنها بخير ، لا تقلقى ، علينا ألا نوقظها " .

كانت ليلى تنام فى مهدها تحت الغطاء وبجوارها جروها اللعبة ، وكانت إميليا تجلس على الكرسى الهزاز

وهى تغنى وكانت ترتدى فستانها الرمادى وكان شعرها مصففاً بعناية ، وكان الهدوء والسكينة باديين على وجهها .

قالت هيلى : " إن الطقس بارد هنا " .

قال : " إنها لا تسبب أى إزعاج للطفلة ، فهى لم تسبب لى أى إزعاج عندما كنت طفلاً صغيراً ، ولا أدرى لماذا " .

وحولت إميليا رأسها نحوهما وهى مازالت جالسة على مقعدها وكان الحزن والأسى يعلوان وجهها وخيل لهيلى أن هناك نظرة ندم أيضاً ، واستمرت إميليا فى الغناء ، وكان صوتها خفيضاً ، عذباً ولكنها حولت بصرها نحو هاربر .

وعندما انتهت من الغناء ، غابت عن الأنظار .

قالت له هيلى : " لقد كانت تغنى لك ، فهناك جزء بداخلها يتذكر ما حدث ويعلم جيداً أنك تنتمى إليها ، وهى آسفة على ما حدث ، هل يمكن أن يظل إنسان مختلاً لمئات السنين ؟ " .

اتجها نحو مهد ليلى ، وأخذت هيلى تعدل من وضع الغطاء .

قال هاربر : " إنها بخير يا هيلى ، هيا بنا " .

قالت : " لا أدرى إذا ما كنت سأستطيع تحمل ما يدور فى هذا المنزل المسكون بعد الآن ، فتارة تجدها تهاجمنا بشراسة وتارة أخرى تجدها تشدو بأغانى الأطفال " .

قال موضحاً : " إنها شبح مجنون ، وقد تكون تلك وسيلتها لإخبارنا بأنها ستتعقبنى أنا وأنت ولكنها لن تؤذى ليلى " .

www.rewity.com

وأردف قائلاً : " ولكن ماذا يحدث إذا ما قمت أنا بذلك ؟ ماذا يحدث إذا ما كررت ما فعلته عند البركة ، وجعلتنى أنا أؤذى ليلى أو أى شخص آخر ؟ " .

قال : " إنك لن تسمحى لذلك بأن يحدث ، أرجو أن تجلسى لدقيقة ، أتريدين شيئاً ؟ ماء أو ما شابه ؟ " .

قالت : " كلا " .

أخذ يهدئ من روعها وهما يجلسان على جانب الفراش وأردف قائلاً : " إنها لم تؤذ أى شخص فى هذا المنزل من قبل ، ربما تكون قد رغبت فى ذلك ، وربما حاولت كذلك ولكنها لم تفعله " ، ثم أمسك بيدها ولأن يديها كانتا لا تزالان باردتين فأخذهما بين يديه وهو يقول : " وإلا كان قد تنامى إلى مسامعنا ، أن سيدة مختلة تهاجم ضيعة هاربر أو حتى خادمته ، وكانوا سيضعونها إما فى السجن أو مستشفى الأمراض العقلية " .

قالت : " ربما ، ولكن ماذا عن المنجل والحبل ؟ إنها تريد أن تقول لنا : " إننى سأقوم بتوثيق أحدكما وتقطيعه إرباً " .

قال : " لم يقطع أحد إرباً فى منزل هاربر " ، ثم نهض وأغلق أبواب الشرفة .

قالت : " هذا ما تعلمه وواضح أمامك ، ولكن قد تكون هناك أشياء أخرى لا تعلمها " .

جلس مرة أخرى وقال : " حسناً ، هذا ما أعلمه ، إذن سنخبر ميتش بما حدث ، ويمكنه أن يبحث فى سجلات الشرطة ، وهذا قد يقودنا إلى شىء " .

قالت بعد برهة : " إنك تتظاهر بالهدوء ولكنه مظهر خادع ، فهناك العديد من المشاعر والأحاسيس التى تعتمل

بداخلك ، وهذا يثبت لى أننى لم أكن أعرفك جيداً كما كنت أعتقد " .

قال : " هذا ليس حقيقيًا " .

تنهدت هيلى ونظرت إلى يديها الساكنتين فوق جانبى الفراش معاً : " إننى لا أستطيع الارتباط بك يا هاربر ، لقد كنت أظن أن ذلك ممكن فى البداية ، وبعد ذلك فكرت فى أننى لن أستطيع . فإذا ارتبطنا فسوف تتعرض للأذى " .

اكتفى هاربر بالابتسام : " هراء " .

ضربته فى ذراعه مازحة وقالت : " إنك تعتقد أنك على قدر كبير من الذكاء والحنكة " .

قال : " إننى كذلك بالفعل ، ويمكنك أن تسألى أمى إذا كانت فى حالة مزاجية مرتفعة " .

قالت وهى تتفرسه محاولة استيعاب الصفات الجديدة التى عرفتها عنه : " إنك حلو المعشر عندما تكون فى حالة مزاجية جيدة ، إننى سعيدة باكتشاف هذه الصفات الحميدة وهذه المشاعر الجميلة التى تعتمل بداخلك والله يعلم أن هناك شخصاً جميلاً بداخلك " .

قال : " إنك تعطيننى أكثر مما أستحق " .

هزت رأسها ونهضت لتتجول فى الحجرة وهى تقول : " لا ، ليس الأمر كذلك ، إنها مشاعرى الحقيقية التى أكنها ناحيتك إننى فقط أبوح بها لك الآن " .

ثم أردفت قائلة : " إننى لم أكن أعلم أننى أكن لك كل هذه المشاعر والأحاسيس الجميلة ، لقد جعلنى ظهور إميليا أفكر على مهل فى علاقتنا وليس مجرد الاندفاع وراء نزواتنا ورغباتنا " ، وحاولت ترتيب أفكارها وجلست على ذراع المقعد وهى تقول : " إننى لا أخجل من أن تكون هناك علاقة

بيننا ، وأعتقد أننا إذا كنا فى مكان آخر وموقف آخر لصارت بيننا علاقة حب كبيرة دون وجود أى تعقيدات " .

" لماذا يعتقد الناس أن علاقة الارتباط الجادة ليس بها أى تعقيدات ؟ " .

اتجهت إليه وحركت رأسها قائلة : " حسناً ، هذا سؤال جيد ، ولكنى لا أعرف إجابته " .

قال وهو يقف فى مواجهتها : " يبدو لى أن هناك تعقيدات ، ولكنى أؤكد لك أن العلاقات الجادة التى تهدف إلى ارتباط حقيقى هى التى تواجه تعقيدات فهى علاقات لا تستمر ليوم أو اثنين وإنما إلى الأبد ، ولذلك فهى ليست بالأمر السهل " .

قالت : " معك الحق ، لا أستطيع مجادلتك ، ولكن هناك الكثير من الاعتبارات التى يجب أن نفكر فيها قبل أن نقدم على هذه العلاقة الجادة من البداية ، علينا أن نتأكد من أن هذه العلاقة فى صالحنا قبل أن نقدم عليها - فهناك أشياء لا نعرفها عن بعضنا البعض وربما علينا أن نتعارف أكثر " .

" ما رأيك فى تناول العشاء ؟ " .

حدقت إليه وهى تقول : " أأنت جائع ؟ "

قال : " لا ، لا أقصد ذلك يا هيلى ، إننى أدعوك لتناول العشاء معاً ، سنذهب إلى المدينة ، ونتناول وجبة العشاء معاً ونستمع لبعض الموسيقى " .

ارتخت كتفاها ، وتلاشت الاضطرابات التى كانت تشعر بها فى معدتها وقالت : " أعتقد أنها فكرة جيدة " .

فقال لها : " أغداً يناسبك ؟ " .

قالت : " إذا لم يكن لدى أمك أو ستيلا مانع فى رعاية ليلى ، فأعتقد أنه سيكون مناسباً ، ويجب علينا أن نقص عليهما ما حدث بشأن إميليا " .

قال لها : " فى الصباح " .

قالت : " أعتقد أن الأمر سيكون محرجاً عندما نشرح لهما سبب وجودك هنا وما كنا نفعل عندما ظهرت إميليا ـ " .

أخذ وجهها بين راحتيه وهو يقول : " لا ، إنه ليس كذلك على الإطلاق ، وستكونين بخير الآن " .

نظرت إلى الباب الذى أغلقه لتوه وهى تقول : " نعم ، لقد هدأت العاصفة وعليك أن تذهب الآن وإلا ستمطر "

قال : " سأنام فى حجرة ستيلا " .

قالت : " ليس عليك أن تفعل ذلك "

قال : " سيكون ذلك أفضل بالنسبة لكلينا " .

كانت تشعر بأنها أفضل بالفعل ، على الرغم من أنها لم تستطع النوم وهى تعلم أنه ينام بالطابق الأسفل .

لم يكن شعورها نحوه مجرد نزوة عابرة وإنما شعرت نحوه بإعجاب حقيقى لم يكن نابعاً من مجرد كونه وسيماً أو جذاباً .

إنه حب صادق وحقيقى .

لقد أحبت والد ليلى بصدق وأرادت أن تنجب منه طفلاً وربما لم يكن ذلك هو شعورها فى البداية عندما ساءت بينهما العلاقة فقد أرادت أن تتخلص من الطفل ، ولكنها الآن لم ترغب فى أى شىء فى حياتها سوى طفلتها الجميلة .

www.rewity.com

تلك الطفلة الجميلة

إنها لم تأخذ شيئاً من أبيها ، أليس كذلك ؟ هذا الوغد الأنانى ذو الشخصية الضعيفة الذى استغل حزنها ، ولكنها لم تكن غبية ، فقد كان ذكاء منها أن تحتفظ بطفلتها لنفسها وألا تسمح له بأن يراها مطلقاً .

ولكنها يمكن أن تفعل أكثر من ذلك ، أليس كذلك ؟ لماذا عليها أن تعمل وتكدح ؟ وتسكن فى حجرة واحدة فى هذا المنزل الكبير فى حين أنه بإمكانها أن تمتلك المنزل بأكمله ويكون لها ولطفلتها .

إنه يحبها ويريدها ، وهى يمكن أن تستغل ذلك وتدير الأمور لصالحها ، نعم ، إنه سوف يحاول التقرب إليها أكثر ويطلب ودها ورضاها وسوف تستميله هى .

وعندما يكون طوع يدها وملك يمينها ، ستصبح ضيعة هاربر لها ولطفلتها .

أخيراً .

الفصل الثامن

كانت هيلى تراقب روز وهى تقف عند إحدى الصوب الزجاجية وتقوم بغرس أحد النباتات وقالت لها : " أواثقة من أننى لن أسبب لك أى إزعاج عندما تقومين برعاية ليلى الليلة ؟ " .

قالت : " وما الإزعاج فى ذلك ؟ " فسوف أقضى الأمسية أنا وميتش فى تدليلها دون أى تدخل منك " .

قالت : " إنها تعشق وجودها معك يا روز ، إننى أشعر أنه ليس لدى الرغبة فى مقابلة هاربر " .

" لماذا تشعرين بذلك يا عزيزتى ؟ ، إن هاربر شاب وسيم وجذاب " .

" إنه ابنك " .

ابتسمت روز وهى تغرس نباتاً آخر وتقول : " نعم ، ألست محظوظة لذلك ؟ إن لدى شابين آخرين يتمتعان

بالوسامة والجاذبية ، ولن أندهش إذا ما علمت أنهما يرتبطان بعلاقات عاطفية " .

" ولكن الأمر يختلف بالنسبة لهاربر ، إنه ابنك الأكبر ، إنه شريكك ، وأنا أعمل لديك " .

قالت : " لقد تخطينا هذه المرحلة يا هيلى " .

قالت هيلى : " أعلم ذلك ولكنى لا أستطيع أن أتقبل الأمر بسهولة مثلك " .

قالت روز : " ستفعلين ذلك إذا استرخيت وذهبت لمقابلة هاربر وقضيت وقتاً لطيفاً ، ويمكنك أن تأخذى قسطاً قليلاً من النوم حتى تختفى تلك الهالات السوداء التى تحت عينيك " .

قالت هيلى : " إننى لم أنم جيداً " .

" إننى لست مندهشة من ذلك " .

كانت الموسيقى المنبعثة من الصوبة الزجاجية ، موسيقى بيانو حالمة ، وكانت هيلى تقوم بتنسيق النباتات بمهارة أكثر من عازفى الأوركسترا ، لذا تركت الموسيقى تنبعث من حولها وهى تعمل .

قالت هيلى : " لقد كانت تنتابنى أحلام غريبة ومخيفة ولكنى لا أتذكر أياً منها بوضوح يا روز ، هل أنت خائفة ؟ " .

تراجعت روز للخلف حتى تأخذ هيلى مكانها وقالت : " إننى فقط أشعر بالقلق ، عليك غرس هذه النباتات " ، وأردفت قائلة : " وبالغضب أيضاً ، فلم يجرؤ أى أحد أن يتعرض لأولادى - ما عداى - وإذا أتيحت لى الفرصة فسأقول لها ذلك ، وإنها لن تجرؤ على أن تمس أولادى بسوء " ، ثم أكملت كلامها وهى تعقب على ما تفعله هيلى وقالت :

dodyadodo
www.rewity.com

" هذا جيد ، إن هذه النباتات لا تحتاج إلى مياه كثيرة حتى لا تتعفن " .

قالت هيلى : " ربما حصلت على المنجل والحبل من المنزل المتنقل ، أعنى منذ سنوات طوال وحاولت أن تستخدمهما ولكن منعها أحدهم " .

قالت روز : " هناك العديد من الاحتمالات يا هيلى ، وحيث أن بياتريس لم تذكر إميليا مرة ثانية فى أى من مذكراتها ، فلن يمكننا أن نعرف ما حدث " .

" وإذا لم نعرف ، فلن يمكننا إخراجها من المنزل ، هناك أشخاص - وهم أناس خارقون وفوق العادة - بإمكاننا استئجارهم لإبعادها عن المنزل " ، ثم رفعت بصرها لأعلى ناحية روز وأردفت قائلة : " لا أدرى ، لِمَ تضحكين ، إنها ليست فكرة غريبة على الإطلاق " .

" إننى فقط أتخيل وجود مجموعة من الأشخاص يحومون حول المنزل ويمسكون بالدلاء والمكانس ومعهم هذا المسدس الإشعاعى الذى استخدمه بيل موراى فى فيلم طاردو الأشباح " .

وأردفت : " الشعاع الفيتونى - أنا أعلم يا روز أن ذلك علم غير معترف به ، ولكن هنا دراسات جادة ومعتمدة - قد نحتاج إلى مساعدة خارجية " .

قالت : " إذا ساءت الأمور ، فيمكننا أن نبحث ذلك الأمر " .

قالت هيلى : " لقد بحثت فى بعض المواقع عبر شبكة الإنترنت " .

قالت روز : " حقاً يا هيلى ؟ " .

قالت : " نعم ، ذلك فى حالة حدوث أى شىء طارئ أو غير متوقع " .

نظرت كل منهما ناحية الباب عندما فُتح ودخل ميتش ، وقد جعلهما التعبير المرتسم على وجهه تحبسان أنفاسهما .

قال : " أعتقد أننى عرفت كل شىء عنها ـ متى يمكنكما الانتهاء من عملكما والعودة إلى المنزل ؟ " .

قالت روز : " بعد ساعة ، ولكن استحلفك يا ميتش ، لا تتركنا هكذا ، من هى ؟ " .

قال : " اسمها إميليا كونور ، إميليا إلين كونور ، ولدت فى ممفيس ٢٢ مايو عام ١٨٦٨ ـ وليس هناك أى شهادة وفاة مسجلة " .

قالت : " كيف ـــ " .

ابتسم لها وهو يقول : " سأقص عليك كل شىء فى المنزل ، استعدى لسماع الأخبار يا روزاليند ، أراك هناك " .

غمغمت قائلة وهو يغادر المكان : " يا إلهى ـ هذا هو سلوك الرجال دائما لقد انتهيت من العمل هنا يا هيلى ـ عليك أن تخبرى هاربر وستيلا بأن ينتهيا من عملهما ـ ويمكن لستيلا أن تخبر لوجان أيضاً إذا أرادت أن ينضم إلينا ، وسيكون عليها أن تخبر روبى بأن تقوم بعملها ـ يبدو أننا سنغادر مبكراً عن موعدنا بساعتين " .

* * *

إميليا إلين كونور . أغمضت هيلى عينيها وأخذت تردد الاسم ، وهى تقف فى ردهة منزل هاربر ، ولكن لم يحدث شىء ، ولم يظهر الشبح ، ولم يترام إليها أية معلومات ، وشعرت بحماقة ما تفعل لأنها كانت على ثقة من أن شيئاً سيحدث إذا ما صبت كل تركيزها على الاسم وهى تقف داخل المنزل .

حاولت أن تردد الاسم بصوت عال ، وبهدوء ولكن جاءت النتيجة واحدة ، لم يحدث شىءٌ ، وأخذت هيلى تحدث نفسها : إن إميليا كانت ترغب فى أن يتعرفوا عليها وأن يعرفوا عنها كل شىء .

أخذت تردد بصوت عال : " إميليا إلين كونور ، إننى أعرف أنك أم ريجنالد إدوارد هاربر " .

ولم يكن هناك أى رد فعل سوى السكون التام ورائحة زيت الليمون الخاص بديفيد وزهور روز .

وقررت أن تحتفظ بنتائج تجربتها الفاشلة لنفسها ، فاتجهت صوب المكتبة .

كان ميتش وروز هناك بالفعل ، وكان ميتش ينقر على حاسبه المحمول .

أخبرتها روز بصوت ينم عن السخط قائلة : " إنه يقول إنه يريد أن يدون بعض المعلومات قبل أن ينساها ، وستيلا فى المطبخ مع ديفيد ، وولداها عند جدهما اليوم ، وسينضم إلينا لوجان وأعتقد أن هاربر سيأتى أيضاً " .

رفعت هيلى كتفيها وهى تقول : " لقد قال هاربر إنه سيأتى ، إنه عليه أن ينتهى من ... لا أدرى مما سينتهى بالضبط " .

لوحت روز بيدها وهى تقول : " اتخذى مقعداً ، فالدكتور كارينج يصر على تشويقنا " .

قال ديفيد وهو يجر عربة الشاى ويتقدم ستيلا : " ها هو الشاى المثلج والبسكويت " ثم أومأ برأسه نحو ميتش وهو يقول : " هل استطعتم الحصول على أى معلومات منه ؟ " .

قالت روز : " ليس بعد ، ولكنى سأضطر إلى أن أفعل ذلك بالقوة يا ميتش ! " .

قال : " أمهلينى خمس دقائق فقط " .

حولت روز بصرها إلى هيلى التى قالت : " إنه اسم بسيط ، أليس كذلك ؟ " هزت هيلى كتفيها عندما نظرت روز إليها وأردفت قائلة : " آسفة ، لم انتبه ، لقد كنت أفكر فى الأمر . إن إميليا اسم أنثوى وسلس ، ولكن بقية الاسم . إلين كوتور ، إنه اسم جامد وبسيط ، وبقية الاسم سلس أو غريب إلى حد ما ، ثم إن اسم إميليا يعنى مجد أو كادح ـ لقد بحثت عن أصوله " .

قالت روز بإعجاب : " أفعلت ذلك حقاً " .

قالت هيلى : " ولكن شخصيتنا بعيدة عن الاسم تماماً ، وأعتقد أن إلين مشتق من هيلين ، هيلين الخاصة بحرب طروادة ، لذا فالاسم أنثوى ودخيل عندما تبحثين فى أصوله ، وهذا لا يهم فى شىء " .

قالت روز : " إننى معجبة بطريقة تفكيرك ، ها قد وصل الباقى " .

دخل لوجان واتجه نحو ستيلا وقبلها قائلاً : " لقد قابلت هاربر عند باب المنزل ، إننى آسف يا عزيزتى

لتأخيرى ، لقد جئت من العمل مباشرة " ، ثم التقط كوباً من الشاى المثلج الذى كان قد صبه ديفيد .

قال هاربر وهو يتجه نحو البسكويت الموضوع ممسكاً بثلاث قطع : " إذن ، ما المعلومات المهمة ، لقد حصلنا على الاسم ، وماذا بعد ، هل دقت طبول الحرب ؟ " .

ردت عليه هيلى قائلة : " إنه لمجهود رائع أن يستطيع ميتش الحصول على الاسم بالكامل من المعلومات القليلة التى لدينا " .

قال : " إننى لم أقل عكس ذلك ولكنى أتساءل فقط ما جدوى الاسم " .

قالت روز وقد بدأ صبرها ينفد : " إننى أود أن أعرف أولاً كيف حصلت على الاسم يا ميتش " ، ثم أردفت قائلة : " لا تجعلنى أوذيك أمام الأطفال " .

تراجع ميتش إلى الوراء مبتعداً عن لوحة المفاتيح ثم خلع منظاره ليمسحه فى قميصه وقال : " إذن ، كان لريجنالد هاربر ممتلكات عديدة منها عدة منازل سواء هنا فى مقاطعة شيلبى أو خارجها ، وكان يؤجر بعضها بالطبع كنوع من الاستثمار يعود عليه بالدخل ، ومن خلال بعض الدفاتر القديمة استطعت معرفة أن بعضاً منها كان مستأجراً فى بعض الفترات ولكن هذه المنازل المستأجرة لم تكن تحقق أى دخل كما هو مسجل بهذه الدفاتر " .

هز هاربر كتفيه فى لا مبالاة وقال : " هل هذا يعنى أن هناك تزويراً بالدفاتر ؟ " .

قال ميتش : " يحتمل ذلك ، ويحتمل أن يكون قد قام بتأجير هذه المنازل لعشيقاته " .

www.dvd4arab.com

أخذ لوجان كوباً آخر من الشاى المثلج وهو يقول :
" عشيقاته وليس واحدة فقط ، لقد كان مشغولا بحق " .

" لقد ذكرت بياتريس فى مذكراتها عدة نساء وليس امرأة واحدة فقط ، وقد كان هو شخصاً قوياً ، من النوع الذى يفعل أى شيء لتحقيق هدفه وقد كان يرغب فى ابن ـ وريث ـ مهما كلفه ذلك من ثمن ، ولقد ارتبط بعدة نساء حتى حصل على ما يريده ولكن تقول المذكرات إن إميليا كانت من داخل المدينة ، لذا فقد ركزت كل اهتمامى فى أملاكه المحلية " .

قالت روز : " أشك فى أنه سيسجل عشيقته على أنها مستأجرة " .

قال ميتش : " لا ، وقد بحثت فى الإحصائيات الرسمية للسكان ، كان هناك أسماء كثيرة لا حصر لها ، وسنوات عديدة ، ثم ركزت بحثى خلال السنوات التى كان يمتلك فيها ريجنالد هذه المنازل وذلك قبل عام ١٨٩٢ ـ ثم عثرت عل شيء فى عام ١٨٩٠ " .

ثم جال ببصره حول الحجرة ، ثم نظر نحو عربة الشاى وقال : " هل هذا هو البسكويت ؟ " .

" يا إلهى ، ديفيد أرجوك أعطه بعضاً من البسكويت قبل أن أقتله ، ماذا وجدت فى عام ١٨٩٠ ؟ " .

قال : " إميليا إلين كونور كانت تقطن فى أحد المنازل التى كان يمتلكها ريجنالد فى ممفيس ، والتى كانت لا تدر أى دخل خلال النصف الثانى من هذا العام ـ وحتى مارس ١٨٩٣ ـ وقد ذكر فى الدفاتر أن ذلك المنزل لم يكن مستأجراً خلال تلك الفترة " .

قالت ستيلا : " من الأرجح أن تكون هى ، فمن الصعب ألا تكون هى بعد كل هذا الكم من المعلومات " .

" إذا لم تكن هى إميليا التى نقصدها ، فهى مجرد مصادفة نادرة " وضع ميتش نظارته فوق المنضدة وقال : " إن المحاسب الذى كان يتولى دفاتر ريجنالد أوضح فى دفاتره أن هناك بعض النفقات التى تم صرفها فى الفترة التى كان من المفترض أن يكون المنزل خالياً فيها ، وسجلت إميليا كونور فى الإحصائيات الرسمية أن هذا هو منزلها الذى كانت تقطن فيه خلال تلك الفترة ، وفى فبراير ١٨٩٣ ـ تم تسجيل المزيد من المصروفات فى الدفاتر على أنها تجديدات من أجل الإعداد لاستقبال المستأجرين الجدد ، وتم بيع المنزل فى عام ١٨٩٩ " .

بدأت هيلى حديثها قائلة : " إذن ، فقد علمنا أنها كانت تعيش فى ممفيس ، وذلك قبل أن يولد الطفل بعدة شهور على الأقل " .

وضع ميتش نظارته على أنفه مرة أخرى وشرع يقرأ من مذكراته وقال : " والأكثر من ذلك ، أن إميليا إلين كونور ولدت فى عام ١٨٦٨ ، أما والدتها فكانت حية فى ذلك الوقت . وكانت بصحة جيدة حتى توفيت فى عام ١٨٩٧ ، كانت تعمل مديرة منزل لدى عائلة لوسيرن فى منزل يطل على النهر يسمى ـــ " .

أكملت روز حديثه قائلة : " ذا ويلوز ، إننى أعرف ذلك المنزل ، إنه أقدم من هذا المنزل الذى نعيش فيه لقد أصبح فندقاً صغيراً الآن ، لقد كان منزلاً جميلاً ورائعاً ، لقد تم شراؤه وتجديده منذ عشرين عاماً على الأقل " .

www.rewity.com dodvadodo

استكمل ميتش قائلاً : " لقد كانت مارى كونور تعمل هناك وعلى الرغم من أنها كانت تسجل فى الإحصائيات الرسمية للسكان أنه ليس لديها أى أطفال إلا أنه بفحص سجلات المواليد والوفيات ، تبين أن لديها ابنة ـ إميليا إلين " .

قالت ستيلا : " لقد كانت إميليا غريبة ووحيدة " .

" لقد كانت الابنة تعتبر أمها متوفاة ، ولم تعترف الأم بابنتها ، وهناك شىء مثير للاهتمام وغريب فليس هناك أى شىء يثبت أن إميليا كان لديها طفل ، تماماً مثلما لا يوجد شهادة وفاة أو ما يثبت أن إميليا توفيت " .

أضافت هيلى : " إن الأموال بإمكانها أن تفعل أى شىء " .

تساءل لوجان : " وما الخطوة التالية ؟ " .

" سأفحص الصحف القديمة مرة أخرى ، وسأبحث عن أى خبر يدل على وفاتها ـ وسنحاول أن نجد بعض المعلومات من خلال أحفاد الخدم الذين كانوا موجودين فى تلك الفترة ، وسأرى إذا ما كان الأشخاص الذين يمتلكون " ذا ويلوز " سيسمحون لى بالاطلاع على المستندات والأوراق القديمة لديهم والتى كانت تخص تلك الفترة " .

قالت روز : " سأمهد لكم الطريق ، فأسماء العائلات العريقة والقديمة بإمكانها أن تسهل الأمور " .

خرجت للقاء هاربر وكان مظهرها يبدو جميلاً ، وقد كشف رداؤها الأحمر عن ذراعيها وكتفيها والتى كانت متناسقة وذلك نتيجة تمرينات اليوجا التى كانت تمارسها وحمل ليلى وعزق التربة وغرس النباتات .

وكان هناك شاب وسيم يجلس أمامها فى مطعم " بيل ستريت " الصاخب ، المزدحم فلم تكن قادرة على دفع عقلها على التواكب مع تلك اللحظة .

قال هاربر وهو يمسك بكوب العصير ويعطيها إياه : " سنتحدث عن الأمر وعما يدور حولنا ، ومن الأفضل لك أن نناقش الأمر بدلاً من الانهماك فى العمل وعدم الحديث عن أى شىء " .

قالت : " إننى لا أستطيع أن أكف عن التفكير فى الأمر ، أعنى أنها كانت تحمل طفله ـ تحمل طفل هاربر الكبير ـ وقد انتزعه منها وهذا يفسر كرهها للرجال " .

قال : " لقد باعت نفسها " .

" لكن ، هاربر ـ "

" انتظرى ، لقد كانت عائلتها من الطبقة العاملة ، وبدلاً من أن تختار العمل ، اختارت أن تبيع نفسها من أجل المنزل والخدم " .

قالت : " وما الذى أعطاه الحق فى أن ينتزع طفلها ؟ " .

" إننى لم أقل ذلك ، إننى أقول إنها لم تكن بريئة ، لقد عاشت فى هذا المنزل كعشيقته لأكثر من سنة وذلك قبل أن تصبح حاملاً فى هذا الطفل " .

لم تكن تريد أن تفسر الأمر على هذا النحو فقالت : " ربما كانت تحبه " .

هز هاربر كتفه وهو يقول : " ربما كانت تحب الحياة " .

قالت : " لم أكن أعرف أنك ساخر إلى هذا الحد " .

فابتسم قائلاً : " وأنا لم أكن أعرف أنك رومانسية إلى هذا الحد ، من الأرجح أن حقيقة الأمر تقع فى منطقة بين

الرومانسية والسخرية . لذا ، فعلينا ألا نختلف بشأن ذلك " .

قالت : " وجهة نظر سليمة وعادلة " .

قال : " أيا كانت الحقيقة ، فإننا نعرف أنها كانت شخصية يائسة ومحطمة ، وقد كانت يائسة أيضا قبل أن يحدث كل ذلك ، وهذا لا يعنى أنها كانت تستحقه ، ولكن أن تعتبر أمها متوفاة فى حين أنها تقطن على بعد أميال قليلة ، فهذا يتطلب شخصا متبلد المشاعر جامد القلب " .

" نعم ، معك حق ، فهذا لا يرسم صورة جيدة عنها ، أعتقد أن جزءا منى يرغب أن يراها كضحيته ـ كأبطال الروايات عندما لا تكون هذه هى الحقيقة " .

أخذت ترتشف من العصير وهى تقول : " هذا يكفى بالنسبة لها الليلة " .

قال : " معك حق " .

قالت : " على أى أقوم بشىء واحد الآن " .

مد يده فى جيبه وقال : " يمكنك استخدام هاتفى المحمول " .

ضحكت وهى تمسك به : " أعلم أن ليلى بخير طالما أنها بصحبة ميتش وروز ، أردت فقط أن أطمئن " .

تناولت سمك الصلور وسلطة الخضراوات وتناولت كوبين من المياه الغازية ، لكم كان شعوراً رائعاً أن تجلس هكذا بحريتها ودون أى تقيد بالوقت ، وأن تتحدث وتتفوه بأى شىء يخطر على ذهنها .

تراجعت للخلف فى مقعدها وهى تقول : " لقد كدت أنسى هذا الشعور ، أن أجلس هكذا دون قيود وأتناول وجبة

كاملة دون أن يقاطعنى أحد ، إننى جد سعيدة لدعوتى أخيرًا لتناول العشاء معك " .

قال : " أخيراً ؟ " .

أوضحت قائلة : " لقد كان أمامك متسع من الوقت لتطلب ذلك ، ولم يكن من المعقول أن أبدأ أنا بالخطوة الأولى " .

مد يده وأخذ يديها بين راحتيه وقال : " لقد راقت لى خطوتك الأولى " .

قالت وهى تسترخى وتنظر مباشرة ـ فى عينيه : " لقد كانت أفضل ما فعلت ، هل كنت حقا تفكر فىّ على هذا النحو طوال الوقت ؟ " .

قال : " لقد بذلت المزيد من الجهد حتى لا أفكر فيك ، ولكن نجح ذلك لفترة قصيرة من الوقت " .

قالت : " ولماذا كان عليك أن تفعل ذلك ، أعنى أن تجاهد حتى لا تفكر فى على هذا النحو " .

كان أقصى ما يستطيع أن يقوله : " لقد كان من الوقاحة أن أتخيل الارتباط بك وبالأخص إذا كانت حاملا ، لقد ساعدتك مرة فى النزول من السيارة . يوم ميلاد الطفلة " .

جعلها ذلك تضحك وهى تغطى وجهها بيديها وتقول : " يا إلهى ، إننى أتذكر ذلك ، لقد كنت أشعر بحرارة شديدة وكنت أشعر بأننى بدينة وتعسة " .

قال : " لقد كنت رائعة ، ممتلئة بالحيوية ، كان هذا هو انطباعى الأول عنك ، لقد كنت مفعمة بالطاقة والحيوية وكنت تتمتعين بجاذبية شديدة ، ولكن فى هذا اليوم عندما ساعدتك للنزول من السيارة ، تحرك الطفل ، لقد شعرت به وهو يتحرك ، قد كان .... لقد كان شيئاً ـــ " .

www.rewity.com

قالت : " بالضبط هذا ما كنت أشعر به ، وقد كان ذلك شعوراً مؤلماً ، ولكن كان بجوارى والد ليلى ، لقد كان لطيفاً ، وحانياً وتطورت الأمور بيننا " .

ثم رفعت رأسها وتلاقت عيناهما وأردفت قائلة : " ولكن مشاعرى نحوه لم تكن مشاعر قوية أو حقيقية ، كما أن ارتباطنا لم يكن نزوة أو علاقة عابرة ، إنما كان — " .

" وسيلة لمساعدتك على التئام جرحك " .

قالت وهى تشعر بالراحة : " نعم ، ثم أدركت أننا لن نستطيع أن نستمر معاً ، وانفصلنا وذهب هو واستأنف دراسته ، ثم أدركت بعد انفصالنا أننى حامل ، ولم أشعر بعلامات الحمل فى بادئ الأمر ، ولكن عندما أدركت ذلك ... " .

قال : " شعرت بالخوف والفزع " .

هزت رأسها بالموافقة وقالت : " شعرت بثورة غضب شديدة لماذا يحدث ذلك لى ؟ ألا يكفى ما على مواجهته ؟ ، لم أتقبل الأمر بسهولة أو رضا ، لقد كنت فى شدة الغضب والسخط حينئذٍ ، وكدت أصل لمرحلة رعب وخوف شديدة فى بعض الأوقات ولكنى كنت أسيطر على نفسى وأعود مرة أخرى لمرحلة الغضب " .

قال : " إنه لموقف فى غاية القسوة ، وقد كنت وحيدة يا هيلى ، لذلك انتابك هذا الشعور " .

قالت : " لا تحاول أن تهون من الأمر ، فلم أرغب فى أن أكون حاملاً ، ولم أكن أريد الطفل ، كان علىّ أن أعمل ، وأن ألملم أحزانى ، ثم يأتى أحدهم ويفعل بى ذلك " .

اتجها ناحية النهر ، وخفضت من صوتها وهى تنظر فى اتجاه المياه : " ثم كان يجب على أن أقوم بإجهاض

الطفل وذلك كان يعنى أن أحصل على إجازة من العمل بدون مرتب ، وأسدد تكاليف العملية " .

" ولكنك لم تفعلى " .

قالت : " عثرت على إحدى العيادات بالفعل ، ولكنى أخذت أفكر فى أنه من الأفضل أن أجعل أحد الأزواج يكفل الطفل ، من خلال التعاقد مع إحدى الوكالات المعنية بهذا الأمر ، بالطبع هناك الكثير من الأزواج الذين لا ينجبون ويرغبون فى أن يكون لديهم طفل ، فاعتقدت حينئذٍ أن ذلك سيكون شيئاً إيجابياً ومنطقياً " .

أخذ يمسح شعرها بيده ويتحدث فى نعومة وهو يقول : " ولكنك لم تفعلى ذلك أيضاً " .

قالت : " ثم شرعت فى البحث وقرأت بعض المصادر التى تناولت هذا الموضوع ، وذهبت هنا وهناك ، وطوال الوقت كنت ألعن الظروف التى وضعتنى فى هذا المأزق ، وكنت أتساءل ، لماذا لا يأتى أبوها أو يتحدث بعد انفصالنا ، وعندما كنت أتناول الأمر فى هدوء ، فكرت فى أن أخبره بأنى حامل ، كان يجب أن يعلم ، وأن يتحمل بعض المسئولية على عاتقه أيضاً ، فإننى سأرزق بطفل ، وحين يعلم فلن أكون وحيدة ، ولكن كان هناك جزء آخر فى داخلى يقول إننى سأرزق بطفل ، وعندئذٍ لن أشعر بالوحدة ، وكان هذا تفكيراً أنانياً ، وكانت هذه أول مرة أفكر فى أن أحتفظ بالطفل لنفسى " .

أخذت نفساً عميقاً وأدارت رأسها نحوه مواجهة إياه : " قررت أن أحتفظ بالطفل لأنى كنت وحيدة . وكان ذلك اختياراً صعباً " .

" مخيفاً ؟ "

قال : " قوياً ، ولكنه مخيف بعض الشيء ، لقد شاهدتك وأنت تضعين مولودك " .

قالت : " لقد نسيت ذلك الأمر " ، ثم أغمضت عينيها وقالت : " أوه ، لا " .

أمسك بيدها وقربها إليه ليقبلها وقال : " لقد كان شعوراً لا يوصف حينئذٍ ، فبعد أن تجاوزت ليلى مرحلة الخروج إلى الحياة ، ورأيت الطفلة بعد ولادتها مباشرة ، أحببتها حباً شديداً منذ ذلك الحين " .

قالت بعد أن زال الحرج الذى كانت تشعر به وقالت : " أعلم ذلك ، وإنك لم تسألنى قط عن والدها "

قال : " إنه ليس من شأنى "

قالت : " بما أننا تحدثنا فى ذلك الأمر ، فيجب أن تعرف على الأقل ـ هل بإمكاننا أن نتريض قليلا ؟ " .

" بالطبع "

ابتعدا عن الأضواء والضجيج الذى يحيط بشارع بيل واتجها للسير بجوار النهر ، وقد كان هناك بعض السائحين الذين كانوا يجوبون المتنزه أو يشاهدون المياه ، ولكن الهدوء الذى كان يحيط بها جعل من السهل بالنسبة لها أن تعود بذاكرتها للوراء وتقص عليه ما حدث .

قالت : " لم أكن أحبه ، لقد أردت أن أخبرك بذلك ؛ لأن بعض الناس مازالوا يعتقدون أننى كنت فتاة فقيرة وأوقعنى أحدهم فى مأزق وتركنى ولم يساندنى ، ويعتقدون أن قلبى قد تحطم ، ولكن ليس الأمر كذلك على الإطلاق " .

قال : " إنه لشيء مخجل أن يكون والد ليلى غبياً " .

www.dodyadeeb.com

انفجر الاثنان فى الضحك ، مما جعلها تهز رأسها وتقول : " إن لديك أسلوبك فى تسهيل الأمور ، لقد كان والدها شاباً لطيفاً ، وكان حديث التخرج عندما التقيت به وأنا أعمل فى إحدى المكتبات ، وتعارفنا على بعضنا البعض وتواعدنا مرتين ، ثم توفى والدى " .

عبرا أحد الجسور الصغيرة فوق النهر ومرا بجوار عدة أزواج يجلسون على المناضد الحجرية قالت : " لقد كنت أشعر حينئذٍ بالضياع ويعترينى حزن شديد " .

أحاط كتفيها بذراعه وقال : " أعتقد أنه إذا أصاب والدتى أى مكروه فإن الحياة ستفقد معناها بالنسبة لى ، أعلم أن لدى إخوتى ولكنى لا أتخيل العالم بدونها " .

قالت : " الأمر كان كذلك بالنسبة لى ، لم أكن أرى أى شيء من حولى ، ماذا سأفعل ، ماذا أقول ، ومهما كان بجوارى بعض الناس الطيبين ـ وقد كان هناك العديد منهم بالفعل يا هاربر ـ ولكن كان هناك ذلك الشعور بالضياع وبأن الدنيا قد أظلمت من حولى كان هناك الكثير من الناس الذين يحبون والدى ، كان هناك الجيران والعائلة والأصدقاء ، وزملائى فى العمل وكذلك زملاء أبى ولكن كان أبى محور حياتى ، لقد شعرت بوحدة شديدة ، لقد كنت أشعر بوحشة وغربة فى خضم أحزانى " .

قال هاربر : " لقد كنت أصغرك بكثير عندما توفى والدى وأعتقد أن ذلك كان أقل قسوة ، ولكن هناك مرحلة ولابد أن تمر بك ، المرحلة التى تشعرين خلالها بأنه لن تكون الأمور فى نصابها الصحيح مرة أخرى " .

ظل هاربر صامتاً لدقيقة ثم قال : " وماذا عن الطالب ، أبيها ؟ "

قالت : " ذهبت لأراه وأن أخبره ، وبحثت عنه فى الكلية ، وكنت على استعداد لأن أخبره بما حدث " .

وهب بعض النسيم الذى أخذ يداعب شعرها ، ووجهها وأردفت قائلة : " كان سعيداً لرؤيتى وكان يعتريه الشعور بالحرج وأعتقد أنه كان نابعاً من عدم اتصاله بى طوال تلك الفترة ، ولكن ما يهم أنه قد ارتبط بفتاة أخرى وغرق فى حبها حتى أذنيه " ، ثم قالت وهى تلوح بذراعها لتوضح له : " لقد كان سعيداً ، يشعر بالإثارة ، وكانت كلماته تنم عن الحب الشديد الذى يكنه لها " .

" لذا لم تخبريه عن الأمر " .

قالت : " لم أخبره بشىء ، وماذا عسانى أن أفعل وقتذاك ؟ أن أقول له إننى سعيدة من أجلك لأنك قد عثرت على الشخص المناسب الذى سيكمل معك حياتك ، أو ماذا سيكون شعورها عندما تعلم أننا كنا زوجين ؟ أو هل كنت سأقول له إننى أشعر بالأسف لأن حياته ستتحطم بسبب زواجه بى فى يوم من الأيام ، وفوق ذلك كله ، إننى لم أكن أحبه أو أرغب فى وجوده بجانبى " .

" إذن ، فلم يعرف أى شىء بخصوص ليلى ؟ " .

" كان هذا قراراً أنانياً آخر قد اتخذته ولكن لم تكن نواياى أنانية فقد كان قرارى لصالحه ، وواجهت صراعاً شديداً ، وبخاصة عندما أصبح الحمل واضحاً ، وشعرت بالطفل يتحرك فى أحشائى ، ولكنى كنت قد عزمت على أن أنفذ القرار الذى اتخذته " .

صمتت للحظات ، وبدا لها الأمر أصعب مما تخيلت ، بأن تقص عليه كل شىء وهو يجلس أمامها وكله آذان صاغية .

قالت : " أعرف جيداً أنه كان يجب أن يعلم بأمر الطفلة ، ولكن هذا هو ما فعلته ، وأرى أنه كان من الصواب أن أفعله ، ولقد علمت بعد ذلك أنه تزوج تلك الفتاة التى كان قد ارتبط بها فى أبريل ، وانتقلا للعيش فى فيرجينيا حيث يقيم أهله وعشيرته ، وأعتقد ـ أياً كانت الأسباب ـ أن ما فعلته كان أفضل بالنسبة لنا جميعاً ، ربما كان سيحب ليلى ، أو ربما كان سيعتبرها غلطة ، لا أريد أن أعرف ، ولأنها كانت غلطة بالنسبة لى فى الشهور الأولى القليلة ، وكنت أكره ذلك ، إلا أننى بدأت أحبها بكل كيانى خلال الشهور الخمسة الماضية ، فقد أصبحت كل شىء بالنسبة لى ، كان ذلك عندما علمت أنه يجب أن أترك منزلى ومدينتى التى كنت أعيش فيها ، وكان ذلك بالنسبة لنا بداية جديدة " .

" لقد كان من الشجاعة أن تفعلى ذلك ، وكان من الصواب أيضاً " .

كانت إجابته بسيطة ، ولم يحدث شىء مما تصورته وقالت : " لقد كان من الجنون " .

قال مردداً كلماته " إنه من الشجاعة " ، ثم توقف فجأة ـ بجوار حوض من زهور الزنبق الصغيرة ، ثم أردف قائلاً : " وكان أيضًا من الصواب " .

قالت : " وكنت سأطلق عليها اسم " اليزا " ، كان هذا هو الاسم الذى اخترته ، ثم قمت أنت بعد ذلك بإحضار بعض الزهور الزنبق الحمراء إلى حجرتى وكانت مجموعة

رائعة ، ويانعة ، وعندما وضعت ليلى حدثت نفسى بأنها جميلة وجذابة كزهرة الزنبق لذا ... " ، ثم أخرجت نفساً طويلاً وأردفت قائلة : " هذه هى حكايتى من بدايتها وحتى نهايتها " ، أرجو ألا تكون قد شعرت بالملل " .

انحنى وداعب وجهها براحتيه قائلاً : " إننى لا أشعر بالملل على الإطلاق وأنت بجوارى " ، ثم تشابكت أيديهما وهما يكملان سيرهما وأردف قائلاً : " أريدك بجوارى دائماً " .

قالت : " هذا مستحيل فى وجود إميليا ، علينا أن نبتعد عن المنزل بقدر الإمكان " .

قال : " يمكننا أن نفعل ذلك ، ولكن المشكلة تكمن فى أننا نعيش فى هذا المنزل يا هيلى ، ونعمل هناك ، وليس فى إمكاننا تجنبها أو الابتعاد عنها " .

اخذت هيلى تحدث نفسها بان هاربر كان محقاً عندما قال ، إنه لا يمكن تجنبها أو الابتعاد عنها وذلك عندما دلفت إلى حجرة نومها ورأت أن كل أدراج خزانة ملابسها قد فتحت على مصراعيها ، وكانت ملابسها متناثرة هنا فوق الفراش ، مدت يدها وأمسكت بأحد قمصانها وبسروال من الجينز ولكنها لاحظت أن الملابس بحالة جيدة ولم يتم تمزيق أى منها .

وكذلك لم يكن هناك أى تلف فى حجرة ليلى عندما ذهبت لتلقى نظرة عليها واتجهت نحو الحمام بدافع الفضول ، فوجدت إن كل مساحيق الزينة والعطور الخاصة بها مبعثرة فوق حامل المرآة .

قالت : " أهذا هو أسلوبك لتذكيرى بأن ذلك ليس منزلى ؟ " . ثم تساءلت بصوت أعلى : " وأنه علىّ أن أحزم أشيائى وأرحل فى أى وقت ؟ " قد تكونين على حق ، ولكنى أنا التى سأقرر متى أرحل ، وكل ما فعلته هو أنك جعلتنى أقوم ببعض الأعمال لمدة قبل أن آوى إلى فراشى " .

شرعت فى ترتيب زجاجات العطور والمرطبات وكذلك أقلام أحمر الشفاه وأدوات التجميل الأخرى ، وكان معظمها من الماركات الرخيصة ، ربما كانت تتمنى أن تقتنى ماركات أفضل وأغلى ثمناً .

وعندما ذهبت إلى غرفة النوم ، تمنت أن يكون لديها ملابس غالية الثمن ، فما الخطأ أو العيب فى أن تقتنى أقمشة فاخرة وماركات عالمية ؟

لم يكن الأمر يستحوذ عليها إلى تلك الدرجة .

ولكن أليس من الرائع أن ترتدى ملابس فاخرة بدلاً من الملابس الرخيصة أو تلك التى تبتاعها أثناء فترة تصفيات الملابس ، إنها تريد الملابس الفاخرة المصنوعة من الحرائر والكشمير ياله من شعور رائع أن تضع مثل تلك الملابس على جسدها .

إن روز تقتنى هذه الملابس الفاخرة وعلى الرغم من ذلك فإنها ترتدى القمصان القديمة معظم الوقت ، والأكثر من هذا - ما العدل فى أن تمتلك كل هذه الأشياء دون أن تستخدمها بينما هناك من يمكنه أن ينتفع بها أفضل منها ، شخص يصغرها فى العمر ، ويعرف كيف يستمتع بحياته ، شخص يستحق أن يمتلك كل هذه الأشياء ، شخص يبذل جهداً للحصول عليها بدلاً من شخص وقعت فى يده بمحض المصادفة دون أن يبذل مجهوداً ليحصل عليها .

وما كل هذا الكم من المجوهرات الذى لا ترتديه أو تنتفع به على الإطلاق فى حين أن تلك المجوهرات ستبدو جميلة ورائعة وهى تطوق عنقها الجميل وتتلألأ فوقه .

كل ما عليه أن تأخذ هذه المجوهرات ، أن تحصل فقط على بعض القطع منها ، ومن سيلاحظ الفرق ؟

كل ما ترغبه وتريده موجود أمامها ومن السهل الحصول عليه . فَلِم لا ...

أسقطت الرداء الذى كانت تقبض عليه بيديها ، أدركت الطريقة التى يمكن أن تحصل بها المرأة على بعض الملابس الجميلة ، وفكرت فى السرقة .

وفجأة هزت رأسها ونظرت إلى صورتها فى المرآة وحدثت نفسها قائلة : " لا ، لست أنا " .

ثم رددت بصوت عال : " لست أنا " ، " إننى لا أحتاج إلى ما تحتاجين إليه ، إننى لا أريد ما تريدينه ، يمكنك أن تتسللى بداخلى ، ولكنك لا يمكنك دفعى للإقدام على فعل شىء كهذا ، لا ، لن تستطيعى " .

ثم وضعت بقية ملابسها على المقعد ، ثم استلقت على الفراش بكامل ملابسها ، ونامت والأضواء مضاءة من حولها .

www.rewity.com

الفصل التاسع

كانت تشعر بالسرور والرضا لأنها تقف وراء طاولة البيع ، وكانت ممتنة للزبائن الذين جعلوها تنهمك فى عملها وتنسى أى شىء ، ويبدو أن إميليا لا تهتم بها وهى فى أثناء عملها ، أو على الأقل حتى الآن .

أخذت تعد قائمة وتدون كل حدث تتذكره من أجل الملفات التى يعدها ميتش ، فقد دونت الأماكن : الردهة ، حجرة نومها ، الحضانة ، لم تكن على ثقة من كل شىء ولكنها حدثت نفسها بأن هناك أوقاتًا مرت بها ، لم تكن الأفكار التى تطوف بذهنها ، أفكارها هى ، مثلما حدث فى الحديقة فى منزل هاربر ، عندما انتابتها أحلام اليقظة أثناء العمل .

عندما خطت ملاحظتها على الورق لم تبد كثيرة كما توقعت . على الأقل أثناء اليوم ، والزبائن يجوبون المكان من حولها .

رفعت بصرها عندما دخلت المحل زبونة جديدة ، لقد كانت صغيرة ، ترتدى حذاءً فاخراً ، وتسريحة شعرها جميلة فحدثت هيلى نفسها قائلة : من الواضح أن لديها دخلاً كبيرًا تريد أن تتخلص من بعضه ، فأتمنى أن أساعدها فى ذلك .

" طاب صباحك ، هل يمكننى مساعدتك فى العثور على شيء ؟ "

" آه ، آسفة ، أعتقد أننى قد نسيت اسمك " .

قالت هيلى وهى تحاول أن تركز انتباهها مع الاحتفاظ بنفس الابتسامة الودودة : " إننى هيلى " كانت مترددة ، ذات شعر أشقر ، ووجه طويل ، وعينين جميلتين ، خجولة بعض الشيء .

ثم اتسعت عيناها وهى تقول : " أوه ، إنك جين ؟ جين ابنة عم روز ؟ يا للعجب ، لقد تغيرت كثيرا " .

احمرت وجنتا جين خجلاً وقالت لها : " لقد قمت بقص شعرى ، ثم مررت أصابعها فوق شعرها " .

" إنك تبدين رائعة ، جد رائعة " .

كانت المرة الأخيرة التى رأت هيلى فيها جين ، عندما كانت تساعد روز وستيلا فى نقل ممتلكات السيدة ومنقولاتها من شقتها المزدحمة الحارة التى تمتلكها كلاريسا هاربر ، وكانت هذه السيدة التى قاموا بتهريبها وقتئذ مع المذكرات التى كانت قد أخذتها كلاريا من منزل

هاربر ـ ذات مظهر كئيب وغير مهندم على الإطلاق تماماً كالقلم الباهت على ورقة بيضاء .

أما الآن ، فقد تحول شعرها الباهت ، إلى شعر لامع ، مصفف بعناية وقد صبغته بلون جميل ، وقامت بقصه بشكل أنيق متناسق مع وجهها النحيف .

وكانت ملابسها بسيطة ، ولكنّ القميص القطنى الذى ترتديه الآن والسروال القصير ذا الألوان المبهجة يختلفان تماماً عن التنورة القاتمة الكئيبة التى كانت ترتديها عندما هربت .

" إننى أريد أن أقول : " إنك تبدين رائعة ، كما لو كنت قد حضرت أحد البرامج المختصة بتغيير الهيئة مثل برنامج " وات نوت تو وير " " What not to wear " آه ، أعتذر ، فمن الوقاحة أن أقول ذلك " .

اتسعت ابتسامتها واحمرت وجنتاها خجلاً وهى تقول : " لا عليك ، لقد تغيرت هيئتى بالفعل ، وذلك بفضل جولين هل تعرفين جولين زوجة أبى ستيلا ؟ " .

" نعم ، إنها رائعة " .

" لقد ساعدتنى فى الحصول على وظيفة فى المعرض ، وفى اليوم الذى سبق استلامى للعمل ، زارتنى فى شقتى الجديدة ، وبدا الأمر كما لو أنها خطفتنى ، وقالت لى إنها الجنية الطيبة التى ظهرت لى اليوم . وقبل أن أدرك الأمر ، اصطحبتنى لأقوم بقص شعرى ، ثم قام مصفف الشعر بوضع بعض رقائق الألومنيوم على بعض أجزاء منه لصبغها ، ولم أستطع أن أقول لا " .

" ولكنك سعيدة لأنك لم تقولى ذلك " .

" لقد كنت فى حالة انبهار ـ ثم اصطحبتنى بعدها إلى أحد المراكز التجارية ، وقالت إنها ستساعدنى فى تغيير أسلوب ارتدائى للملابس وذلك بابتياع ثلاثة أثواب كبداية ، ثم قالت إنها تتوقع أننى سأقوم بملء خزانة ملابسى بنفس ذلك الأسلوب " .

اتسعت ابتسامتها وبدا على عينيها التأثر وهى تقول : " لقد كان هذا اليوم من أروع أيام حياتى " .

بدا على هيلى التأثر أيضاً وهى تقول : " هذه قصة جميلة وأعتقد أنك كنت بحاجة إلى جنية طيبة بعد المعاملة القاسية لتلك الساحرة الشريرة ، أتعلمين أن قصص الجنيات هى فى الأصل قصص لنساء عشن فى الماضى وتناقلن هذه القصص عبر الأجيال ، وذلك عندما لم تكن السيدات يتمتعن بأى حقوق على الإطلاق " .

" أحقاً ؟ " .

" آسفة ، إنها أمور ثقافية ، ـ ولكن أعتقد أن ذلك ما تحتاج إليه الفتيات ، علىّ أن اخبر ستيلا بوصولك " .

قالت : " إننى لا أريد أن أضيع وقتكم ، لقد أردت فقط أن أرى ابنة عمى روزاليند وأشكرها " .

هرعت هيلى ناحية مكتب ستيلا وهى تقول : " سأخبرها بوصولك أيضاً ، ولكنى أعتقد أن ستيلا ستحب رؤية مظهرك الجديد " .

أطلت هيلى برأسها داخل مكتب ستيلا دون استئذان وقالت : " هل تسمحين بدقيقة ؟ " .

" أهناك مشكلة ؟ " .

" لا ، اتبعينى فقط " .

" هيلى ، لدى العشرات من المكالمات التى ينبغى إجراؤها قبل ... " ، ثم قطعت حديثها ، ثم وضعت على وجهها بطريقة تلقائية ابتسامة مرحبة عندما رأت جين وقالت : " آسفة ، هل هناك شىء ، آوه يا إلهى إنك جين " .

قالت هيلى : " والنسخة المعدلة " ، ثم غمزت بعينيها لجين وهى تقول : " آسفة " .

" لا عليك ، هذا هو شعورى أيضاً " .

" لقد قالت جوليان إنها قد جعلت منك جين جديدة " .

ثم دارت بسعادة حول جين وهى تقول : " يا إلهى ، تعجبنى تصفيفة شعرك كثيراً " .

" وتعجبنى أنا أيضاً ، إن الفضل يعود لزوجة أبيك ، فقد ساعدتنى كثيراً " .

" لقد كانت تفعل ذلك بسعادة وود ، لقد أخبرتنى بذلك ولكن الحقيقة تختلف تماماً ، فلم أكن أتخيل صورتك بهذا الجمال ، وأتمنى أن تكون حياتك قد أصبحت جميلة مثل مظهرك " .

" إننى مغرمة بعملى ، وأعشق شقتى ، وأحب أن أبدو جميلة " .

اغرورقت عينا ستيلا بالدموع من فرط التأثر وقالت : " أوه " .

قالت هيلى وهى تمسك بجهاز الاتصال الداخلى الموضوع فوق طاولة البيع : " لقد حدث نفس الشىء بالنسبة لى " ، ثم تحدثت فى الجهاز قائلة : " روز ، نريدك عند شباك الدفع " .

dodyadodo www.rewity.com

ثم أغلقت جهاز الاتصال بينما كانت روز على الناحية الأخرى تتذمر وتشتكى بأنها مشغولة ولديها مهام كثيرة .

" لا أريد أن أعطلها عن عملها " .

" سترغب بشدة فى رؤيتك ، وأنا أريد مشاهدة رد فعلها عند رؤيتك ، يا إلهى ، إن الأمر رائع " .

قالت ستيلا : " أخبرينا أيضاً بما مر بك خلال تلك الفترة " .

" إن العمل هو رقم واحد فى حياتى ، إننى أعشق عملى بحق ، ولقد تعلمت منه الكثير ، ولقد كونت صداقات ، وأصبح لى صديقان هناك " .

تساءلت هيلى : " هل هم من الرجال ؟ " .

" لا ، لست مستعدة لذلك بعد ، ولكن هناك ذلك الرجل الذى يقطن فى نفس البناية التى أسكن بها ، إنه شخص لطيف " .

قالت هيلى عندما دخل أحد الزبائن وهو يجر أمامه عربة محملة بالزهور : " هل هو لطيف حقاً ؟ آه ، إنه زبون ، لا تتحدثا عن أى شىء حتى أعود لكما " .

استدارت جين موجهة حديثها لستيلا بينما كانت هيلى منهمكة مع العميل : " كنت أظن أننى سأشعر بالحرج لرؤيتكما " .

" لِمَ ؟ " .

" عندما التقيت بكما من قبل كنت أبكى كثيراً وأشتكى ، وكان مظهرى مريعاً " .

قالت : " لا لم تكونى كذلك على الإطلاق ، لقد كنت خائفة ومحبطة ، وقد كان هناك سبب لذلك ، كنت

ستقدمين على خطوة كبيرة ، وسمحت لنا بالتدخل حتى تحصل روز على تلك المذكرات " .

" لقد كانت هذه المذكرات تخصها وتؤول إليها ، ولم يكن لكلاريسا أى حق فى أن تأخذ هذه المذكرات من منزل هاربر " .

" لا ، لم يكن من حقها بالفعل ، ولكنها كانت مسألة جادة وخطوة كبيرة بالنسبة لك ، أن تساعدى روز لكى تستعيد هذه المذكرات وأن تنتقلى من منزل كلاريسا وتبدئى عملاً جديداً وحياة جديدة ، أعتقد أن كل ذلك كان شيئاً مخيفاً ، والأمر كان كذلك بالنسبة لهيلى " .

نظرت جين نحو هيلى ، حيث كانت تقوم بالبيع وتتحدث مع أحد الزبائن : " ولكنها لا تبدو منزعجة من أى شىء ، هذا كان اعتقادى منذ أول مرة قابلتها فيها ، وقابلتك أنت أيضاً ، فأنتما الاثنان لا تخافان من مواجهة أى شىء ، ولا تسمحان لأحد بأن يفرض سيطرته عليكما مثلما حدث معى " .

" تمر علينا أوقات كثيرة نشعر فيها بالخوف والفزع ، ولا نفعل شيئاً حيالها " .

انضمت روز إليهم ، وأمسكت بالقفازات وضربت بها ساقيها دليلاً على القلق والتوتر وقالت : " هل هناك أى مشكلة ؟ " .

أشارت ستيلا بيدها وقالت : " ليس ثمة مشكلة على الإطلاق ، فقط أرادت جين أن تراك " .

رفعت روز حاجبيها واتسعت ابتسامتها شيئاً فشيئاً : " يا للجمال ، إن جوليان امرأة تلتزم بوعودها ، ألست رائعة " ، ثم وضعت القفازات فى الجيوب الخلفية ، ثم

احتبست أنفاسها عندما طوقتها جين بذراعيها وقالت : " وأنا أيضاً سعيدة لرؤيتك " .

" أشكرك ، أشكرك جزيل الشكر ، إننى لا أستطيع أن أعبر لك عما بداخلى " .

" مرحباً بك " .

" إننى جد سعيدة " .

" أستطيع أن أرى ذلك وألمسه " .

" ابتعدت جين قليلاً وهى تقول : " آسفة ، لم أكن أنتوى ذلك ، لقد أردت أن آتى إليكم لأشكركم ، وأخبركم بأنى أتقدم فى عملى ، وقد حصلت لتوى على علاوة ، وها أنا أحقق ذاتى " .

" أستطيع أن ألمس ذلك ، إننى سعيدة من أجلك ، ومهما بدا ذلك أفقاً ضيقاً ، فإننى مسرورة لأن أراك وقد أصبحت رائعة الجمال ، وسعيدة فى حياتك وهذا من شأنه أن يكيد ابنة عمنا كلاريسا ويجعلها تتميز غيظاً " .

انفجرت جين فى الضحك وقالت : " هذا هو ما حدث بالفعل ، فقد زارتنى فى شقتى " .

اتجهت هيلى نحوهن وهى تقول : " ماذا فاتنى ؟ ماذا فاتنى من حديث ، أرجوك كررى على مسامعى كل ما قد قيل " .

استدارت روز ناحيتها وقالت : " لم يَفُتْك شىء ، فنحن على وشك الخوض فى الموضوع ، إذن قلت إن كلاريسا امتطت مقشتها وجاءت لزيارتك ؟ " .

" فى شقتى ؟ أعتقد أن أمى قد أعطت لها العنوان ، على الرغم من أنى قد طلبت منها ألا تفعل ، كان ذلك منذ شهر

تقريبًا ، ولقد نظرت من خلال ثقب الباب ورأيتها ، وكدت ألا أجيبها " .

ربتت هيلى على ظهرها وقالت : " ومن ذا الذى يلومك فى ذلك ؟ " .

" ولكنى حدثت نفسى بأنى لن أختبأ كالفأر هكذا فى شقتى ، لذا قمت بفتح الباب ، ودخلت هى على الفور وطلبت منى أن أحضر لها الشاى المثلج ، ثم اتخذت مجلسها " .

تشدقت روز قائلة : " يا إلهى ، إنها دوماً مغرورة " .

أغلقت هيلى عينيها محاولة التذكر وهى تقول : " فى أى طابق تقع شقتك ؟ على ما أتذكر فى الثالث أو الرابع ، أعتقد أن شكلها سيكون رائعاً إذا ما قمت بالقائها من النافذة " .

" كنت أتمنى أن أفعل ذلك ، ولكن بدلاً من ذلك ذهبت وأحضرت لها الشاى ، وكنت أرتعد من الغيظ ، والغضب وعندما عدت إليها بالشاى ، قالت إننى جاحدة ، ناكرة للجميل ، وفتاة شريرة ، وأفعل أى شىء فى سبيل مصلحتى الشخصية ، وتركتها وانتقلت للعيش فى جحر فأر وأطلق عليه شقة ، وخدعت امرأة حمقاء ، ساذجة وأقنعتها بأن تمنحنى وظيفة فى حين أننى لست مؤهلة لها بالمرة ، ولكن كل ذلك لم يغير من حقيقتى ، وقد قالت عنك أشياء كثيرة سيئة يا روز " .

" ماذا قالت ؟ أخبرينى " .

" حسناً ، لقد قالت عنك إنك امرأة سيئة السمعة " .

قالت روز : " هذا الكلام السخيف لا يصدر إلا من امرأة سخيفة مثلها " .

www.rewity.com

" هذا ما أثار حفيظتى ، ربما كان معها حق أن تقول إننى جاحدة ؛ لأننى قد هجرتها " ، ثم ضربت بيدها على ساقيها وقالت : " ولكن شقتى ليست كجحر فأر ، إنها شقة جميلة ، لطيفة ، ولكن بالنسبة لذوقها الفاسد قد تكون هكذا ، وبالإضافة إلى أنها لا تعرف كارى - رئيستى فى العمل - لذا فقد تعتقد أنها حمقاء أو ساذجة لأنها قد منحتنى وظيفة " . قالت روز : " ولكن أهى وقحة إلى هذا الحد الذى يجعلها تنعتك بهذه الألفاظ بينما هى من سرقتك " .

هزت جين كتفيها وأومأت برأسها وقالت : " ولكنى عرفت كيف أرد على هذا الكلام فقد قلت لها ذلك مباشرة " .

أطلقت روز ضحكة وأحاطت وجه جين بكفيها وقالت : " وهكذا فى وجهها ، إننى جد فخورة بك " .

" لقد كادت عيناها تقفزان من محجريهما ، ولم أدر من أين جئت بكل هذا الكم من الكلمات ، فلم أستطع أن أسيطر على أعصابى ، لقد كنت أستشيط غضباً ، لقد قلت لها كل الأشياء التى لم أسمح لنفسى حتى بالتفكير فيها عندما كنت أعيش معها ، فقد كنت وقتذاك رهن إشارتها ، لقد قلت لها إنها حقيرة وذميمة ، ولا يُكن لها أى شخص ولو جزءاً بسيطاً من المشاعر ، وإنها وضيعة ، ولصة ، وكاذبة ، وإنه من حسن حظها أنك لم تستدعى الشرطة للقبض عليها " .

وكزتها هيلى فى كتفها قائلة : " إنك رائعة ، فهذا الكلام أفضل بكثير من إلقائها من النافذة " .

" ولم أنته عند هذا الحد " .

حفزتها هيلى قائلة : " هيا ، استمرى " .

" لقد قلت لها إنه من الأفضل بالنسبة لى أن أتسول فى الطرق بدلاً من أن أعيش معها ، ثم أخبرتها بأن تغادر شقتى " ، مدت جين ذراعيها وقالت لهم كيف قالت لها ذلك : " ثم أشرت لها هكذا بيدى بأن تغادر منزلى ، فقالت هى إننى سأندم على فعلتى تلك ، ولكننى كنت فى حالة غضب شديد ، فلم أعرها اهتماماً ، ثم غادرت الشقة " .

ثم أخرجت نفساً عميقاً ، ولوحت بيدها أمام وجهها وقالت : " أوه " .

أمسكت روز بيديها وضغطت عليهما وهى تقول : " لقد أبليت بلاء حسناً ، من يصدق أنك فعلت هذا ؟ " .

" لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد فى الواقع ، لقد حاولت أن تجعلهم يفصلوننى من عملى " .

احمر وجه هيلى وقالت : " الحقيرة ، ماذا فعلت ؟ " .

" لقد ذهبت إلى كارى وأخبرتها بأننى امرأة سيئة السمعة ، وأننى قد أقمت علاقة مع رجل متزوج ، وأننى قد قمت بسرقتها فى حين أنها قد عطفت على وآوتنى فى منزلها ، وقالت لها إن أخلاقها وتعاليم دينها تحتم عليها بأن تحذر كارى منى " .

علقت روز قائلة : " أعتقد دائماً أن هناك صفوفاً أولى فى الجحيم بالنسبة لمن هم مثل كلاريسا " .

" وعندما استدعتنى كارى فى مكتبها وأخبرتنى بأنها كانت هنا ، وأخبرتنى أيضاً بما قالته لها ، كنت على ثقة من أنها ستفصلنى ، ولكن بدلاً من ذلك وجدتها تسألنى كيف كنت أطيق العيش مع تلك البومة الشنعاء فهذا مانعتتها به ، وعندما أخبرتها بأنى أتحلى بمزيد من الصبر والجلد ، فقالت إن هذه هى صفات الموظف المثالى ومنذ

ذلك الحين وأنا أبذل قصارى جهدى فى العمل وأتعلم وأستوعب الأشياء سريعاً ، وقد قامت هى بمنحى علاوة " .

قلت هيلى : " إنى أحب كارى ، وأرغب فى أن أدعوها لتناول مشروب " .

كان هاربر يقول : "ليس هناك أفضل من النهايات السعيدة"

وكانت هيلى تجلس على الأرجوحة الموضوعة فى مكان ظليل ، وتتناول مشروباً مثلجاً ، بينما كانت ليلى تلعب بجوارها على الحشائش وبجانبها هاربر .

قال : " إنها نهاية سعيدة أن نقطع علاقتنا بابنة العم كلاريسا ، لقد كانت تخيفنى عندما كنت صغيراً ، وذلك قبل أن تطردها أمى " .

" أتعرف ماذا أخبرتنا جين بما قالته كلاريسا عن أمك ؟ " .

تحول تعبير الاسترخاء والراحة المرتسم على وجهه إلى تعبير جامد : " ماذا قالت عن أمى ؟ " .

" امرأة سيئة السمعة " .

تحول التعبير الجامد الذى ارتسم على وجهه إلى ضحكة ارتج لها المكان مما جعل ليلى تصفق بيدها : " امرأة سيئة السمعة ، يا إلهى ، وماذا قالت أمى ، لابد أن ذلك أغضبها كثيراً " .

" هذا ما حدث بالفعل ، فأنت تفهمها جيداً ، أليس كذلك ؟ لقد كان صباحاً جميلاً ، أن تبعد عنك كل الأشياء السيئة ، وأن ترى شخصاً قد أعاد اكتشاف نفسه كما فعلت جين ، فعندما قابلتها أول مرة كان شكلها مريعاً ، أما الآن فهى جميلة ، ومثيرة " .

" أحقاً ؟ هل ترين كيف أصبحت جميلة الآن ؟

انفجرت فى الضحك ووكزته وقالت : " لا . إياك أن تحاول التفكير بها ، ثم نحن أيضاً أبناء عم " .

قال : " حقاً ، وما درجة القرابة بيننا ؟ إننى لا أعرف حتى الآن " .

قالت : " أعتقد أن والدى ووالدك كانت تربطهما صلة قرابة بعيدة ربما من الدرجة الخامسة أو ربما نكون أبناء عم من الدرجة الرابعة أو الثالثة وبالتالى نكون نحن أبناء عم أيضاً " .

قال وهو يمسك بيدها : " أرى أن صلة القرابة بيننا كحبيبين أفضل من أى شىء " .

قالت هيلى وقد نظرت إلى عينيه : " كم يروق لى ذلك " .

قطعت ليلى حديثهما فأخذت تلهو عند ساق هاربر حتى رفعها إليه فأحاطت ليلى عنقه بذراعها وأخذت تدفع هيلى بعيداً عنه .

فانحنت هيلى مرة أخرى ناحيته ، فدفعتها ليلى مرة أخرى والتصقت أكثر بهاربر فقال : " إن النساء يتهافتن دوماً علىّ " .

" بالطبع ، إنى أراهن على ذلك ، فالسيدة التى كنت بصحبتها بداية السنة الماضية كانت تبدو سيدة لعوبا " .

ابتسم إلى ليلى وقال : " لا أعرف عمن تتحدثين " .

قالت : " لا ، إنك تعرف جيداً ماذا أعنى ، إننى أعنى تلك السيدة الشقراء ذات القوام المشوق التى كانت بصحبتك " .

" إنها محامية شركات " .

www.rewity.com dodyadodo

" لا ، إنها ليست كذلك " .

وضع يده على صدره كأنه يقسم وقال : " أقسم أنها الحقيقة ، فكونها جميلة لا يعنى أنها لعوب وأنت مثال على ذلك " .

قالت : " أكنت جاداً فى علاقتك معها ـ أوه ـ انس أمر سؤالى هذا ، إننى أكره السيدات والرجال الذين يتساءلون عن العلاقات الماضية " .

قال : " ولكنك حدثتنى عن ماضيك ـ وسأجيبك أنا بالتالى عن سؤالك ، إنها لم تكن جادة فى علاقتها ؛ لأنها كانت توجه كل اهتمامها لمستقبلها " .

" وماذا عنك أنت ، هل كنت جاداً فى علاقتك بها ؟ " .

قال : " لقد كنت على وشك الدخول فى علاقات جادة ، ولكنها لم تكتمل " ، ثم أجلس ليلى بينهما وأخذ يدفعها برفق حتى تتمايل على الأرجوحة .

حدثت ليلى نفسها قائلة : " من الأفضل ألا أخوض فى أى تفاصيل وأن أترك الأمور هكذا ، فيكفى أن يجلس ثلاثتنا هكذا فى استرخاء وكسل على الأرجوحة ، النحل يطن من حولنا ، وتفوح رائحة الزهور بألوانها الصارخة " .

قالت له : " إن أفضل ما فى الصيف أمسياته ، فبإمكانك أن تجلس هكذا لساعات دون أن تعمل شيئاً " .

قال : " ألا ترغبين فى الخروج ؟ " .

قالت : " لا ، ليس الليلة ، فإننى لا أريد أن أترك ليلى ليلتين متتاليتين " .

قال : " كنت أفكر أن نصطحبها لتناول بعض الآيس كريم بعد العشاء " .

نظرت إليه فى دهشة ، ثم تساءلت لماذا تندهش من اقتراحه هذا : " إنها ستحب ذلك ، وأنا أيضاً " .

قال : " إذن اتفقنا ، فلِمَ لا نخرج معاً ونتناول شطائر الهامبورجر ثم بعدها نتناول الآيس كريم ؟ " .

" هذا أفضل " .

انتهى شهر يوليو بجوه الحار وتبعه شهر أغسطس بلياليه الخانقة الكئيبة وسمائه الخالية من السحب ، ولكنه كان طبيعياً ، هادئاً وأيامه تتعاقب ، الواحد تلو الآخر .

قالت هيلى لستيلا وهى تقوم بتنسيق بعض زهور البنتا ذات اللونين الأصفر والرمادى : " إننى أتساءل هل تكفى معرفة اسمها ؟ ربما تكون قد شعرت بالرضا والسكينة ؛ لأننا شرعنا فى البحث عن أصولها واسمها وعرفنا أنها جدة روز الكبرى " .

سألتها ستيلا : " هل تعتقدين أنها ستهدأ وتبتعد ؟ " .

قالت هيلى : " إننى لا أزال أسمع صوت غنائها فى حجرة ليلى ، كل ليلة تقريباً ، ولكنها لم تفعل شيئاً مؤذياً ، إننى أشعر بشيء غريب بين الحين والآخر ولكنها تختفى على الفور ، إننى لم أفعل شيئاً غريباً مؤخراً ، أليس كذلك ؟ " .

" لقد كنت تستمعين إلى فريق البينك وتتحدثين عن دق الوشم " .

" أعتقد أنه ليس هناك شيء غريب فى ذلك ، أعتقد أنه يجب علينا نحن الاثنين أن نقوم بدق الوشم ـ ومن الأفضل أن يكون الوشم على شكل زهور ـ سأقوم أنا برسم وشم على

www.dvd4arab.com

شكل زهرة الزنبق الحمراء ، ويمكنك أنت أن تقومى برسم زهرة الداليا الزرقاء ، وأظن أنها ستروق للوجان " .

" إذن ، اجعليه هو يرسم ذلك الوشم " .

" قومى بدق رسم صغير يليق بفتاة " .

" إنه لن يتماشى مع سنى " .

احتدت هيلى قائلة : " بالطبع لا ، إنه سيلائمك شأنه شأن رسم الزهور ، الفراشات ، وما شابه ، يمكننا أن نجعل روز تفعل ذلك أيضاً " .

أثارت هذه الفكرة سخرية ستيلا وجعلتها تنفجر فى الضحك وأزاحت شعرها الأحمر بيدها إلى الوراء : " أتريدين أن تجعلى روز تقوم برسم وشم ، أوه ـ لا ، إننى لن أنضم لتلك المجموعة " .

" إن الوشم هو شكل من أشكال الفنون القديمة ويرجع تاريخياً إلى قدماء المصريين ، وقد قاموا باستخدامه من أجل السيطرة على القوى الخارقة ، وبما أننا لدينا فى المنزل ظاهرة خارقة للطبيعة ، لذا سيكون هذا الوشم بمثابة تعويذة أو شعار " .

" إن شعارى يرفض أن يسمح لشخص يدعى تانك أن يقوم بحفررمز ـ سواء كان يليق بفتاة أو غير ذلك ـ على جسدى ثم نظرت أمامها وقالت : " هذه الزهور تبدو رائعة وناعمة يا هيلى " .

" لقد طلبتها إحدى الزبائن ، حيث إن اللونين الأصفر والوردى سيكونان هما السائدين فى رداء زفاف ابنتها ، وسيبدو مظهرهما رائعاً فى حفل الزفاف ، لو أننى فى مكانها كنت سأختار ألواناً أكثر جرأة ، كألوان الأحجار الكريمة " .

www.rewity.com dodyadodo

" هناك شىء لم تخبرينى به ؟ " .

" مم ، وما هو ؟ " .

" إنك تفكرين فى الزفاف وألوانه ؟ " .

أطلقت ضحكة ووضعت الزهور جانباً وقالت : " إن الأمر ليس كذلك على الإطلاق ، إننا نخوض فى علاقتنا على مهل " ، ثم أخرجت نفساً عميقاً وهى تتردد : " على مهل " .

" أليس هذا ما كنت تريدينه ؟ " .

" نعم ، هذا ما أريده ، نعم ، لا أدرى " ، ثم أخرجت نفساً آخر عميقاً وقالت : " من الأفضل ومن الحكمة أن نأخذ الأمور بتعقل وترو ، حتى لا يوجد ما يهدد صداقتنا أو عملنا أو علاقتنا بروز ، فلا يمكن أن ننجرف وراء رغباتنا دون تعقل " .

" ولكنك تحبينه ، وترغبين فى أن تتطور علاقتكما سريعاً " .

رفعت هيلى عينيها إلى ستيلا وقالت : " إننى أفكر فى ذلك فعلاً وأريده " .

" ولماذا لا تخبرينه بذلك يا هيلى ؟ " .

" لقد بدأت أنا بالخطوة الأولى ، وعليه هو الخطوة التالية ، وأتمنى أن يفعل ذلك سريعاً " .

" إننى لا أريد أن أضغط عليها ، أو أن أجعلها تستعجل الأمور " كان هاربر فى المطبخ يرتشف زجاجة المياه الغازية ، لقد كان نادراً ما يتناول طعام الغداء بمفرده ، ولكن لم يكن أحد يتواجد فى المنزل فى ساعة مبكرة من الظهيرة ما عدا ديفيد .

قال ديفيد : " أنت تعرفها منذ سنتين يا هاربر ، ولا أرى أن فى ذلك أى استعجال ، وإنما على العكس فإن الأمور تسير ببطء شديد " .

" لقد كان الأمر مختلفاً من قبل ، إن علاقتنا لم تبدأ إلا منذ فترة قصيرة ، وهى تريد أن نتروى فى علاقتنا ، وذلك يقتلنى " .

" لا أعتقد أن الناس يموتون من العلاقات الهادئة سأكون أنا أول شخص يحدث له ذلك وسيدرج اسمى فى الدورية بعد وفاتى " .

" وسأقول إننى كنت أعرفه منذ ذلك الحين ، ها هو الطعام هيا نتناوله " .

نظر هاربر إلى الشطيرة التى وضعها ديفيد أمامه بارتياب وقال : " ما هذا ؟ " .

" إنها لذيذة " .

أمسك هاربر بالشطيرة دون اهتمام وسأله مرة ثانية بعد أن أخذ قضمة قائلاً : " ما هذا ؟ ، لحم ضأن ، لحم ضأن بارد ؟ " .

" مع بعض التوابل الحريفة " .

" إن مذاقه طيب " ، ثم أخذ قضمة أخرى وقال : " إننى أفهم النساء جيداً ، ولكنى لا أستطيع فهم ما يدور فى ذهنها ، لم يكن الأمر مهمًا من قبل بالنسبة لى ، لذا فأنا أتخبط الآن ولا أستطيع فهمها جيداً " .

مر ديفيد من جانبه وهو يمسك بشطيرته وقال : " إن أفضل ما فعلته هو أنك قد جئت إلىّ ـ أيها الطالب الصغير ـ قد جئت لأستاذك " .

" أعلم ذلك ، لقد فكرت أن أذهب إليها وأحدثها ، أن أسلك الطريق المباشر " .

" يمكنك ذلك " .

" ولكنها تشعر بالعصبية والتوتر بسبب إميليا ، إنها تخشى أن تتطور علاقتنا ؛ لأن ذلك سيغضبها " .

قال ديفيد : " عليك التقرب منها حتى تطمئنها " .

" على كل ، يمكننى أن أدعوها هى وليلى لتناول العشاء ، وعندما تنام الطفلة يمكننا أن نتحدث ونستمع لبعض الموسيقى " .

" يمكنك أن تصطحبها إلى أحد الفنادق ، حيث خدمة الغرف ، وهناك تستطيعان أن تتحدثا بحريتكما دون أن تظهر لكما إميليا " .

" خدمة الغرف ؟ " .

" أنصت إلىّ جيداً يا هاربر ـ يمكنك أن تصطحبها لتناول العشاء ـ ويكون عشاءً حالما ، يمكنكما أن تذهبا إلى " بى بودى " ، فلديهم غرف فاخرة ، وخدمة ممتازة ـ وطعام شهى وهناك يمكنك مفاتحتها فى أمر الزواج " .

أخذ هاربر يمضغ الطعام ، ويقلب الفكرة فى رأسه ويردد كلمات ديفيد ويقول : " اصطحبها للعشاء ـ فى غرفة بأحد الفنادق ؟ " ثم قال بعد دقيقة : " ألا تعتقد أن ذلك رائع " .

" نعم ، أعتقد ذلك ، مشروبات ـ شموع ، موسيقى ، كل ذلك وأنتم على انفراد فى جناح بأحد الفنادق " .

أخذ هاربر يلعق الصلصة المتساقطة على يده وقال : " أعتقد أننى سأحتاج لغرفتين ـ لأن ليلى ستكون معنا " .

" سيكون من دواعى سرورنا أنا وأمك وميتش أن نعتنى بليلى الجميلة فى هذه الليلة ، وسأقوم أنا بتحضير حقيبة هيلى لليلة واحدة ، وكل ما عليك أن تقوم به هو حجز الغرفة ، وأخذ أشيائها ، ثم ترتيب الخدمة ، ثم حملها إلى الغرفة " .

" إنها فكرة رائعة يا ديفيد كان علىّ أن أفكر فيها من قبل ، وهذا يدل على أننى مشوش الذهن بسببها ، على أن أعود للعمل ، وأتحدث إلى ستيلا حتى تتلاعب فى جدول العمل حتى أستطيع أن أقوم بإنجاز ذلك ، أشكرك " .

" إننى دائماً فى خدمة المحبين " .

dodyadoo www.rewity.com

ارتدت هيلى فستانها الأحمر ، فإنه أفضل ما لديها من ملابس ، وقد كانت تحب مظهرها عندما ترتديه ، ولكنها كانت تتمنى لو كان قد منحها بعض الوقت حتى تذهب لشراء ملابس جديدة ، مناسبة ، فلقد كانت طوال لقاءاتهما ترتدى ملابس فضفاضة وعادية .

لقد رآها من قبل وهى ترتدى هذا الفستان ، بل إنه رآها من قبل فى كل ما لديها من ملابس .

ولكن لا يزال لديها حذاء رائع ، قد استغنت عنه روز وهو ماركة جيمى كوو والذى يساوى ثمنه ثلاثة أضعاف فستانها ، وحدثت هيلى نفسها وهى تنظر إلى نفسها فى المرآة التى بطول الجسم إنه حذاء جميل ويستحق كل بنس ، وقد أعطى لساقىّ مظهرًا مثيرًا وأخفى نحافتهما .

يمكنها أن تعقص شعرها لأعلى ، وأخذت تحرك رأسها يميناً ويساراً أمام المرآة حتى ترى شكل التسريحة .

سألت ليلى التى كانت تجلس على الأرض منهمكة فى إدخال كومة من اللعب الصغيرة فى حقيبة هيلى القديمة وقالت لها : " ما رأيك ؟ هل أعقص شعرى إلى أعلى أم أجعله منسدلاً ، أعتقد أنه يمكننى أن أرفعه إلى أعلى ، فسيبدو بذلك مظهره أكثر جاذبية ، ثم بإمكانى أن أرتدى هذا القرط اللطيف ، دعينا نجرب ذلك " .

حدثت نفسها ، وهى تصفف شعرها ، إنه عندما يدعوك رجل لتناول العشاء فى مكان فأقل ما يجب فعله هو ألا يظهر عليك الرفض .

وفكرت أنه بالإمكان أن يصحبها الليلة حتى غرفتها وذلك إذا قضيا وقتاً أطول معاً ، لذا فيجب أن تطرد إميليا من ذهنها ، وأن تطرد أيضاً فكرة أن والدة هاربر تقطن فى الجناح الآخر وأن ابنتها فى الغرفة المجاورة .

لماذا كل هذا التعقيد ؟

إنها ترغب فى الزواج منه مثلما هو يرغب تماماً وكلاهما صغير السن وهو مستعد مادياً ، يجب أن يكون الأمر أبسط من ذلك .

تذكرت كلمات هاربر وهو يقول إن للوقوع فى الحب مسئوليته ، وللموقف مسئوليته ، لقد بدأت تفكر فى علاقتهما كشىء إيجابى وليس كشىء سلبى .

" إننى أنا التى أجعل الأمر غريباً يا ليلى ، وإننى لا أستطيع أن أمنع نفسى ، ولكنى سأحاول " .

ارتدت القرط الطويل ذا الدلايات الذهبية ، ثم ارتدت قلادة ولكنها ما لبثت أن خلعتها مرة أخرى ، أضافت اللمسة الأخيرة بارتداء القرط ، ثم نظرت لابنتها وقالت : " حسناً ، ما رأيك ؟ هل تبدو أمك جميلة ؟ " .

كل ما فعلته ليلى هو أنها ابتسمت ابتسامة عريضة وهى تضع اللعب فى الحقيبة .

قالت هيلى : " سأعتبر هذه الابتسامة بمثابة رد بالموافقة " . ثم نظرت نظرة أخيرة على مظهرها فى المرآة .

وقد أخذت نفساً جعل جسدها يتحرك بسرعة وشعرت بأن رأسها غير متوازن .

لقد كانت ترتدى فستاناً أحمر ، ولكنه لم يكن ذلك الفستان الأحمر ذا الخطوط الطويلة الرفيعة القصير الذى كانت ترتديه لأكثر من عامين متتاليين .

لقد كان الفستان الذى ترتديه طويلاً ورائعاً ، وكان يكشف بشكل كبير عن صدرها الذى يتدلى فوقه عقد من الماس .

وقد كان شعرها مرفوعاً لأعلى متدلية منه بعض التموجات الذهبية فى أطرافه المنسدلة وكان وجهها جامد التعبيرات وشفتاها حمراوين جذابتين وعيناها رماديتين يتطاير منهما الشرر والغضب . لم تكن هى من فى المرآة .

همست قائلة لنفسها فى المرآة : " إننى لست أنت ، لست أنت " .

استدارت وابتعدت عن المرآة ، وأخذت تلتقط اللعب المتناثرة بأصابع مرتعدة وهى تحدث نفسها قائلة : " إننى أعرف جيداً من أنا وأعرف جيدًا من هى ، إننا لسنا متشابهتين " .

أصابتها رعشة مفاجئة ، وتراجعت للخلف مرة أخرى ، وكانت تخشى أن ترى إميليا تخرج من المرآة وتقف أمامها فى كامل هيئتها ، ولكنها لم تر إلا نفسها فقط ، بعينيها الداكنتين الواسعتين ووجنتيها الشاحبتين .

أمسكت ليلى وهى تقول : " هيا بنا يا صغيرتى " ، ثم أمسكت بحقيبتها القديمة والحقيبة التى ستحملها هذا المساء .

سارت بخطوات متزنة ، وهدأت من سيرها وهى تقترب من درجات السلم ، إن روز ستلاحظ الصدمة على وجهها ، وهى لا تريد أن تخوض فى أى حديث بخصوص إميليا الآن ، إنها تريد أن تجعل الأمور تبدو طبيعية ولو لليلة واحدة .

لذا ، فقد استغرقت وقتاً كافياً حتى تستعيد توازنها ، وتلتقط أنفاسها وتجعل ملامحها تبدو طبيعية ، ثم سارت نحو الردهة وهى تحمل ليلى ورسمت على وجهها ابتسامة .

الفصل العاشر

شق البرق السماء ، وهما فى طريقهما إلى ممفيس ، وكانت حركة المرور بطيئة ، ولكن هاربر كان قد اعتاد على ذلك ، لقد كان من الممكن أن يتجها إلى المدينة ولكن الطقس كان أفضل داخل السيارة ، وكانا يستمعان إلى بعض الموسيقى .

كان هاربر يرفع يده من على عجلة القيادة بين الحين والآخر ، ليريت بها على يدها ، وكانت هذه الإيماءة التى يفعلها عن غير قصد قد جعلت قلبها يتراقص ويخفق بشدة .

لقد كانت محقة فى ألا تقول له شيئاً عن الرؤية أو شبح إميليا ـ أياً كان ـ والذى رأته فى مرآة حجرة نومها ، ويمكنها أن تخبره بذلك فى صباح الغد ، فهو ليس ببعيد .

www.rewity.com

قالت عندما كان يقوم بركن سيارته فى المرآب : " إننى لم أتناول طعام العشاء هنا من قبل ، أراهن أنه مكان رائع " .

" إنه من أفخم الأماكن فى ممفيس " .

" لقد جلست فى بهو الاستقبال من قبل فلا يمكن أن تأتى إلى ممفيس دون أن ترى منتزه فندق " بى بودى " الرائع ، فكأنك لم ترى " جريس لاند " أو " بيل ستريت " .

" أنسيت " صن ريكوردز " ؟ " .

رمقته بنظرة صارمة وقالت : " أوه ، أليس ذلك هو ألطف مكان ؟ ، ولا تعتقد أننى لا أفهم أنك تخدعنى " .

" إننى أضحك بينى وبين نفسى ، فهى ليست ضحكة صريحة " .

" حسناً إن " بى بودى " يحتوى على بهو استقبال رائع لا مثيل له " .

" نعم ، معك حق " .

" أعتقد أنك تعرف كل ما يجب معرفته عن المكان ؛ لأنك كنت تقطن هنا " .

قادها نحو بهو الاستقبال وقال : " إننى أكتشف الجديد طوال الوقت " .

" بإمكاننا أن نتناول مشروباً هنا قبل العشاء بجوار النافورة ، وتخيلت تناول مشروب بارد ومنعش يتناسب مع ما تشعر به من سعادة كالكوكتيل أو بعض من مشروب الصودا المنعش ، ثم أردفت قائلة : " هل هناك وقت لذلك ؟ " .

سار بجانبها متجهين نحو المصعد وهو يقول : " بإمكاننا ، ولكن سيروق لك كثيراً ما أعددته الليلة " .

نظرت خلفها بندم وهى تشاهد المرايا الملونة والأرضيات الرخامية الفاخرة ، قالت : " هل هناك غرفة طعام بأعلى ؟ أعتقد أنه لا يوجد ، أليس كذلك ؟ ، إن المطاعم الموجودة بأعلى على السطح تكون دوماً فخمة ورائعة ، إلا إذا أمطرت السماء ، أو هبت رياح شديدة ، أو كان الطقس حاراً " ، ثم أطلقت ضحكة وهى تضيف : " أعتقد أن المطاعم التى تكون على السطح تكون جميلة بحق فى أفلام السينما " .

ابتسم وهو يدفعها برفق أمامه : " ألم أخبرك بأنك رائعة الجمال الليلة ؟ " .

" لقد أخبرتنى ، ، ولن أمانع فى أن تكررها ثانية " .

تحسس وجنتيها بأنامله وهو يقول : " إنك تبدين رائعة الجمال ، عليك دوماً أن ترتدى اللون الأحمر " .

تحسست سترته السوداء بأصابعها وهى تقول : " وأنت لا تقل روعة ، أعتقد أن معظم النساء لن يستطعن تناول طعامهن لأنهن سيحسدننى على حظى السعيد " .

" إذا كان الأمر كذلك ، فمن الأولى أن نبتعد عنهن " ، ثم أمسك بيدها بينما كان باب المصعد يفتح ثم قادها نحو الردهة قائلاً : " تعالى معى " .

" ماذا يحدث ؟ " .

" لقد أعددت شيئاً أتمنى أن يعجبك " ، توقف عند أحد أبواب الغرف وأخرج مفتاحاً وفتح الباب ثم أشار لها قائلاً : " تفضلى بالدخول ، وسأتبعك " .

دلفت إلى الداخل وقد احتبست أنفاسها وهى ترى الغرفة الفسيحة ، ووضعت يدها على صدرها وهى تخطو

على القرميد ذى اللونين الأبيض والأسود وتتجه نحو الردهة ، حيث الشموع المضاءة وزهور الزنابق الحمراء الجميلة الموضوعة فى مزهرية زجاجية .

كانت الألوان غنية وتنبض بالحياة ، وكانت النوافذ العريضة تعكس أضواء المدينة المتلألئة ، وفى مقدمة الغرفة كانت هناك مائدة لفردين وفوقها زجاجة ترقد فى إناء فضى لامع وكوبين رائعين .

وكانت هناك موسيقى ناعمة ، حالة تنبعث من حولهما وتملكها الذهول والدهشة من روعة ما ترى ، والتفتت فرأت سلماً يؤدى إلى الطابق الثانى .

قالت : " أقمت ... أقمت بترتيب كل ذلك ؟ " .

" أردت أن أكون بمفردى معك " .

كان قلبها لا يزال يخفق بشدة وهى تستدير لمواجهته وتقول : " أفعلت ذلك من أجلى ؟ " .

" من أجلنا " .

" هذه الغرفة الجميلة الرائعة من أجلنا ، كل هذه الزهور ، الشموع ـ إننى لا أكاد أصدق من فرط السعادة التى تغمرنى " .

خطا نحوها وأمسك بيديها وهو يقول : " هذا ما أردته ، لقد أردت أن تكون الليلة ليلة مميزة ، ليلة لا تنسى وأريدك أن تكونى أسعد امرأة فى العالم " ، ثم رفع يديها إلى شفتيه وقال : " رائع " .

" إننى لم أشعر من قبل بكل هذه السعادة ، إنها بالفعل ليلة مميزة " .

" إنها البداية فقط ، لقد طلبت العشاء بالفعل ، وسيحضرونه بعد خمس عشرة دقيقة ، وهو وقت كاف لنتناول مشروباً ، ما رأيك فى بعض الشراب ؟ " .

" إننى لا أرغب فى تناول شىء إلا بعض الشراب الآن ، أشكرك " ، ثم انحنت نحوه وقبلته .

" من الأفضل أن أفتح هذه الزجاجة وإلا فسأنسى خططنا ؟ " .

" هل هناك خطط ؟ " .

أخرج زجاجة الشراب من الإناء الفضى وهو يقول : " إلى حد ما يمكنك أن تستريحى وألا تشغلى ذهنك بشىء ، ولقد أعطيت أمى رقم الهاتف هنا وهى لديها رقم هاتفك المحمول وكذلك رقم هاتفى ، ولقد وعدتنى أن تتحدث معنا إذا ما انتاب ليلى أى شىء حتى ولو كان الفواق " .

انتزع سدادة الزجاجة بينما انفجرت هى فى الضحك وهى تقول : " حسناً ، أعلم جيداً أن روز ستضع كل شىء تحت السيطرة " .

قالت : " أشعر وكأننى سندريلا دون وجود أخواتى غير الأشقاء ، فأنا مثلها تماما " .

" هذا إذا كان الحذاء يناسب قدمك " .

" إن المكان رائع يا هاربر ، إننى أستمتع بكل شىء هنا ، لا أريد أن أفوت أى لحظة دون الاستمتاع بما حولى وأجوب كل أرجاء المكان ، أعتقد أن الحمام شديد الفخامة ، أتعتقد أن المدفأة تعمل ؟ أعلم أن الجو حار ، ولكنى لا أبالى " .

أعطاها شرابها وقال : " سنقوم بإشعالها ، فى نخب للحظات السعيدة " .

صمتت لحظة ثم قالت : " وفى نخب الرجال الذين يجعلون هذه اللحظات سعيدة " ، ثم أردفت بعد أن تناولت رشفة من الكأس وقالت : " إن مذاقها رائع ، لابد أننى أحلم " .

" إذا كنت تحلمين ، فأنا أيضاً كذلك " .

داعب عنقها بأنامله ثم جذبها نحوه برقة ، وفجأة سمع طرقاً على الباب ، فمط شفتيه فى استياء وقال :

" لابد أنها خدمة الغرف ، سأفتح الباب ، وبمجرد أن يضعوا طعام العشاء ، سنكون بمفردنا تماماً ولن يقاطعنا أحد بعد الآن " .

لقد جعلها أمسية رائعة بالفعل ، ولقد رسم لها صورة جميلة بكل تفاصيلها ، فبدت لها الأمسية وكأنها صفحات فى قصة رومانسية حالمة ، وبفضله ، جلست فى جناح فاره على ضوء الشموع ، والوميض المنعبث من المدفأة ، وكان عبير الزهور يفوح ويملأ المكان برائحة ذكية ، وكان هناك عشاء شهى ، لم تستطع أن تتناول منه كثيراً من فرط السعادة التى كانت تشعر بها .

سألته قائلة : " حدثنى عن طفولتك " .

قال : " إننى أحب أشقائى بشدة ، على الرغم من أنهم كانوا يضايقوننى " .

قالت : " كنت أشعر بمدى قوة العلاقة التى تربط بينكم عندما كانوا يأتون للزيارة ، على الرغم من أنهم يعيشون بعيداً عن ممفيس ، فأنتم الثلاثة تمثلون فريقاً واحداً " .

سألها : " هل كنت ترغبين وأنت صغيرة فى أن يكون لديك أشقاء ؟ " .

www.rewity.com

قالت : " نعم ، كنت أرغب فى ذلك ، وعلى الرغم من أنه كان لدىّ أشقاء ، وبخاصة تمنيت أن يكون لدىّ أخت ، أفضى إليها بأسرارى فى منتصف الليل أو حتى أتشاجر معها ، أعتقد أنك تعرف ذلك الشعور جيدا " .

" لقد كنا كعصابة من الأطفال ، وبخاصة عندما انضم إلينا ديفيد " .

" أراهن أنكم كنتم ستصيبون روز بالجنون " .

ابتسم ورفع كأسه وهو يقول : " لقد بذلنا أقصى ما فى وسعنا من أجل ذلك ، لقد كنا نشعر ونحن أطفال بطول ليالى الصيف وأيامه الحارة ومازلت أتذكر الفناء ، والأشجار ، فقد كان ذلك عالمى كله ، مازلت أشم رائحة الأشجار ، وكيف كنا نسمع أصوات الطيور طوال الليل فى هذا الوقت من العام " .

قالت : " لقد كنت أترك نافذة حجرتى مفتوحة قليلاً بالليل حتى أسمع أصواتها بوضوح . أعتقد أنه قد واجهتكم بعض المواقف المحرجة " .

قال : " أكثر مما تتخيل ، فلم أكن أستطيع أن أخفى عن أمى شيئاً ، فقد كانت كما لو أن لديها رادارا ، إننى أتذكر جيدا كيف كانت تعرف كل ما أفعله وأنا بالخارج فيما هى منهمكة فى أداء شىء بالمنزل أو بالحديقة " .

وضعت مرفقها على الطاولة وأمسكت ذقنها بيدها وقالت : " قص علىّ موقفا من هذه المواقف " .

قال : " لقد كنت على علاقة بإحدى الفتيات وذلك بعد أن أتممت عامى السادس عشر وخرجت معها فى إحدى المرات ، فأنت تعرفين جيداً سن المراهقة ، فوجدت أمى قد جاءت إلى غرفتى فى الصباح التالى ووجدتها تعلم بما بينى

وبين هذه الفتاة وإننى قد دعوتها فى الليلة السابقة ، وأخذت تحدثنى عن المسئولية وأنه لا يجب أن أندفع وراء عواطفى وأننى قد أصبحت راشدًا ويجب علىّ أن أنظر إلى الأمور بتعقل وأن ألتفت إلى دراستى ومستقبلى " .

" وماذا قلت لها ؟ " .

قلت لها : " سأفعل ذلك يا أمى ، وعندما غادرت الغرفة وضعت الأغطية على رأسى وتساءلت كيف علمت أمى بأمر علاقتى مع جينى بروكتر لقد كان الأمر محيرا ومهيناً "

" أتمنى لو كنت كذلك " .

رفع حاجبه وهو يلتهم إحدى حبات الفراولة : " أن تشعرى بالحيرة والإهانة " .

قالت : " لا ، أقصد فى مثل ذكاء أمك ، وأن أكون حكيمة مع ليلى عندما تشب عن الطوق " .

" ليس مسموحاً لليلى بإقامة أى علاقات على الإطلاق حتى تكون ناضجة بما يكفى " .

تناولت حبة الفراولة التى أعطاها إياها وهى تقول : " معك حق ، ماذا حدث لـ جينى بروكتر " .

ارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يتذكر ما حدث : " لقد أجبرت على الذهاب إلى كاليفورنيا لتلتحق بالجامعة هناك ، ومكثت هناك وتزوجت من سيناريست " .

قالت : " يا لك من مسكين ، لن أسألك عن شىء آخر محرج " .

أدارت رأسها ناحيته ، ونظرت فى عينيه مباشرة وهى تقول : " هل سنظل هكذا طوال الليل نحتسى الشراب ، أهذه هى كل خططك ؟ " .

قال : " لا ، هيا بنا نرقص لبعض الوقت " .

وهكذا ظلا طوال الليلة يتسامران ويتحدثان ويرقصان على أنغام الموسيقى الهادئة المنبعثة من حولهما ، وقضيا معا ليلة من أروع ليالى حياتهما ، فقد ذابت روحهما واتحد جسداهما ونسيا العالم من حولهما .

استيقظت فى الصباح التالى وهى تشعر بنشوة وسعادة غامرة ، فهى لا تزال تصدق أنها قد قضت ليلة رائعة مع هاربر ، لقد كانت بحق ليلة لا تنسى ، فما أجمل المشاعر والأحاسيس التى تعتريها الآن ، إنها تشعر وكأنها تحلق فى السماء ، فليس فى الحياة أجمل من أن تكون بجوار الشخص الذى تحبه وتعشقه ، إنها لم تشعر من قبل بكل هذه المشاعر الجميلة حتى مع والد ليلى " .

همست قائلة لهاربر الذى يتمدد بجوارها : " لقد كانت ، ليلة جميلة ، إنك بحق رائع ، إننى أشعر أنه لو غادرت المكان إلى الخارج الآن ، فالسعادة والضياء اللذان بداخلى سيبهران سكان ممفيس كلها " .

قال : " من الأفضل أن تظلى معى الآن " .

قالت وهى تتمطى كالقطة : " إنك على حق ، أتدرى ؟ لقد كنت أشعر بوحدة شديدة قبل أن ألقاك ، لقد دخلت حياتى وملأتها وجعلتنى أشعر بالسعادة " .

اهتزت كتفاه وهو يطلق ضحكة عالية ويطوقها بذراعيه : " إننى سعيد لأن أكون ... فى خدمتك دائمًا " .

دفنت وجهها فى صدره وهى تقول : " أشكرك على أى شىء فعلته من أجلى ، إنه لشىء جميل أن تمضى وقتًا جميلا فى هذا المكان " ، ثم مررت أصابعها على شعرها

وقالت : " إن كل شىء حولنا ناعم ورائع ، أتمنى لو كان بإمكاننا أن نبقى وقتا أطول ، وتتكرر تلك الليلة التى أمضيناها معا " .

قال : " يمكننا أن نبقى ، وأن نتناول طعام الإفطار فى الفراش الآن " .

قالت : " هذا يبدو رائعاً ، ولكن أتدرى ، ليلى — " .

قال : " إنها نائمة فى فراشها المحمول الذى نقلناه فى غرفة معيشة أمى فى وقت مبكر اليوم " ، عندما اتسعت عيناها من الدهشة ، طبع قبلة على جبينها وأردف قائلا : " إنه لمن دواعى سرور أمى أن تعتنى بها أثناء الليل " .

ارتكزت على مرفقها وقالت : " أمك ... أوه يا إلهى ، هل يعلم الجميع بأمر ذلك ما عداى ؟ " .

قال : " إلى حد ما " .

قالت : " هل تعلم روز بأننا ... هذا شىء غريب ، ولكنى لا أعتقد أننى — " .

" لقد استطاعت أمى أن تربى ثلاثة أولاد حافظت على حياتهم وحمتهم من دخول السجن " .

" ولكنى أم بشعة ، إننى أريد أن أمكث هنا طويلا " .

" إنك لست أمًا بشعة ، بل إنك أم رائعة " ، نهض وأمسك بكتفيها وقال : " إنك تعلمين جيداً أن ليلى بخير وتعلمين أيضاً أن أمى تحب أن تعتنى بها وتحب أن تبقى معها " .

" أعلم ، أعلم ذلك بالفعل ولكن ... ماذا لو استيقظت ليلى واحتاجتنى بجوارها ، حسنا " ، تنهد رافعاً حاجبيه وقال : " إذا ما استيقظت فستتولى روز أمرها ، وليلى تحب

www.rewity.com

أن تبقى معها ومع ميتش ، إننى أردد الكلام كثيراً وأكرر نفس الإجابات " .

وأردف : " ولكنك حقاً أم جميلة ورائعة " .

تجولت ببصرها فى الحجرة ، إنها رائعة ، فاخرة ـ ما أجمل الحرية ، ثم قالت : " هل يمكننا أن نبقى هنا بالفعل ؟ " .

" أتمنى أن توافقى على ذلك " .

عضت شفتيها وقالت : " إننى لم أحضر أى شىء معى ، أتدرى ذلك ؟ ولا حتى فرشاة أسنان ، أو فرشاة شعر ، إننى ليس لدى ـــ " .

" لقد حزم ديفيد لك أشياءك فى حقيبته " .

" حسناً ، لقد كان يعلم أننى سأرغب فى البقاء " .

قال : " هذه هى الخطة ، إذا لم يكن لديك مانع " .

قالت وقد لمعت عيناها من السعادة : " لا ، ليس لدىّ مانع على الإطلاق " .

هرعت وهى تغادر الحمام فى وقت متأخر من ذلك اليوم وقالت :

" هاربر ، هل رأيت هاتين المنشفتين اللتين فى حمام حجرتك ؟ إنهما كبيرتان وناعمتان ثم أخذت تتحسسهما بوجنتيها وهى تقول : " إنهما اثنان ، واحدة لكل منا ، أريد أن آخذ واحدة منها إلى حجرتى " .

فتح عينيه بتكاسل ، وأخذ يحدث نفسه قائلاً : " إن لديها قوة ملاحظة " ، ثم رد عليها قائلاً : " جميل وهو كذلك " .

قالت : " إن كل شىء هنا رائع " .

فغمغم قائلا : " إنه جناح روميو وجوليت " .

" ماذا ؟ " .

قال : " الجناح ، جناح روميو وجوليت " .

" حقاً ، ولكن ذلك ... " ، ثم رفعت حاجبيها وقالت : " إذا ما فكرت فى الأمر ملياً ، فستجد أنهما مراهقان قد انتحرا " .

ضحك قائلاً : " أهذا هو رأيك ؟ " .

قالت : " إننى لا أشعر بأن قصتهما قصة رومانسية على الإطلاق ـ ولكن قصتهما بمثابة مأساة ـ وتنم عن الغباء الشديد " ، ثم صححت قائلة : " لا أقصد المسرحية بالطبع إنها رائعة ، ولكن هذه الشخصية ؟ أوه ، يا إلهى ، لقد ماتت سأتناول ذلك السم ، أوه ، لقد مات ، سأطعن نفسى ، أوه إننى أثرثر كثيراً " .

قال وهو ينظر إليها : " إنك تخلبين لبى " .

قالت : " إننى أتشبث برأيى دوماً فيما يخص الكتب ، ولكن أياً كان اسم الجناح ، فهو رائع ، إنه يجعلنى أرغب فى أن أرقص طوال اليوم " .

قال : " كان علىّ أن أحضر آلة تصوير لألتقط لك الصور وأنت ترقصين " .

أمسكت بالمنشفة ، ودارت حول نفسها قائلة : " لا أمانع فى ذلك ، فهذا شىء جميل ، وعندما أطعن فى السن ويمتلئ وجهى بالتجاعيد ، فحينئذٍ سأنظر إلى صورى وأتذكر هيئتى وأنا صغيرة " .

سألته قائلة : " هل تم التقاط صور كثيرة لك فى عدة مراحل عمرية ؟ " .

قال : " ليس لدىّ الكثير من الصور ، وأنت " .

www.rewity.com

قالت : " وأنا أيضاً ليس لدىّ الكثير من الصور وكما ترى فإننى نحيفة بعض الشىء " .

قال : " إنك جميلة " .

وكان يعنى ذلك بالفعل ، أليست هذه معجزة ؟ إنها تستطيع أن تلمح فى عينيه ما يعتمل داخله من أحاسيس ، وتستشعره أيضا فى كل لمسة من لمساته ، نهضت ثم لفت المنشفة حول جسمها وقالت : " إننى أشعر بأننى جميلة ، ومتوردة الخدين ورشيقة " .

قال : " هيا نطلب بعض الحلوى " .

توقفت عن الدوران وقالت : " حلوى ؟ ولكنها الثانية صباحاً " .

قال : " إن لديهم هذا الاختراع الرائع الذى يسمى خدمة الغرف أربع وعشرين ساعة " .

قالت : " طوال الليل ؟ يالى من ريفية خرقاء ، ولكنى لا أبالى " ، ثم ألقت بنفسها فوق الفراش وقالت : " هل يمكننا أن نأكلها هنا ؟ فى الحجرة ؟ " .

قال : " إن لوائح خدمة الغرف تقتضى أن تأكلى فى الحجرة طالما أنك قد أمرت بطلب شىء بعد منتصف الليل " .

ابتسمت ابتسامة ماكرة وقالت : " يا لها من لوائح قاسية " .

وجلسا على الفراش واضعاً بينهما كعكة رائعة من الشيكولاتة .

قالت وهى تأخذ قضمة أخرى من الكعك : " إن معدتى ممتلئة عن آخرها ، ولكنها لذيذة وشهية " .

مد ذراعه ليمسك بأحد الأكواب الموضوعة على الأرض : " هيا نتناول بعض المياه الغازية " .

قالت : " لا أصدق أنك طلبت زجاجة أخرى من المياه الغازية " .

قال : " لا يمكن تناول كعكة الشيكولاتة دون أن يكون بجانبها بعض من المياه الغازية ، إنها لذيذة " .

قالت وهى ترتشف بعضاً منها : " معك حق " ، ثم غرزت الشوكة فى قطعة أخرى من كعكة الشيكولاتة وقربتها من فمه وهى تقول : " يجب أن تتناول هذه القطعة حتى ترتفع منزلتك عندى ، وكذلك فإننى لن أرضى أيضاً سوى بقضاء عدة أيام فى باريس أو رحلة سريعة إلى توسكانى " .

قال : " وما رأيك فى زيارة بيمينى ؟ " .

أطلقت ضحكة عالية ثم نامت على ظهرها وهى تقول : " إذا ما تناولت قضمة أخرى ، فسوف أندم على ذلك طوال حياتى " .

نحى الطبق جانباً وقال : " وأنا لن أرضى بذلك ، ثم اقترب منها وطوقها بذراعيه وأردف قائلا : " إننى لا أستطيع أن أصف لك مدى سعادتى " .

قالت : " يا إلهى ، هاربر ، إننى أحلم ، إننى سأطير من السعادة " .

كانت تشعر بالاعتداد بنفسها والتحرر وهى تغادر المصعد بصحبة هاربر فى طريقهما إلى البهو وكانت تحمل حقيبتها ، لقد كان الوقت يشارف على الظهيرة ، لقد كانت تفكر فى اليوم الجميل الذى قضته واستمتعت بكل لحظة

فيه ، لقد تناولت طعام الإفطار فى الفراش ، وأخذت تحدث نفسها أنها لم تنعم بمثل هذه الحياة المرفهة من قبل .

حتى إن طلاء الأظافر الذى تضعه فى أصابع قدمها كان يلمع ويتلألأ .

طبع هاربر قبلة على جبينها وهو يقول لها : " سأذهب لأسدد فاتورة الفندق ، لماذا لا تجلسين هنا ؟ " .

قالت : " سأتجول قليلاً ، وألقى نظرة على كل شىء هنا ، كما أننى أريد أن أبتاع بعض الهدايا من محل الهدايا الموجود هنا " .

" سأعود على الفور " .

زفرت فى سعادة وارتياح ، فقد أرادت أن تحتفظ فى ذاكرتها بكل تفاصيل الليلة التى قضتها فى ذلك المكان الرائع : الناس ، النافورة ، الحراس ، المعارض الفاخرة ومحلات المجوهرات الرائعة .

ابتاعت لعبة على هيئة بطة صغيرة من أجل ليلى وإطاراً من الفضة من أجل روز تعبيراً عن امتنانها وشكرها ، ثم ابتاعت أيضاً بعض قطع الصابون التى على شكل بط وكذلك قبعة صفراء من أجل ليلى والتى ستبدو فيها رائعة و ...

قطع هاربر أفكارها وهو يقول : " لا ينبغى على أى رجل عاقل أن يترك امرأة فى محل هدايا " .

قالت : " لم أستطع أن أمنع نفسى ، إنها هدايا غاية فى الروعة " ، ثم أردفت عندما رأته يمد يده ليخرج محفظته : " لا ، سأدفع أنا ثمن هذه الأشياء " ثم وضعت الأشياء التى اختارتها عند خزينة الدفع وقالت : " هذه من أجلك " .

قال : " صابون على هيئة بط ؟ " .

أومأت برأسها وهى تقول : " حتى تتذكر الساعات التى قضيناها هنا " ، ثم قالت للصراف : " لقد قضينا هنا وقتاً رائعاً "

قال لها الصراف : " إننى سعيد لأنك استمتعت بإقامتك فى الفندق ، هل أنت جئت فى عمل أم لقضاء وقت طيب ؟ " .

جمعت هيلى أشياءها وهى تقول : " من أجل قضاء وقت طيب ، والاستمتاع فقط " ، ثم وضعت يدها فى يد هاربر وهما يتجهان مرة ثانية نحو البهو وقالت : " من الأفضل أن نذهب إلى المنزل على الفور قبل أن تنسى ليلى شكلى و ... أوه انظر إلى ذلك السوار الخلاب " .

كانت واجهة العرض فى محل المجوهرات تحتوى على قطع من الحلى تلمع وتتلألأ أمامهما ، إلا أن هيلى لم تر سوى هذا السوار الرقيق المرصع بقطع الماس الأبيض وبه قلوب متلألئة من أحجار الياقوت .

قالت : " إن تلك القطع خرافة ، أعنى ، إنها رائعة ، فخمة ، وتلك القلوب تجعلها رومانسية ساحرة ، إن هذه المجوهرات الثمينة لها رونق خاص " .

" جميل " .

قالت : " جميل فقط " إنها أكثر من رائعة ، هناك الكثير من المجوهرات الأخرى التى تحتوى على أحجار أكبر ، وقطع ماس أكثر ولكن هذه القطعة تفوقها رقة وجمالاً ، على الأقل بالنسبة لى " .

نظر إلى اسم وعنوان المتجر ثم قال : " هيا بنا لنبتاعها " .

www.rewity.com

أطلقت ضحكة عالية ، ثم قالت : " بالطبع ، لِمَ لا نشترى سيارة جديدة أيضاً ونحن فى طريقنا إلى المنزل ؟ " .

قال : " إننى أحب سيارتى ، ولكن السوار يناسبك وسيبدو رائعاً عندما ترتدينه ، إن أحجار الياقوت تناسب جمالك " .

قالت محاولة صرف نظره عن ذلك : " إننى لا أرتدى مثل هذه الأشياء " .

ثم جذبته من يده ، ولكنه ظل يتفحص السوار ، وكلما أطال النظر إليها ، شعر بأن السوار يناسبها وأخذ يتخيلها وهى ترتديه وقال : " سأتحدث إلى البائع " .

تراجعت للخلف وهى تشعر بالإحباط وتقول : " هاربر ، إننى كنت فقط أنظر إليه ، هذا ما نفعله نحن الفتيات دائمًا ، فدائماً ما يظل النظر إلى واجهات العرض هو هوايتنا " .

قال : " أريد أن أبتاعه من أجلك " .

تملكها الفزع وهى تقول : " لا ، لا يمكن أن تتباع لى شيئاً كهذا ـ إن ثمنه يقترب من ـــ إننى حتى لا أستطيع أن أخمن " .

قال : " إذن هيا بنا لنعرفه " .

قالت : " هاربر ، انتظر ، إننى فقط ... إننى لا أنتظر أن تبتاع لى المجوهرات الثمينة ، إننى لا أتوقع منك أن تفعل شيئاً كهذا ، لقد قضيت هنا ليلة من أروع أيام حياتى ، وأنا لا أنتظر منك شيئاً فى المقابل " .

قال : " إن الأمر ليس كذلك ، لقد قضيت أنا أيضاً ليلة من أروع أيام حياتى ، فهى تعنى تماماً ما تعنيه بالنسبة لك ، وأنت تعلمين أننى قد ورثت بعض الصفات عن أمى ،

ولهذا فأنت تعرفين أننى إذا ما فعلت شيئاً كهذا فهذا يرجع إلى رغبتى فى فعله ، وإننى أريد أن أبتاع لك هذا السوار " ، ثم طبع قبلة على جبينها وقال : " انتظرى هنا لحظة " .

ودون أن تنبس ببنت شفة ، راقبته وهو يتجه نحو محل المجوهرات .

وظلت هكذا وهما فى طريقهما إلى المنزل ، حيث كان السوار المرصع بالماس وأحجار الياقوت يتلألأ فى معصمها .

الفصل الحادى عشر

كانت تشعر بالاضطراب والقلق بقية الظهيرة ، وصبت كل اهتمامها على ليلى ، وقد اعتراها شعور غريب بالذنب لأنها قد تركت طفلتها ، ولكنها حاولت أن توازن بين شعورها كأم افتقدت طفلتها وبين شعورها بأنها قد قضت وقتاً رائعاً بدون وجودها .

وحدثت نفسها بأن الشعور بالذنب ينتابها فى عدة صور وأشكال ، وبعد فترة من الوقت ، عادت روز من العمل ، وقد اعترى هيلى شعور شديد بالذنب .

تثاءبت روز ونظرت إلى هيلى التى كانت تقف فى البهو : " مرحباً بعودتك إلى المنزل ، هل قضيت وقتاً طيباً ؟ " .

" نعم ، لقد كان وقتاً رائعاً ، بل أكثر من رائع ، لقد أنجبت أفضل رجل فى العالم يا روز " .

www.rewity.com dodyadab

" هذا هو الهدف " .

ودون وعى أخفت السوار الذى فى معصمها بيدها الأخرى وقالت : " روز ، إننى لا أدرى كيف أشكرك ؛ لأنك قد اعتنيت بليلى ، إننى لا أستحق كل هذا " .

قالت روز : " لقد استمتعت بذلك ، بل لقد كان من دواعى سرورنا جميعاً " .

" أين هى ؟ " .

قالت روز وعلى وجهها ابتسامة باهتة : " لقد أرهقت كثيراً ، إنها تغفو قليلاً الآن " .

قالت هيلى : " حسنًا ، لقد أحضرت لك هدية " .

أخذت روز الصندوق منها ، وشرعت فى فتحه وهى تقول : " أوه ، أليس هذا شيئاً لطيفاً " . ثم ابتسمت عندما وجدت الإطار بداخله وقد وضعت فيه هيلى صورتها هى وروز فأردفت روز قائلة : " إنها صورة جميلة ، سأضعها على مكتبى فى غرفة المعيشة " .

" أتمنى ألا تكون ليلى قد أزعجتك الليلة الماضية " .

" لا ، على الإطلاق ، لقد قضينا وقتاً لطيفاً معاً " .

" أنا وهاربر ، أوه ... هل يمكن أن نجلس لدقيقة ؟ " .

جلست روز على الأريكة وقد مدت ساقيها ووضعتهما على المائدة وهى تقول : " يا ترى هل أعد ديفيد بعضاً من عصير الليمون ؟ إننى على استعداد لأن أرتشف جالوناً " .

" سأحضر لك بعضاً منه " .

أشارت لها روز بأن تجلس على المقعد وهى تقول : " سأقوم أنا بإحضاره فى ثوانٍ ، والآن أخبرينى بما يدور فى ذهنك " .

جلست هيلى معتدلة الظهر ووضعت يدها على ساقيها ، وقالت : " إننى أعلم جيدا ... أنه من الصعب أن أكون على علاقة صداقة طيبة مع والدة الرجل الذى ... أرتبط به عاطفيا " .

قالت : " إذن فعلاقتنا الطيبة منحة إضافية " .

" نعم ، وأعتقد أن الأمر لا يمثل صعوبة كبيرة بالنسبة لى لأننى عرفتك جيدا ، وأصبحنا أصدقاء ، ومازالت علاقتنا قوية حتى بعد ـــ " .

" بعد ارتباطك العاطفى بهاربر " .

" نعم ، لا أدرى ماذا أقول بالضبط ؛ لأن العلاقات بيننا متشابكة ، ولكنى أردت فقط أن أقول إنك قد ربيت رجلا مذهلا ، رائعا ، أعلم أننى قد أخبرتك بذلك من قبل ولكنى أريد أن أقولها ثانية ، لقد واجه هاربر مشكلات من أجلى ، ومنحنى الاهتمام ، ليس هناك رجال كثيرون مثله ، على الأقل من بين الذين قابلتهم فى حياتى " .

قالت : " إنه شخص مميز ، إننى سعيدة لأنك تلمسين ذلك وتقدرينه حق قدره " .

" إننى كذلك بالفعل ، لقد اصطحبنى لأجمل جناح فى أفخر فندق ، وأعد الزهور ، والطعام الفاخر ، لم يمنحنى أى شخص ذلك من قبل ، إننى لا أقصد الإسراف أو البذخ ، إننى أرضى بأى شىء حتى لو كان شريحة من اللحم أو أى حجرة متواضعة فى فندق صغير " ، ثم غمغمت قائلة : " أوه ، يا للوقاحة " .

" إنها ليست وقاحة ، إنك صادقة وأمينة " .

" أعنى ، أنه لم يمنحنى أحد كل هذا الاهتمام من قبل ، أو قام بإعداد هذه الليلة الجميلة من أجلى " .

" إنه لشعور مثير أن تقعى فى الحب ، وأن يمنحك شخص كل هذا الاهتمام فجأة " .

قالت هيلى بارتياح : " نعم ، هذا ما أعنيه ، وكل ما أريدك أن تعلميه أننى لن أستغل اهتمامه بى " .

قالت : " هل أبتاع لك هذا السوار ؟ " .

قالت هيلى فى ارتباك : " نعم ، روز ـــ " .

" لقد أثار إعجابى منذ لحظة دخولى ، وقد لاحظتك وأنت تخفينه بيدك ، وكأنك قد سرقته " .

" إننى أشعر بذلك بالفعل " .

رفعت روز حاجبيها وهى تلوح بيدها وقالت : " لا تكونى سخيفة ، إنك تجعلينى أشعر بالتوتر " .

" إننى لم أطلب منه أن يبتاعه لى ، وأخبرته بألا يفعل ، وكل ما فعلته أننى أبديت إعجابى به ، ولكنه اتفق مع متجر المجوهرات ، ولم يخبرنى بثمنه " .

قالت : " أتمنى ألا يفعل ، فلقد ربيته تربية أفضل " .

" روز ، ها هى الأحجار ، إنها أحجار كريمة " .

" لقد بذلت مجهودا كبيرا اليوم ، ولا أقوى على الوقوف على قدمى ، ولا تجعلينى أنهض حتى ألقى نظرة جيدة عليه " .

جاشت مشاعر هيلى ، فاتجهت نحو روز ومدت معصمها حتى تريها السوار ، فشدتها روز لتجلس بجوارها على الأريكة وقالت لها : " إنه رائع ويناسبك بشدة ، كم عدد القلوب المصنوعة من أحجار الياقوت ؟ " .

" إننى لم أحصها " ، ثم شرعت فى العد وقالت : " أربعة عشر بجانب عشرة فصوص ماسية ، وهناك فصان

بين كل قلب والآخر ، أوه يا إلهى ، إننى أتصرف بوقاحة " .

قالت : " لا ، فأنت فتاة ، ولديك ذوق رائع ، يجب عليك ألا ترتديه أثناء العمل ، حتى لو كانت لديك الرغبة الملحة فى ذلك ، وإلا فسيتسخ " .

" ألست مستاءة منى ؟ " .

" إن لهاربر مطلق الحرية فى أن ينفق نقوده كما يشاء ، ولديه من الذكاء ما يجعله ينفقها فى الموضع الصحيح ، لقد ابتاع لك هدية جميلة ، فلِمَ لا تستمتعين بها ؟ " .

" كنت أعتقد أن ذلك سيغضبك " .

" إذن ، فأنت تقللين من قدرى " .

اغرورقت عيناها بالدموع وهى تلتصق بروز وتقول : " لا ، لا إننى لم أقصد ذلك ، إننى أحبك ، واعتذر عما بدر منى ، إننى مرتبكة ، إننى سعيدة للغاية ، إننى خائفة ، إننى أحبه ، إننى أحب هاربر " .

طوقتها روز بذراعيها وربتت عليها برقة : " أعلم ذلك يا حبيبتى " .

تراجعت هيلى للخلف وهى تقول : " أتعلمين ذلك حقاً ؟ " .

ابتسمت روز ، وأزاحت بيدها شعر هيلى للخلف وقالت : " انظرى إلى نفسك . إنك تجلسين هنا تذرفين دموعاً هى فى نفس الوقت دموع خوف وسعادة ، وهو إحساس المرأة التى أدركت أنها وقعت بجنون فى حب رجل ما ولا تدرى كيف حدث لها ذلك " .

" كنت لا أدرى بذلك حتى الليلة الماضية ، كنت أدرك من قبل أننى أكن له بعض الإعجاب ، وكنت أشعر بأننى

أرغب فى وجودى معه طوال الوقت ، و ... يا إلهى " ، ثم وضعت يديها على عينيها وقالت : " لماذا أشعر أن هذا الموقف كله فى غاية الصعوبة " .

قالت روز : " إننى أعترف بأن الموقف فريد وغريب بعض الشىء ولكنى أستطيع تفهمه " .

ضغطت هيلى بيدها على صدرها ، وتلألأت فصوص الياقوت فى معصمها وقالت : " لقد شعرت بمدى حبى وبعواطفى المتأججة نحوه فى الليلة الماضية ، لقد تكشف كل شىء فى الليلة الماضية ، إننى لم يعترنى هذا الشعور من قبل ، فلم أقع فى الحب قبل ذلك وبهذه الصورة ، وأدركت بالأمس فقط كيف يكون الحب ، أرجوك لا تخبريه بذلك " ، وقبضت على يديها ورددت مرة أخرى : " أرجوك ، لا تخبريه بذلك " .

قالت : " إننى لن أخبره بذلك ، بل عليك أنت أن تفعلى عندما تكونين على استعداد ، إن الحب هبة كبيرة ، يتبادلها المحبون " .

" إن الحب هو خدعة كبيرة وأكذوبة ابتدعها كل من النساء الضعيفات والرجال المخادعين المحتالين ، وهى ذريعة لأبناء الطبقة المتوسطة لكن يتناسلوا ، ثم بعد ذلك يتبرأ منهم أسيادهم لكى يتزوجوا من نفس طبقتهم ويجنوا المزيد من الثروات " .

سرت رعدة فى جسم روز ، ولكنها تماسكت وظلت تنظر مباشرة فى العينين اللتين لم تعودا عينى هيلى وقالت : " هل هذا تبرير لاختياراتك ؟ " .

رفعت هيلى ذراعها وابتسمت وهى تداعب السوار بأصابعها وقالت : " إننى دائماً ما أحسن اختيارتى ، ولا

www.rewity.com dodyadodo

أندم عليها ، وإننى أستفيد جيداً من ورائها وإنى أفضل بكثير ممن هن فى طبقتى " .

ثم نهضت وتجولت عبر الحجرة وقالت : " كان ينبغى أن أحيا هنا ، ولكنى الآن ، أحيا هنا بالفعل . وسأحيا إلى الأبد " .

" ولكنك لست سعيدة ، ماذا حدث ؟ لماذا أنت هنا ؟ ولماذا أنت غير سعيدة ؟ " .

استدارت هيلى نحوها ووضعت يدها على بطنها وقالت : " لقد حملت طفلا ، وأنت تعرفين مدى قوة ذلك ، إن هناك حياة تولد بداخلى ، حياة انبثقت من حياتى وقد انتزعها هو منى ، لقد أخذ منى ابنى " ، ثم جالت ببصرها وقالت : " ابنى ، لقد جئت هنا من أجل ابنى " .

نهضت روز ببطء ، وقالت : " ولكنه ذهب الآن ، ذهب منذ فترة طويلة ، إنه جدى ، لقد كان رجلا عظيما " .

" طفلى ، طفلى ، طفلى الصغير ، الجميل ، الرقيق ، إنه ملكى ، إن الرجال كذابون ، محتالون ، ولصوص ، كان علىّ أن أقتله " .

قالت روز فى رعب : " الطفل ؟ " .

برقت عينا هيلى بشدة ، وأصبحت تضاهى فى بريقها الماس الذى يلمع فى معصمها : " الأب ، كان يجب علىّ أن أجد طريقة لكى أقتله ، بل أقتلهم جميعاً ، أن أحرق المنزل بهم وأرسلهم إلى الجحيم " .

سرت رعدة شديدة فى أوصال روز المسكينة وقالت : " ماذا فعلت ؟ " .

" لقد أتيت فى المساء ، وكنت أتسلل كالفأر " ، ثم وضعت أصبعها على فمها ، ثم انفجرت فى الضحك

وقالت : " انتهى " . دارت فى دائرة ورفعت يدها عالياً ، فتلألأت فى معصمها أحجار الياقوت وفصوص الماس وأردفت قائلة : " لقد انتهى كل شىء ، ولم يتبق لى شىء " ، ثم تحولت عيناها فى اتجاه شاشة المراقبة والتى كان ينبعث منها بكاء ليلى التى استيقظت لتوها .

" الطفلة ، إن الطفلة تبكى " .

وتدلى رأسها وهى تزحف على الأرض .

اندفعت روز وجلست بجانب هيلى وصاحت : " ميتش ، ديفيد " .

غمغمت هيلى وهى تضع يدها على وجهها قائلة : " إننى أشعر بدوار " ثم نظرت حولها وأمسكت بيد روز وقالت : " ماذا ؟ ماذا حدث ؟ " .

نظرت روز ناحية الرجلين اللذين أسرعا إلى الحجرة وقالت : " لا عليك ، اجلسى لدقيقة ، أحضر لنا بعض المياه يا ديفيد " .

قال ميتش : " ماذا حدث ؟ " .

" لقد تقمصتها إميليا " .

" ليلى ، إن ليلى تبكى " .

ربت ميتش على كتف هيلى وقال : " سأذهب إليها ، سأذهب وأحضرها لك " .

" إننى أتذكر ، إننى أعتقد ، أنه ، أن رأسى يؤلمنى " .

" سيكون كل شىء على ما يرام يا عزيزتى ، استريحى قليلاً على الأريكة " .

قالت هيلى بينما كانت تعاونها روز على الجلوس : " إننى أشعر بالغثيان ، لم أشعر بقدومها فى البداية يا

روز ، ثم حدث ... لقد كان الأمر أقوى هذه المرة ... لقد كان شديدًا " .

أحضر ديفيد بعض الماء وجلس بجانب هيلى ، ووضع كوب الماء فى يدها وقال : " هيا تناولى بعض الماء " .

قالت : " أشكرك ، إننى بخير ، أشعر أننى أفضل الآن ، إننى فقط أرتعد قليلاً " .

قالت روز : " لست وحدك التى تشعرين بذلك" .

" هل تحدثت إليها ؟ " .

" لقد تبادلنا بعض الحديث " .

" هل طرحت عليها بعض الأسئلة ، لا أدرى كيف دار هذا الحديث بينكما ؟ " .

قالت لها روز : " هيا تناولى بعضاً من المياه " .

لكن هيلى رفضت قائلة : " لا أريد ، إننى أشعر بأنى أفضل الآن " .

فأمسكت روز بزجاجة المياه وتناولت رشفة وهى تقول : " إذن سأتناول أنا نصيبك منها " ، ودلف ميتش إلى الحجرة وهو يحمل ليلى .

قالت هيلى : " إنها تريد بعضاً من العصير الآن ، إنها تحب أن تتناول بعضاً من العصير عندما تستيقظ من النوم " .

قال لها ميتش : " سأحضر أنا لها بعضاً منه " .

نهضت هيلى من الأريكة ، ومدت يدها نحو ليلى التى مدت لها ذراعيها هى الأخرى لكى تحملها وقالت : " لا ، سأحملها إلى الداخل ، إننى أريد أن أعود لطبيعتى ، سنعود إليكم على الفور " .

www.rewity.com dodyadeb

نهضت روز عندما غادرت هيلى الحجرة وقالت : " سأتصل بهاربر يجب أن يعلم بما حدث " .

قال ميتش : " وأنا أيضاً أريد أن أعلم ما حدث " .

" ستحتاج إلى مفكرتك وجهاز التسجيل الخاص بك " .

لقد كنا أنا وروز نتحدث معاً ، وكنت أخبرها بأننى قد قضيت وقتاً رائعاً ليلة أمس وكنت أريها السوار الذى ابتاعه لى هاربر و ـ أعتذر يا هاربر ـ فقد قلت لها إنى أشعر بالذنب لأنك قد ابتعت لى هذا السوار ، وأعتقد أنى تأثرت بشدة " ، ثم أرسلت نظرة استجداء إلى روز لكى تساندها وأردفت قائلة : " ثم وجدتها قد حضرت فجأة ، وشعرت وكأنى قد تلقيت ضربة على رأسى وأصبح كل شىء مشوشًا من حولى ، وكأنى أستمع لمحادثة تدور بين طرفين ، تماماً كما لو أنك تلصق كوبًا زجاجيًا بالحائط لكى تسمع ما يقوله الآخرون فى الحجرة المجاورة ، لقد بدا الأمر وكأنه صدى صوت " .

بدأت روز حديثها وقالت : " لقد كانت تسخر من رأيى بطريقة فجة " .

كان ميتش يدون فى مفكرته بصوت عال : " لقد اعتادت أن تتلقى الهدايا فى مقابل إقامة علاقات حميمة مع بعض الرجال ، وهى تنظر إلى السوار الذى ترتديه هيلى من هذه الزاوية ، إنها لا تفهم معنى الكرم والمنح أو معنى السعادة والمتعة التى يشعر بها الفرد حينما يقدم هدية لعزيز ، فعندما كانت تتلقى هدية كانت تتلقاها فى مقابل شىء ، ولم تكن تعبيراً عن أى مشاعر جميلة نبيلة " .

أومأت هيلى برأسها وجلست على الأرض وهى تحمل ليلى ثم استمر ميتش فى حديثه قائلا : " لقد جاءت إلى

هنا ، وقد اعترفت بأنها قد جاءت إلى هنا فى الليل ، وأرادت أن تؤذى ريجنالد ، وربما من فى البيت جميعا ، وقد خططت لذلك ، ولكنها لم تفعل شيئا ، ولكن يمكننا أن نخمن أنها هى التى أصيبت بسوء ، ولقد قالت إنها ظلت هنا دائما " .

أومأت هيلى برأسها وقالت : " لقد ماتت هنا ، ورفاتها موجودة فى المنزل ، يبدو الأمر كذلك ، إننى أشعر بذلك بالفعل لقد ماتت هنا ، ولا تزال موجودة ، كما أنها تعتقد أن ابنها مازال طفلا رضيعا ، تماما كما ماتت وتركته " .

أتم هاربر حديثها قائلا : " لذلك فهى تنجذب بشدة نحو الأطفال ، وبمجرد أن يشبوا عن الطوق ويصبحوا رجالا لا ترى فيهم صورة ابنها " .

أوضحت روز قائلة : " لقد كانت تأتى لتساعدنى عندما كنت أحتاج مساعدة ، فقد كانت تدرك صلة الدم بيننا ، وتعترف بها ، حينما يروق لها ذلك على الأقل ، ولقد جعلتها مشاعر هيلى المتأججة وتأثرها الشديد تظهر وتتقمصها ، ولكنها أجابت عن جميع الأسئلة ، وكانت تتحدث بلباقة شديدة " .

سرت قشعريرة فى جسد هيلى وحاولت التغلب على خوفها وقالت : " إذن ، فأنا مجرد أداة لتوصيل ما تود قوله ، ولكن لماذا أنا بالذات ؟ " .

أجابها ميتش : " ربما لأنك أم صغيرة ، وتقتربين من عمرها عندما ماتت ولديك طفلة رضيعة ـ وهو شىء قد انتزع منها عنوة ، لقد انتزعت منها الحياة ، وعندما تسرق الحياة ، فماذا يتبقى ؟ " .

قالت هيلى وهى ترتعد : " الموت " ، ظلت فى مكانها بينما هرعت ليلى نحو هاربر ومدت ذراعيها إليه لكى يحملها وأردفت قائلة : " إنها تزداد قوة ، إنها تريد أن تتقمص شخصية ما وتضع على لسانها ما تريد ، إنها سترغب فى المزيد ، إنها ستريد ... " .

ثم أخذت تداعب السوار بيدها ، ثم دققت فيه وهمست قائلة : " لقد نسيت ، يا إلهى ، كيف غاب عن ذهنى ذلك ، فعندما كنت أرتدى ملابسى فى الليلة السابقة ، وأتأمل نفسى فى المرآة ، كانت هناك " .

قال هاربر : " هل تقمصتك فى الليلة الماضية أيضا ؟ " .

قالت : " لا ، ليس هكذا تماما ، ولكنها كانت هناك ، بدلا منى فى المرآة ، إننى لم ـ " ، ثم هزت رأسها بنفاد صبر وأردفت قائلة : " لقد كنت أنا ولكن كانت تبدو هى فى انعكاس الصورة ، لم أشأ أن أحدثكم عما شعرت به ؛ لأننى لم أرغب فى أن أخوض فى هذا الموضوع الليلة الماضية ، لقد أردت أن أتناساه لفترة ثم ... غاب كل شىء عن ذهنى حتى الآن ، إنها لم تكن كما رأيناها من قبل " .

قال ميتش : " ماذا تعنين ؟ " .

قالت : " لقد كانت فى أبهى صورها ، لقد كانت ترتدى فستانا أحمر ، ولكنه لا يشبه ما كنت أرتديه ، لقد كان فستانا رائعا ، يكشف عن صدرها ، ويصلح لحفلات راقصة على ما أظن ، وكانت ترتدى مجموعة كبيرة من المجوهرات عبارة عن أحجار من الياقوت وفصوص من الماس ، لقد كانت القلادة ... " .

ثم قطعت حديثها وحدقت إلى السوار فى ذهول ولم تنبس ببنت شفة .

ورددت الجملة وقالت : " ياقوت وماس ، لقد كانت ترتدى هذا السوار ، إننى واثقة من ذلك ، فحينما رأيته فى الفندق ، انجذبت إليه بشدة ، ولم أستطع أن أرى أى قطعة أخرى فى واجهة العرض ، لقد كانت ترتدى هذا السوار ، فى معصمها الأيمن ، لقد كانت تقتنيه " .

غادر ميتش مقعده ليجلس على الأرض بجانب هيلى وأخذ يفحص السوار : " إننى لا أعلم أى شىء عن تاريخ قطع المجوهرات ، وعن الفترات الزمنية لها ، هل أعطاك الصائغ تاريخ هذا السوار ؟ " .

قال هاربر : " إنه من نوع سيركا ويعود إلى عام ١٨٩٠ " .

شعرت هيلى برعشة وهى تقول : " ربما هى التى دفعتك لتبتاع لى هذا السوار ، إذا كانت ـــ " .

" لا ، لقد أردت أن أمنحك شيئاً ، هكذا بمنتهى البساطة ، وإذا كان هذا يزعجك أو يجعلك تشعرين بعدم الراحة ، فإنه يمكننا أن نحتفظ به فى الخزانة " .

حدثت نفسها لا إن الحب هو الثقة المطلقة فردت قائلة : " لا ، إنها هدية " ، ثم مالت نحوه وقالت له فى عذوبة : " دعك منها " .

" هذه هى فتاتى " .

أخذت ليلى تربت بيديها الموضوعتين على وجنتيه حتى استدار بوجهه نحوها ، ثم أخذت تقرب فمها منه .

فأضاف قائلا : " أو إحدى فتياتى " .

وعندما حل المساء ، كانت هيلى قد استعادت هدوءها مرة أخرى ، فقد كانت تشعر بالسكينة والهدوء عندما جلست على الكرسى الهزاز وهى تحمل ليلى ، فلكم كانت تقدر هذه اللحظات ، عندما يعم الحجرة الهدوء ، وتقوم هى بهدهدة الطفلة حتى تغط فى النوم ، فقد كانت تغنى لها ، وعلى الرغم من أن صوتها لم يكن رخيماً ، إلا أن ليلى كانت تحبه .

كان هذا تماماً ما كانت تطوق له إميليا ، وربما كان هذا أكثر شىء تتوق له فى جنونها هذا ، إنها لا تريد سوى هذه اللحظات من التوحد والسكينة ، أم تهدهد طفلها وتغنى له حتى يغط فى النوم .

قطعت هيلى عهداً على نفسها بأنها ستحاول أن تتذكر هذه اللحظات عندما تشعر بالخوف أو الغضب ، ستحاول أن تتذكر ما فقدته إميليا ، ما الذى انتزع منها .

أخذت تغنى : " نامى يا طفلتى الصغيرة " ؛ لأنها كانت تذكر كل كلماتها ، وكانت غالبا ما تشعر بثقل رأس ليلى على كتفيها عندما تنتهى من الأغنية .

وسمعت حركة عند عتبة الباب جعلت قلبها يغوص فى قدميها ويدق بعنف ، ولكنها هدأت عندما رأت هاربر يقف عند الباب ويبتسم لها ، وحذرته بنفس نبرة الوصوت الوهن البطىء الذى تغنى به لليلى .

" إنها لن تذهب إلى أسفل إذا ما رأتك هنا " .

فأومأ برأسه ، ثم ظل فى مكانه لحظة ـ وبعدها ذهب مبتعدا .

نهضت واتجهت نحو سرير الطفلة ثم وضعت فيه ليلى وبجوارها جروها اللعبة وقالت : " عندما تبلغين الثالثة ،

فستبتاع لك أمك جرواً حقيقياً ، طاب مساؤك يا طفلتى الجميلة " .

ثم غادرت الطفلة بعد أن نامت ، وخلفت وراءها أضواء خافتة واستدار هاربر وغادر الشرفة عندما شاهدها تأتى نحوه .

" يالها من صورة جميلة ، حينما تهدهدين الطفلة وأنتما جالستان فى الكرسى الهزاز ، لقد كانت أمى تقول إنها كانت تهدهدنى أنا وأخى فى هذا الكرسى " .

قالت : " لهذا السبب فهو مريح ، فقد جلس على هذا الكرسى مقدار هائل من الحب والحنان " .

" إن الطقس لطيف الليلة ، يمكننا أن نجلس فى الخارج لبعض الوقت " .

أمسكت بشاشة المراقبة وقالت : " لا بأس " ثم ذهبت معه كان هناك أمام سور الشرفة القصير ثلاث أوان نحاسية ضخمة ، حيث تتمايل النباتات الخضراء الموضوعة فيها فى الهواء ، فقد كانت مسئوليتها أن تنتقى وتزرع بعض الزهور بها هذا العام ، وكانت تشعر بالسعادة وهى ترى هذا المزيج الرائع من اللون والشكل والملمس .

انحنت لتشم إحدى الزهور الأرجوانية اليانعة وهى تقول : " إننى لا أبالى بحرارة الطقس فى هذا الوقت من اليوم ، لقد بدأت الشمس تغيب فى الأفق ، وسرعان ما سيبدأ طائر الجدجد فى الغناء " .

" كنت أشعر بالفزع عندما كانت تنادينا أمى مبكراً " .

" أعتقد ذلك " .

ثم مرر يده على ذراعها وقال : " لا يجب أن تمكثى هنا بعد الليلة " .

" ويمكنك أن تنتقلى إلى منزل لوجان فى الغد ، وعليك أن تأخذى إجازة لبعض الوقت " . فاستدارت نحوه وأخذت تحدق إليه وقالت :

" إجازة لبعض الوقت ؟ " .

" لقد أصبح المشتل مثله مثل منزل هاربر تعبث فيها إميليا كيفما شاءت ، لذا فمن الأفضل أن تتجنبى هذين المكانين ، وسوف نقرر أنا وميتش ما يمكن أن نفعله بخصوص البحث عن أصل السوار " .

" إذن علىّ أن أحزم أشيائى وأنتقل إلى منزل ستيلا وأترك عملى " .

" لم أقل إنك ستتركين عملك ، بل كل ما قلته إنه عليك أن تأخذى إجازة لبعض الوقت " .

كان يحاول أن يتحلى بالصبر ، وكان هذا هو النوع من الصبر الذى أثار حفيظتها وجعلها تشعر بالتوتر .

" بعض الوقت " .

" نعم ، لقد تحدثت إلى أمى بشأن هذا الموضوع وكذلك تحدثت إلى ستيلا بخصوص إقامتك فى منزلها لبعض الوقت " .

قالت : " أفعلت ذلك ؟ لقد تحدثت إليهما بشأن هذا " ، كان يدرك كيف تبدو المرأة عندما يعتريها غضب شديد تجاه شخص ما فقال : " ليس هناك ما يستدعى غضبك ، فهذا قرار حكيم " .

قالت : " القرار الحكيم فى رأيك أن تتخذ قراراتى بدلاً منى وأن تُحدث أناساً آخرين بشأن هذه القرارات ثم تقدم لى ما تم الاتفاق عليه بشأنها على طبق " ثم تراجعت خطوة للخلف عن تعمد ، كما لو كانت تريد أن توضح له أنها

www.rewity.com

لاتزال تقف على قدميها : " لا يجب عليك أن تملى على ما أفعله يا هاربر إننى لن أغادر هذا المنزل إلا إذا طردتنى روز " .

" لا يجرؤ أحد على طردك ، وما الخطأ فى أن تقيمى عند صديقة لبعض الوقت ؟ " .

كان يبدو متعقلا ، مما جعلها تستشيط غضباً فقالت : " لأن ذلك هو منزلى ، الآن ، فأنا أعيش هنا ، والمشتل هو مكان عملى " .

" والمنزل هنا ما زال منزلك ، حيث تعيشين وتعملين ، بالله عليك ، لا تكونى عنيدة " .

أسعدتها عصبيته وغضبه ، فقد كان هذا يعنى أنها تستطيع أن تقول ما تريد : " لا تسبنى ولا تنعتنى بألقاب وقحة " .

" إننى لم ـ " ثم ابتلع بقية الكلمات واضعًا يده فى جيبه وأخذ يذرع الشرفة جيئة وذهاباً حتى يستطيع السيطرة على أعصابه وأردف قائلا : " لقد ذكرت من قبل أنها تزداد قوة ، فلِمَ تصرين على البقاء هنا ، وتخاطرين بنفسك ، بينما كل ما عليك هو الانتقال لعدة أميال ، بصورة مؤقتة ؟ " .

" مؤقتة إلى متى ؟ هل ناقشت ذلك أيضاً ؟ إذن فمن المفترض أن أمكث عند ستيلا ، ولا أفعل شيئاً حتى تقرر أنت موعد عودتى ؟ " .

" حتى تهدأ الأمور ونستعيد الأمان " .

" ومتى سيسود هذا الأمان ؟ وإذا كنت تشعر بالقلق فِلمَ لا تحزم أنت أشياءك وتذهب ؟ " .

تنحنح قائلاً : " لأننى أنا ... " ، ثم استدار وأخذ ينظر ناحية الحديقة .

" وهذه خطوة حكيمة ، تكبت أى تعقيب من قبيل لأنك رجلاً قلت ذلك ، ولكنى أرى الإجابة فى وجهك ، فلا تعتقد أننى لا أرى ما يخرج من فمك " .

" لا تحاولى أن تغيرى ما أقصد قوله ، ولا تضعى على فمى الكلمات التى لا أريد التفوه بها ، كل ما هنالك أننى أريدك أن تذهبى إلى المكان الذى لا أشعر بالقلق عليك وأنت موجودة فيه " .

" لم يطلب منك أحد أن تشعر بالقلق ، ولقد تعلمت كيف أهتم بنفسى لسنوات طوال حتى الآن ، إننى لست غبية ، ولا عنيدة حتى لا أشعر بالقلق حيال ما يجرى هنا ، ولكنى لدىّ ما يكفى من الذكاء لأعرف أنه ربما أكون أنا آخر شخص ظهرت له إميليا ، وأعتقد أنها فعلت الكثير من قبل ، وربما أنا التى سأنهى ذلك ، لقد تحدثت روز إليها ، وربما يكون هناك تفسيرات فى المرة التالية تخبرنا بما حدث لها ، وما نحتاج إليه لنعيد الأمور إلى نصابها الصحيح " .

" المرة القادمة ؟ أنصتى جيداً لما تقولين ، إننى لا أريدها أن تلمسك " .

" إنه ليس قرارك ، وإننى لن أنسحب ، وهل تعتقد أننى سأوافقك الرأى وأكون كالجرو الصغير اللطيف الذى تسحبه ؟ " .

قال : " إننى لا أحاول أن أدير حياتك يا هيلى ، إن كل ما أفعله هو أننى أحاول حمايتك " .

كان يريد ذلك بالطبع ، وبدا حزيناً ، ومحبطاً وكان عليها أن تتعاطف معه . ولو قليلاً فقالت له : " إنك لن تستطيع ، على الأقل ليس بهذه الطريقة ، والشىء الوحيد الذى ستجنيه عندما تقوم بإعداد خطط بشأنى لا تتضمن أخذ رأيى أولاً هو أنك ستثير ضيقى وغضبى " .

قال : " إذن امنحينى أسبوعًا ، افعلى ذلك لأسبوع ثم دعينى أحاول أن ... " .

قاطعته هيلى : " هاربر ، لقد انتزعوا منها طفلها ، وأصابوها بالجنون ، ربما أتت إلى المنزل ، ولكن من المؤكد أنهم طردوها وانتزعوا طفلها ، إننى أصبحت جزءًا مما يحدث لأكثر من سنة حتى الآن ، فلا يمكننى أن أنسحب أو أبتعد " .

مدت يدها ، وأخذت تضرب على السوار الذى مازالت ترتديه قائلة : " لقد أرتنى هذا السوار ، وإننى أرتدى ما كانت تقتنيه ، لقد منحتنى إياه وذلك يعنى شيئا وعلىّ أن أعرف ما هو هذا الشىء ، فضلاً عن أننى أريد بشدة أن أبقى معك هنا " ، ثم أضافت بنعومة وهى تلامس وجنتيه : " عليك أن تعلم أننى سأمكث ، ماذا قالت أمك عندما أخبرتها بأنك ستطلب منى أن أذهب إلى ستيلا ؟ " .

هز كتفيه ثم سار نحو سور الشرفة القصير .

رددت هيلى : " قالت إنها ستفكر فى الأمر ، أليس كذلك ؟ ، وأعتقد أن ستيلا قالت نفس الشىء " .

قال : " لقد وافقنى لوجان الرأى " .

اتجهت نحوه وأحاطته بذراعيها وأراحت وجنتها على ظهره وقالت : " أراهن أنه فعل " .

لقد كانت له بنية قوية ـ بنية رجل عامل ، أمير القلعة ، ياله من مزيج رائع هذا الذى يتمتع به : " إننى أقدر التفكير وليس الطريقة . هل هذا يساعد فى شىء ؟ " .

" ليس كثيرا " .

" ألا ترى أنه من اللطيف أن تهتم بى بدرجة كبيرة مما يجعلك تملى علىّ ما أفعله " .

قال : " إننى لم أُمل عليك شيئاً ـــ " ، ثم تنهد بشدة واستدار نحوها ليرى ابتسامة على شفتيها .

فقال : " ألن تغيرى رأيك ؟ " .

قالت : " ولا حتى مقدارًا ضئيلاً ، أعتقد أن من تجرى فى عروقهم دماء عائلة آشبى حتى لو كانت رقيقة كالتى تجرى فى عروقى لابد أن بها جينات العناد ، إننى أريد أن أكون جزءًا من اكتشاف حقيقة ما يحدث يا هاربر ، إن ذلك يمثل أهمية بالنسبة لى ، وربما أصبح أكثر أهمية الآن ؛ لأننى أشاركها ما تفكر فيه ، إننى لا أدرى ما أقوله إضافة إلى ذلك " .

" وماذا لو هاجمتك واعتدت عليك ؟ " .

تغيرت ملامح وجهها وقالت : " حسناً ، إنك لا تزال مجنونا ، ولكنى لا أبالى بالقلق الذى يعتريك بشأنى لدرجة تجعلك تصاب بالجنون " .

وضع يديه على كتفيها وأخذ يربت عليهما ويقول : " إننى أهتم بك بالفعل يا هيلى ، وأشعر بالقلق عليك " .

" أعلم ذلك جيداً ، وتذكر أننى أهتم بنفسى أيضاً ، وأشعر بالقلق بدرجة تجعلنى حريصة إلى أقصى درجة " .

قال : " سأمكث معك الليلة ، ولن أغير رأيى بشأن ذلك " .

www.rewity.com

قالت : " هذا هو ما أريده ، أتعلم ... " .

ووضعت يدها على وجنتيه وقالت : " إذا ما بقيت بجوارى ، فقد تفعل إميليا شيئاً ، لذا علينا أن نجرب ذلك " .

قال : " إننى أحب التجارب دائماً " .

قالت : " إذن ، هيا نستعد للعمل " .

كانا يجلسان معاً فى وقت متاخر من الليل ، وكانت هيلى تجلس بجواره تداعب شعره بأصابعها وقالت : " يبدو أنها غير مهتمة هذه المرة " .

قال : " لا يمكن التنبؤ بما يمكن أن يفعله شبح مجنون " .

اقتربت منه أكثر وقالت : " أعتقد بذلك أنك تشبه العلماء ، أليس كذلك ؟ " .

" إلى حد ما " .

" وأعتقد أن العلماء يجرون تجاربهم مرات عدة خلال فترة من الوقت ، لقد ترامى إلى مسامعى ذلك " .

" قطعاً " .

اقتربت منه واحتضنته بشدة قائلة : " هذه هى تجربتك أيها العالم لنرى ما إذا كانت ستهاجمنا أم لا ! " .

الفصل الثانى عشر

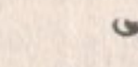

قام ديفيد بقلب الخريطة ، وأشار بطرف إصبعه إلى أحد الطرق على الخريطة وقال : " نحن مثل المخبرين السريين ، مثل باتمان وروبين " .

قال له هاربر مصححاً : " إنهما ليسا بمخبرين سريين ، إنهما مكافحان للجريمة " .

" حسناً ، حسناً ، نحن مثل نيك ونورا شارلز " .

" إذن أخبرينى يا نورا ، أين سأنحرف بالسيارة ؟ " .

وضع ديفيد الخريطة على ساقيه واستدار ليستمتع برؤية المناظر من حوله وقال : " عليك أن تنحرف يميناً بعد حوالى ميلين ، والآن نحن نتتبع ونقتفى أثر هذا السوار الغامض ، ولكن ماذا سنفعل إذا ما عرفنا أصل هذا السوار ؟ " .

هز هاربر كتفيه وقال : " إن المعرفة قوة ، أو شيء من هذا القبيل ، ولقد سئمت من الجلوس وانتظار أن يحدث شيء ، وقد قال الصائغ إن هذا السوار ترجع أصوله لضيعة هوبكينز " .

قال ديفيد : " لقد كنت مثل الجبن الكريمى وأنت تحدثه يا صديقى " .

قال هاربر : " ماذا ؟ جبن كريمى ، هل ت جائع ؟ " .

قال ديفيد : " لا ، بل كنت أنت أشبه بالجبن الكريمى وأنت تحدث الصائغ لتستدل منه على معلومات ، فقد قلت له : لقد أعجبت صديقتى بالسوار ، وحيث إن عيد ميلادها قد اقترب ، فإنى أتساءل إذا ما كان لديك أى قطعة مجوهرات مشابهة ، أو أى قطعة تنتمى إلى نفس ممتلكات هوبكينز ؟ إن ذلك السوار من ولاية كنت أليس كذلك ؟ وبالطبع فقد أعطاك الصائغ المعلومات بصعوبة محاولاً أن يبيع لك بعض الخواتم الزاهية ، هل تعرف أن إيثل هوبكينز لديها ذوق عال ، وكان عليك أن تبتاع الأقراط ، فإنها كانت ستروق لهيلى كثيرا " .

قال : " لقد ابتعت السوار فحسب ، إن الأقراط ستكون غالية الثمن ، فهذه مبالغة " .

" ليس هناك أى مبالغة فى ابتياع الأقراط " ، ثم أضاف قائلاً عندما انحرف هاربر بالسيارة : " إن المنزل على بعد نصف ميل من هذا الطريق ، من المفترض أن يكون على الجانب الأيسر " .

أوقف هاربر سيارته بجوار سيارة حديثة ، ثم أخذ ينقر بإصبعه على عجلة القيادة وهو يدرس المكان من حوله .

كان المنزل ضخماً ، ويبدو عتيقاً ولكنه كان يحتفظ بملامح الرقى ، ويتكون من طابقين على طراز التيودور الإنجليزى ، وكان هناك اختيار جيد للنباتات المزروعة ، وكانت هناك أيضاً شجرة بلوط قديمة ، أما العشب الأخضر فقد كان يانعاً وقد تم تقليمه بعناية .

تساءل قائلاً : " حسناً ، ماذا لدينا ؟ منزل للطبقة الوسطى الأرستقراطية " .

أخذ ديفيد يقرأ من المذكرات التى كان قد أخذها من سجلات دار القضاء : " إن إيثل هى الابنة الوحيدة الباقية لماى هوبكينز إيفز فيتز باتريك " ، وهى تبلغ من العمر ستة وسبعين عاماً ولقد تزوجت مرتين ، وأصبحت أرملة فى المرتين ، ويمكنك أن تشكرنى لأننى قد حصلت على هذه المعلومات سريعاً وذلك يرجع إلى ملاحظاتى العبقرية لطريقة ميتش " .

" دعنا نر إذ ما كان سيمكننا أن نجعلها تقص علينا ما تعرفه ، هذا بافتراض أنها تتذكر من أين أتت والدتها بالسوار " .

اتجها نحو الباب ، ودقا الجرس ، وانتظرا وهما يشعران بحرارة الطقس الشديدة .

كانت السيدة التى فتحت الباب ذات شعر بنى قصير ، وعينين زرقاوين ذابلتين تختفيان خلف عدسات نظارة طبية حديثة ذات إطار ذهبى ، وكانت صغيرة الحجم ، حيث كان طولها لا يزيد على خمس أقدام ، وكانت ترتدى سروالاً

www.rewity.com

أزرق من القطن وقميصاً أبيض ، وكان هناك عقد من اللؤلؤ يحيط برقبتها ، وكانت ترتدى فى كل يد من يدها خاتما به فصوص من الياقوت الأزرق ، ويتدلى من أذنيها قرط ذهبى رقيق على شكل دوائر .

قالت فى صوت خشن وهى تضع يدها على مقبض الباب : " مظهركما لا يوحى بأنكما مندوبا مبيعات " .

ابتسم هاربر فى عذوبة وقال : " لا يا سيدتى ، إننى هاربر آشبى وهذا هو صديقى ديفيد ونتورث ، ونحن نريد أن نتحدث مع مای فيتز باتريك " .

قالت : " هذا هو ما تفعلانه الآن " .

أخذ هاربر يحدث نفسه بأنه لابد أن هناك يد جراح تجميل ماهر أو أنها الجينات الوراثية تلك التى لعبت دوراً فى عمر المرأة التى بدت أصغر عشر سنوات من عمرها الحقيقى الذى يبلغ السادسة والسبعين ، فقال هاربر : " إننى سعيد بمقابلتك مای فيتزباتريك ، أعتقد أن ذلك قد يكون نوعًا من التطفل ولكنى أتساءل إذا ما كان بإمكاننا الدخول والتحدث معك قليلا " .

قد تكون عيناها بحق ذابلتين ، ولكن التعبير المرتسم فيهما كان حاداً كالمشرط ، قالت : " هل مظهرى يوحى بأنى امرأة ساذجة حتى أدع رجالاً غرباء يدخلون منزلى " .

قال هاربر : " لا يا سيدتى " ، ثم أخذ يتساءل فى نفسه ، كيف تعتقد سيدة تدعى بأنها ذات عقل راجح أن هذا الباب الواهى يمثل حاجزا منيعًا ، ثم أردف قائلا : " إذا لم تمانعى ، فإننى لدىّ بضعة أسئلة أود أن أطرحها عليك " .

" هل قلت إنك أشبى ؟ " .

" نعم يا سيدتى " .

" هل لك علاقة قرابة بمريام نوروود أشبى ؟ " .

" نعم يا سيدتى ، إنها جدتى لأبى " .

" إننى أعرفها قليلا " .

" إننى لا أستطيع أن أدعى ذلك " .

قالت : " إننى لا أتوقع ذلك ، فإنها قد توفيت منذ فترة ، لابد أنك ابن روزاليند " .

" نعم يا سيدتى ، فأنا ابنها الأكبر " .

" لقد التقيت بها مرة أو مرتين ، فعندما التقيت بها فى المرة الأولى كان يوم زفافها على جون أشبى ، إنك تشبهها ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، هو كذلك يا سيدتى " .

ثم حولت بصرها نحو ديفيد وقالت : " ولكن هذا ليس أخاك " .

قال ديفيد وعلى وجهه ابتسامة عريضة : " إننى صديق للعائلة " سيدة فيتزباتريك " ، وأعيش فى منزل هاربر حيث أعمل لدى روزاليند ، وربما ترغبين فى أن تتحدثى مع السيدة هاربر أولاً قبل أن تتحدثى معنا ، وبإمكاننا أن نعطيك رقم هاتف لها لكى تتصلى بها الآن ، ونحن سننتظر هنا حتى تنتهى من ذلك " .

ولكنها بدلاً من أن تفعل ذلك ، قامت بفتح الباب ودعتهما للدخول وقالت : " لا أعتقد أن حفيد مريام أشبى سيأتى لكى يفقدنى وعيى ويسرقنى ، تفضلا بالدخول " .

" نشكرك " .

كان المنزل مرتباً ومنسقًا كمالكته ، ذا أرضيات خشبية لامعة وجدران مطلية باللون الأخضر الخفيف ، ودعتهما

للدخول إلى حجرة معيشة فاخرة مؤسسة على طراز حديث وبأسلوب بسيط .

قالت : " أعتقد أنكما قد ترغبان فى تناول مشروب بارد " .

قال لها هاربر : " إننا لا نريد أن نسبب لك أى إزعاج سيدة فيتزباتريك " .

قالت : إن إعداد الشاى المحلى ليس فيه أى عناء ، تفضلا بالجلوس وسأنضم إليكما خلال لحظات " .

عقب ديفيد قائلاً عندما غادرت الحجرة : " أنيقة ، باردة قليلاً ولكنها أنيقة " .

" هى أم المكان ؟ " .

جلس على الأريكة وهو يقول : " هما الاثنان ، لقد كان أشبى هاربر شخصيه لبقة وماكرة ، إلا أن الجاذبية لم تكن لتجدى معها " .

" إنه من الشيق أنها تعرف جدتى ، ولكنها تبدو أصغر ، وأنها قد دعيت لحفل زفاف أمى ، كل هذه التفاصيل والتداخلات الصغيرة ،إننى أتساءل إذا كان أحد أسلافها يعرف ريجنالد أو بياتريس " .

" إنها مجرد مصادفة ، إذا لم يكن لديك عقل متفتح " .

" إن العيش مع شبح يجعلك تشعر وكأن عقلك قد ذهب " ، نهض هاربر عندما دخلت ماى إلى الحجرة وهى تحمل صينية عليها بعض الأكواب وقال : " دعينى أحملها عنك ، إننا بحق نقدر الوقت الذى منحته لنا سيدة فيتزباتريك ، ثم وضع الصينية على مائدة القهوة وقال : " سأحاول جاهدا ألا أقتطع الكثير من وقتك " .

قالت : " لقد كانت جدتك سيدة حنونة طيبة القلب ، على الرغم من أنه لم تكن علاقتنا حميمة ، إلا أن جدك وزوجى الأول كانا يشتركان فى مشروع صغير منذ عدة سنوات مضت " ، ثم أضافت قائلة : " لقد كان مشروع عقارات ، وكان يدر ربحاً لا بأس به لكل من عملوا فيه ، والآن ، ما السبب الذى أتى بحفيدها إلى الآن " .

قال : " إنه سبب يتعلق بسوار لأمك " .

أدارت رأسها باهتمام وقالت : " سوار من ممتلكات أمى ! " .

" نعم يا سيدتى ولقد ابتعت هذا السوار من صائغ حصل على من ممتلكاتكم " .

قالت : " وهل هناك أى عيب فى هذا السوار " .

" لا ، لا يا سيدتى ، ولكنى أود أن تتذكرى شيئاً عن تاريخ هذا السوار ، فأنا مهتم بمعرفة تاريخه وأصله ، فقد أخبرنى بعضهم بأنه يعود لعام ١٨٩٠ ، وهو يحتوى على فصوص من أحجار الياقوت ومرصع ببعض فصوص الماس " .

قالت : " نعم ، إننى أعرف هذه القطعة ، لقد قمت ببيعها مؤخراً بجانب بعض القطع الأخرى لأنها لا تروق لذوقى ولم أر أى داعٍ للاحتفاظ بها فى صندوق المجوهرات منذ أن توفيت أمى منذ سنوات عدة " . قامت بصب بعض من الشاى وهى تقول : " إنك تتشوق لمعرفة تاريخ هذا السوار ؟ " .

" نعم يا سيدتى " .

قالت : " ولكن هذا ليس سبباً كافياً " .

قال : " ولكن لدىّ سبب يجعلنى أعتقد أنه ـ أو سوار آخر يشبهه ـ كان يئول لعائلتى . وعندما اكتشفت ذلك

وجدت أنه إرضاء لفضولى يجب على أن أقتطع جزءًا من وقتى لأعرف تاريخ هذا السوار " .

" هل الأمر كذلك ؟ نعم ، إننى أجده مثيرًا للاهتمام الآن ، لقد أعطى جدى السوار لجدتى فى عام ١٨٩٣ كهدية بمناسبة عيد زواجهما ، ومن المحتمل أن تكون هناك عدة قطع تشبهه قد تم تصميمها فى هذا الوقت " .

" نعم ، من المحتمل " .

" ولكن هناك قصة تكمن وراءه ، إذا رغبت فى سماعها " .

" بالطبع ، أرغب بشدة " .

حملت صحناً يحتوى على بعض قطع من البسكويت وانتظرت حتى تناول منه كلا الرجلين ، ثم عادت إلى مجلسها وارتسم على وجهها شبح ابتسامة ، ثم أردفت قائلة : " لم يكن زواج جدى وجدتى زواجاً سعيداً ، فقد كان جدى وغداً بعض الشىء ، وكان يحب المقامرة ومرافقة الساقطات والصفقات المشبوهة وكان هذا وفقاً لما كانت ترويه جدتى التى عاشت حتى سن الثامنة والتسعين ، ولهذا فقد عرفتها جيداً " .

ثم نهضت واتجهت نحو أحد الأرفف ، وأمسكت بصورة موضوعة فى إطار من الفضة .

قالت وهى تمد يدها بالصورة إلى هاربر : " هذه صورة جدى وجدتى وقد تم التقاطها فى عام ١٨٩١ ألا ترى ، أليس وغداً ، ولكنه وسيم بعض الشىء " .

قال : " كلا الشيئين " ولاحظ هاربر أن طريقة ارتداء الملابس وطريقة تصفيف الشعر وأسلوب التصوير يشبه نسخ الصور التى يضعها ميتش على مكتبه .

نظر ديفيد إلى الصورة وقال : " إنها جميلة ، إنك تشبهينها " .

قالت : " لقد أخبرنى الكثيرون بذلك ، إننى أشبهها فى الشكل والروح " . مدت يدها وهى تشعر بالسرور وأمسكت بالصورة وأعادتها مكانها وهى تقول : " لقد كانت جدتى تقول إن أسعد يومين فى حياتها هو يوم زواجها عندما كانت صغيرة وحمقاء بدرجة لم تجعلها تدرك ما هى مقبلة عليه ، واليوم الثانى عندما أصبحت أرملة - بعد زواجها باثنتى عشرة سنة - حيث أصبحت تستمتع بحياتها دون عبء وجود رجل لا يمكن الوثوق به " .

جلست فى مكانها مرة أخرى ، وأمسكت بقدح الشاى وقالت : " رجل وسيم ، كما رأيتما بنفسيكما ، رجل جذاب بكل المقاييس ، وهو أيضاً رجل يحرز دائماً نجاحات فى المقامرة والصفقات المشبوهة ، ولكن جدتى كانت سيدة ذات سلوك رفيع وأخلاق حميدة ، ولكنها كانت تتغاضى عنها لتستمتع بنتائج نجاحات زوجها ، على الرغم من أنها كانت تنتقده بشدة " .

وضعت الشاى جانباً ورجعت بظهرها إلى الوراء وقالت : " ولقد قالت لنا جدتى ، إن جدى أخبرها خلال اعترافاته ذات مرة وهو ثمل بأن الهدية التى أهداها لها فى عيد زواجها قد أتى بها من مصدر مشبوه ، فقد حصل عليها من أحد المقامرين الذى خسر فى إحدى مرات اللعب وأصبح مديوناً له ، وأعطاها إليه وكان هذا الرجل يشترى المجوهرات بثمن بخس من الأشخاص الذين يكونون بحاجة لبعض المال ويضطرون لبيع ممتلكاتهم ، أو من الأشخاص

www.rewity.com

الذين يقومون بسرقة هذه المجوهرات ويستخدمونه هو كستار " .

ثم اتسعت ابتسامتها وهى تستعيد الأحداث الماضية وأردفت قائلة : " ولقد كان هذا السوار يئول إلى عشيقة أحد الرجال الأغنياء ولقد سرقه منها أحد الخدم بعدما هجرها هذا الرجل ، وبناء على رواية جدتى ، فقد أخبروها بأن هذه السيدة قد أصيبت بالجنون واختفت بعدها " .

مدت يدها نحو قدح الشاى وارتشفت منه وقالت : " وإننى دوماً أتساءل ما إذا كانت هذه الرواية حقيقية أم لا ؟ " .

اتجه هاربر نحو أمه ، وانحنى بجوارها فى حديقة المنزل ، ودون وعى أخذ يساعدها فى إزالة الأعشاب الضارة .

بدأت روز حديثها بقولها : " لقد سمعت أنك قد أخذت اليوم إجازة " .

قال : " لقد كان علىّ إنجاز عمل ما ، لماذا لا ترتدين قبعة على رأسك ؟ " .

قالت : " لقد نسيت ، لقد كنت أنتوى البقاء لدقيقة ، ولكنى شرعت فى إنجاز بعض الأعمال " .

انتزع القبعة التى يرتديها فوق رأسه ثم وضعها فوق رأس أمه . فقالت له : " هل تتذكر عدد المرات التى كنت تأتى فيها إلى هنا بعد عودتك من المدرسة وتجلس بجانبى وتساعدنى على إزالة الحشائش الضارة أو على زراعة بعض النباتات وتفضى إلىّ بمشاكلك وهمومك ، أو ما حققته من انتصارات فى هذا اليوم ؟ " .

قال : " إننى أتذكر أنك كنت دوماً هنا تستمعين إلى أنا أو إلى أوستن وماسون وفى بعض الأحيان كنت تستمعين إلى ثلاثتنا فى ذات الوقت ، كيف كان بمقدورك أن تفعلى ذلك ؟ " .

" إن الأم دوماً لديها آذان صاغية لجميع أصوات أطفالها ، مثل المايسترو الذى يهيمن على كل آلة من آلات الفرقة الموسيقية ، والآن ما همومك ومشاكلك يا طفلى العزيز ؟ " .

قال : " لقد كنت محقة بشأن هيلى " .

قالت " فى أى شىء بالتحديد " .

قال : " فى أنها لن تنتقل إلى منزل لوجان ؛ لأننى طلبت منها ذلك " .

رفعت روز حاجبيها فى دهشة وقالت : " هل طلبت منها ذلك ؟ " .

هز كتفيه فى لا مبالاة وقال : " طلبت منها ، أو أخبرتها ما الفرق بين الاثنين عندما تكون المرأة عنيدة ؟ " .

انفجرت فى الضحك وربتت بيديها المتسختين على وجنتيه وقالت : " يا لك من رجل " .

قال : لقد كنت طفلك منذ دقيقتين " .

قالت : " إن طفلى هو رجل لا يستهان به ، إننى لا أرى عيبًا فى ذلك ، إنه مزاح أحياناً ـ مثل الآن ـ أو شىء محير بين الحين والآخر أو إنه شىء يدعو إلى القلق والتوتر فى أوقات نادرة . هل تشاجرتما ؟ ولكن لم يبد لى أنكما على خلاف عندما كنتما تتناولان طعام الإفطار هذا الصباح " .

قال : " لا ، إن الأمور تسير بيننا على خير ما يرام ، ولكنى أريد أن أخبرك بشىء ، لقد اقتفيت أثر السوار الذى يئول لإميليا " .

اتسعت عيناها واتكأت على عقب قدميها وقالت : " حقاً فعلت هذا ؟ لقد بدأت العمل سريعاً " .

" عمل سريع ، مصادفة ، ضربة حظ ، ولست على ثقة مما سيؤدى إليه كل هذا ، إن السوار يعود أصله إلى ممتلكات " إيستر هوبكينز " ولقد توفيت منذ عدة سنوات ، وقد قررت ابنتها أن تبيع بعضًا من ممتلكاتها والتى لا تروق لها أو لا تهتم بالاحتفاظ بها ، إن ابنتها هى " مای فيتزباتريك " ، لقد أخبرتنى بأنها تعرفك " .

أغلقت روز عينيها ، وهى تحاول أن تتذكرها وقالت : " إننى آسفة ، إن الاسم غير مألوف بالنسبة لى " .

" لقد تزوجت من قبل ، انتظرى لحظة إن اسم زوجها هو ... إيفز " .

" إن اسم مای إيفز لا يبدو مألوفاً لى أيضاً " .

قال : " لقد قالت بأنها قد التقت بك مرتين فقط ، مرة منهما عندما تزوجت أبى ، حيث التقت بك فى حفل زفافك " .

" حقاً ؟ هذا شيق ولكنه لا يدهشنى ؛ لأننى أعتقد أننا قد دعونا كل من نعرفهم فى كل المقاطعة وكذلك معظم القاطنين فى تينيس فى حفل زفافنا " .

" إنها تعرف جدتى أشبى " .

ثم جلس معها فى الحديقة وأخذ يقص عليها الحوار الذى دار بينه وبين مای فيتزباتريك .

قالت روز : " إنه شىء مدهش حقاً ، أليس كذلك ؟ كل هذه التفاصيل والتعقيدات " .

قال : " نعم يا أمى ، لقد أوضحت لنا بعض الأشياء ، ولكن أخلاقها وتربيتها منعتها من أن تقولها بصراحة ، ولكنها قالت بأن " ريجنالد هاربر " الثرى قد ألقى بعشيقته " .

" وهل تعتقد أن هذا يزعجنى فى شىء ؟ يا عزيزى ليس معنى أن جدى الأكبر كانت لديه عشيقات ، وأنه كان له نزوات وصولات وجولات مع النساء ، وأنه كان يلقى بهن بعد ذلك ويحيا حياة حافلة بالنزوات والخيانة الزوجية ، أن ذلك قد انعكس علىّ أو عليك ، إن سلوكه وتصرفاته ليست مسئوليتنا ، وهو شىء أود بشدة أن تتفهمه إميليا " .

قامت بإزالة المزيد من الحشائش الضارة وأردفت قائلة : " وأما بقية سلوكياته الباعثة على الأسى ، فهى ليست غلطتنا أيضاً ، إن ميتش يكتب عنها ، وأنا أرغب بشدة فى أن يقوم بإعداد هذا الكتاب ، اللهم إلا إذا كنت أنت وأخواك تشعرون بأن كل هذه الأسرار لابد أن تبقى فى نطاق العائلة " .

قال : " ولمَ إذن تريدين نشر هذا الكتاب ؟ " .

" لأن ما حدث ليس خطأنا ، وهذا صحيح " ، قالت ذلك وقد رجعت بظهرها للوراء وأردفت قائلة : " ولكنى أشعر بأن نشر ذلك على الملأ قد يعطيها حقها الذى انتزع منها ، وهو وسيلة للاعتراف بأن إحدى جداتنا ـ أياً كان ما فعلته ، أو ما آل إليه حالها ـ قد عوملت بخسة ووحشية " .

ثم رفعت راحتها الملطخة بالطين وقالت : " فنحن تربط بيننا صلة قرابة " .

www.rewity.com

" هل أبدو قاسى القلب ، عديم الرحمة لأننى أريدها أن ترحل بسبب ما فعلته بك أو ما فعلته بهيلى ؟ " .

قالت : " لا ، فهذا يعنى أنك تحبنى أنا وهيلى بشدة " . أخذت تمسح يدها فى السروال الذى ترتديه وقالت : " هذا يكفى اليوم ، سوف تحرقنا هذه الحرارة الشديدة إذا مكثنا هنا فترة أطول ، هيا ندلف إلى الداخل ، فالطقس لطيف ودعنا نتناول بعضاً من المياه الغازية " .

أخذ يلقى نظرة فاحصة على المنزل وهما يسيران نحو الداخل وسألها قائلاً : " أخبرينى بشىء ، كيف عرفت أن أبى هو الشخص الذى يناسبك ؟ " .

ضحكت على الرغم من الحرارة الشمس الشديدة وتأبطت ذراعه وقائلة : " لقد انجذبت إليه بشدة منذ أول مرة ، أقسم أن ذلك كان منذ أول لحظة رأيته فيها ، لقد كنت صغيرة جداً وقتذاك ، وكنت مفتونة به ، لقد أدركت أنه سيكون لى عندما تحدثنا ذات ليلة لساعات طوال ، فقد تسللت من المنزل لمقابلته ، يا إلهى ، لقد كاد أبى يمزقه إربًا ، ولكن كل ما فعلناه هو أننا ظللنا نتحدث ومر الوقت سريعاً ساعة بعد ساعة وذلك تحت شجرة صفصاف ، لقد كان صبياً صغيراً حينذاك ، ولكنى أدركت أننى سأحبه طوال حياتى ، وهذا ما حدث بالفعل ، لقد أدركت ذلك عندما جلسنا هنا حتى الفجر تقريباً ، وأنه الشخص الذى جعلنى أضحك وأفكر وأحلم وأرتعد ، لقد كنت أعتقد أننى لن أحب ثانية ، ولكنى فعلت ، ولكن لم يجعلنى ذلك أفقد مشاعرى نحو أبيك " .

ضغط على يدها وهو يقول : " أعلم ذلك يا أمى ولكن كيف أدركت حبك لميتش " .

" أعتقد أننى كنت آخذ الأمور بتعقل وحكمة ، على الأقل فى البداية ، لقد جعلنى كذلك أضحك وأفكر وأحلم وأرتعد ولكنى أخذت وقتاً أطول حتى بدأ قلبى يدق ويشعر بالدفء وكنت حينئذٍ قد كدت أنسى هذه المشاعر والأحاسيس " .

" إنه رجل طيب كريم ، وهو يحبك ، وإنه مشغول بك ويكن لك كل الحب والاهتمام طوال الوقت ، إننى سعيد لأنك عثرت عليه " .

" وأنا أيضاً " .

" ماذا كان شكل شجرة الصفصاف التى كنت تستظلين بها أنت وأبى ؟ " .

قالت : " لقد كانت شجرة قديمة ، ضخمة وجميلة ، وكانت خلف الإسطبل القديم " ، ثم توقفت وأشارت نحو مكانها وأردفت قائلة : " وكان جون سيحفر أحرف أسمائنا الأولى على جذعها ، ولكن حدث فى الليلة التالية أن البرق كسرها إلى نصفين و ــ يا إلهى " .

قال فى هدوء : " إميليا " .

" لابد أنها كانت السبب فى حدوث هذا ، فلم يحدث شىء من هذا القبيل من قبل ، ولكنى أتذكر أنه لم تكن هناك أية عواصف ، لقد كان الخدم يتحدثون عن الشجرة والبرق الذى كسرها ، على الرغم من عدم وجود أى عواصف " .

قال : " إنها تأتى بهذه الأفعال منذ ذلك الحين " .

قالت : " لقد كان شيئاً بشعاً ، شيئاً حقيراً ، لقد بكيت على هذه الشجرة ، حيث وقعت فى الحب تحت ظلالها ، وأخذت أبكى وأنا أرى عمال النظافة يحملونها بعيداً " .

" هل حدثت أشياء أخرى من هذا القبيل ، أفعال عنيفة صغيرة كنا نرجعها إلى الطبيعة ، ونحن الذين كنا نعتقد أنها شخصية كريمة وطيبة ؟ "

أخذ يتفحص المنزل جيداً ، وأخذ يفكر فيما حدث له ، وما حدث فيه منذ فترة طويلة قبل أن يولد .

ثم قال : " إنها لم تكن طيبة أو كريمة فى الواقع " .

" إنها تُكن كل هذا الغضب والكراهية " .

" وها هما يتفجران ثانية الآن ، مثل المياه التى تتسرب من خلال صدع فى سد ، إنها تأتى بصورة أسرع وأقوى ولا يمكننا أن نسيطر عليها يا أمى ، وكل ما يجب أن نفعله هو أن نفرغ كل نقطة فيه " .

" كيف ؟ "

" أعتقد أننا يجب أن نكسر السد بأنفسنا " .

لقد كانت الشمس على وشك المغيب عندما كانت هيلى تسير عبر الحدائق ، وقد كانت طفلتها نائمة ، وكان روز وميتش يقومان بالمراقبة ، ورأت سيارة هاربر ، إذن فهو فى مكان ما فى المنزل ، إنه ليس فى المنزل المتنقل ؛ لأنها قد ذهبت إلى هناك وأخذت تناديه ولم يكن هناك أى رد .

أخذت تحدث نفسها قائلة إنهما كانا معاً طوال الوقت ، ولكنه لم يمكث معهم لتناول العشاء ، لقد قال إن لديه شيئاً عليه إنجازه ، وإنه سوف يعود للمنزل قبل حلول الظلام .

وها قد بدأ الظلام يزحف بالفعل ، وأخذت هى تتساءل عن مكانه .

بجانب ذلك ، فقد كانت تحب التريض فى الحديقة ، فى وقت الغسق ، حتى فى مثل هذه الظروف ، إنه لشىء

يبعث على الهدوء وهى تريد ذلك بعد أن أخذت تقلب قصة السوار التى قصها عليها هاربر مرات ومرات فى رأسها .

إنهما يقتربان من الحقيقة ، وهى على ثقة من ذلك ، ولكنها لم تعد على ثقة من أن الأمر سينتهى بهدوء وعلى ما يرام عندما يقتربان من الحقيقة ويعرفان إجابات كل أسئلتهما .

قد لا ترضى إميليا عن التخلى بآخر ما يربطها بهذا العالم ويجعلها تنتقل إلى العالم الآخر .

إنها تحب أن تسكن جسداً ما ، إذا جاز هذا التعبير ، وأن تشارك شخصاً ما ، تتسلل خلال جسده ؟ أياً كان الأمر ، فإميليا تحب ذلك ، وهيلى واثقة من ذلك تماماً كثقتها فى أنه شىء جديد بالنسبة لإميليا ، كما هو جديد بالنسبة لها .

وإذا حدث ذلك ثانية فستحاول السيطرة على نفسها لكى تواجه الحقائق ، وستجاهد حتى تظل متيقظة ومتنبهة وأن تحاول السيطرة على نفسها بقدر الإمكان .

ولكن أليس هذا هو ما تفعله الآن بمفردها فى الضوء الخافت ؟ ليس هناك ما يدعو لأن تتظاهر لنفسها بأنها ليست خطوة متعمدة ، أو نوعاً من الشجاعة ، هيا ، أيتها الحقيرة ، إنها تريد أن ترى ما الذى يمكن أن تفعله هى وكيف يمكنها أن تدير الأمر فى عدم وجود أى شخص .

ولكن لم يحدث شىء ، إنها تشعر بأنها طبيعية وأنها فى كامل السيطرة على نفسها .

وكانت طبيعية إلى أقصى حد عندما سمعت صوتاً من خلال الظلام جعلها تقفز من مكانها ، توقفت وكان عليها

إما أن تواجهه أو تعود أدراجها ، استرقت السمع جيداً ، وجعلها إيقاع الأصوات المنتظم المتكرر تقطب جبينها وهى تتقدم قيد أنملة .

إنه يبدو وكأنه ... ولكن غير معقول ، وأخذ قلبها يدق بعنف وهى تقترب من اتجاه الصوت ، وقد هيئ لها أن هناك شبحًا يحفر قبرًا ما .

قبر إميليا ـ قد يكون كذلك ، قد تكون هذه هى الإجابة أخيرا ، لقد قتلها ريجنالد ثم دفنها هنا فى ضيعته ، وسترى قبر إميليا وسيقومون بوضع علامة عليه أو تعاويذ حتى يمنعوها من الخروج منه ـ سترى ما الذى يمكن عمله فى هذه الحالة .

ثم تختفى إلى الأبد الأشباح التى تطارد منزل هاربر

شقت طريقها بهدوء حول حطام الإسطبل ، واقتربت من المبنى بقدر ما كان لها من شجاعة ، وكانت يداها ترتعدان وأنفاسها تتلاحق بشدة ـ واتجهت نحو المبنى وهى لا تزال تتبع الصوت وتوقعت أن ترى شيئاً مرعبا مخيفا مثيراً للدهشة .

ولكنها رأت هاربر قد خلع قميصه وألقى به على الأرض وكان يقوم بحفر حفرة فى الأرض .

وجعلتها خيبة أملها تخرج أنفاسها بصوت مسموع

وقالت : " هاربر ، ماذا تفعل هنا ؟ لقد كدت أموت من الخوف " .

استمر فى غرز المجراف فى الأرض ، وأخذ يزيح التراب جانباً حتى كونّ كومة بجانبه ، وعلى الرغم من أنها كانت لا تزال تشعر بالتوتر والعصبية إلا أنها حولت بصرها إلى السماء ثم اتجهت ناحيته .

" لقد قلت لك ـــ " . انتفض واقفاً عندما دست أصبعها فى ظهره ، وعلى الرغم من أنها قد فزعت هى الأخرى فى المقابل ، إلا أنه استدار نحوها ورفع المجراف فوق كتفيه كالمضرب ، وأخذ يصب لعناته بينما وقعت هى على الأرض .

أزاح السماعات التى كان يضعها فوق أذنيه وقال : " يا إلهى ، ماذا تفعلين ، ولماذا تتسللين هكذا فى الظلام ؟ " .

" إننى لم أتسلل ، لقد ناديتك ، وإذا لم تكن ترتدى هذه السماعات لكنت سمعتنى ، لقد هيئ لى أنك ستؤذينى بهذا المجراف " .

ثم شرعت فى الضحك وهى تحاول استعادة ما حدث " كان عليك أن ترى تعبيرات وجهك حينئذٍ ، لقد كانت عيناك متسعتين عن آخرهما هكذا " ، ثم رفعت يدها وأخذت تكون دوائر واسعة بأصابعها لتحاكى شكل عينيه اللتين كانتا يملؤهما الفزع ، ثم انفجرت فى الضحك عندما رمقها بغضب .

ثم أخذت تفرك عينيها وتقفز بسرعة فى مكانها وهى تطلق العديد من الضحكات وقالت : " آوه ، لقد كاد يُغمى علىّ ، حسناً ، لنستعيد السيطرة على الموقف ، إن أقل ما يجب أن تفعله هو أن تساعدنى على النهوض بعدما جعلتنى أسقط على الأرض " .

قال وهو يمد يده ليساعدها على النهوض : " إننى لم أدفعك لكى تسقطى على الأرض " .

" لقد هيئ لى أنك ريجنالد ينبش قبر إميليا " .

هز رأسه واتكأ على المجراف ونظر إليه وقال : " لذا ، فقد جئت إلى هنا لتمدى له يد العون " .

قالت : " كان علىّ أن أرى وأستطلع أليس كذلك ؟ " .

" وأنت ماذا تفعل هنا ، تقوم بالحفر هكذا فى الظلام ؟ " .

" إن الظلام لم يحل بعد " .

" لقد قلت إن الظلام قد حل عندما صرخت فى وجهى من الفزع ، ماذا تفعل ؟ " .

" أقوم باللعب فى فريق أطلانطا برافر " .

" لا أرى داعياً لأن تثير استفزازى ، إننى أنا التى سقطت من الفزع وكاد يغمى علىّ " .

" آسف ، هل أصابك أذى ؟ " .

ركزت انتباهها أخيراً على شجرة صفصاف صغيرة رفيعة وقالت : " لا ، هل تقوم بزرع شجرة الصفصاف هذه ؟ لماذا تقوم بزرع شجرة هنا خلف المنزل فى هذا الوقت من الليل ؟ "

" إنها من أجل أمى ، لقد قصت على اليوم ما كانت تفعله وهى صغيرة ، لقد تسللت من البيت فى إحدى الليالى لمقابلة أبى ، وجلسا تحت شجرة صفصاف ، كانت موجودة هنا فى نفس المكان ، خلف المنزل ، وقضيا الليلة وهما يتحدثان معًا ، وحينئذٍ وقعت أمى فى حب أبى ، وفى اليوم التالى ، تحطمت الشجرة بفعل البرق ، الذى هو فى الواقع إميليا " ، ثم أردف وهو يستأنف الحفر : " ولكنها لم تدرك حينئذٍ أن إميليا هى السبب ، لذا فأنا أقوم بغرس شجرة أخرى من أجلها " .

وقفت صامتة لدقيقة بينما أخذ هو يتفحص الحفرة ليرى إذا ما كان حجمها يناسب حجم الشجرة ، ولكنه شرع فى حفر المزيد .

قالت : " هذا شىء رائع وفى غاية الرقة ، إنه يملأ قلبى سروراً وسعادة يا هاربر ، هل بإمكانى مساعدتك ، أم أنه شىء تريد أن تفعله وحدك " .

" إن حجم الحفرة على وشك أن يناسب حجم الشجرة يمكنك أن تساعدينى فى غرسها يا هيلى " .

" إننى لم أقم بغرس شجرة من قبل " .

" يجب أن تكون سعة الحفرة أكثر اتساعاً من حجم الجذر بحوالى ثلاث مرات ولكن دون عمق كبير ، وعليك ترك مساحة كافية للجذر لكى ينمو ويتشعب بحرية " .

أمسك بالشجرة وقام بغرسها داخل الحفرة وقال : " ما رأيك فى هذا ؟ " .

قالت : " مناسب تماماً كما قلت " .

" والآن علينا أن ننزع الكيس القماش الذى قمنا بلفه حول الساق ، لنعرف حد التربة ، سيمكننا ذلك على الأقل إذا ما قمت بإضاءة البطارية لأن الظلام قد حل بالفعل ، لقد استغرقت بعض الوقت حتى أعددت ما أحتاج إليه " .

أضاءت البطارية وانحنت قائلة : " ما رأيك بهذا ؟ " .

قال وهو يشير بإصبعه إلى العلامة الموضوعة عند الجذر وقال : " هنا حد التربة ، ولدينا العمق المناسب هنا ، ولكن لدينا بعض الجذور التى تحتاج إلى تقليم ، ناوليني هذا " .

مدت يدها وناولته مقص الحشائش وقالت : أتعلم أن حفر حفرة يبدو تمامًا وكأنك تحفر قبرًا ؟ " .

رمقها بنظرة ما وقال : " هل سمعت أى شخص يقوم بحفر قبر من قبل " .

" فى الأفلام " .

" حسناً ، سنقوم بملء هذه الحفرة ، ولكن علينا أن نفعل ذلك بتمهل وعلينا بعد ذلك أن نقوم بالضغط على التربة وتسويتها ، إننى لا أرى هنا أى قفازات احتياطية " .

قالت وهى تدفعه برفق للخلف وهى تراه قد بدأ يخلع القفازات التى يرتديها : " لا ، لا ضرر من بعض الطين ، ما رأيك فيما أفعله ؟ " .

قال : " عظيم ، ولكن عليك أن تستمرى فى وضع الجذر وتسوية التربة ، ورفع مستواها ناحية الجذر وعليك وضع قليل من المياه حول حواف الفتحة الموضوع فيها الجذر " .

" إننى أهوى فعل ذلك ، أن أزرع وألهو بالطين " .

قال : " أعلم جيداً ذلك " وعندما انتهيا من عملهما ، قام بإخراج السكين وأخذ ينزع الجزء المتبقى من الكيس القماش ثم نهض وقال : " علينا أن نرويها ببعض المياه ، وأن نصبها حول حافة الحفرة ، أترين ؟ " .

قام بحمل أحد الدلاء التى كان قد ملأها بالمياه ، ثم أشار إليها عندما حملت دلوا آخر .

وقال : " ها قد قمت بغرس شجرة " .

تراجعت خطوة للخلف ومدت يدها لتساعده : " بل ساهمت فى غرسها على أية حال ، إنها تبدو رائعة يا هاربر ، وسوف يعنى ما فكرت به الكثير بالنسبة لروز " .

ضغط على يدها وقال : " إنه يعنى الكثير بالنسبة لى أيضاً " . ثم انحنى ليلتقط معداته وقال : " أعتقد أنه كان علينا أن ننتظر حتى قدوم الربيع ولكنى أردت أن أفعل ذلك الآن ، كنوع من التحدى ، هيا أرينى كيف ستحطمينها ، لقد أردت أن أقوم بزرعها الآن " .

" إنك غاضب منها بشدة " .

" إننى لم أعد طفلاً صغيراً بعد ، إننى لم أعد طفلاً بعد ، تجذبه أغانى الأطفال ، لقد رأيتها على حقيقتها " .

هزت هيلى رأسها وشعرت ببرودة تسرى فى أوصالها فى نسيم المساء وقالت : " لا أعتقد أن أحداً ما قد رآها على حقيقتها ، ليس بعد " .

www.rewity.com

الفصل الثالث عشر

كان مشتل النباتات بالنسبة لهاربر أكثر من مجرد مكان للعمل ، لقد كان بالنسبة له مكانا للهو ، وأيضا مكانًا للتأمل وكان جزء منه معملاً لإجراء تجاربه على النباتات ، وكان بإمكانه ـ وغالبا ما يفعل ـ أن يشرد لساعات طوال وينسى إحساسه بالوقت داخل هوائه الدافئ الذى تنبعث منه الموسيقى وهو يقوم بالعمل وإجراء التجارب أو يشعر بالسعادة لمجرد كونه المخلوق الوحيد بين النباتات .

بل إنه فى أحيان كثيرة كان يُفضل التواجد بين النباتات عن تواجده بين البشر ، على الرغم من أنه لا يعرف ماذا يمكن أن يقال عنه بسبب ذلك ، ولكنه كان لا يهتم بذلك على الإطلاق .

لقد عثر على أهدافه فى الحياة ويقوم بالنشاط الذى يحبه ويهواه ، إنه يعتبر نفسه محظوظا لأنه يستطيع أن

يمارس العمل الذى يحبه ويربح من ورائه وهذا يجعله سعيداً ، أما أخواه فكان عليهما أن يغادرا المنزل حتى يعثرا على العمل الذى يفضلانه ، لقد كان من حسن حظه أن يمكث فى المكان الذى يحبه ويمارس العمل الذى يهواه ويعشقه .

إن لديه منزله وعمله وعائلته ، وقد ارتبط بنساء كثيرات خلال حياته وقد أعجب بهن واستمتع بصحبتهن ولكن لم تجعله أى واحدة منهن يفكر فى الخطوة التالية فيما يسميه طريق المستقبل .

ولكن لم يكن ذلك يشغل باله أو يسبب له أى قلق ، لأن فكرته ورؤيته عن الزواج كانت تتمثل فى رؤيته لعلاقة والديه بكل ما يغلفها من الحب ، والتفانى والإخلاص ، والاحترام ، حيث كانا بمثابة خليط من معدنين ممتزجين أو صداقة راسخة لاتتزعزع .

إنه يدرك جيدًا أن أمه قد عثرت على هذه العلاقة للمرة الثانية مع ميتش ، ولكن البرق نادرا ما يومض مرتين كساقين من النباتات يتم تطعيمهما واتحادهما لإنتاج نبات صحى .

وفى تصوره أن أى شيء أقل قوة ، وأقل أهمية لا يستحق الوقت أو المخاطرة .

لذا فقد استمتع بصحبة النساء اللواتى عرفهن طوال حياته ولم ير أى وحدة منهن على أنها هى المرأة المناسبة حتى ... حتى التقى بهيلى .

الآن ، لقد تغير الجزء الأكبر من عالمه ، ولكن ما زال هناك جزء منه ثابت كما هو لم يشبه أى تغيير .

دار المؤشر على موسيقى شوبان ، ولكن موسيقى " بى أوه دى " p.o.d كانت تنبعث من السماعات الموضوعة فوق أذنيه .

بدت مساحة المكان غير كافية لاحتوائه على مجموعات كبيرة من النباتات فى مراحل مختلفة من النمو ، وعلى بعض الدلاء المملوءة بالحصى ، وعلى قطع صغيرة من الأخشاب ، والشرائط اللاصقة والخيوط ، وبعض الملاقيط . كما أن المكان يحتوى أيضاً على كومات من أصص الزرع والأكياس القماش المصنوعة من القنب ، وأكياس من الرمل ، ومجموعة كبيرة من السكاكين ومقصات تشذيب النباتات ، ولكنه رغم ذلك فإنه يعرف جيدًا كيف يعثر على ما يحتاج إليه متى يريد .

ففى أحيان كثيرة قد لا يستطيع العثور على زوج من الجوارب ، ولكنه يعرف جيدا كيف يعثر على الأدوات التى يحتاج إليها بسهولة .

أخذ يتجول عبر المكان وشرع فى تهوية النباتات وأزال الأغطية والأكياس من فوقها كما يفعل كل صباح ، فإن ذلك من شأنه أن يجفف الرطوبة التى قد تتركز فى جذور التطعيم ، إن الفطريات تمثل مصدر خطورة على النباتات ، ولكن الكثير من الهواء قد يجففها ، وبينما كان يقوم بتهويتها ، أخذ يتفحص عينات منها ليرى مقدار نموها وهل هناك علامات لإصابتها ببعض الأمراض أم لا ؟ إنه يشعر بالسرور لأنه قد قام بتطعيم الكاميليا خلال الشتاء ، إن هذه النباتات الصغيرة ستستغرق عاما آخر أو ربما عامين حتى تزهر ، ولكن فى اعتقاده أن هذه النباتات تستحق الانتظار .

إن العمل يتطلب وقته واجتهاده ، ولكنه أيضاً يتطلب الصبر وإيمانه بما يفعله .

لقد دون بعض الملاحظات حتى ينسخها على ملفات الحاسوب ، إن هناك نموًا نشطًا وثابتًا فى شتلات " استروفيتوم " ostrophytum والتى كان قد وضعها تحت وقاء زجاجى ، كما أن التطعيم الذى أجراه لنبات ياسمين البر قد جعله قوياً وصحياً .

وأخذ يتجول ثانية بين النباتات وشرع فى وضع الأغطية فوقها ، إنه يحتاج إلى أن يتفحص البركة فيما بعد لكى يفحص نباتات الزنبق المائى والسوسن التى كان قد قام بتهجينهما ، وهى تجربة شخصية يأمل أن تؤتى ثمارها .

كما أنها ذريعة لكى يبتعد عن الحرارة الشديدة ، ولكن الآن فهو لديه بعض النباتات التى تحتاج إلى عناية ، قام بجمع الأدوات التى سيحتاج إليها ثم انتقى جذر تطعيم من نبات اللانتانا ، ثم قام بقطعه بميل ودمجه مع طعم من لحاء الويبرنوم المجفف ، وكان الحجم متكافئاً بدرجة جعلته يستخدم الانحراف لكل منهما وأمكنه أن يضعهما معاً فتقابل القلب لكل منهما وهو طبقة من نسيج خلوى لين واقعة بين لحاء الشجرة وخشبها .

ثم استخدم شريطاً من المطاط لكى يقوم بالضغط عليهما ولكى يدمجهما معًا ، ثم بعدما اطمأن إلى أن التطعيم جيد ، قام باستخدام شمع التطعيم من أجل إحكام الدمج ، ثم قام بوضعهما فوق مجموعة من الجذور وغطى الجذور والتطعيم بالتربة الندية ـ ثم وضع علامة فوقها .

وعندما كرر هذه العملية عدة مرات ، أخذ يدون بعض الملاحظات على جهاز الحاسوب .

dodyadode www.rewity.com

وقبل أن يشرع فى العمل وفحص بعض النباتات الصغيرة الأخرى فى الصوبة التالية ، قام بتحويل المؤشر على موسيقى " مايكل برانش " ، ثم أخذ زجاجة مياه غازية من المبرد .

وعندما انتهى من تناول المياه الغازية ، كان " مايكل برانش " قد عزف كثيراً وكان هو قد انتهى من أعماله الصباحية .

قام بجمع المعدات والأدوات ، وخلف وراءه سماعات الأذن وذهب ليتفحص بعض النباتات المائية .

كان هناك الكثير من الزبائن الذين كانوا يتجولون هنا وهناك ويبحثون عن الشتلات التى عليها خصم وذلك تحت مكان ظليل أو فى إحدى الصوبات الزجاجية ، وكان يدرك أنه إذا لم يختف عن أعينهم بسرعة ، فقد يلحق به أحدهم .

إنه لا يشعر بالضيق إذا ما تحدث عن النباتات أو قام بإرشاد الزبائن إلى ما يريدون ، ولكن الأمر هو أنه يريد أن يركز انتباهه فى اللعبة ، واللعبة الآن هى قيامه بتفحص بعض النباتات .

ومر سريعاً من أمام الرجلة " وهو نبات استوائى " وذلك قبل أن يسمع صوتاً يناديه ففكر فى أن يضع سماعات الأذن ، ولكنه بدلاً من ذلك استدار ورسم على وجهه الابتسامة التى يقابل بها العملاء .

وكان من يناديه فتاة شقراء ذات قوام متناسق وجذاب ، فحدث نفسه أنه قد سبق أن رأى ذلك القوام من قبل عدة مرات ، وكانت الشقراء ترتدى سروالاً قصيراً يكشف عن خصرها ، وقميصاً قصيراً جعل جسدها أكثر جاذبية .

وبضحكة تنم عن السرور والسعادة قفزت على قدميها عدة مرات ، ثم فاجأته بأن أحاطت عنقه بذراعيها ومنحته قبلة كبيرة ، كانت لا تزال جذابة وجميلة ، وقد أعادت إلى ذهنه هذه القبلة مجموعة من الذكريات الجميلة .

وبحركة تلقائية ، ضمها بين ذراعيه قبل أن يعود خطوة للوراء ويقول : " دورى ، ماذا تفعلين هنا فى المدينة ، وكيف حالك ؟

قالت : " إننى على خير ما يرام ، لقد انتقلت لتوى إلى هنا ، منذ أسبوعين فقط ، ولقد التحقت بوظيفة فى العلاقات العامة بإحدى الشركات هنا ، لقد سئمت من العمل فى " ميامى " ولقد افتقدت موطنى بشدة أيضاً " .

يبدو أنها قد غيرت تصفيفة شعرها منذ آخر مرة رآها فيها ، إن النساء يفعلن ذلك دوماً ، ولأنه لم يكن واثقاً من ذلك تماماً فقال لها : " تبدين رائعة " .

" إننى أشعر بذات الشعور ، وانظر إلى نفسك ؛ مازلت جذاباً ولا يزال لون بشرتك برنزياً رائعاً . كنت سأتحدث إليك منذ فترة ، ولكنى لم أكن على ثقة من أنك لا تزال تقطن فى هذا المنزل الجميل الرائع " .

" ما زلت أقطن هنا " .

" كنت أتمنى ذلك ، إننى كنت دائماً مغرمة بهذا المكان ، وكيف حال أمك وديفيد وأخويك ، وجميع من فى البيت ؟ " ثم أطلقت ضحكة عالية ولوحت بذراعيها وقالت : " إننى أشعر أننى مازلت أعيش فى كوكب آخر خلال السنوات الثلاث الماضية " .

" إن كل فرد على ما يرام ، ولقد تزوجت أمى منذ أسابيع قليلة " .

" لقد نمى ذلك إلى مسامعى ، لقد كانت أمى تعلمنى دائماً بهذه الأخبار المحلية ، ولقد عرفت أنك أيضاً لم تفعل " .

" أفعل ماذا ؟ آه ، تزوجت ، لا " .

" كنت أفكر أنه إذا كان بإمكاننا أن نمضى بعض الوقت معًا ، فإننى أحب أن أرى منزلى مرة أخرى ، ونتناول بعض الأطعمة الصينية وبعضاً من العصير ، تماماً كالأيام الخوالى " .

" آه ، حسناً ... " .

" أعنى كنوع من الترحاب بعودتى لوطنى والشكر على معاونتك لى فى اختيار بعض النباتات المنزلية من أجل أن أضعها فى منزلى الجديد ، إنك ستفعل ، أليس كذلك يا هاربر ؟ إننى أرغب فى بعض النباتات اللطيفة " .

" قطعاً ، أعنى ، ساعاونك فى اختيار بعض النباتات ولكن ـ " .

" لماذا لا ندلف إلى الداخل ، لكى نتحاشى هذه الحرارة الشديدة ، وبإمكانك أن تخبرنى ماذا تنوى أن تفعل وأنت تساعدنى على اختيار النباتات " .

وأمسكت بيديه وضغطت عليهما وقالت : " لقد افتقدت رؤيتك بشدة " ، ثم أردفت قائلة : " فلم تكن لدينا فرصة كبيرة للتحدث عندما كنت أمضى هنا عدة أيام فى العام الماضى ، لقد كنت أمضى وقتى مع هذا المصور ، أتذكر ذلك ؟ لقد أخبرتك حينئذٍ " .

" نعم ، وأنا ـ " .

" ولكن هذا الأمر قد انتهى ، إننى لا أدرى لماذا أضعت عاماً من حياتى مع رجل أنانى إلى هذا الحد ، لقد كانت كل

نقاشاتنا تدور حوله ، أتدرى ماذا أعنى ؟ ما الذى جعلنى أرتبط برجل مثله فنان ، ينزع إلى التأمل ؟ " .

" أنا ـ " .

" لذا ، قطعت علاقتى به وهأنذا جئت إلى هنا " .

وقامت بدس يدها فى جيب سرواله الخلفى ، وهى عادة قديمة كانت تفعلها ، مما أعاد له بعض الذكريات القديمة وقالت : " لقد افتقدتك بشدة ، إنك سعيد لرؤيتى ، أليس كذلك يا هاربر ؟ " .

" بالطبع إننى سعيد ، ولكنى أريد أن أخبرك يا دورى أننى مرتبط بامرأة أخرى " .

أثنت شفتيها من الاستياء وقالت : " أوه ، هل هى علاقة جادة ؟ " .

تركت يديها فى جيب سرواله لدقيقة أخرى ثم أخرجتهما وقالت : " كنت أظن أنه من حسن حظى ألا تكون مرتبطاً ، منذ متى بدأت علاقتك بها ؟ " .

" إننى أعرفها منذ فترة ، ولكن علاقتنا بدأت منذ وقت قصير ... لقد ارتبطت بها لتوى " .

قلت : " كان يجب أن آتى إلى هنا منذ فترة ، ولكننا مازلنا صديقين ، أليس كذلك ؟ صديقين مخلصين " .

" إننا كذلك بالفعل " .

" هذا ما أتذكره ، وأعتقد أن ذلك هو ما افتقدته مع جوستن المصور . إننا لم نحاول أن نجعل علاقتنا علاقة صادقة ، ولم يكن ما بيننا حينما انفصلنا يمت بصلة إلى الصداقة ، لقد كنت لتوى أخبر صديقاً آخر لى منذ فترة قريبة . إنك قد أنهيت علاقتك معى بطريقة لطيفة " .

www.rewity.com

ثم أطلقت ضحكة عالية ، وشبت على قدميها ومنحته قبلة خفيفة وقالت : " إنك شخص نادر الوجود يا هاربر " .

ثم تراجعت خطوة للخلف ، وبعدها بلحظات دخلت هيلي عبر الباب الزجاجي وقالت : " آسفة ، هل قاطعت شيئا ؟ هل بإمكاني المساعدة ؟ " .

ربتت دورى على ذراع هاربر وقالت : " لا ، نشكرك ، إن هاربر يساعدني ، إنني لا أفهم كثيراً في النباتات ، لذا جئت لأستشير الخبير " .

" هيلي ، هذه دورى ، لقد كنا نذهب إلى الجامعة معًا " . رسمت هيلي على وجهها ابتسامة عريضة وقالت : " حقاً ؟ أعتقد أنني لم أرك هنا من قبل " .

" إنني لم آت منذ فترة طويلة ، لقد جئت لتوى من ميامى ، وقد التحقت بوظيفة جديدة ، وسأبدأ بداية جديدة ، أنت تعلمين كيف تجرى الأمور " .

قالت هيلي ولا تزال الابتسامة على وجهها : " نعم ، أعلم " .

قالت : " لقد قررت أن آتي لزيارة هاربر وأقضي معه بعض الوقت ، وأبتاع بعض النباتات من أجل أن تضفي مظهراً جميلاً على شقتي الجديدة ، انتظر حتى تراها يا هاربر ، إنها تمثل خطوة كبيرة وتختلف عن الجحر الذى كنت أقطن فيه في الماضي " .

" أتمنى أن تكوني قد تخلصت من ذلك الفراش المتهالك " .

" لقد أحرقته " ، ثم التفتت موجهة حديثها لهيلي وقالت : " لقد كان هاربر يكره هذا الشيء ، ولقد عرض

على كثيراً أن يبتاع لى فراشاً ولكنى كنت أقطن فى هذا المكان الصغير ـ مجرد حجرة واحدة ، وإذا حدث وكنا ثلاثة أفراد ، فكان المكان يكتظ بنا جميعاً وكأننا فى حفلة " .

قال هاربر : " لقد كانت أياماً جميلة " ، فضحكت دورى .

قالت دورى : " أليس كذلك ؟ والآن من الأفضل أن ترينى ما سأحتاج إليه وإلا سأجعلك تتحدث بقية اليوم " .

قالت هيلي وهي تخرج من الباب : " سأترككما بمفردكما " .

استأنفت عملها مرة أخرى ولكنها تأكدت من أنها لن تكون المسئولة عن الخزانة فى الوقت الذى ستقوم فيه دورى بسداد ثمن النباتات التى انتقاها لها هاربر ، ولكنها استطاعت أن تسمع ضحكة دورى ـ وهى ضحكة عالية فى رأى هيلي والتى جعلت الرفوف الموجودة بطول الحجرة تهتز .

وكان هاربر يتكئ على النضد أثناء دفعها لثمن النباتات ، فقد لمحت ذلك بجانب عينيها ، وكيف أنه كان يضع على وجهه ابتسامته التراخية عندما كانا يتحدثان عن صداقتهما والأيام القديمة الجميلة .

وها هى دورى استمرت فى ملامسته طوال الوقت ، إنها دائبة على وكزه والتربيت عليه ، وشعرت بالدماء تتصاعد إلى وجهها عندما رأت هاربر وهو يدفع بالعربة المحملة بالنباتات نحو سيارة دورى .

وقررت هيلي أنها يجب أن تتفحص الرفوف الموجودة بجوار النافذة ، وإذا حدث وشاهدها شخص ما أثناء

العمل ، فلن يدرك أن ذلك يعتبر تجسساً على هاربر ودورى وإنما هى فقط تنظر نحوهما .

ورأت هاربر وهو يمزح بيده مع زميلة الجامعة وقبلها من وجنتها .

يا للوغد .

ثم أخذ يلوح لها بيده قبل أن يسير بجانب المبنى وكأنه برىء وليس مخادعاً حقيراً ، والأسوأ أنه يخدعها هكذا على مرأى ومسمع منها ، آه يا للوغد الخائن .

من المفترض أنه لديه من اللطف والكياسة والأصل الطيب الذى يمنعه من أن يفعل ذلك أمامها ، على الأقل من وراء ظهرها .

حسناً ، إنها لن تجعل شيئاً كهذا يؤثر فيها أو يثيرها ، نعم ، إنها لن تعير ذلك أى اهتمام ، ولن تشير إليه .

إنها لن تخرج وتقوم بركله ودق عنقه ولكنها ستخرج فقط لكى ترى إذا ما كان أحد يحتاج إلى مساعدتها من الزبائن .

فهذا ما تتقاضى مرتباً من أجله وليس المغازلة وقضاء معظم اليوم فى استعادة الذكريات القديمة ، وبالطبع ليس من أجل تقبيل الزبائن قبل توديعهم .

كانت تسير بجانب معمل التطعيم قبل أن تلمحه بالخارج فى الحقل ، وقد كان جاثماً على ركبتيه ويقوم بفحص التطعيم فى نبات " الماغنوليا " والذى كانت قد ساعدته على تطعيمه وزرعه منذ أسابيع ماضية .

نظر إليها وأودعها ابتسامة وهى تقترب منه ، ثم قال : " تعالى وألقى نظرة ، إنها تنمو ، ويمكننا أن نزيل الشريط اللاصق بعد أسبوعين " .

" حقاً " .

" نعم ، إنها تبدو رائعة ، إننى بحاجة لفحص بعض نباتات الزينة الأخرى ، وأعتقد أنه سيكون لدينا بعض نباتات الزينة والإجاص والكرز فى الموسم القادم ، هل أريتك الإجاص المثمر الذى قمت بزراعته ؟ تلك النباتات الصغيرة ؟ " .

" لا ، هل حصلت صديقتك على ما تريد ؟ " .

نهض ليفحص توازن الظلة وقال دون وعى وهو يتفحص الشجرة : " صيانة غير جيدة ، إن ما فعلته هنا هو أننى استخدمت الكمثرى للتخزين منذ ثلاث سنوات وقمت بتطعيمها بنبات البنديولاس ، وعليك أن تتأكدى من أنه لديك المساحة المناسبة ، وبالتالى ستنتجين شكلاً جميلاً " .

" إنك تعلم كل شىء عن الأشكال الجميلة " .

" نعم ، إننى أحب الزراعة بالتقليم ، لقد فعلت ذلك منذ عامين فى الربيع ، وفعلت ذلك هذا الربيع ، أترين كيف نما النبات ؟ " .

" إننى أرى أشياء كثيرة تنمو وتزدهر ، لقد أصابتنى الدهشة لأنك لم تذهب معها وتحمل النباتات حتى باب منزلها " .

رمق هيلى بنظرة شاردة وسخر قائلاً : " عمن تتحدثين ؟ دورى ؟ إنها قادرة على حمل النباتات بنفسها " .

واستمر فى سيره وهو يفحص النباتات .

www.dodyadodo-fewity.com

" هنا ؟ وبالنسبة لهذا الكرز المتهدل فقد استخدمت جذر تطعيم صغيرًا ، ويجب أن نقوم بعمل عينة شجر للأماكن الصغيرة ، وفى شهر أكتوبر ، سوف نقوم بأخذ أغصان ناضجة من مخزون الكولت ، وكل ما عليك فعله هو حزمهما معاً ثم نضعهما فى حوض زرع صغير ملىء بالمياه ويكون الجزء لأسفل ، ثم نضع فوقهما بعض التراب ويكون على شكل تل ، وبالتالى يختفى حوالى ثلاثة أرباع النبات ، ثم نقوم فى الربيع التالى برفع الحزمة وزرع الأغصان التى قلمناها ، وبالتالى يمكننا استخدامها فى الصيف التالى كجذور تطعيم " .

" هذا شىء رائع يا هاربر ، هل أمضيت كل هذا الوقت مع دورى لتقص عليها كيفية الحصول على جذر تطعيم ؟ " .

كان واضحاً أن انتباهه مشتت فقال : " ها ، إنها لا تهتم بهذا النوع من العمل ، إنها تعمل فى العلاقات العامة " .

" لقد رأيت علاقات خاصة " .

" ماذا ؟ " .

قالت : " لقد كنت على وشك الرجوع إليكما لأقترح أن تذهبا إلى مكان خاص ، فهذا أفضل من الحديث وتبادل القبلات هكذا فى الأماكن العامة " .

فغر فاه وقال : " ماذا ؟ إننا لم نكن نفعل شيئاً ـ إننا فقط كنا ـــ " .

" هذه الأبواب مصنوعة من الزجاج يا هاربر إننى أذكرك إذا كنت قد أغفلت ذلك ، لقد رأيتك ، ويجب أن يكون لديك احترام أكثر من ذلك لكان عملك بدلاً من

المغازلة ، والتقبيل هكذا خلال ساعات العمل ، ولكنك أنت الرئيس ، وأعتقد أنه بإمكانك فعل ما تشاء " .

" إن أمى هى رئيسة العمل هنا ، وإننى لم أكن أغازل أحداً أو أتبادل القبلات فى أى مكان ، فأنا ودورى صديقان قديمان ـ لقد كنا فقط ـــ " .

" كنتما تتبادلان القبلات وتمزحان معاً وتحددان المواعيد ، أعتقد فى رأيى أن ذلك ليس من الحنكة أن تفعله خلال ساعات العمل ولكن من الوقاحة والفجاجة أن تفعله أمامى " .

" هل من الأفضل أن أفعله من وراء ظهرك ؟ " .

ولأن ذلك كان يعكس أفكارها السيئة ، فاحمرت عيناها من شدة الغضب وتصاعدت الدماء إلى وجنتيها وقالت : " دعنى أقل لك إنك وغد يا هاربر " .

كان من الأفضل أن تبتعد عنه الآن ، وقد كانت على وشك الانفجار من الغضب ، فاستدارت وابتعدت ، حينما جذبها هاربر من ذراعها " .

وقد لاحظت أن ذهنه لم يعد شارداً ، وبدت عليه أمارات الغضب وقال : " إننى لم أكن أغازل أحداً أو أتبادل المواعيد " .

" إنك كنت تتبادل القبلات فقط " .

" لقد قبلتها لأنها صديقة قديمة وحميمة أيضاً ، ولم أرها منذ فترة ، لقد قبلتها كصديقة ليس أكثر ولم أقبلها بهذه الطريقة على سبيل المثال " .

ثم جذبها إليه بعنف والتصق بها ، وجذب شعرها بعنف وعانقها بشراسة . وأخذت هى تقاومه ولم تفلح فى أن تتخلص منه ، واعترتها مشاعر خوف بجانب غضبها

وثورتها مما يفعل وأخذت تتلوى وتقاومه قبل أن يطلق سراحها .

قال : " هكذا أتعامل مع المرأة التى أحبها " .

قالت : " هل ترى أنه من حقك أن تعاملنى بهذا الأسلوب " .

قال : " تماماً كما فعلت وقمت باتهامى بأشياء لم أرتكبها ، إننى لم أخدعك ولم أكذب عليك ولن أعتذر عما بدر منى وإذا كنت ترغبين فى معرفة أى شىء عن علاقتى بدورى أو علاقتى بأى شخص آخر سواء كان فى الماضى أو الحاضر ، فعليك أن تسألينى بشأنه أولاً بدلاً من الاندفاع هكذا وإلقاء الاتهامات " .

" لقد رأيت ـــ " .

" ربما قد رأيت ما أنت تريدين أن تريه ، وهذا شأنك يا هيلى ، والآن علىّ أن أستأنف عملى ، وإذا كان لديك ما ترغبين فى قوله بشأن هذا الموضوع ، فيمكنك ذلك بعد انتهاء ساعات العمل " .

ثم اتجه نحو البركة وتركها هكذا بلا اختيار ، فأسرعت هى وسارت فى الاتجاه المعاكس .

أخذت هيلى تذرع الشرفة الأمامية لمنزل ستيلا جيئة وذهاباً ، بينما كانت ليلى تلهو على الحشائش وتركض خلف باركر وكانت هيلى تقول : " إن لديه الجرأة وقوة الأعصاب لكى يخاطبنى هكذا بحدة ويتصرف كما لو كنت أنا المخطئة ، وكأن أفكارى قذرة أو أننى ساحرة شريرة مجنونة بالغيرة وكل هذا لأنى قد اشتكيت من أنه يبدى حبه وإعجابه المفرط بامرأة أخرى أمامى " .

" لقد ذكرت من قبل أنها هى التى كانت تُبدى حبها وإعجابها نحوه " .

" لقد كانا يتبادلان الإعجاب ، وعندما ذهبت إليه ، بعدما رأيت كل ما حدث بينهما خلال الباب ، تصرف وكأن شيئاً لم يحدث ، بل إنه حتى لم يبد محرجًا أو متوترًا " .

" آه ، هكذا " ، فكرت ستيلا مرتين ولكنها كانت تتفهم طبيعة الصداقة الأنثوية ، ثم أردفت قائلة : " يا عزيزتى ، كل منا يعرف هاربر ونعرفه منذ فترة ، ألا تعتقدين أنه كان سيبدو محرجا إذا ما شوهد يفعل شيئاً مخجلا لا يجب عليه فعله ؟ " .

" إننى أعتقد أننى لا أعنى شيئاً له ولذلك لم يشعر بالحرج " .

" لا ، كفى عن هذا ، هذا غير صحيح " .

" جلست هيلى على درجات السلم وقالت : " إنه صحيح ، إنه شىء فظيع ومؤلم " .

جلست ستيلا بجوارها وطوقتها بذرعيها وقالت : " أعلم أنه شىء مؤلم ، وإننى آسفة لأن ذلك جرحك وآلمك " .

" إنه لا يهتم بذلك " .

" لا ، إنه يهتم بك ، ربما ما رأيته قد آلمك بسبب شعورك نحوه " .

" ستيلا ، لقد قبلها " .

" إنه يقبلنى أيضاً " .

" لا ، ليس بمثل هذا الأسلوب " .

" إذا كنت لم ترينى من قبل ، ورأيته يقبلنى ، فماذا كنت ستظنين ؟ " .

" قبل أو بعد ، لكنت وددت أن أدق عنقه " .

" أوه ، إننى لا أقول إن ما حدث ليس سيئاً ، ولكن ربما كنت قد أسأت فهم ما حدث ، إننى أقول ذلك لأننى أعرف هاربر جيداً وأعرف ردود أفعاله " .

" هل تريدين أن تقولى إننى قد بالغت فى ردود أفعالى ؟ " .

" إننى أقول ، إننى إذا كنت فى مكانك ، لكنت سألت وأردت أن أعرف الموضوع على وجه التحديد " .

غمغمت قائلة عندما كانت ستيلا تنظر إليها : " لقد كان على علاقة معها ، حسناً حسناً ، ما مضى قد مضى ولكنها جميلة ، ولها قوام جميل ولها عينان داكنتان آخاذتان ، شىء جميل ، أوه يا إلهى " .

" هل ستذهبين لتتحدثى إليه ؟ " .

" أعتقد " .

" هل ترغبين فى أن أعتنى بليلى حتى تفعلى ذلك ؟ " .

تنهدت هيلى وقالت : " لا ، يجب أن تتناول عشاءها بالإضافة إلى أننى إذا ما اصطحبتها معى فلن نتبادل أنا وهو الصراخ " .

" حسناً ، يمكنك أن تتحدثى معى فى أى وقت شئت ، وأخبرينى كيف تسير الأمور ، أو يمكنك أن تعودى إلى هنا مرة أخرى ودعينا نتناول قدحين من القهوة " .

" إننى أشعر بأننى بحاجة بالفعل إلى قدح من القهوة " .

كانت تُمسك بيد ليلى عندما كانت تقرع باب المنزل المتنقل ، كان قد أخذ حماماً منذ فترة قصيرة ، فقد بدا ذلك واضحاً حينما فتح الباب ، حيث كان شعره لا يزال مبتلاً ، ولكن

كان وجهه عابساً متجهماً ، ولا يوجد ما يزيل هذا العبوس .

قالت بسرعة : " أريد أن أتحدث معك ، إذا كان لديك الوقت " .

انحنى ليحمل ليلى التى كانت قد أحاطت ساقيه بذراعيها ، ثم استدار دون أن ينبس بكلمة إلى هيلى وحمل الطفلة واتجه بها نحو المطبخ وقال : " مرحباً أيتها الفتاة الجميلة ، انظرى ماذا لدينا هنا " .

وبيد واحدة ، قام بفتح الخزانة وسحب منها وعاءين من البلاستيك ، ثم مد يده فى الدرج من أجل أن يأخذ ملعقتين من البلاستيك أيضاً ، ثم وضعهما ، ووضع ليلى أيضاً على الأرض حيث بدأت تلهو بالملاعق .

وجه حديثه لهيلى قائلاً : " هل ترغبين فى تناول شىء ؟ " .

" لا ، لا أريد ، إننى أود فقط أن أسألك ـ " .

" لدىّ بعض المياه الغازية المثلجة ، هل تودين بعضاً من اللبن أو العصير من أجل ليلى ؟ " .

" إننى لم أحضر الكوب البلاستيكى ذا الماصة الخاص بها " .

" لدىّ واحد هنا " .

قالت وقد شعرت بأن قلبها يغوص بين قدميها لأنه قد بدأ فى مضايقتها بتجاهله هذا : " أوه ، بإمكانك أن تحضر لها بعض العصير ولكن عليك تخفيفه أولاً " .

أخذ فى إعداد العصير وقال : " وماذا بعد ؟ " .

" أريد أن أسألك ـ لا بل أريد أن أقول إننى أعرف أننا لم نرتبط ارتباطاً رسمياً ولكنى أعتبر أن علاقتنا وحديثنا

www.rewity.com

معًا والعهد الذى قطعناه يعتبر نوعًا من الارتباط الذى يجعلنى أشعر بالإهانة وأنا أراك تتبادل القبلات والمغازلة مع امرأة أخرى ولا أرى أن ذلك منطقى على الإطلاق " .

أخذ رشفة أخرى ببطء وقال : " أتعلمين ؟ ، إذا كنت قد بدأت حديثك هكذا من قبل ، لما كنت شعرت بالإهانة أو الضيق ولكنى سأكرر عليك ثانية ، إننى كنت أمازح دورى وليس الأمر كما فهمت " .

" إذا كنت تعامل السيدات بالأسلوب الذى ـــ " .

" احذرى فى حديثك وإلا فسوف تثيرين ضيقى وغضبى مرة أخرى ، وإذا كنت ترغبين فى معرفة ما يجرى فلِم لا تأتين وتسألينني ؟ " .

" إننى لا أحب أن أضع نفسى فى هذا الموقف "

" ولا أنا أيضاً ، إذا كنت تريدين أن تنهى الموقف عند هذا الحد ، هيا بنا نتناول أى شىء على العشاء ، فإننى لم أتناول غدائى " .

انحنت هيلى نحو ليلى وقالت : " حسناً " ثم توقفت وأردفت قائلة : " لماذا أنت قاس هكذا ؟ " .

" ولماذا أنت عديمة الثقة ؟ " .

" لقد رأيتك . لقد كانت تحوطك بذراعيها ووضعت يدها فى جيب سروالك ولم تحاول منعها يا هاربر " .

" حسنا ، إنه شىء اعتادت أن تفعله ، ولم ألق له بالاً عندما فعلته اليوم ، لأننى كنت أفكر كيف سأقول لها إننى لن أستطيع أن أدخل معها فى علاقة أو أراها خارج إطار الصداقة لأننى قد ارتبطت بشخص آخر " .

" وما الوقت الذى استغرقته لتقول لها هذا ؟ " .

" أطول قليلاً من الوقت الذى يستغرقه المرء فى تقبيل امرأة " .

فتحت فمها لتقول شيئاً ولكنه تجهم مما جعلها تتراجع وتصمت عن الحديث .

وتنظر .

" صحيح أم خطأ يا هيلى ، لقد أخبرتها بذلك بالفعل قبل أن تأتى إلينا " .

" قبل ؟ ولكن ... ولكنك كنت قريباً منها يا هاربر وأنتما الاثنان كنتما ... " ثم أخذت تلوح بيدها حتى تستطيع العثور على الكلمات ، " فى غاية الرومانسية ، وقمت بتقبيلها عندما كنتما تتجهان نحو العربة " .

ضاقت حدقتاه وهو يقول لها : " لقد كنت تراقبيننا " .

" لا ، نعم ، ماذا تريد إذن ؟ " .

" شىء سيئ أنك لم تقومى بوضع جهاز تنصت فى ملابسى ، فحينئذٍ لم يكن هناك داع لهذا الحديث الدائر بيننا " .

فردت ذراعيها وردت على إهانته قائلة : " إننى لن أعتذر أيضاً على فعلتى تلك " .

" حسناً ، أولاً لماذا لا أتحدث معها برقة ولطف ؟ إننى لم أفعل شيئاً يجعلنى أشعر بالذنب حياله ، ثانيا : إن دورى شخصية حساسة واجتماعية ، وهى تحب التواصل مع الآخرين وهذا هو سبب نجاحها فى العلاقات العامة . وأعترف بأننى قمت بتقبيلها قبل أن تغادر المشتل ، وربما قد أقبلها فى المرة التالية ، إننى أكن لها الكثير فلدينا تاريخ حافل معاً ، لقد التقينا فى المدرسة الثانوية وكنا فى الجامعة معاً وارتبطنا معاً بعلاقة رومانسية لمدة عام ، وكان

dodyadodo www.rewity.com

هذا فى الجامعة أيام المراهقة يا هيلى وعندما أنهينا ارتباطنا العاطفى أصبحنا صديقين وإذا حاولت أن تمحى الغيرة التى بداخلك ، فقد تصبحان صديقتين أنتما الاثنتان " .

" إننى لا أحب أن أكون غيورة ، ولم أشعر بالغيرة حيال أحد من قبل " .

" إذا كنت قد سمعت الحديث الذى دار بيننا عند السيارة ، فكنت ستسمعينها وهى تقول إنها تأمل أن نذهب أنا وأنت إلى المدينة لنخرج معًا حتى تتعرف عليك أكثر فقد قالت إنها سعيدة لرؤيتى ، إن ما يسعدها أكثر أن ترانى سعيداً ، ولقد قلت لها ما يشبه هذا الكلام ثم قمت بتقبيلها لأودعها " .

" ولكن ... لكن منظركما كان يوحى بأنكما حبيبان " .

أجابها : " إننا لسنا كذلك ، ولكن هذا ينطبق على أنا وأنت هذا ما أشعر أنا به نحوك ، فهذا ما أريده ، إننى لا أدرى ما الذى اقترفته لكى يساورك الشك تجاهى هكذا " .

" إنك لم تقل أبداً من قبل ... " .

خطا نحوها وأحاط وجهها بكفيه وقال : " إننى لا أريد أن أرتبط بأحد سواك ، فأنت الوحيدة التى تسكن قلبى يا هيلى . هل هذا واضح ؟ " .

احتضنت كفيه بيدها ثم حنت رأسها حتى لامست شفتاها راحتيه وقالت : " نعم " .

" إذن فقد تصافينا الآن ؟ " .

" أعتقد هذا . هل قلت لها إنك مرتبط بشخص آخر . أعنى أنا ؟ " .

" لم يكن علىّ أن أقول ذلك ، فعندما غادرتِ المكان وتركتنا بمفردنا ، وكزتنى فى ذراعى . وقالت عنك ، إنك تفوقينها طولاً ، وأكثر نحافة وكذلك شعرك أفضل من شعرها ، وسألتنى عن نشأتك " .

" لا يهم ذلك الآن . ماذا قالت أيضاً ؟ " .

" لقد قالت إنه لشىء سيئ أن أتخلص منها وأكف عن مقابلتها ، ولكنه كان يجب أن يحدث ذلك بسبب شخصية مثلك ، أعتقد أن حديثها ذلك كان نوعًا من المجاملة التى قد تحمل معنى آخر " .

" إنها شخصية لطيفة حقاً ، إننى أشعر بالذنب الآن ، وأراهن أننى كنت سأعجب بها وهذا يبعث على بعض القلق " ، ثم صمتت لدقيقة وابتسمت قائلة : " ولكنى سأتغلب على ذلك ، إننى لن أعتذر بالضبط ، لأن ــ لأنها قبلتك ولكنى سأعد لك طعام العشاء " .

قال دون تردد : " اتفقنا " .

" هل تريد شيئاً بعينه ؟ " .

" لا ، فاجئينى ، أقصد فاجئينا ، ثم رفع ليلى فى الهواء وأخذ يقبلها وقال : " سوف أخرج العفاريت الصغار من شعرك ، هيا ندمر الحجرة الأخرى " .

أخذت هيلى تحدث نفسها بأنه هكذا قد عادت الحياة إلى مجراها الطبيعى وأخذت هيلى تفتش الثلاجة لترى محتوياتها وهى تستمع لأصوات هاربر التى يصدرها وهو يداعب ليلى التى تتردد ضحكاتها فى أنحاء غرفة المعيشة .

حدثت نفسها قائلة : " إنه يستحق الشفقة ، فلا يوجد سوى بعض زجاجات المياه الغازية والعصير وصدور دجاج

مقلية منذ قديم الأزل ، بيضتين ، بعض من الزبد وقطعة جبنة صغيرة جافة .

فتحت باب الثلاجة ووجدت بعض بقايا الطعام الملفوفة والتى يبدو أن ديفيد هو الذى كان قد أعدها ولكن كان من العار أنها لا تستطيع أن تطهو شيئاً يثير إعجاب هاربر .

من الذى يستحق الشفقة والرثاء ؟ لقد كان يغازل امرأة أخرى على مرأى ومسمع منك وأنت التى تتذللين وتطلبين العفو . والآن تقومين بالطهى له ، مثل الخادمة ، إن النساء لسن أكثر من مجرد خادمات للرجال ، يعملن على راحتهم .

إنه يكذب شأنه شأن كل الرجال ولقد صدقته لأنك ضعيفة وحمقاء .

دعيه يدفع الثمن ، يجب أن يدفعوا الثمن جميعاً .

قالت برقة عندما وجدت نفسها تقف أمام باب الثلاجة المفتوح " لا ، ليست هذه بأفكارى ، وليس هذا ما يدور بذهنى " .

ناداها هاربر قائلاً : " هل تقولين شيئاً ؟ " .

قالت بهدوء : " لا ، لا " .

لم يكن هناك ما يقال ، ولم يكن هناك ما تفكر فيه ، ولكنها ستعد وجبة وسوف يأكلان معًا كزوجين أو حتى أكثر من ذلك كعائلة .

سيتناولون الطعام ثلاثتهم ، ثلاثتهم فقط .

الفصل الرابع عشر

كان الشعور بالهدوء والاستقرار شيئاً غريباً ومخيفاً بالنسبة لهاربر ، فقد اعتاد هو وهيلى أن يتناولا طعام العشاء معًا فى الأمسيات ، إن جلوسهما معاً فى المطبخ ، وبجوارهما ليلى جالسة فى كرسيها المعلق الذى أحضره لها من المنزل الرئيسى ، والتفافه هو وليلى حول المائدة لتناول الطعام والحوار السلس الدائر بينهما ، كل ذلك جعله يشعر بالتوتر والعصبية .

إنهما يتجهان نحو شىء مستقر ، تماماً كالمركب التى تبحر نحو الشاطئ يحفها النسيم الهادئ ، فهو لا يدرى هل سيتحطم المركب أم سيصل فى هدوء وأمان وذلك عندما يرسو على الشاطئ .

وأخذ يتساءل : هل تشعر هى الأخرى بالتوتر والعصبية أم أن ذلك ما يشعر به هو فقط ؟ أو أن توتره هو ما جعله يعتقد أنها قد تكون فى نفس الحال .

لقد بدا كل شىء طبيعياً ، هادئاً ، تناولهما للطعام معًا بعد انقضاء اليوم ، الحديث عن العمل أو ما فعلته ليلى طوال اليوم ، ولكن خلال هذا الاستقرار الذى يشوب علاقتهما ، كانت هناك مشاعر قوية ، مشاعر تجعلهما يرغبان فى البقاء معاً على الأقل هذه الليلة .

ولكن إلى متى سيقنع كل منهما بهذه الحال من الاستقرار ؟ وهل سيرضيان بذلك فى علاقتهما ؟

بدأ حديثه قائلا : " كنت أفكر فى أن أريك كيفية التهجين وذلك إذا كانت الأمور هادئة بالغد " .

قالت : " إننى أعلم القليل عن ذلك ، فقد أرتنى روز كيفية تهجين نبات السمكة " .

قال : " كنت أفكر فى زهرة الزنبق ، فهى عينات جيدة للتهجين ويمكننا أن نجرب واحدة ، فقد كنت أفكر أن نجرب زهرة صغيرة ونجعل لونها ورديًا ونهديها لليلى " .

أشرق وجهها وقالت : " حقاً ؟ إنك ستنتج عينة ، من أجلها ؟ أوه ، هاربر ، هذا شىء رائع " .

" لقد فكرت فى اللون الوردى . ولكن الوردى القاتم - ويمكننا أن نجعل البتلات مشبعة بالحمرة ، فالأحمر هو لونك المفضل لذا ستكون زنبقة هيلى ، فهذا ما فكرت به " .

" أوه ، إنك ستجعلنى أبكى " .

" فقط أمضى بعض الوقت فى التلقيح بالأيدى وأنت ستبكين ، إنه ليس تطعيمًا سريعًا " .

" إننى بحق أريد أن أجرب التهجين " .

" إذن ، فسنشرع فى ذلك غداً " ثم سأل ليلى قائلاً : " ما رأيك فى ذلك يا صغيرتى ، هل تريدين زهرة خاصة بك ؟ " .

أمسكت بحبة فاصوليا خضراء بإصبعيها الرقيقين ثم ألقت بها بعناية فوق الأرض .

" أراهن أنها تحب الزهور أكثر من خضراواتها التى تتناولها ، فهذه إشارة إلى أنها قد انتهت من تناول الطعام " . نهضت هيلى ثم قالت : " سأقوم بتنظيفها " .

" بإمكانى فعل ذلك ، وأقوم بإعطائها حماماً " .

أطلقت هيلى ضحكة عالية وهى ترفع ليلى من على المقعد العالى وتقول : " هل قمت بذلك من قبل ؟ " .

" لا ، ولكن لدىّ بعض المعلومات ، فكل ما أفعله هو أن أملأ حوض الاستحمام بالمياه وأضعها فيه وأعطيها الصابون ، ثم أعود فأجففها بعد أن أكون قد تناولت زجاجة أخرى من المياه الغازية ثم أردف قائلا عندما اتسعت عينا هيلى عن آخرهما وقال : " إننى أمزح " ، ثم قال بعد أن خلع عنها ملابسها ورفعها لأعلى : " إن أمك تظن أننى سوف أعجز عن إعطائك حماماً ، وسوف ترى إننى ماهر فى ذلك " .

" آه ، ولكن ـــ " .

" إنك تمضين معها كل الوقت ولا تغفلين عنها لدقيقة ، أعرف ما سوف تقولين : " راقبها طوال الوقت ، لا تغفل عنها أبداً ، قم بتدفئة المياه ، لا يجب أن تكون ساخنة ، إلى آخر كل هذه التعليمات ، ثم حمل ليلى عالياً فأخذت تلوح لأمها بيدها .

www.rewity.com

اطمأنت عليهما ثلاث مرات ولكن حاولت ألا تشعرهما بذلك .

وعندما انتهت من ترتيب المطبخ ، كانت ليلى تلهو حولها وكانت قد أخذت حمامها وبدت نظيفة مشرقة ولم تكن ترتدى شيئاً سوى ملابسها الداخلية حدثت نفسها أن بعض الرجال يكونون طبيعيين مع الأطفال ويبدو أن هاربر واحد منهم .

" ما الذى يحتوى عليه جدول أعمالها أيضاً ؟ " .

" إننى فى الغالب أدعها تلهو لنحو ساعة ، ثم قد نقرأ كتاباً بعد ذلك ـ أو جزءًا منه ـ إذا كانت ستبقى هادئة لفترة كافية يا هاربر ، ألا تود التخلص منا ؟ " .

" لا ، إننى أود أن تمكثا معى ، ويمكننا أن نضع المهد المتنقل فى الغرفة الأخرى ، وبذلك بإمكاننا سماعها إذا ما استيقظت ، ثم تقضين الليلة هنا فى الغرفة المجاورة ، ثم قبلها وقال : " أريدك أن تمضى الليلة بالقرب منى " .

قالت : " هاربر ... " ، ثم أسرعت خلف ليلى وقالت : " توقفى " ، ثم توقفت ليلى فى غرفة المعيشة عندما اتجهت نحو كومة من العربات والشاحنات البلاستيكية . سألته هيلى : " من أين أتت هذه الأشياء ؟ " .

" إنها أشيائى ، فهناك بعض الأشياء التى أود الاحتفاظ بها " .

تخيلت هاربر كطفل صغير يلعب بسياراته وشاحناته البلاستيكية ويصدر أصواتاً وضوضاء تماماً كما تفعل طفلتها الآن . " هاربر ، هذا شىء صعب " .

" ما الصعب ؟ " .

" ألا أغرق حتى أذنى فى حبك " .

ظل صامتاً للحظة ثم أدارها لكى تواجهه : " وماذا إذا فعلت ؟ " .

" هذا ما لا أعرفه . هذا ما لا أعرفه بالفعل " . وازدردت ريقها حتى تخرج صوتها الذى خبا .

ثم أردفت قائلة : " إن هناك الكثير من التعقيدات ، فلقد بدأنا نقترب من بعضنا البعض منذ أسابيع قلائل وتطورت الأمور بيننا كما ترى ، وإننى لا أدرى حقاً ماذا تريد والام تتطلع ؟ " .

" أن أتزوجك بالطبع ولكننى آخذ الأمور بتمهل " .

" حسناً يا هاربر ، هذا جيد ولكن ماذا إذا وقعت فى حبك ؟ إننى أحبك فعلاً وأنت تقرر أن تأخذ الأمور بتمهل . هل ما تريده هو رحلة إلى " بيليز " وقضاء ستة أشهر وأنت تمرح على الشاطئ ؟ إننى يجب أن آخذ ليلى فى اعتبارى ـ إننى لا أستطيع ـــ " .

" هيلى ، إذا كنت أريد أن أتسكع على الشواطئ فأعتقد أننى كنت سأعرف من الآن ، وكنت سأخبرك به " .

" إذن فأنت تدرك جيداً ما أتحدث عنه " .

" حسناً ، حسناً ، نعم ، لكن ماذا لو بعد زواجنا رغبت فى العودة مرة أخرى إلى " ليتل روك " مع ليلى وفتح مشتل خاص بك ؟ " .

" إننى لا أستطيع ـــ " .

أمسك بيدها وقال : " بل تستطيعين ، فهذه هى المخاطرة التى يتحملها الأشخاص الذين يرتبطون بعلاقات كهذه ، قد تقعين فى الحب وتجدين أن ذلك الشخص زوج مناسب لك ، ولكن قد لا يريد الشخص الآخر ما قد تتطلعين إليه " .

" لذا يجب أن نأخذ الأمور بتعقل وروية " .

" بإمكاننا أن نفعل ذلك ، بإمكاننا أن نفعله " .

قالت فى غضب : " ماذا إذا لم آخذ الأمور بتعقل ، ماذا لو رغبت فى أن أقف هكذا الآن وأخبرك أننى أحبك ؟ ماذا ستفعل حيال ذلك ؟ " .

" لا أدرى طالما أن ذلك يسبب لك الضيق " .

فردت ذراعيها وقالت : " بالطبع أشعر بالضيق ، فأنا أحبك يا هاربر وأرغب فى حياة مستقرة ، وأنت تريد أن تأخذ الأمور بترو وتعقل وأن نعيش اليوم بيومه ، ولكننى أشعر بأننا نتخبط فى علاقتنا " .

إنه يعتبر نفسه من الرجال الذين يتمتعون بشخصية قوية ، وهو ذو مزاج حاد ومن الصعب السيطرة عليه طوال الوقت ، وأخذ هاربر بدوره يتساءل ، كيف يرضخ كلية لامرأة هشة مثلها ؟

لكنه أيقن أن الحب لا يخضع لحسابات العقل .

قال لها : " بدلاً من أن تتركينى وتذهبى عليك أن تنصتى ، لقد قلت إنه يجب أن نتروى ونأخذ الأمور على مهل ، ولكن لأننى أنا أيضاً أحبك ، فلست متحمسًا لفكرة أن نأخذ الأمور على مهل مبالغ فيه " .

" إنك تقوم بأشياء رومانسية ، وتفعل أشياء رقيقة مبالغاً فيها ، وبعد كل ذلك تطلب منى أن آخذ الأمور بتعقل ؟ أعنى ماذا تتوقع يا هاربر ، ماذا تتوقع عندما ... " .

ثم التقطت أنفاسها ، وأخذت نفساً آخر عميقاً بينما كان هاربر يمعن النظر إليها ويرسم على وجهه تلك الابتسامة

الصفراء ، ثم أردفت قائلة : " ماذا قلت بعد عبارة أنه علىّ أن أنصت لما تقوله ؟ " .

قال : " لقد قلت إننى أيضاً أحبك " .

انحنت عندما جاءت ليلى إليها وهى تمسك بإحدى الشاحنات البلاستيكية وقالت : " آه يا عزيزتى ، هذا رائع ثم أردفت بعدما قامت بدحرجة الشاحنة عبر الحجرة : " لماذا لا تذهبين وتحضرينها ؟ " ووجهت كلامها إلى هاربر بعد ذلك وهى تقول : " إنك لا تريد أن تقول إنك تحبنى ؛ لأنك ترانى فتاة عابثة " .

" إن أسلوبى ومنهاجى فى الحياة لا يجعلانى أعترف لأى امرأة بأنى أحبها ، بل فى الحقيقة إننى لم أعترف لأى امرأة بذلك من قبل ؛ إنه شديد الوطأة ، لذا فأنت أول امرأة أحبها وأعترف لها بحبى " .

" ولكن أليس ذلك بسبب تعلقك بليلى ؟ " .

اتسعت عيناه ونظر إلى السماء وقال : " يا إلهى " .

رفعت يدها إلى أعلى وأخذت تحركهما وتقول : " إننى أسمع دقات قلبى ، إننى لا أستطيع التقاط أنفاسى ، لقد جعلتنى أشعر بالسعادة الغامرة بعد أن كنت بائسة " .

" إننى أستطيع أن أرى تأثير ذلك عليك " .

أطلقت ضحكة عالية وطوقته بذراعيها وهى تقول : " لقد كنت أشعر بالرعب ، وأخاف أن أحبك وينتهى المطاف بعلاقتنا بأن نصبح صديقين كتلك السيدة التى جاءت إلى المشتل اليوم ، إننى لن أصبح صديقتك يا هاربر إذا لم تفلح علاقتنا ، ثم احتضنته بشدة وهى تقول : " بل سأكرهك إلى الأبد " .

" أعتقد أن هذا رائع " .

أطلقت تنهيدة طويلة ومالت بوجنتيها على وجنتيه وهى تقول : " وماذا سنفعل الآن ؟ " .

" حيث إنها المرة الأولى التى أحب فيها حباً حقيقياً ، فلدىّ أشياء جميلة لأقولها لك ، لذا فالمهم أولاً أن نلعب مع ليلى حتى ينهكها اللعب ثم بعد ذلك نضعها فى فراشها حتى نستطيع التحدث فى أمور مهمة بشأن المستقبل " .

" إن هذه الخطة تروق لى " .

عندما كانت تضع ليلى فى فراشها ، كان هاربر يقوم بتشغيل بعض الموسيقى فقد كانت تعلم أنه نادراً ما يستطيع الجلوس دون سماعها ، وعلى الرغم من أنه كان وقت الغسق ، إلا أن هاربر قد أضاء بعض الشموع فى غرفته ، ووضع بعضاً من الزهور وهى لمسات كان يندر أن تراها فى رجل آخر ولكنها كانت تتوقعها منه .

سألها : " هل هى بخير ؟ " .

" نعم ، لقد غطت فى النوم سريعاً ، إنها عادة لا تفعل ذلك بسهولة فى الليل " .

أحاطها بذراعيه وهو يقول : " إن علينا أن نستفيد من ذلك الهدوء ، إننى أحب أن أجلس معك وأتسامر معك " .

" وأنا أحب أيضاً أن أتحدث معك وأن أراك أمامى طوال الوقت ، لكم أحبك وأطوق دائماً إلى رؤياك بجوارى " .

ظلا يتسامران ، وأخذ كل منهما يبث أشواقه ويعبر عن مكنون قلبه للآخر ، وذابت روحاهما ، لقد أحب ، نعم أحب إنه لم يعتره هذا الشعور من قبل ، هذا الفيض من المشاعر والأحاسيس الجميلة التى ملأت روحه وكيانه ، هذه المرأة التى حركت أحاسيسه وجوارحه ، لقد أصبح

يحبها بكل كيانه ، والتقت عيناهما وتلامست أيديهما ، واحتضنها حتى ملأت النشوة كل كيانه وأغمض عينيه .

وحينها سمع صوتها تقول : " هل هذا هو ما تريده ، هل هذا هو كل ما تبغاه فى الحياة ؟ " .

لقد كان التغير مفاجئاً ، بارداً ، نظر إليها وسكن كل شىء بداخله لقد كان صوت هيلى ولكن لم تكن هى من يتحدث .

وقال : " لا " .

" هل هذا هو كل ما تريده ، الجسد " .

قال وقد ملأه الرعب : " كفى واغربى عن هنا " .

قالت : " قل لها أى شىء ، الحب وعود وأكاذيب طالما أنك تحصل منها على ما تريد ، طالما أنك تشبع رغباتك وشهواتك " . كان يدرك تماماً أن ذلك جسد هيلى ولكنها ليست هى هيلى ، وثارت ثائرته وقال : " كفى عما تفعلين بنا " .

أطلقت ضحكة مدوية فتراجع قائلاً : اتركيها وشأنها ، فليس لك أى تأثير أو سلطان عليها " .

قالت : " وكذلك أنت ، أما أنا وهى فمتشابهان ، فأنا وهى شىء واحد " .

" لا ، إنها ليست مثلك ، إنها قوية وذات عزة وكرامة وهى دافئة المشاعر والأحاسيس وهى لم تتبع الطرق الرخيصة مثلك لتصل إلى ما تريد " .

وفجأة ارتسمت بعض التعبيرات على ملامحها ، الندم ، الحزن ، الاحتياج وقالت : " كان يمكن أن أكون كذلك ، أستطيع أن أكون كذلك ، ولكننى أدرك ما يمكن أن أفعله بهذا الجسد " ، ثم ألصقت جسدها بجسده .

www.rewity.com

شعر ببعض الألم فى أحشائه ، وهزها بعنف وهو يقول : " هيلى ، يا للعنة ، هيلى إنك أقوى منها ، لا تجعليها تفعل ذلك بك " ، وعلى الرغم من أن شفتيها كانتا باردتين ـ بل فى منتهى البرودة ـ إلا أنه قبلها قبلة حانية وقال : " إننى أحبك يا هيلى ، أحبك ، عودى إلى " .

وعندما عادت هيلى إلى طبيعتها أدرك على الفور وضمها إليه بينما ارتعدت هى وقالت : " هاربر " .

قال : " إنك على ما يرام الآن " .

" لقد كانت ـ يا إلهى ، إننى لم أكن أنا ـ إننى لم أقصد ما قلته ـ لم أقصد كل هذه الأشياء يا هاربر ـــ " .

أخذ يحدث نفسه بأن العزاء والسلوى لم تكن هى الإجابة ، ليس مكانها هنا ، ليس الآن ثم أغرق وجهها بقبلاته وأخذ يضغط على يديها براحتيه حتى يشعرها بالدفء وقال : " إنك كل شىء أريده ، أنت فقط ، وأنا فقط ، إننا لن نسمح لها بأن تمس علاقتنا ، انظرى إلىّ جيداً " .

ثم قبض على يديها واندفع يقول إليها ويكرر : " انظرى إلى ، ابقى معى " .

وبالفعل تحولت البرودة إلى دفء وحرارة ، وحلت السعادة محل الفزع والهلع وبالفعل مكثت معه ، واتحدت روحاهما .

لم تكن تقوى على الحديث حتى مع وجودها بين ذراعيه ، ولأنها كانت تشعر بتوتر وقلق شديدين فلم تستطع أن تفرق بين شعورها بالصدمة وشعورها بالخوف ، والخجل ، طبع قبلة على خديها ثم نهض من مكانه .

قال : " سوف أحضر بعضاً من الماء ، وسوف أطمئن أيضاً على ليلى " .

كان عليها ألا تتفوه بالكلمات التى تشعر بها ، وهى عبارة عن توسلات له بألا يتركها وحدها ولو حتى لدقيقة ، ولكن ذلك كان تفكيراً أحمق ومستحيلاً ، فلم يكن من الممكن أن يحرسها أحد طوال الوقت ، بالإضافة إلى أنها لن تحتمل فكرة أن ينتابه شعور بأنه عليه أن يراقبها طوال الوقت خشية أن تتقمصها إميليا مرة أخرى .

جلست على الفراش ، ثم رفعت ساقيها وضمتهما ثم اتكأت بوجهها عليهما .

ظلت جالسة بهذا الشكل عندما عاد إلى الحجرة مرة أخرى وجلس بجوارها .

قالت له : " هاربر ، إننى لا أدرى ماذا أقول " .

" إنه لم يكن خطأك يا هيلى ، علينا أن نطرح ذلك جانباً وعليك أن تقاوميها وتدفعيها بعيداً بأى وسيلة تكون " .

" إننى لا أدرى كيف يحدث لى ذلك وإلى متى ستتحمل ذلك يا هاربر ؟ " .

" أتعتقدين أننى سأدعها تكسب الجولة وتفوز علينا ؟ هل تعتقدين أننى سأتركها تهزمنا " .

وجعلتها رنة الغضب فى صوته ترفع رأسها وتقول : " لقد كنت ملتصقاً بى عندما جاءت هى كالمسخ الذى تقشعر له الأبدان " .

وكزها بكوب المياه وقال لها : " ها هو الماء " ، ثم وافقها قائلا : " إن الأمر مخيف لكلينا وإنى لأعلم جيدا أنها تظهر كلما حاولت التقرب منك " .

" إنها تفكر فى كل شىء من خلال رؤيتها ومنظورها هى ، فإنها لم تعد ترى أن أى علاقة بين رجل وامرأة تحمل البراءة " ، وشعرت برعدة تسرى فى جسدها فأعادت إليه المياه وقالت : " لقد كانت ... لقد كنت أشعر وكأنها ، ترى ريجنالد . لقد كانت ـ أقصد لقد كنت ـ لقد كان كل شىء واضحاً أمامى ، ثم بدا وكأن هناك سيلاً عارماً من الغضب ولكنه جعل الأمر أكثر إثارة ثم أكثر إظلاماً وبعدها امتزجت الأشياء جميعها هى وأنا ، هو وأنت ، وبعد ذلك شعرت أنا بارتياع شديد ولم أقو على السيطرة على أى شىء ، ثم وجدتك تقول لى إنك تحبنى وبعدها أفقت مما أشعر به " .

" لقد حاولت استغلالنا ولكن لن نسمح لها بذلك " ، ثم وضع المياه جانباً قبل أن يضمها إليه ليطمئنها وقال : " إن كل شىء سيكون على ما يرام " .

ولكن على الرغم من أنها كانت تستكين بين ذراعيه فى أمان إلا أنها لم تستطع أن تصدق ما يقوله " .

على الرغم من أن ما حدث كان فيه شىء من الحرج ، إلا أن هاربر شعر بأن ميتش يجب أن يعلم بأى شىء يتعلق بإميليا ، حتى ولو كان ذلك الشىء يتعلق بعلاقته بهيلى .

فعلى الأقل سيكون ذلك حديث رجلين ، وإذا كان لابد أن تعرف أمه بما حدث ، فسيستطيع هاربر أن يجعلها تعلم ذلك من خلال زوج أمه .

سأله ميتش : " وكم من الوقت استمر ذلك ؟ " .

" ربما دقائق قليلة ، أو قد يكون أطول إذا أخذنا فى الاعتبار هذا الموقف ولكنها تقترب من هذه المدة " .

" ولم تكن عنيفة ، أليس كذلك ؟ " .

" لا ولكن أتعلم ... " كان عليه أن يتوقف لدقيقة ويعطى كل انتباهه لسير العمل فى المكتبة ثم أضاف : " إن الاغتصاب لا يتسم بالعنف دائما ولكنه لا يزال ... " تردد قليلاً ثم قال : " على أية حال ، هذا ما شعرت به ، كان نوعًا من الاغتصاب ، كان هناك قوة شديدة " .

" إن ما حدث يتناسب مع ملامح الشخصية التى رسمناها لها إنها ما كانت لتتقمص هيلى أو تظهر بهذا الشكل إذا ما كان بينك وبين هيلى مجرد نزوة عابرة ، فلا يعتبر ذلك دافعاً بالنسبة لها " .

أومأ هاربر برأسه فقط وكان لا يزال يشعر بألم فى معدته . ثم قال : " ما الذى نحتاج إليه من معلومات إضافية تمكننا من إيقاف ما يحدث والسيطرة عليه ؟ " .

" ليتنى أستطيع أن أخمن ذلك ، فلدينا اسمها ، والظروف التى مرت بها ، ونعرف أنك من نسلها ، ونعلم أيضاً أن ابنها قد انتزع منها دون موافقتها ، أو أنها قد غيرت رأيها بشأنه بعد ولادته ونعلم أيضاً أنها قد جاءت إلى هنا ، إلى منزل هاربر ويجب أن نصدق أنها قد توفيت هنا ، وقد نستطيع السيطرة على ما يحدث إذا ما علمنا كيف ماتت هنا ولكن ذلك أيضاً لا يعتبر ضماناً " .

إنه لم يعتمد أبداً على الضمانات ، ليس فقط فى حياته بل وفى عمله أيضاً . فلقد تُوفى والده حينما كان فى السابعة من عمره الأمر الذى جعله لا يعتمد على أى ضمانات ، فقد كان عمله عبارة عن سلسلة من التجارب ، والمخاطر المحسوبة والمهارات المكتسبة وكذلك الحظ ولم يكن أى من ذلك نجاحاً مضموناً .

لقد كان هاربر يعتبر الفشل بمثابة خطوة على طريق النجاح .

ولكن الأمور تختلف عندما يتعلق الأمر بالمرأة التى يحبها وبأمنها وسلامتها وسعادتها .

لقد تذكر ذلك عندما وجدها تقوم برى بعض النباتات ، كانت ترتدى سروالاً من القطن وقميصاً وكانت قدماها تستقران فى حذاء مصنوع من قماش القنب الرفيع والذى يمكن أن تتسرب خلاله المياه وكان وجهها يظله طرف إحدى القبعات الموضوع عليها شعار المشتل .

كانت تبدو حزينة للغاية ، كما كانت أيضاً غارقة فى أفكارها وقد اتضح ذلك عندما انتفضت وهبت على قدميها عندما قال : " مرحباً " .

" يا إلهى لقد أفزعتنى " .

" ذلك لأنك تسرحين بخيالك وأنت تعملين ، بالمناسبة إننى سأبدأ عملية التهجين اليوم ويمكننى أن أستعين بشخص ما " .

" ألا تزال ترغب فى ذلك ؟ " .

" ولِمَ لا ؟ " .

" لقد اعتقدت أنه ربما قد ترغب فى الابتعاد لفترة ؟ " .

اقترب منها وقام بحرص بإزاحة خرطوم الرى جانباً وقبلها قائلاً : " أعتقد أنك مخطئة " .

" أعتقد ذلك ، وهذا من حسن حظى " .

" والآن الحقى بى عندما تنتهين من عملك ، ولقد أخطرت ستيلا بالفعل بأنى سوف أقوم بخطفك لبعض الوقت " .

أمضى الوقت بعد ذلك فى الإعداد لعمله فقام بصف المعدات وكذلك النباتات التى سيقوم باستخدامها فى عملية التهجين ، ثم قام بتدوين أسماء العينات ، ومجموعة متنوعة من النباتات وأسماء وصفات النباتات التى يرغب فى إنتاجها من عملية التهجين وذلك فى ملفاته .

ولأن استخدام سماعات الأذن لم يكن خياراً مطروحاً حيث إنه لا يعمل وحده ، لذا قام بتشغيل موسيقى " لورينا ماكنيت " بدلاً من موسيقى بيتهوفن ، وخمن بأن النباتات سوف تحب هذه الموسيقى وسوف يكون هو أكثر سعادة .

عندما دخلت هيلى ، قام بإخراج زجاجتين من المياه الغازية من المبرد .

قالت : " إنه لشىء مثير " .

أعطاها إحدى زجاجتى المياه الغازية وقال : " أخبرينى أولاً ما معلوماتك عن التهجين ؟ " .

قالت : " إنه عبارة عن وجود أم وأب ، الأبوان - أى نباتان مختلفان - يمكن أن يكونا من نفس النوع أو مختلفين ... ما هذا ؟ ماذا نطلق عليه ؟ " .

" الجنس أو النوع " .

" تماماً ، لذا فإننا نحتاج إلى النباتات التى لها صفات وسمات ثابتة ، ثم عليك بعد ذلك بتلقيحهما يدوياً . أى حبوب اللقاح من نبات ، والبذور من نبات آخر تماماً كالتزاوج البشرى " .

" معلوماتك لا بأس بها " ، سوف نستخدم هذه النباتات الصغيرة كالنباتات الأم ، وتلك الملونة سوف تكون هى النبات البذرى ، أترين كيف قمتُ بحمايتها ؟ ، لقد حميتها بهذه الحقيبة وذلك حتى لا تتمكن الحشرات

الملقحة من العبث بها ، وسوف نقوم بإزالة السداة (وهو العضو الذكرى فى الزهرة والذى ينتج حبوب اللقاح) الآن ، وذلك قبل أن تقوم بتلقيح نفسها ، لقد قمت بزراعتها ، أحضرتها فى الشتاء الماضى وذلك حتى تنمو " .

" لقد كنت تفكر فى ذلك منذ فترة " .

" نعم ، منذ بدء نموها ، على أية حال ، سوف نركز على النبات الملقح اليوم ، أتدرين كيف ؟ " .

" لقد فعلت روز ذلك من قبل ، وكنت أراقبها فقط " .

" هذه المرة ، سوف تقومين بتجربة ذلك بنفسك ، لقد قمت بالفعل بقطع هذا النبات فوق منبت الأزهار مباشرة ، أترين ؟ لقد كانت مغمورة فى المياه ، وها قد فتحت تماما ، أترين كيف أن جزء السداة فصل تماما ؟ إنها على استعداد للتلقيح " .

" إذن فقد هيأتها لذلك " .

" نعم ، إنى ماهر فى ذلك " .

قلبت عينيها فى مبالغة وقالت : " أخبرنى عن هذه الخطوة " .

" ستقومين بهذه الخطوة التالية " .

" آه ، سأقوم بنزع البتلات ، أليس كذلك ؟ " .

" سريعاً ، وبرفق حتى ترين السداة " .

" ها هى " .

قال وهو يراقبها : " عمل جيد ، ولكن احترسى حتى لا تصاب السداة بأذى ، هيا ، عمل رائع ، أيدٍ محترفة " .

" إننى متوترة ، إننى أكره أن أفسد شيئا " .

www.rewity.com dodyadodo

" إنك لن تفعلى ذلك " كانت أصابعها سريعة وماهرة وهى تنزع البتلات : " إذا فعلت ذلك ، فسوف نلتقط زهرة أخرى " .

" هل ما فعلته كان صحيحاً ؟ " .

" ماذا ترين ؟ " .

عضت على شفتيها وقالت : " لقد تم كشف مجموعة السداة الصغيرة " .

قال وهو يلتقط الفرشاة المصنوعة من شعر الجمل : " الخطوة التالية ، هى جمع حبوب اللقاء . استخدمى هذه ، قومى بنثرها فوق السداة ، وسوف نقوم بتخزينها وحفظها فى هذا الصحن ، ولسوف نحفظها جافة ، أترين إنها رقيقة وخفيفة ، إنها ناضجة ، سأقوم بوضع علامة على الصحن " .

" إنه عمل ممتع ، إنك لن تصدق مدى ولعى بالكيمياء فى المدرسة الثانوية " .

" إننى أريد شريكاً أفضل فى المعمل . والآن سوف نقوم بإعداد النبات البذرى أترين هذا ؟ ثم قام برفع زهرة الزنبق التى كان قد اختارها ثم أردف قائلا : " إننى لا أريدها مفتوحة عن آخرها ، إننا نبحث عن زهرة نامية ولكن يجب ألا تكون السداة ناضجة ـ أى قبل أن يحدث التلقيح الذاتى . سوف ننتزع البتلات والسداة منها " .

" أى نقوم بتعريتها تماماً " .

" تقريبا ، ولن نترك أى شظايا ، لأنها يمكن أن تؤدى إلى تعفن الجذور ، إن ما نبغاه بعد ذلك هو ميسم واضح ونضر " .

" عليك أنت أداء ذلك الجزء ، لذا سنكون بمثابة فريق عمل واحد " .

قال : " حسناً ، ثم قام بانتزاع البتلات ، ومد يده إلى الملقاط الصغير ، وبمهارة قام بانتزاع السداة ثم أضاف : " والآن سننتظر حتى الصباح من أجل اللقاح وبالتالى سنعطى الفرصة للميسم لكى يصبح لزجاً ، ثم نقوم بعد ذلك بنقل اللقاح الناضج إلى الميسم ، ويمكنك استخدام الفرشاة ولكننى أفضل استخدام أصابعى " .

ثم تراجع إلى الوراء .

" هل انتهيت ؟ " .

" هذه هى الأولى ، هيا نقم بعمل الزهرة التالية ، إن لدينا عشرات من النباتات البذرية الجيدة هنا ، أعتقد أننا سنقوم بتجربة زوج من النباتات الملقحة ، انظرى ماذا لدينا " .

تبادلا الأدوار وحدثت هيلى نفسها بأن ذلك حدث فى تناسق وتناغم رائع أشعرها أيضاً بالرضا ، قالت : " كيف تختار النباتات التى تقوم من خلالها بعملية التهجين ؟ " .

قال : " إننى أقوم بانتقائها وملاحظة عادات النمو والشكل وكذلك نماذج اللون " .

" أتقوم بذلك منذ نمو الزهرة ؟ " .

" نعم تقريباً " .

" هاربر ، أتدرى ماذا يمكن أن أفعل إذا لم تسر الأمور بنجاح ، سأبغضك طوال حياتى ؟ " .

" أدرك ذلك " .

" سوف أبذل قصارى جهدى ، ولن أقوم بذلك إلا لأننى أدرك أنك تحبينها " .

" لقد أسرتنى ، على أن أعترف بذلك . سنقوم غداً بالتلقيح وسوف نقوم بتسجيل ذلك ، ثم علينا متابعتها وسوف يستغرق الأمر أسبوعًا تقريباً قبل أن نرى تضخم المبيض " .

" آه ، لقد فهمت الآن " .

ابتسم ، وواصل عمله ثم أضاف قائلاً : " ومن المفترض بعد أسبوعين أن تتشكل القرنة ، ثم يستغرق الأمر نحو شهر أيضاً من أجل أن تنضج البذور ونعلم بذلك عندما يبدأ الجزء العلوى فى الانفصال " .

" نعم ، أعرف ذلك ، فقد رأيته من قبل عندما حضرت ولادة ليلى " .

" كف عن ذلك " .

سار نحو جهاز الحاسب الخاص به وأخذت أصابعه الطويلة تنقر المفاتيح بصوت عال وهو يقوم بإدخال البيانات ثم قال : " كل ما علينا فعله بعد ذلك هو أخذ البذور وتجفيفها وزراعتها فى أواخر فصل الخريف " .

" هل سنقوم بزراعتها بالخارج ؟ " .

" لا ، بل هنا ، فى هذه الأصص التى يبلغ ارتفاعها أربع بوصات ثم نقوم بوضعها فى الخارج وعندما تنمو بدرجة كافية نضعها فى أحواض الزرع الخاصة بالمشتل ، عندئذٍ سوف نستغرق عامًا كاملاً قبل أن تزدهر ونرى نتيجة ما قمنا بعمله " .

" من حسن حظى ، إننى لا أدرى شيئاً عن ذلك النوع من الحمل " .

" نعم ، إن السيدات يحملن فى تسعة أشهر " .

قالت مازحة : " هل جربت ذلك يا فتى ؟ " .

" سأقوم بتدوين السجلات ، وإذا نجح ما فعلناه ، فسوف نرى الأزهار الجديدة بعد ذلك ، وسوف يحمل بعضها صفات النبات الأم " ، ثم نظر نحو العمل الذى يقوم به وأضاف : " سوف نحصل على ما نريده أو نأمل أن نحصل على شىء قريب الشبه بما يكفى لكى نقوم بإنتاج جيل آخر أو نحاول استخدام نبات مختلف لكى يكون النبات الأم " .

" بمعنى آخر ، قد يستغرق ذلك سنوات " .

" إن التهجين الجيد ليس بالشىء اليسير " .

" ولكنه يستهوينى بشدة ويعجبنى أنه لا يتم بين يوم وليلة ، بل هناك كل هذا الترقب والتوقعات ، وربما لا تحصل فى النهاية على ما كنت تبغاه ولكن تحصل على شىء آخر ، ليس بالضرورة أن يكون أفضل ولكنك تحصل على شىء جميل أيضا " .

" هذا هو الكلام الحق " .

خطت خطوة إلى الوراء مبتعدة عن الطاولة التى يعملون فوقها ثم قالت : " أشعر بتحسن الآن ، فلقد مررت بيوم عصيب ، فلقد كنت أفكر طوال الوقت فيما حدث ليلة أمس وكنت أشعر بالقلق والامتعاض من الأمر برمته " .

" إن الخطأ لم يكن خطأك " .

" أعلم ذلك ، ولكننى أتساءل أحياناً إذا كان يمكن أن تعود علاقتنا إلى سابق عهدها - فى القريب العاجل على الأقل ، وإذا كنت تشعر أنت - لا أدرى - بعدم الراحة مثلا

وكنت أشعر أنا بالتوتر والعصبية ، إذن فسوف نفسد فرصتنا فى أن يحب كل منا الآخر حباً حقيقياً " .

" لم يتغير شىء بالنسبة لى " .

سارا بجانب بعضهما البعض وأسندت رأسها على كتفيه وقالت : " أعلم ذلك ، وذلك يشعرنى بالسكينة والطمأنينة " .

" من الأفضل أن أخبرك بأنى قد قصصت على ميتش ما حدث " .

التقطت أنفاسها بصعوبة وهى تقول : " آه ، إنه لشىء محرج وسخيف " .

" لا ، لقد كان غريباً ومربكاً بعض الشىء ، لقد أمضينا وقتاً نتحدث عما حدث دون أن تلتقى أعيننا " .

قالت هيلى فى حزم قاطع : " إننى لا أفكر فى هذا الموضوع ، لن أفعل " ، ثم استدارت قليلا وطبعت قبلة على وجنتيه وقالت : " علىّ أن أستأنف عملى الذى أتقاضى عنه مرتباً ، سأراك فى المنزل " .

وأثناء انشغالها بالعمل بقية اليوم ، مرت بها ستيلا ، ثم توقفت عندها ووضعت يدها على ساقيها وقالت : " أعتقد أن التهجين يروق لك كثيراً " .

" إنه رائع ، والخطوة التالية غداً " .

" عظيم ، إنك تبدين متعبة قليلاً هذا الصباح " .

" إننى لم أنم جيداً ، فلقد قضيت وقتاً طويلاً مع هاربر بالأمس " ثم تلفتت حولها لتتأكد من أنه لا يوجد أحد يسترق السمع إليهما ثم ابتسمت قائلة مستخدمة

www.rewity.com

أصبعيها لترسم قلباً فى الهواء : " لقد وقعت أنا وهاربر فى الحب " .

" أوه ، إنها أخبار جديدة ومثيرة " .

أطلقت هيلى ضحكة عالية وهى مستمرة فى نقل بعض أصص الزرع من العربة النقالة إلى الأرفف وقالت : " أعنى أنه قد صرح كل منا بحبه إلى الآخر وقد طلب هاربر يدى للزواج " .

احتضنتها ستيلا وهى تقول : " إننى سعيدة من أجلك ، حقاً " .

" وأنا أيضاً أشعر بسعادة شديدة ... لولا ، يجب أن أخبرك بما حدث " ، ثم نظرت حولها مرة أخرى ، وقصت على ستيلا ما حدث ليلة أمس بصوت خفيض .

" يا إلهى ، هل أنت بخير ؟ " .

" لقد كان شيئاً فظيعاً ، ومازلت أشعر بالغثيان والامتعاض ، ولا أدرى كيف أمكننا التغلب على ذلك ، ولكننا نجحنا فى ذلك ، ولست أدرى كيف كان شعوره ولكنه على الرغم مما حدث لم يبتعد عنى " .

" إنه يحبك يا هيلى " .

قالت : " نعم ، إنه كذلك بالفعل " ، ثم حدثت نفسها قائلة : إن المعجزات تحدث فى كل وقت وزمان ، ثم أردفت قائلة : " أتدرين يا ستيلا ، إننى كنت أعتقد دائمًا إننى سأقع فى الحب يوماً ما ، ولكن الشيء الذى لم أتصوره هو أن يكون الحب هكذا ، والآن وبعد أن عرفت ، فلا أتخيل أن يضيع منى وألا أحافظ عليه " .

" نعم ، يجب أن تشعرى بالسعادة لما أنت فيه ، وأنت تعرفين أن ما حدث ليس له علاقة بحبكما ، ويجب أن

تتمتعى أنت وهاربر بهذه المرحلة الجميلة الغالية من حياتكما " .

" أشعر كأن كل شيء فى حياتى يقودنى له ، الخير والشر وإننى أستطيع أن أتحمل الجانب السيئ أو أتحمل أى عيوب وذلك لأننى أدرى أننا نُكن أشياء جميلة ذات قيمة لبعضنا البعض أعتقد أن ذلك قد يبدو غريباً ولكن " .

" لا ، لا يبدو هكذا ، إنه يبدو رائعاً " .

الفصل الخامس عشر

لقد كان ابتياع الحاسب المستعمل اختياراً موفقاً من جانب هيلى ، وقد شعرت حين استخدامه بأنها تفعل شيئاً إيجابياً ومثيراً ، وعلى الرغم من أن البحث الذى أجرته لم يُكسبها كما هائلاً من المعلومات الجديدة فيما يتعلق على الأقل بموقفها هى - إلا أنه أشعرها على الأقل بأنها ليست بمفردها .

وكان هناك الكثير من الناس الذين يعتقدون أنهم قد مروا بتجارب مع الأشباح ، ولقد اكتسبت نصائح كثيرة من كل المواقع التى زارتها ، وقد مكنها الحاسوب من أن تدون تقاريرها من خلاله بدلاً من تدوينها فى المفكرات .

ولقد كان من الممتع أن تتبادل الرسائل الإلكترونية مع أصدقائها وصديقاتها فى " ليتل روك " .

ولقد استغرقت وقتاً طويلاً فى تصفح شبكة المعلومات الدولية مثلما تفعل عندما تتصفح الكتب ، لقد كان هناك كم هائل من المعلومات والأشياء المثيرة وكل معلومة تقود إلى أخرى جديدة لذا فلو لم تكن حريصة ، لظلت تجلس أمام شاشة الحاسوب إلى ما بعد منتصف الليل .

كانت تتكئ بذقنها على مرفقها ، وكانت تصب كل تركيزها على تقرير من خلال شبكة المعلومات الدولية من " تورونتو " عن طفل شبح يبكى وذلك عندما شعرت بيد تلمس كتفيها .

لم تقفز وكتمت صرخة كادت تصدر من حنجرتها ، وبدلاً من أن تفعل ذلك ، أغلقت عينيها وغمغمت بصوت حاولت أن تجعله طبيعياً وقالت : " أخبرنى بأنها يد بشرية " .

" أتمنى ذلك طالما أنها تلتصق بجسدى " .

زفرت هيلى ببطء وقالت : " أوه روز ، أعطنى علامة لقدومك ، لقد كاد رأسى يلامس السقف كالقطة التى نشاهدها فى أفلام الرسوم المتحركة " .

ضاقت حدقتا روز وهى تقرأ المدون أمامها على الشاشة وتقول : " لو فعلت ذلك لكان شيئاً مسلياً ، ما هذا الموقع ؟ طاردو الأشباح " .

قالت لها هيلى : " إنه واحد من بين عدة مواقع ، وفى الواقع هناك مواقع أخرى مثيرة وكثيرة تتحدث عن هذا الموضوع ، أتعلمين أنه من الطرق القديمة لإبعاد الأشباح عن حجرتك هى دق بعض المسامير بباب الحجرة ؟ حيث يُعتقد أن الأشباح ستتعلق بهذه المسامير ولن تستطيع الدخول إلى

www.rewity.com

حجرتك ، وبالطبع إذا فعلت ذلك أثناء وجودها بالفعل فلن تستطيع الخروج من الحجرة " .

" وإذا حدث ورأيتك تضعين أى مسامير فى أى من الأبواب الخشبية فسأقطعك إربا " .

" إننى أفهم ذلك بالفعل ، بالإضافة إلى أننى لا أفهم كيف سينجح ذلك الموضوع " ، ثم تراجعت عن الشاشة وقالت : " يقولون إنك لابد أن تتحدثى إلى الشبح بطريقة مهذبة وتطلبى منه أن يرحل كقولك مثلا : " مرحبا ، إننى آسفة لوفاتك وأشياء من هذا القبيل ، ولكن هذا منزلى الآن وأنت تسبب لى إزعاجا وإننى أتساءل إذا ما كان بإمكانك أن ترحل " .

" لقد قمنا بتجربة أشياء كثيرة من هذا القبيل " .

" نعم ، ولم ترحل " ، عندما جلست روز على الأريكة فى حجرة المعيشة ، أدركت هيلى أنها لم تأت فقط لتتحدث عن إميليا وبدأت أعصابها تتوتر : " يقولون إنه يجب تدوين كل شىء ، ولكن ميتش يجعلنا نفعل ذلك ، ويمكن التقاط بعض الصور الفوتوغرافية ، ويمكن تأجير أحد طاردى الأشباح ولكنى لا أعتقد أنك سترغبين فى أن يدخل المنزل أناس غرباء " .

" نعم ، معك حق " .

" يمكنك أن تطلبى من أى رجل دين أن يحضر إلى المنزل ولن يضير ذلك فى شىء " .

سألتها روز : " هل أنت خائفة ؟ " .

" أكثر من أى وقت مضى ، نعم ، ولكنى أعرف كل شىء فى الموضوع " ، ثم قامت بالنقر على لوحة المفاتيح ـ ألم يكن ذلك مفيدا فإن ما نقوم به وما نفعله دائما قد جعلنا نعرف

من هى ولماذا أتت وإذا نجحنا فى طردها ، فلن نعرف كل شىء عن موضوع الأشباح ولكننى أحب جمع المعلومات " .

" إنك تشبهين ميتش تماما ، هل قصصت عليه ما حدث لك أنت وهاربر فى الليلة الماضية ؟ " .

صعدت الدماء إلى وجنتيها وقالت : " نعم ، لا ، لم أفعل و لم أقص على ميتش ما حدث بالتفصيل " .

" إنه لشىء شخصى للغاية ولو كنت مكانك لما أشركت غريبا فى هذا الموضوع " .

" إنك لست بغريبة ، أقصد إنه ليس غريباً ، أعنى كليكما " .

" إن أى شخص مهما كان مقدار حبك له يعتبر دخيلاً إذا ما تعلق الأمر بعلاقتك مع هاربر ، وأريدك أن تعلمى يا هيلى أننى أدرك ذلك تماما ، وأريدك أن تعلمى أيضاً أنه لا داعى لأن تشعرى بالقلق أو التوتر وأنت تتحدثين معى فى هذا الموضوع وقد انتظرت يومين حتى لا تشعرى بالإحراج " .

" أعلم أن هاربر قد تحدث مع ميتش بشأن هذا الموضوع وأعرف أيضاً أن ميتش قد أخبرك بذلك ، ولكننى لم أستطع يا روز ، ليته كان شخصاً آخر غير هاربر ـ ولكنى لم أكن لأرتبط بشخص آخر غيره .... إننى مرتبكة وأخلط الأمور " .

" لا ، ليس الأمر كذلك "

" إنه .... إن هاربر ملكك " .

وضعت روز ساقيها على المنضدة كعادتها دائماً وقالت : " نعم ، إنه كذلك ، لقد علمت عندما وقع فى حبك فى حين

أنك كنت تجهلين ذلك حينئذ وكنت أشك أنا فى حبه لك " .

" أعتقد أننى علمت بحبه فى الليلة التى قضيناها فى بى بودى " ، هزت روز رأسها وقالت : " لقد كانت ليلة رومانسية حالة ، ولكن ليس هذه الليلة التى وقع فيها فى حبك . لتتذكرى ، من الذى ساعدك عندما ولدت ليلى ؟ " .

قالت هيلى وقد وضعت يدها على حلقها : " أوه ، لقد فعل ذلك ، إنه هاربر وأعتقد أنه كان خائفا مثلى تمامًا " .

قالت روز : " وعندما رأيت ذلك وأدركته ، توجع قلبى ، لدقيقة واحدة ، وسوف تدركين ما أعنى عندما تشب ليلى ويحين دورها لأن تقع فى الحب وإذا كنت محظوظة بما يكفى ـ مثلما أنا محظوظة الآن ـ لشاهدت ابنتك تقع فى حب شخص تحبينه أنت وتكنين له كل احترام وتقدير وإعجاب وتشعرين بأنك قريبة منه طوال الوقت ، حينئذ عندما يدق قلبك ، تكون دقاته مبعثها السعادة والامتنان "

انهمرت الدموع على وجنتيها : " إننى لن أكون أكثر حظا من ذلك ، لقد كنت كريمة معى " وأردفت عندما هزت روز رأسها : " أرجوك ، لا تقاطعينى ، إن ما تقولينه يعنى الكثير بالنسبة لى فعندما أتيت إلى هنا ، كنت أعتقد بأنى ذكية وقوية وعلى استعداد لمواجهة أى شىء وإذا حدث وطردتنى لكنت سأستمر فى مواصلة حياتى ، ولكنى حصلت على وظيفة ، وشقة وأصبحت ليلى طفلة جميلة ، وإذا كنت أدرك متطلبات الأمومة وأن يكون لديك طفل ولست أقصد فقط الساعات المتقطعة من النوم والمجهود المبذول ولكن الحب والقلق الذى يملأ قلب الأم لكنت ألقيت بنفسى تحت قدميك وطلبت منك المساعدة ، كنت أعتقد أن الأمومة أمر بسيط ،

لم أكن لأدرك أنها تحمل كل تلك المعانى إلا عندما أتت ليلى إلى الحياة " .

" لقد منحتك وظيفة ومكاناً لتقيمى فيه ؛ لأنك جئت وابنتك كعائلة ، وكذلك بسبب الموقف الذى كنت فيه ولكن ليس هذا السبب وراء بقائك فى المنزل ، لقد اكتسبت وضعاً ومكانة فى المشتل وكذلك أصبح لك مكان فى المنزل ، ولم ترتكبى أى أخطاء ولو كنت فعلت ، لكنت قد طلبت منك الرحيل على الفور " .

قالت هيلى وقد جعلها حديث روز تبتسم : " أعرف ذلك ، وقد كنت أريد أن أثبت ولائى لك وللمنزل وأننى فخورة لأننى استطعت ذلك بالفعل ولكن لأننى يا روز أم وأعرف تماماً ما تعنيه ليلى بالنسبة لى ، فأنا أعلم أيضًا ما يعينه هاربر لك ، وجزء من سبب فزعى من الأمر هو خوفى من أن تلحق به إميليا أذى " .

سألتها روز : " لماذا تعتقدين ذلك ؟ " .

" لأنها ترى فيه ريجنالد ، وأعتقد أن أحد الأسباب التى جعلتها تتقمصنى هو أننى أكن المشاعر لهاربر ، فلقد جذبنى وأسرنى منذ أول مرة رأيته " .

انفجرت روز فى الضحك لما تقوله هيلى ، فاكتسى وجه هيلى بحمرة الخجل وقالت : " يا إلهى ، ما هذا الذى أتفوه به ، إننى أتحدث مع والدته " .

" أرجوك ، تناسى ذلك ، استمرى " .

" لقد كنت فى وضع لا يسمح لى بالتفكير فى أى رجل أو الدخول معه فى علاقة ، وكنت أعتقد أنه شخص حاد الطباع ولكننى عندما عرفته عن قرب ، أدركت أنه شخص لطيف ، حلو المعشر ، وأعجبت به بشدة وكنت أشعر بالتوتر لأنه

www.rewity.com

كان لطيفاً وكنت أنا حاملاً وغريبة الأطوار ولم أكن فى أفضل حالاتى وبعد ولادة ليلى حاولت أن أفكر فيه كأخ أو ابن عم ، إنه ابن عم بالفعل ولكنك تدركين ما أعنى " .

" نعم لقد كنت تعتبرينه مثل ديفيد أو لوجان أو أبنائى الآخرين " .

" نعم ، لقد حاولت أن أضع هاربر فى نفس المكانة ، وكان هناك الكثير لكى أفعله وأن أتعلم أنه ليس من السهل تجاهل هذا الشعور الذى يدغدغ حواسى ، إنك بالفعل تعرفين مثل هذا الشعور " .

قالت روز فى تأثر : " الحمد لله ، إننى أعرفه " .

" لم يكن ذلك بالشىء اليسير وبدأت مشاعرى تنمو بشدة نحوه ، وعندما بدأت أعترف بذلك لنفسى وأتخيل علاقتى معه ، بدأت إميليا فى الظهور " .

" وكلما كانت مشاعرك نحوه قوية وعنيفة ، كانت هى أكثر حدة " .

" إننى أخاف أن تؤذيه من خلالى ، إنها لا ترى هاربر ، بل ترى فيه صورة ريجنالد ، إننى أخاف ألا أستطيع منعها " .

قطبت روز جبينها وقالت : " يبدو أنك لا تقدرين هاربر ، حق قدره ولا تثقين فى أنه يستطيع الدفاع عن نفسه " .

" قد أكون كذلك ، ولكنها قوية للغاية ، أقوى الآن مما كانت " ، وعندما تذكرت ما حدث منها أخذت تتنفس وتخرج أنفاسها فى عمق وتقول : " ويبدو لى أنه لديها متسع من الوقت لكى تنتقم " .

" إن هاربر أقوى مما تتخيل هى وكذلك أنت " .

تمنت وهى تجلس بجوار هاربر أن تكون روز على حق ، وتمنت أن يكون لديها من الثبات والعزم ما يمكنها من محاربة انتقام روح شريرة محبة للانتقام . وأسوأ ما فى الأمر ، أنها تشعر ببعض التعاطف معها .

ولكن هاربر لم يكن مسئولاً عما حدث لها ، وكذلك فإن أى فرد فى المنزل ليس مسئولاً أيضاً عما حدث ، ولكن لابد أن هناك وسيلة تجعل إميليا تدرك ذلك وتتفهمه وأن ترى أن هاربر ليس هو طفلها الذى كانت تحتضنه ، ولكنه رجل كريم عطوف ولا يشبه ريجنالد فى أى شىء .

ولكن كيف كانت شخصية ريجنالد هاربر ؟ لقد كان رجلا يطوق بشدة لإنجاب طفل وتعمد أن ينجبه من امرأة أخرى غير زوجته وسواء كان ذلك بموافقة إميليا أم لا ـ إنهما لا تعرفان بنيته تلك ـ فإنه تصرف أنانى ومهين من جانبه ، ثم بعد ذلك ينتزع الطفل من أمه لكى يجبر زوجته على أن تقبله كابنها ، إن شخصية كهذه لا يمكن لها أن تحب ، سواء أكانت زوجته أم إميليا ولا الطفل بطبيعة الحال .

فلا عجب فى أن تكرهه إميليا وتحتقره بكل جوارحها وأن تكره معه كل الرجال .

يا ترى ماذا كان يعنى ما حدث بالنسبة لها ؟ ولإميليا ؟

كانت تجلس أمام طاولة الزينة وتقوم بفرك وجنتيها على ضوء المصباح الذى يعمل بالجاز ، لقد جعل الحمل وجهها شاحبا ، فضلا عن الآلام الرهيبة التى تزداد يوماً بعد يوم وزيادة حجم بطنها والتعب المستمر الذى يلازمها .

ولكن ذلك لم يكن بلا ثمن ، بل كانت وراءه فوائد جمة ، فوائد كثيرة لم تحصها ، ابتسمت وهى تصبغ شفتيها بأحمر الشفاه ، إنها لم تكن تتخيل أن يشعر ريجنالد بكل هذا الكم من السعادة ؟ أو أن يكون بهذا الكرم .

رفعت ذراعها لتتفحص أحجار الياقوت والقلوب الماسية التى تحيط بمعصمها ، لقد كانت أرقى كثيراً من ذوقها الشخصى ولكن هذا لا ينتفى مع جمالها وتلألئها .

وقد قام بإحضار خادمة أخرى إلى المنزل ، وأعطاها مطلق الحرية فى ابتياع ما ترغب من ملابس وذلك لمواكبة التغير الذى يعترى جسدها وأغدق عليها المال والمجوهرات ومنحها قدرًا أكبر من الرعاية .

لقد بدأ يزورها ثلاث مرات فى الأسبوع الآن ولم يكن يأتى أبداً خالى الوفاض حتى ولو كان ما يحضره قطع الحلوى ، الشيكولاتة والفاكهة وذلك عندما كانت تشتهى أياً منها .

كم من الروعة أن تدرك أن قدوم طفل يجعل الرجل كريماً ومعطاءً إلى هذا الحد .

ولكنه كان قلقاً على زوجته فى المقابل التى ابتليت بالبنات وليس الابن الذى يطوق إليه .

ولكنها ستمنحه الابن الذى يريده ، وسوف تجنى من وراء ذلك الكثير بقية حياتها .

قررت أنها ستبتاع منزلاً أكبر ، والكثير من الملابس والمجوهرات والفراء وسوف تبتاع أيضاً عربة جديدة - وربما تبتاع أيضاً منزلاً ريفاً صغيراً ، إنه بإمكانه أن يدفع ثمن كل ذلك ، إن ريجنالد هاربر لن يبخل بشىء على ابنه

حتى لو كان ابناً غير شرعى ، إنها على يقين من هذا وكأم لهذا الطفل - طفل هاربر - فلن تبحث عن أى رجل آخر تعيش فى كنفه ، لن تحاول بعد الآن مغازلة أو إغراء أى رجل أو عقد اتفاقات مع الرجال الذين يتمتعون بالثروة والنفوذ والتمتع بجمالها وشبابها فى مقابل الحصول على الحياة التى تتوق إليها وترغبها .

نهضت من أمام طاولة الزينة واستدارت لتنظر فى المرآة الطويلة بشعرها الذهبى اللامع والمجوهرات التى يتلألأ لونها الأبيض والرداء الذى تتدلى منه الخيوط الفضية .

إن انتفاخ بطنها هذا هو الذى ستحصل فى مقابله الآن على أشياء كثيرة ، انظر كيف يبدو مظهرها غريباً ويبعث على الحرج ، وكم تبدو بدينة ، رغم كل ذلك فريجنالد مولع بمظهرها هذا فكثيراً ما يربت على بطنها ، وكم أصبح أكثر رقة وعطفاً أكثر من أى وقت مضى ، إنها تكاد تحبه خلال هذا الوقت ، حيث تشعر بحبه وعطفه وليس برغبته وشهوته .

ولكن الحب ليس جزءاً من اللعبة ، حيث إن ما يحدث هو لعبة ، إنه شعور ممتع بالمقايضة . وكيف لها أن تحب من كان ضعيفاً ، مخادعاً ، متعجرفاً ؟ يالها من فكرة تبعث على السخرية ، تماماً كسخريتها من الشعور بالرثاء تجاه الزوجات اللاتى يخونهن أزواجهن معها ، هؤلاء الزوجات اللواتى يغلقن أفواههن ويتظاهرن بعدم معرفتهن بنزوات وعلاقات أزواجهن واللائى يمررن بها فى الطريق وينظرن إليها بعجرفة وتعال ، أو يستعبدن نساء كادحات مثل أمها فى سبيل إعطائهن حفنة من الدولارات .

dodyadodo www.rewity.com

حدثت نفسها بأنها تخطط لأشياء أكبر من ذلك بكثير وقربت من عنقها زجاجة العطر المصنوعة من الكريستال حتى تغرق بها رقبتها ، إنها تريد أن ترفل فى الحرائر والمجوهرات والماس .

وعندما يأتى إليها ريجنالد فسوف تتظاهر بالاستياء والغضب ، وتخبره بالمشبك الماسى الذى تريده والذى لمحته فى ظهيرة هذا اليوم ، وكيف لها أن تتوق له ولا تحصل عليه .

وذلك يضر بصحة الطفل وتخيلت أن تحصل على المشبك فى غضون يوم واحد .

ثم أطلقت ضحكة خافتة واستدارت قليلاً .

وفجأة توقفت وتسمرت فى مكانها وارتعشت يداها عندما رفعتهما لتضغط بهما على بطنها .

لقد تحرك الطفل .

لقد تحرك الطفل فى أحشائها ، لقد تمطى قليلاً ، لقد شعرت بأجنحة صغيرة تتحرك وتضرب بطنها فى رقة .

وعكست المرآة صورتها وهى تقف مرتدية رداءها المتلألئ ووضعت أصابعها فوق الانتفاخ البسيط الذى يعلو بطنها كما لو كانت تحمى ما بداخلها .

لقد دبت روح الحياة فى ابنها .

ابنها هى .

لقد تذكرت هيلى كل شىء بوضوح وقوة ، وحتى عندما استيقظت فى الصباح ، لم يكن ما رأته مشوشاً أو ناقصاً كسائر الأحلام .

قالت وهى ترفع القهوة بكلتا يديها إلى فمها لترتشف منه فى الصباح : " إنه فى اعتقادى نوع من الدعوة إلى الرثاء ، بل التقمص العاطفى " .

كان ميتش يمسك بالمسجل وبالمفكرة كما طلبت منه هيلى وهو يقول : " كيف ذلك ؟ هل تحدثت إليك بشكل مباشر بخصوص نقطة ما ؟ " .

" لا ، لأنها لم تكن هى ، بل أنا التى كنت أحلم أو كلانا ، إنه لم يكن حلمًا بقدر ما كان شعورًا بأننى هناك ، لقد كنت أشعر ، أرى وأفكر ، إنها لم تكن تعرض علىّ فقط ولكنها كانت تحيى الأشياء مرة ثانية أو هى مُعايشة للأحداث إذا صح التعبير " .

حثها ديفيد على تناول البيض وقال : " هيا تناولى هذا البيض يا عزيزتى فإنك تبدين شاحبة للغاية " .

أطاعته والتهمت بعضاً منه وقالت : " لقد كانت جميلة للغاية ومختلفة تماماً عن المظهر الذى نراها به فى الواقع ، لقد كانت مفعمة بالحيوية والنشاط وفاتنة بشكل لا يوصف ، وكان هناك العديد من الأفكار التى يزدحم بها رأسها ـ أقصد رأسى ـ لا أدرى . القلق من تغير شكل جسدها ، الخطط والحيل من أجل جنى الكثير من وراء ريجنالد ودهشتها من رد فعله تجاه حملها والاحتقار للرجال الذين هم على شاكلته وكذلك لزوجاتهم ، الشعور بالحسد والحقد ، كانت هذه هى الأفكار التى تتضارب فى رأسها " .

توقفت عن الحديث والتقطت نفساً عميقاً وقالت : " أعتقد أنها كانت مجنونة بعض الشىء " .

وسألها هاربر : " وكيف يدعوك ذلك للشفقة والرثاء ، وكيف لك أن تشعرى بالرثاء تجاه شخصية امرأة كهذه ؟ "

" إنه التغير الذى طرأ على مشاعرها ، إنه الشعور بحركة الطفل فى أحشائها ، لقد اعترانى أنا أيضاً هذا الشعور ، هذا الشلال المتدفق من المشاعر والأحاسيس الجديدة ، إدراك أن هناك حياة أخرى بداخلك والذى تصاحبه موجة من الحب الجارف ، فقد شعرت فى هذه اللحظة بأن الطفل ملكها هى فقط ، فهو ليس مجرد حيلة أو خدعة ، بل طفلها الذى تحبه " ، ثم نظرت هيلى نحو روز التى قالت :

" نعم " .

" إذن فقد كانت تحرض على ما مرت به ، تريد أن تقول ، إننى أحب طفلى ، أريده وقد انتزعه منى هذا الرجل ـ الذى استغل امرأة ، وكانت ترتدى السوار الذى ابتاعه لى هاربر ، السوار المطعم بالقلوب ولقد تحركت مشاعرى نحوه ، إننى كنت أعتقد أنها ليست بالشخصية المحترمة أو ذات خصال حميدة وليست بالشخصية اللطيفة وذلك قبل أن أعرف ما حدث ، بعد ذلك ، إننى لا أعتقد أنها بالشخصية المتزنة ولكنها كانت تحب الطفل وتريده واعتقد أن ما عرضته علىّ قد حدث بالفعل وقد عرضته علىّ لأننى أتفهم مشاعرها تلك أكثر من أى شخص آخر ، نعم لقد شعرت نحوها بالشفقة " .

قال ميتش : " لا بأس من بعض الشفقة ولكن لا يعنى ذلك أن تتخلى عن حذرك ، إنها تستغلك يا هيلى " .

" إننى أدرك ذلك ، إننى أشعر نحوها بالشفقة ولكن ليس لدرجة أن أثق بها " .

مرت الأيام ، وكانت تنتظر الخطوة التالية ، أو التجربة التالية ولكن شيئًا لم يحدث وانقضى شهر أغسطس وحل سبتمبر ، والتجربة المزعجة التى كان عليها خوضها هى تعطل سيارتها القديمة بشكل مستمر فى طريقها ما بين العمل والمشتل وقد تقبلت أخيراً فكرة تغييرها بسيارة أخرى .

قالت هيلى وهى تدفع مشاية ليلى أمامها خلال ساحة بيع السيارات المستعملة : " إن الأمر لا يتعلق بالنقود ولكنها فى اعتقادى آخر ما يربطنى بالطفولة ، فقد ابتاع أبى هذه السيارة المستعملة لأتعلم من خلالها القيادة " .

" ستئول إلى مكان مناسب " .

" كلانا يعلم أنها ستتحول إلى خردة وإننى أدرك تماماً أنه يجب أن آخذ الأمور بتعقل ، فليس من المعقول أن أحمل ليلى وأتجول بها فى سيارة غير مناسبة كهذه السيارة ، سيكون من حسن حظى ألا يعود الوسيط الذى قد أخذها من أجل تجربتها وتقييمها ويخبرنى بأننى مدينة له ببعض النقود ؛ لأننى قد أضعت وقته فى تقييم سيارة كهذه " .

" إذن دعينى أنا أتولى الأمر وأتفاوض بشأنها " .

توقفت عند إحدى السيارات ذات المؤخرة الكروية وركلت أحد إطاراتها وهى تقول : " لا ، لن أدعك تفعل هذا ، أتدرى ما الذى أبغضه فى حياتى ؟ إنهم هؤلاء الوسطاء والحرفيون الذين يعاملون المرأة وكأنها مخلوق تافه بلا عقل وذلك لأنهم يبالغون فى ثقتهم بأنفسهم وبقدرتهم على خداعها " .

انفجر هاربر فى الضحك وهو يغمزها ويقول : " أوه ، هيلى " .

dodya dodo www.rewity.com

قالت له : " إننى محقة فى ذلك ، لذا فقد اتخذت استعداداتى وأجريت أبحاثى وعرفت ما أريده وما يجب دفعه وما تستحقه السيارة وإذا لم يرغب فى الاتفاق معى أو اعترض على شىء ، فيمكننى الاتفاق مع شخص آخر " .

توقفت أمام سيارة سيدان ووضعت يدها على مقدمتها بينما لوحت باليد الأخرى أمام وجهها وهى تقول : " يا إلهى ، إن الطقس شديد الحرارة اليوم ، إننى أشعر وكأنى قد فقدت جميع سوائل جسمى " .

" إن الشحوب يعلو وجهك لِمَ لا نذهب إلى الداخل ، لنجلس لدقيقة ؟ " .

" إننى على ما يرام ، وكل ما فى الأمر أننى لا آخذ قسطاً وافياً من الراحة ، وأشعر بالقلق وعدم الراحة حتى أثناء نومى مثلما كنت أشعر تماماً فى الأسابيع القليلة التى تلت ولادة ليلى وهذا يجعلنى متوترة ومثقلة فإذا حدث وفقدت أعصابى ، فأرجو أن تحتملنى " .

ربت على ظهرها وقال : " لا تقلقى من أى شىء " .

" إننى أقدر مجيئك معى اليوم ، ولكنى أرجو ألا تتدخل فى مسألة البيع " .

" هل تعتقدين أننى لم أبتع سيارة من قبل ؟ " .

رمقته بنظرة طويلة من جانب عينيها وكانت تنم عن ضيقها لما يقول واستمرت فى دفع مشاية ليلى وهى تقول : " كونى لم أبتع سيارة من قبل ، لا يعنى أننى ريفية خرقاء ، فلقد ابتعت الكثير من الأشياء من قبل وإننى أقدر منك على التفاوض . أيها الوجيه الأمثل " .

ابتسم قائلا : " إننى مجرد بستانى " .

" صحيح أنك تعمل من أجل العيش ولكن لديك ما يكفيك فى الأيام القاحلة ، ها هى السيارة التى أريدها " .

توقفت لتفحص سيارة شيفى لها خمسة أبواب وقالت : " إن مساحتها لا بأس بها ولكنها ليست كبيرة أو ضخمة وأنها أيضاً لطيفة وعمرها الافتراضى أفضل من سيارتى ، كما أنها ليست على درجة كبيرة من الفخامة " .

نظرت نحو قائمة السعر وقالت : " سأحاول أن أجعله يخفض الثمن قليلاً وهكذا يكون فى قدر استطاعتى " .

" لا تقولى له إنك ـــ " .

" هاربر " .

هز رأسه ووضع يده فى جيبه وقال : " حسناً ، سأبتعد ولن أتدخل " .

كان عليه أن يغلق فمه عندما جاء الوسيط وعلت وجهه ابتسامة عريضة وعرض عليها عرضاً ضئيلا .

قالت وهى ترسم على وجهها ابتسامة طفولية تنم عن البراءة وأغلقت عينيها وفتحتهما عدة مرات متتالية وهى تقول : " آه ، أهذا كل ما لديك ؟ ولكن ربما قد تستطيع خفض السعر قليلاً اعتماداً على ما سأشتريه ، فهذه السيارة رائعة ، إن لونها يروق لى كثيراً " .

وأدرك هاربر أنها تحاوره ولاحظ كيف أنها رفعت نبرة صوتها ، وأخذ يراقب ما يحدث حيث كان يضعها الوسيط أمام خيارين من الأسعار ولكنها كانت ترجح السعر الذى تريده .

وأخيراً رفع الرجل راية الاستسلام ، بعدما نجحت هيلى فى إقناعه بالسعر الذى تريده ثم رفعت ليلى من فوق

مشايتها وذلك حتى تجلس بجانبها خلف عجلة القيادة وأدرك هاربر أنه لا يمكن مقاومة كليهما .

وبعد مرور ساعتين ، كانوا يقودون السيارة مبتعدين عن ساحة بيع السيارات وبصحبتهم ليلى التى كان النعاس قد غلبها وهى ترقد فى مقعد السيارة الخاص بها بينما كانت هيلى تجلس فى سعادة أمام عجلة القيادة .

هز هاربر رأسه وهو يقلدها قائلا : " أوه ، سيد تانز إننى لا أدرى شيئاً عن السيارات ، إنك غاية فى الرقة واللطف لأنك عاونتنى فى ذلك ، " ثم أردف قائلا : " عندما كنا نجلس معًا لننجز المستندات الخاصة بالسيارة ، كنت أود أن أحذره لأنه على وشك أن يتورط فى شىء ليس فى صالحه " .

" إنها صفقة لا بأس بها وقد حصل على عمولته وحصلت أنا على ما كنت أريد " ، ثم أطلقت ضحكة عالية وهى تقول : " لقد أعجبنى وهو يحاول أن يستشهد بك وأخذ يريك عطاء محرك السيارة وكل ما فعلته أنت ، أن قمت بحك رأسك كما لو كنت تتفحص صاروخاً أو ما يشبه ، وأعتقد أننا نجحنا فى إرضائه فقد أعطانى ما أحتاج إليه بالسعر الذى أستطيعه ، عندما أريد أن أبتاع سيارة أخرى فسأذهب إلى السيد تانز " .

" أليس من المؤلم أن تفعلى ذلك مرتين ؟ " .

" إنك محق ، إن المؤلم بالنسبة لى هو بيع سيارتى القديمة - ولا أعتقد أن أقساط السيارة الجديدة ستكون باهظة بالنسبة لى " ، وحدثت نفسها بأنها قد شعرت بالحرج عندما افترض السيد تانر بأنهم كعائلة واحدة أى هى وهاربر وليلى .

" إذا احتجت بعض المساعدة ، فيمكنك ـــ " .

مدت يدها وربتت على يده وذلك حتى تجعله يدرك أنها تُقدر عرضه : " لم تصل الأمور إلى هذه الدرجة يا هاربر - لا تقلق - سنكون أنا وليلى على ما يرام " .

" لماذا لا أصطحبكما لتناول طعام الغداء أنت وليلى احتفالاً بهذه المناسبة " .

" اتفقنا ، إننى أتضور جوعاً " .

حدثت نفسها قائلة إنهم يبدون كعائلة واحدة ، عائلة عادية تبتاع سيارة مستعملة وتتناول طعام الغداء فى أحد المطاعم وتشترى لطفلتها الآيس كريم .

ولكن كان هذا التفكير بمثابة استعجال الأمور ، فهما ليسا سوى رجل وامرأة غريبين فى مرحلة التعارف استعداداً للارتباط ، فهما لم يصلا لأن يكونا كياناً واحداً .

قررت هيلى أن تستفيد من بقية اليوم وذلك بأن تستريح فترة الظهيرة هى وابنتها .

غمغمت بينما كانت ليلى تداعب شعر أمها وقد أثقل النعاس جفنيها : " سنكون بخير يا طفلتى الحبيبة ، أليس كذلك ؟ إننى بخير طالما أنك بجانبى " .

اقتربت منها أكثر وحدثت نفسها قائلة : " إننى متعبة ، إننى لدىّ ملايين الأشياء التى علىّ إنجازها ولكنى مُجهدة وسوف أقوم بإنجاز هذه الأشياء آجلاً أم عاجلاً ، أليس كذلك ؟ " .

أغمضت عينيها ، وشرعت فى حساب أموالها فى رأسها . الأموال التى أنفقتها ، ودائعها ، ولكن عقلها لم يقو على التركيز .

www.dodyadodo.com

فقد سرحت بخيالها نحو ساحة السيارات المستعملة وتذكرت السيد تانز هو يودعها قبل أن تنطلق بسيارتها وكيف أنه كان يبتسم لها ويتمنى لها ولأسرتها حظاً سعيداً ورجعت بذاكرتها أيضاً إلى الشرفة ، حيث كانت تجلس هى وهاربر يحتسيان المياه الغازية فى تلك الليلة الحارة وتذكرت رقصتها معه فى الجناح الرومانسى بفندق " بيبودى " .

ومعاونتها فى الصوبات الزجاجية .

وأخذت تتذكره وهو يحمل ليلى لأعلى .

أخذت تحدث نفسها وقد غلبها النعاس وأوشكت أن تذهب فى سبات عميق بأنه يجب أن يكون الوقوع فى الحب شيئاً سهلاً وبسيطاً ، ويجب على المرء ألا يفكر فى شىء آخر أو يرغب فى شىء آخر طالما هناك من يحبه ؛ لأن الحب هو كل شىء .

وتنهدت وهى تحدث نفسها بأنها يجب أن تتمتع بما هى فيه الآن وتسلم الأمور إلى الله .

كان الألم كسكين تمزق الأحشاء ، حادة ، مروعة ، بشعة ، وكان جسدها ينتفض ويحاول مغالبة كل هذا الألم وصرخت عند شعورها بأنها قد شقت إلى نصفين من فرط الألم .

كان من الصعب احتمال الألم والحرارة ، كيف يمكن لشىء تحبه بشكل لا يوصف ، وترغبه بشدة أن يعاقبها بهذا الأسلوب المؤلم ؟ إنها ستموت بسببه ، ستموت لا محالة ، ولن ترى ابنها .

كان العرق يتصبب منها ، وكانت تشعر بوهن شديد يصاحب الألم .

الدم ، العرق ، المعاناة والألم ، كل هذا تبذله من أجل طفلها ، ابنها . عالمها ، إنها لا تبخل عليه بأى ثمن من أجل أن تمنحه الحياة .

وبينما كان الألم يمزقها إربا ، وجعلها تتخبط وتهوى فى الظلام ـ سمعت صرخة ضعيفة تشير إلى ميلاد طفلها .

استيقظت هيلى وهى تتصبب عرقاً ولا يزال جسمها ساخناً من شدة الألم ، ونظرت حولها فوجدت طفلتها تنام فى أمان بين ذراعيها .

وضعت طفلتها جانباً فى رفق ، ومدت يدها نحو الهاتف الموجود بجوار الفراش .

" هاربر ، هل يمكنك أن تأتى إلىّ ؟ " .

" أين أنت ؟ " .

" فى غرفتى ، وليلى تنام بجوارى ولا يمكن لى أن أتركها ، نحن بخير لا تقلق " ، ثم أردفت قائلة بسرعة : " نحن حقاً بخير ولكن حدث شىء ، أرجوك ، هل يمكنك أن تأتى ؟ " .

" سأكون عندك بعد دقيقتين " .

وضعت حاجزاً من الوسائد حول الطفلة ، على الرغم من أنها تدرى أنها لن يمكنها مغادرة الغرفة ، فقد يمكن لليلى أن تتخطى ذلك الحاجز وتسقط على الأرض ، أما هى فبمقدورها أن تسير حتى ولو على قدميها الواهنتين .

فتحت الباب على مصراعيه بينما كان هاربر يصعد درجات السلم بسرعة .

كانت تتمايل من الألم وتقول له : " لقد أخبروها بأن الطفل قد ولد ميتاً ، لقد أخبروها بأن الطفل قد مات " .

الفصل السادس عشر

فى الردهة كان هاربر يقف أمام الشرفة الأمامية وهو يضع يده فى جيبه ، حيث الضوء الخافت الذى يتخلل الستائر الخفيفة والهواء المحمل برائحة الأزهار .

قال وهو يدير ظهره للغرفة : " لقد كانت محطمة ومتهالكة ، لقد كانت على وشك الانهيار عندما وصلت إلى هناك ، وحتى عندما حاولت استجماع قواها ، كانت واهنة وتبدو مريضة وضعيفة " .

رفع ميتش يده عندما استدار هاربر وقال : " إنها لم تلحق بها أى أذى ، إننى أتفهم شعورك جيداً ، ولكنه لم يتم إيذاؤها بدنياً وهذا هو الشىء المهم " .

أجابه فى غضب : " ولكن ما حدث هذه المرة ، كان لا يمكن السيطرة عليه " .

" وهذا سبب أدعى حتى نتحد جميعاً ونفكر فى هدوء " .

قال هاربر : " إننى سأشعر بهدوء عندما ترحل ؟ " .

سأله لوجان " إميليا أم هيلى ؟ " .

" حتى الآن ؟ كلتاهما " .

" أنت تعرف أنه بإمكانها أن تبقى بيننا ، ولو كنت مكانك لرغبت فى حزم حقائبها وحملها بعيداً ، ولكن قد نمى إلى علمى أنك قد حاولت فعل ذلك من قبل ولم تفلح ، وإذا حدث ونجحت فى إقناعها مرة أخرى فسأحمل أنا حقائبها بنفسى " .

" إنها لن توافق ، إننى لا أدرى ما الذى أصاب هؤلاء النسوة ؟ "

لوح ديفيد بيده قائلاً : " إنهن يشعرن بالترابط ، حتى عندما شاهدن إميليا فى أسوأ حالاتها ، شعرن بالترابط معها ، سواء كان هذا خطأ أو صواباً ، هناك نوع من التضامن " .

أضاف ميتش قائلاً : " ثم إن ذلك المنزل هو منزلها مثلما هو منزلك الآن أو منزلى ، إنها لن ترحل وتترك الأمور هكذا دون إيجاد حل أكثر منك أو منى أو منا جميعاً " ، ثم تجول ببصره عبر الحجرة وقال : " وهكذا انتهينا من هذا الحديث " .

ولكن المنطق أو حتى الحقيقة لم تطفئ ثورة الغضب بداخل هاربر أو تخفف من حدة قلقه على هيلى وقال : " إنك لم تر مظهرها بعد ما حدث مؤخراً " .

www.rewity.com

" لا ، ولكنى تخيلته بعدما رويت لى ما حدث إن هذا أمر مهم بالنسبة لى مثلما هو مهم بالنسبة لك ، ولكن سلامتها مهمة لنا جميعاً " .

وتحول ببصره ناحية باب الردهة وقد شرد بذهنه لأعلى ، نحو هيلى وقال : " الجميع ضد واحد ، حسناً ولكن الخطر يهددها هى ، يهدد هيلى وحدها " .

مال ميتش إلى الأمام فى مقعده وذلك حتى يحول انتباه ميتش نحوه وقال : " نحن نتفق معك فى ذلك ولكن دعنا نستعد ما حدث فى دقيقة ، لقد مرت هيلى بتجربة ولادة إميليا ، ثم بصدمة وذلك بعدما أخبروا إميليا بأن الطفل قد مات ، وقد مرت هيلى بتجربة إميليا تلك عندما كانت تغفو هى وليلى ولكن لم تشعر ليلى فى ذات الوقت بأى إزعاج وهذا يدلل على أنه ليس هناك نية فى إيذاء ليلى أو تخويفها " .

" قد تكون محقاً ولكن إميليا ستظل تستخدم هيلى وتستغلها حتى تحصل على ما تريده أياً كان هو " .

أومأ ميتش برأسه موافقاً : " إننى أوافقك الرأى ، وذلك لأن هذه الوسيلة فى رأيها تنجح فى توصيل ما تريد ، وأنها تعطينا بعض المعلومات من خلالها وهى معلومات ربما لم نكن لنستطيع الوصول إليها فقد أدركنا الآن من خلال ما حدث لهيلى أنهم لم ينتزعوا طفلها فقط وإنما أخبروها فى منتهى القسوة بأنه مات ولا عجب فى أن تفقد صوابها وخصوصاً أن عقلها غير متزن منذ البداية " .

فقال لوجان : " إذن نستطيع أن نقول إنها جاءت إلى هنا من أجل الطفل وإنها قد ماتت هنا فى هذا المنزل " .

جلس هاربر على أحد المقاعد وهو يقول : " ولكن الطفل مات أيضاً ، مات مثلها تماماً ولن تعثر عليه هنا أبداً " .

وفى الطابق العلوى ، استيقظت هيلى بعد إغفاءة قصيرة ، وكانت ستائر الحجرة منسدلة ، فكان الضوء داخلها خافتاً إلا من شعاع بسيط . ورأت روز وهى جالسة تطالع كتاباً على هذا الضوء الخافت .

" ليلى " .

وضعت روز الكتاب جانباً ونهضت من مكانها وقالت : " لقد أخذتها ستيلا ، هى والأولاد إلى الجناح الآخر ليلعبوا هناك حتى تأخذى أنت قسطاً من الراحة . بماذا تشعرين الآن ؟ " .

" متعبة ، وأشعر بألم بسيط " ، ثم تنهدت وشعرت بالراحة والطمأنينة عندما جلست روز بجوارها وأخذت تعبث بخصلات شعرها وتربت على رأسها وقالت : " لقد كانت أقسى وأطول من مدة ولادتى لليلى ، أعلم أن ذلك الذى شعرت به قد استغرق عدة دقائق ولكنها بدت كساعات طوال ، ساعات من الألم والحرارة ثم هذا الشعور المروع الكئيب فى النهاية ، لقد أعطوها شيئاً جعلها تغيب عن الوعى " .

" أعتقد أنه مستحضر اللودنوم ، فإنه مخدر قوى " .

انقلبت هيلى على أحد جانبيها وهى تحاول الاسترخاء ، ومالت برأسها حتى تستطيع رؤية روز جيداً وقالت : " لقد سمعت صراخ الطفل ، أتدرين ما هذا الشعور ؟ ، فمهما كان الألم الذى عانيته لساعات ، ولكن

كل شيء بداخلك يستيقظ وتتدغدغ حواسك وتنسى كل الألم وذلك عندما تسمعين صرخة طفلك لأول مرة " .

أمسكت روز بيدها وقالت : " إنه طفلها هى يا هيلى وليس طفلك أنت " .

" أعلم ذلك جيداً ، ولكنه كان كابنى للحظات ، وكان هناك ذلك الحزن المروع ، عدم التصديق الذى يشوبه الجنون عندما قال الطبيب إن الطفل قد ولد ميتاً " .

قالت لها روز : " إننى لم أفقد ابناً من قبل ولا أستطيع حتى تخيل ذلك " .

" لقد كذبوا عليها يا روز وأعتقد أن ريجنالد قد دفع لهم رشوة ليقولوا ذلك ، لقد كذبوا عليها ولكنها كانت تدرك ذلك ، لقد سمعت بكاء الطفل وكانت قد عرفت أنه حى وهذا ما جعلها تفقد صوابها وعقلها واتزانها " .

اعتدلت روز فى جلستها واستدارت بحيث يمكن لهيلى أن تستريح وترقد على ساقيها . وجلست فى صمت وأخذت تنظر نحو الضوء الخافت المنبعث من خلال الستائر المنسدلة .

بدأت هيلى الحديث مرة أخرى : " إنها لا تستحق ما حدث لها " .

" لا إنها لم تستحقه " .

" مهما كانت شخصيتها وطبيعتها وأياً كان ما فعلته فإنها لا تستحق أن تعامل بهذا الأسلوب ، لقد كانت تحب الطفل ولكن ... " .

" ولكن ماذا ؟ "

" إن الأسلوب الذى أحبته من خلاله لم يكن أسلوباً سوياً ، فهى لم تكن أماً صالحة " .

" كيف عرفت ذلك ؟ " .

" لقد شعرت ... " . ثم حدثت نفسها بأنه الاستحواذ ، حب التملك ، الطمع ، التطلع ، من الصعب وصف شخصيتها لروز ، ثم أكملت حديثها لروز قائلة : " هل تصدقين أنه كان يجب أن تلد صبياً ؟ أما إذا كانت فتاة ، فكانت لن تمثل أهمية بالنسبة لها ، إنها لن تكون بمثابة خيبة أمل بل كانت ستكون مصدرًا لغضبها وألمها وإذا حدث واحتفظت بالطفل ، فإنها كانت ستفسده ، فلم يكن بالطفل البرىء السوى الذى يحب كلبه ويحب جدته ، وكانت الأمور ستسير بشكل مختلف " .

ثم أدارت رأسها حتى تستطيع النظر لأعلى نحو روز : " أنت وهاربر ، كانت الأمور ستتغير ، ولكن هذا لا يبرر ما حدث ولا يجعله صواباً " .

" ألا يكون من الأفضل أن يعود كل شيء فى هذا العالم إلى نصابه الصحيح ، وأن يُعاقب الخطأ والشر ، وينتصر الخير وبهذه الطريقة تكون الحياة بسيطة وسهلة ؟ " .

التوت شفتا هيلى وهى تقول : " ولو كان هذا ما يحدث فى الحياة لأصبح جُوستن تيريل " الذى خدعنى وأنا فى السنة العاشرة ـ سميناً ، أصلع ويسأل الناس إذا ما كانوا يرغبون فى شراء المقليات بدلا من كونه الآن شريكاً فى أكبر شركة من الشركات التى تبيع الأدوات الرياضية ويشبه " توبى ماك جير " .

" أليس هذا هو الطريق الأمثل ؟ " .

" ولكن ربما ذهبت أنا إلى الجحيم لأننى لم أخبر والد ليلى بأن له ابنة " .

" لقد كانت دوافعك بريئة وكنت حسنة النية " .

" أعتقد أن فعل ما هو أفضل ليس دائماً هو الصواب ، ولقد كان من الأفضل أن تنشأ الطفلة هنا فى منزل هاربر " .

" إن ما تقولينه يختلف عن حالة إميليا يا هيلى ، فلم تكن دوافع أى شخص بريئة أو نيته سليمة ، الكذب والخداع ، البرودة والقسوة والأنانية ، إننى أرتعد عندما أفكر ماذا كانوا سيفعلون بالمولود إذا كان فتاة وليس صبيًا . هل تشعرين بأنك أفضل الآن ؟ " .

" كثيرا " .

" لماذا لا أذهب إلى أسفل ، وأقوم بإعداد شىء تتناولينه ؟ سأحضر لك بعض الطعام الآن " .

" سأذهب لأسفل الآن ، إننى أدرك أن ميتش سيرغب فى تسجيل كل ما حدث ، ومن المؤكد أن هاربر قد قص عليه ما حدث ولكن من الأفضل أن أقص عليه ما حدث بنفسى وأعتقد أنى سأشعر بتحسن إذا ما فعلت " .

" إذا كنت على ثقة من ذلك " .

أومأت برأسها موافقة وهى تنهض من فراشها : " أشكرك على وجودك بجانبى ، إننى أشعر بالراحة ، لأنك كنت بجوارى أثناء نومى " .

نظرت إلى نفسها فى المرآة وغمزت بعينيها وهى تقول لروز : " أعلم أن هناك شبحا يتقمصنى ولكن ذلك لا يعنى أن يكون مظهرى مثل الأشباح " .

" هذه هى فتاتى بحق ، سأذهب وأخبر ستيلا بأنك ستنضمين إلينا " .

أدركت هيلى أنها تدين لروز بفضل آخر ، عندما علمت أنه قد تم ترتيب كل شىء ولم يتبق سوى أن تجلس هى وميتش فى المكتبة لتقص عليه التجربة كاملة .

لقد كان من السهل والمريح أن تقص عليه ما حدث ، إنه شخص ذكى وذو ثقافة واسعة ويشبه هاريسون فورد فى وسامته .

ولكن مع الألم الذى شعرت به والصدمة التى تلاها قسط من الراحة وبعض من الاهتمام والحب والرعاية أصبحت أفضل وأكثر سيطرة على أعصابها .

وفى كل الأحوال ، إنها تعشق هذه الحجرة وتحب كل الكتب والقصص ، وتحب الحديقة المحيطة بها ، وتحب المقاعد والأريكة التى تحتوى عليها المكتبة .

عندما جاءت إلى هاربر هاوس لأول مرة ، كانت تأتى إلى هذه الحجرة خلسة فى الليل لمجرد أن تجلس فيها ـ تلك الحجرة المفضلة لديها فى هذا المنزل .

كما أنها تحب الأسلوب الذى يتناول ميتش من خلاله موضوع إميليا برمته ، أوراقه ، برنامج العمل ، حاسبه ، ملفاته ومفكراته ، لقد كان أسلوبه عمليا ومنطقيا .

تفحصت برنامج العمل وما يحتويه من القوائم الطويلة والأعمدة التى تتضمن شجرة عائلة هاربر .

" هل تعتقد أنه بإمكانى ـ بعد أن ننتهى من هذا الأمر ـ أن أعرف شجرة عائلتى ؟ " .

" ممم " .

نظرت إليه وحركت يدها وقالت : " آسفة ، لقد شرد ذهنى بعيدا " .

www.rewity.com

وضع مفكرته جانباً وركز كل انتباهه نحوها وقال :
" لا بأس ، يمكننى أن أفعل ذلك بالطبع كل ما عليك أن تمنحينى المعلومات الأساسية التى تعرفينها ، اسم الأب بالكامل ، تاريخ ومحل الميلاد وكذلك المعلومات التى تخص أمك وسوف يمكننا معرفة ذلك " .

" إن ذلك يروقنى كثيراً ، سيكون شيئاً شيقاً وممتعاً ، إن عائلتى وعائلة هاربر قد تقابلا منذ جيلين ، هل هاربر غاضب منى بشدة ؟ " .

" لا يا عزيزتى ، وما عساه أن يكون سبب غضبه منك ؟ " .

" إنه مستاء وإنه يريد أن يجعلنى أنا وليلى أغادر المنزل إلى منزل ستيلا ، إننى لن أذهب ، لن أستطيع " .

أخذ ميتش يعبث بإحدى الأوراق وهو يقول : " إذا لم أستطع إخراج روز من هذا المنزل منذ شهور قليلة ، لكنت فعلت ـ حتى لو تطلب منى ذلك استخدام الديناميت " .

" هل تشاجرتما بسبب ذلك ؟ " .

لاحت فى عينيه نظرة لاهية وهو يقول : " لا ، ليس هكذا بالضبط ، فأنا أكبرها فى العمر وأكثر حكمة ، وأدرك جيداً الحدود التى يجب أن يقف عندها الرجل عندما يتعامل مع امرأة عنيدة " .

" هل أنا مخطئة فيما أفعل ؟ " .

" ليس من حقى أن أقول ذلك " .

" بل من حقك إذا ما طلبت أنا ذلك " .

" إنك تضعيننى بين خيارين كل منهما أسوأ من الآخر ، إننى أتفهم جيداً شعور هاربر وإنه ليس بمخطئ ، وإننى

أحترم شعورك وكذلك الأسباب التى تدفعك للبقاء وأنت أيضاً لست بمخطئة ـ كيف ذلك ؟ " .

ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة وهى تقول :
" رد دبلوماسى وفيه ذكاء ولكنه لم يؤد بى إلى شىء " .

" إنها استفادة أخرى من هذه المرحلة العمرية الأكبر والتى تنم عن مزيد من الحكمة ، ولكنى سأضيف شيئاً واحداً وذلك لكونى رجلاً أستطيع أن أحمى نفسى فأعتقد أنه لا يجب أن تمضى وقتاً طويلاً بمفردك " .

" أحمد الله أننى أحب الاختلاط بالناس " ، نهضت وتركته عندما رن هاتفه المحمول وقالت : " سأتركك وسأعود عندما تنتهى من هذه المحادثة الهاتفية " .

خرجت من باب الحجرة الجانبى الذى يطل على الحديقة وذلك عندما شاهدت هاربر بالخارج ، وتمنت أن تعتنى ستيلا بليلى وقتاً أطول ، وألا يكون ذلك مصدر إزعاج لها ، واتجهت نحو الحديقة حيث يعمل هاربر .

كانت لا تزال تحب الصيف فهو عالمها ـ ولكن حرارته كانت شديدة ، وعلى الرغم من ذلك فهى تستطيع أن ترى الجمال الذى يضفيه على ما حولها ، فهى ترى الكرات الزرقاء الضخمة لنبات الكوبية وهى تثقل الفروع ، وزهور الزنابق متفتحة بشكلها المبهج الجميل ، وزهور الآلام تعلو الفروع بلونها الوردى الرائع .

كان الهواء مُحملاً بعبق الزهور وزقزقة العصافير ، وتسبح فيه الفراشات بأجنحتها الملونة .

ووقف هاربر عند أحد المنحنيات فاتحاً ساقيه ، وجسده محنيًا انحناءة خفيفة بينما كانت أصابعه المدربة تنزع بسرعة ومهارة الرؤوس الميتة من النباتات ويلقى بها فى

حقيبة يعلقها فى حزامه ، وترقد عند قدمه سلة صغيرة بها عدد من زهور اللولية ، وزهور السمكة ، والعائق والقسموس .

كان كل ما حولها يوحى بالرومانسية والحب ـ الرجل ، والمساء وهذا الكم الهائل من الزهور ـ مما جعل قلبها يخفق بشدة ، ومر من فوقه طائر الطنان محدثاً طنيناً بجناحيه اللذين بدوا كقطعة من الزمرد والزفير ، وحلق فوق قدح من النعناع الأمريكى وأخذ يرتشف

راقبت هاربر وهو يتوقف عن العمل لتشاهده ولا تزال يده تقبض على ساق النبات واليد الأخرى تمسك ببعض البذور ، وتمنت لو استطاعت أن ترسم هذا المنظر الرائع ، من ألوان أواخر الصيف الحية الزاهية ، وهذا الرجل الهادئ الصبور والذى توقف عما يعمل حتى يتشارك مع همس الزهور إلى الطائر .

لقد غمر الحب كل كيانها .

وابتعد طائر الطنان الذى بدا كقطعة من الأحجار الكريمة ، وراقبه هاربر فى حين أخذت هى تتطلع لهاربر .

" هاربر " .

قال : " إن الطائر الطنان يحب هذا الشاى " ، ثم أخذ يقلم بعض نبات النعناع الأمريكى وأردف قائلاً : " ولكن هناك ما يكفى لنا جميعاً " .

نادته مرة أخرى وقد أحاطته بذراعيها وألصقت وجنتيها بظهره وقالت : " هاربر ، أعلم أنك تشعر بالقلق ولن أطلب منك ألا تفعل ، ولكن أرجوك لا تغضب " .

" إننى لست بغاضب ، لقد أتيت إلى هنا حتى أهدأ وهذا ينجح فى كثير من الأحيان ، فيتحول الغضب إلى مجرد قلق وتوتر " .

أخذت تحك وجنتيها فى قميصه ، فشمت رائحة الصابون مختلطة بعرقه وهى رائحة تنم عن الصحة والرجولة وقالت : " لقد كنت عازمة على أن أتناقش معك فيما حدث ، ثم رأيتك وعندئذٍ شعرت بعدم الرغبة فى ذلك ، إننى لا أريد أن أتشاجر أو أجادل ، كل ما فى الأمر أننى لا أستطيع أن أنفذ ما تريده لأن كل شىء بداخلى يدفعنى لأفعل عكس ما تريد ، حتى لو كان خطأ ، لا استطيع فحسب " .

أخذ يقص المزيد من الزهور التى لم تتفتح ويضعها فى السلة وهو يقول : " إننى ليس لدىّ أى خيار فى ذلك ، وأنت لم تذكرى الدوافع ولا يوجد ما تقولينه بشأن ذلك ، لذا فسآتى أنا إليك ، إننى أفضل أن تأتى أنت وليلى إلى منزلى ولكن من المنطقى أن أنتقل أنا إليكم وعندما تنقشع هذه الغمة ، فسنعيد تقييم الأمور " .

" نعيد تقييم الأمور " .

لم يكن ينظر إليها مباشرة ثم انتقل بعد ذلك لينتزع المزيد من النباتات المتفتحة وهو يقول : " نعم ، فمن الصعب الآن أن نعرف إلى أين سيقودنا كل هذا ، وما الذى سنفعله فى ظل هذه الظروف ؟ " .

" إذن فأنت ترى أن نعيش فى مكان واحد ، فى ظل هذه الظروف وعندما تتغير تلك الظروف ، نحاول أن ننظر إلى الأمور حينئذ من زاوية مختلفة " .

" صحيح " .

www.rewity.com

شعرت بأنها تريد أن تجادل : ألم تسمع من قبل عن التساؤل ؟ " .

" لقد سمعت عنه ولكنى لم أفعله ، إنك فى المشتل تعملين طوال الوقت معى أو مع أمى أو ستيلا " .

سألته : " من الذى نصّبك رئيساً علىّ ؟ " .

ظل يواصل عمله بيدين وعينين ثابتتين لا تخطئ قائلاً :

" سيلازمك أى منا طوال الوقت " .

" سيلازمنى أى منكم طوال الوقت حتى وأنا آخذ حمامى " .

" إذا لزم الأمر ، وبما أنك مصممة على البقاء فتلك هى الشروط " .

عاد طائر الطنان وأخذ يطن مرة أخرى ولكنها هذه المرة لم تعر اهتماماً لجماله أو تأسرها جاذبيته : " شروط ؟ هل مات أحدهم وأصبحت أنت الحاكم هنا ؟ أنصت لى يا هاربر – " .

" لا ، هذا هو ما ستسير عليه الأمور ، فأنت مصممة على البقاء ، وأنا مصمم على مراقبتك والاعتناء بك ، فأنا أحبك ، وليس هناك ما يقال بعد ذلك " .

همت بقول شىء ولكنها عادت وأطبقت فمها وأخذت نفساً عميقاً وقالت : " طالما أنك ذكرت هذا الجزء المتعلق بالحب ، إذن فهناك باب للمناقشة " .

" ليست هناك أى مناقشات " .

ضاقت حدقتاها ، وكان عليه أن يتوقف عما فى يده ويستدير ليواجهها فقالت : " إنك شديد العناد " .

مد يده وأخذ يجمع الزهور الموجودة فى السلة وأخذ يربطها وكون منها باقة زهور جميلة وقال : " هذا لا

يتطلب عناءً كبيراً " ثم استدار الآن ناحيتها والتقت عيناه العسليتان بعينيها وقال : " إليك هذا " .

مدت يدها والتقطت الزهور وقطبت جبينها ونظرت إليه من خلال الأزهار وهى تقول : " هل قطفت هذه الزهور من أجلى " .

تراقصت ابتسامة ناعمة على وجهه وهو يقول لها : " ولمن غيرك ؟ " .

تنهدت بشدة . وأضاف هو إلى باقة الزهور زهرة التبغ ، فأخذت هى تشم عطرها الفواح قائلة : " بالله عليك ، كيف تكون شخصًا لحوحًا وفى اللحظة التالية تكون شخصاً لطيفاً حالماً . إنها بحق زهور جميلة " .

" مثلك تماماً " .

" أتدرى ، لو كان هناك رجل آخر فى مكانك لبدأ أولاً بإعطائى الزهور ثم أخذ يسمعنى بعض المديح والإطراء ووصف لى قدر حبه وذلك حتى يستطيع إقناعى بما يريد ، ولكنك تفعل العكس " .

ثبت نظره عليها وقالت : " إن إقناعك لم يكن مصدر قلق لى " .

" فهمت . إنك لا تنتظر موافقتى ، ولم تكن تنتظر قولى ، حسناً يا هاربر إننا سنفعل ما تريد ، لقد كنت على ثقة من أنى سأفعل " .

" أرأيت كيف فهمت الأمور بسرعة ؟ " .

انفجرت فى الضحك وأمسكت الزهور بإحدى يديها وطوقت عنقه بذراعها الأخرى : " طالما أنك مهتم بى ، فأنا سعيدة لأنك ستكون بجوارى " .

" سأكون بجوارك دائماً " .

" إذا كان لا يزال لديك المزيد من العمل هنا ـــ " .

قطعت حديثها عندما جاء إليهم لوجان وهو يسير عبر الممر وهو يقول : " آسف ، لقد طرأ شيء ما ، أرجو أن تعودا وتنضما إلينا " .

شعرت هيلى بالإثارة ، كطائر الطنان الذى يحلق فى السماء وذلك عندما دلفوا إلى المكتبة ، وألقت نظرة سريعة على المكان أولاً ، وقد رأت ليلى تلعب بسيارتها مع جافين وليوك بجوار المدفأة والتى أغرقها ديفيد بالورود فى شهور الصيف .

وعندما لمحت ليلى أمها ، توقفت عن اللعب لتُرى أمها شاحنتها وبمجرد أن رفعتها أمها إليها ، مدت ذراعيها نحو هاربر

حملها هاربر ثم تركها لتلهو فى الغرفة وعلقت هيلى على ذلك بقولها : " إننى دائما فى المقام الثانى أثناء وجودك " .

" إنها تدرك جيداً أننى أعرف تفاصيل شاحنتها الجديدة " . ثم أضاف مستفسراً من أمه : " حسناً ، ما الخطب ؟ "

" إننى سأترك ميتش يشرح لكم ، يا ديفيد إنك دائماً شخص يمكن الاعتماد عليه " .

كان ديفيد يجر أمامه عربة الطعام المحملة بالمشروبات الباردة وبعض الأطعمة السريعة من أجل الأطفال ، غمز ديفيد للأطفال وهو يقول : " علينا أن نحافظ على طاقتنا وبخاصة فى هذا المنزل " .

www.rewity.com dodyadode

قالت روز بلهجة آمرة : " ستحصلون جميعاً على ما تريدون ، علينا الآن أن نجلس فى هدوء " .

وعلى الرغم من أن المياه الغازية بدت لذيذة ومثلجة ، إلا أن هيلى فضلت أن تتناول الشاى المثلج ، فلم تكن معدتها على ما يرام لتتحمل الصودا . قالت هيلى موجهة حديثها لستيلا : " أشكرك على اعتنائك بطفلتى " .

" إنك تدركين تماماً أن ذلك من دواعى سرورى ، ويروق لى كثيراً حب الأولاد لها ولعبهم معها " ، ثم أخذت تمرر يدها وتربت على ذراع هيلى وتقول لها : " كيف تشعرين الآن ؟ " .

" قليل من الوهن ولكنى بخير ، هل تعلمين ما سبب استدعائنا ؟ " .

" لا ، لا أعرف ولا حتى قليلاً من المعلومات ، هيا اجلسى فإنك تبدين مرهقة " .

ابتسمت هيلى وستيلا تقول ذلك : " لقد أصبحت لهجتك كلهجة الجنوب ، جنوب يانكى ، ولكنها بدأت تتزايد " .

" هذا يرجع إلى كثرة العدد " ، ولأنها كانت تشعر بالقلق حيال هيلى وترى أن الشحوب مازال يعلو وجهها ، جلست على ذراع المقعد الذى تجلس عليه هيلى .

قال لوجان متذمراً موجهاً حديثه لميتش الذى كان يقف أمام المائدة الموضوعة فى حجرة المكتبة : " إلى متى ستتركنا هكذا يقتلنا التشويق والإثارة " .

حدثت هيلى نفسها بأن ميتش يسلك سلوك المعلم . إنها أحياناً ما تنسى أنه كان بالفعل معلماً فى يوم من الأيام .

" أعتقد أنكم تعلمون جميعاً أننى كنت على اتصال لعدة شهور بحفيدة مديرة المنزل التى كانت تعمل هنا خلال فترة حياة ريجنالد وبياتريس " .

علق هاربر وهو يجلس على الأرض مع ليلى التى كانت تلهو بشاحنتها قائلاً : " محامى بوسطن " .

أومأ ميتش برأسه وقال : " لقد زاد اهتمامها بالموضوع ، وكلما تطلعت لمزيد من المعلومات ، تحدثت مع عدد أكبر من الناس ، وبالتالى حصلت على كثير من المعلومات " .

وأضافت روز قائلة : " إضافة إلى ذلك ، فقد كان ميتش يعد لها شجرة عائلة ويبحث فى نسبها ـ مجاناً " .

قال ميتش : " شىء فى مقابل شىء وعلى أية حال ، فقد كنا فى حاجة لبعض المعلومات عن عائلتها ، ولكن حتى الآن لم نحصل على الكثير الذى يفيدنا ، إلا أنه اليوم قد حصلت على معلومات جديدة ومهمة " .

عقبت ستيلا قائلة : " إن الفضول سيقتلنا " .

" لقد حصلت على خطاب قد كتبته مديرة المنزل بخط يدها ، فقد عثرت رونى فيرونيكا ـ وهى الشخصية التى نتحدث عنها ـ على صندوق ملىء بالخطابات وذلك فى سندرة أحد عمالها ، وكان من الضرورى أن تقرأ هذه الخطابات ، ولكنها اليوم قد عثرت على خطاب من بين هذه الخطابات كتبته مارى هافرز إلى ابنة عمها والخطاب مؤرخ فى ١٢ يناير ١٨٩٣ " .

أضافت هيلى قائلة : " بعد ولادة الطفل بشهور قليلة " .

" نعم ، هذا صحيح ، فقد كانت معظم الخطابات التى عثروا عليها تتعلق بمشاريع العائلة أو هى خطابات محادثة

عادية تعبر عن الحياة اليومية وبخاصة أن الناس فى هذه الفترة كانوا لا يزالون يكتبون هذا النوع من الخطابات " ، ثم رفع بعض الأوراق وأردف قائلاً : " ولكنها قد بعثت لى بصورة من أحد الخطابات التى عثرت عليها وذلك عن طريق الفاكس ، وسأقرأ على مسامعكم الجزء الذى يتعلق بالموضوع الذى نحن بصدده " .

قطع ليوك حديثهم بشكواه قائلاً : " أمى ، إن جافين يسخر منى بوجهه " .

قالت ستيلا : " جافين ، ليس الآن فأنا أحذرك وأعنى ما أقول " . ثم أردفت فى لهجة اعتذار : " آسفة لهذه المقاطعة " .

وأخذت نفساً عميقاً وصممت على أن تتجاهل الشجار الهامس من خلفها والدائر بين الأولاد وقالت : " استمرا " .

نهض لوجان وقال : " لحظة واحدة " ، ثم اتجه نحو الأولاد وتبادل الحديث معهم . فهلل الأولاد ثم اندفعوا نحو الخارج .

قال جافين : " سنصطحب ليلى معنا للعب بالخارج ثم أردف قائلاً : " هيا يا ليلى ، ألا ترغبين فى الانضمام إلينا واللعب بالخارج ؟ " .

أمسكت بشاحنتها وتركت هاربر ولوحت إليهم بيدها وأمسكت بيد جيفن ، أغلق لوجان الباب من ورائهم ووجه حديثه لستيلا عندما عاد إلى مجلسه وقال : سنذهب لتناول المثلجات فيما بعد " .

" رشوة ، هذا تفكير رائع ، آسفون ميتش " .

" لا عليك ، فهذا الخطاب موجه من مارى هافرز إلى ابنة عمها لوسيل " .

اتكأ على حافة المنضدة ، وعدل من وضع نظارته وشرع فى القراءة .

" إننى أدرك أنه لا يجب علىّ أن أكتب فى هذا الصدد ، ولكنى أشعر بضيق وأشعر بأن عقلى مشتت ومشوش و لقد أخبرتك من خلال خطاب فى الصيف الماضى بولادة ابن صاحب المنزل الذى أعمل به ، إنه طفل جميل ، وله طبيعة أخاذة ، أما المربية التى عينها السيد هاربر لرعايته فهى ماهرة فى عملها وتبدو لطيفة وحنونة مع الطفل وهى متعلقة به للغاية ، وقد نمى إلى علمى بأن سيدتى زوجة السيد هاربر لم تطأ غرفة الطفل مطلقا ، وقد أخبرت المربية السيد هاربر بذلك ولم تخبر أحداً غيره ، وقد كانت أليس المربية تثرثر ببعض الكلام كعادة الفتيات دائما ولقد سمعتها أكثر من مرة وهى تعلق على عدم دخول السيدة بياتريس إلى غرفة الطفل وعدم رؤيته وأنها لم تحمله قط من قبل ولم تعتنى به على الإطلاق " .

قالت روز بصوت خفيض : " تلك المتوحشة القاسية ، إننى سعيدة بأننا لا ننتسب إليها ، إننى أفضل الجنون على القسوة " ثم رفعت يدها معتذرة وقالت : " آسفة يا ميتش ، ما كان يجب علىّ أن أقاطعك " .

" لا عليك ، فقد قرأت هذه الخطاب من قبل مرتين وإننى أوافقك فى رأيك " . وتستكمل مارى هافرز حديثها عبر الخطاب قائلة :

" إننى أدرك تماماً أنه ليس من حقى أن أنتقد ما يحدث ، ولكنه من غير الطبيعى ألا تهتم أم بطفلها الوليد وبخاصة إذا كان ولدا وهو ما يتمناه سيد البيت ، ولا أستطيع الجزم بأن السيدة بياتريس حنونة أو هى أم رؤوم

ولكنها على الرغم من ذلك تشارك بناتها فى حياتهن وأنشطتهن اليومية ، إننى لا أستطيع أن أحصى عدد المربيات والخدم الذين جاءوا ورحلوا عن المنزل خلال الأعوام القليلة الماضية . إن السيدة هاربر شخصية تتمتع بالدقة الشديدة ولكنها رغما عن ذلك لم تعط أليس أى تعليمات فيما يخص برعاية السيد هاربر " .

" إننى أخبرك بذلك يا لوسى ، لأن كلينا يعلم بأن هذه الملاحظات لا تمثل مصدر اهتمام بالنسبة لتفاصيل حياة أهل البيت ، إلا إذا كان هناك شىء غير مريح ، إننى أشك فى أن هناك شيئاً غامضاً فيما يجرى ، وإننى يجب أن أخبر أحداً بأفكارى ومخاوفى " .

قاطعت هيلى ميتش بقولها : " لقد كانت تشعر بأن هناك شيئاً غامضاً " ، ثم أضافت وهى تتجول ببصرها عبر الحجرة : " آسفة ، على المقاطعة ولكنكم تفهمون ما وراء السطور حتى إن كانت لا تتفوه به " .

أخذت ستيلا تقلب كوب المياه الغازية فى يدها وهى تقول : " لقد كانت مولعة بالطفل أيضاً ، وتشعر بالاهتمام والقلق من أجله ، إنكم تسمعون ذلك ، هيا ، أكمل يا ميتش " .

" لقد كتبت تقول : " عندما أخبرتك من قبل بولادة الطفل ، لم أذكر لك فى مراسلاتنا السابقة ، بأنه لم تكن هناك أى ترتيبات توحى بقدوم الطفل وذلك خلال شهور الحمل التى سبقت ولادة الطفل ، فقد ظلت أنشطة السيدة بياتريس ومظهرها كما هما لم يتغيرا . فنحن الذين نخدم فى هذا المنزل نطلع على أسرار وتفاصيل الحياة اليومية ومن يعيشون فى هذا المنزل . فكان من غير المكن تجاهل ما

www.rewity.com

يحدث ، فلم يكن هناك أى ترتيبات مسبقة لولادة الطفل ، ولم تدر أى أحاديث بشأن المربيات أو ملابس الطفل ، ولم يكن هناك ولادة أو نفاس للسيدة هاربر ، ولم تكن هناك أى زيارات من قبل الطبيب ، فقد وجدنا الطفل فى صباح أحد الأيام وكأن الطائر قد ألقى به ، ولم أسمع بالحديث الجانبى الذى كان يدور بين الخدم على الأقل فى حضورى ، فليس من حقنا التدخل فى مثل تلك الأمور " .

" ولكن رغمًا عن ذلك يا لوسيل ، فإننى ألاحظ أنها منفصلة تماما عن هذا الطفل ، وهذا شىء تتمزق له القلوب ، لذا فإننى أتساءل عما يجرى ، ليس هناك أدنى شك فى والد الطفل ، حيث إنه نسخة مصغرة من أبيه السيد ريجنالد ، أما عن والدته فهذا شىء آخر على الأقل بالنسبة لى " .

التفت ناحية أمه ووجه حديثه لها قائلاً : " إذن ، فقد كانوا يعرفون ، فلقد علمت هافرز هذا ، بل علم المنزل بأكمله ، ولم يفعلوا شيئاً حيال ذلك " .

سألته هيلى قائلة وقد كان صوتها مشبوباً بالعاطفة : " وماذا عساهم أن يفعلوا ، فهم مجرد خدم ـ موظفين ، وحتى لو حاولوا الخوض فيما يجرى ، فمن كان سينصت إليهم ؟ والنتيجة هى فصلهم وطردهم ولن يتغير شىء " .

أخذ ميتش رشفة من كوب المياه المعدنية وقال : أنت على حق ، فلم يكن سيتغير شىء ـ ولم يتغير شىء بالفعل ، لقد كتبت المزيد ـ أنصتوا " .

وضع نظارته جانبا ، ثم قلب الصفحة التالية وأكمل : " وصباح اليوم قدمت امرأة إلى منزل هاربر ، لقد كانت شاحبة ، نحيفة للغاية ، وكانت عيناها لا تفصحان فقط عن حزن ويأس وإنما كنت تشعرين فيهما بعدم التعقل

والاتزان . دانبى ـ قال ميتش موضحاً إن هذا هو اسم كبير الخدم فى ذلك الوقت ـ اعتقد أنها تبحث عن عمل ولكنها اندفعت من الباب الأمامى ـ وكانت هناك شراسة فى تصرفها وقالت إنها جاءت من أجل الطفل الوليد ـ طفلها ـ ابنها الذى كانت تلقبه بجيمس وقالت إنها قد سمعته يبكى لأنه يريدها ـ يريد أمه ، ولكن لم يكن أحد يسمع بكاء الطفل فى الردهة لأنه كان موجوداً فى حجرة نومه بعيداً ولم أستطع إخراجها من المنزل لأنها كانت تندفع فى شراسة نحو الدرج تنادى على طفلها ، ولم أدر كيف أتعامل معها ولكن ظهرت السيدة بياتريس وأمرتنى بأن أصعد بالمرأة إلى غرفة الجلوس الخاصة بها ، كانت هذه المرأة الضعيفة ترتعد وأنا أصحبها إلى أعلى ، وأمرتنى السيدة ألا أحضر أى نوع من الطعام أو الشراب لها ، وفعلت بعد ذلك ما كان على ألا أفعله ، والذى لم أفعله طوال سنوات عملى السابقة ، لقد أخذت أستمع خلسة للحديث الذى دار بينهما من خلف الباب " .

كان صوت ستيلا يعبر عن الشفقة والرثاء وهى تضع يدها على كتف هيلى وتقول : " لهذا السبب جاءت إلى المنزل ـ من أجل طفلها ، يا لإميليا المسكينة " .

أكمل : " لقد سمعت الكلمات القاسية التى وجهتها سيدتى لهذه المرأة التعسة ، وسمعت الكلمات القاسية التى قالتها بشأن الطفل ، وتمنت موته يا لوسى يرحمنا الله ، فقد تمنت موته هو وهذه السيدة التى كانت تدعى إميليا كونور والتى طلبت منها أن تسترد طفلها ، ولكنها رفضت طلبها ، بل وأخذت تهددها وطردتها من المنزل وقد علمت الآن بأن السيد قد أنجب طفله هذا ـ الصبى الذى كان يطوق

ويتطلع إليه ـ من هذه المرأة المسكينة ، ثم انتزعه منها عنوة وأعطاه لزوجته رغماً عنها لتقوم بتربيته كوريث له ، ولقد فهمت من خلال الحديث الذى دار بينهما بأن الطبيب والمربية اللذين حضرا ولادة الطفل قد أخبراها بأن المولود ـ وهى طفلة ، قد ولدت ميتة " .

" إننى أعلم أن " السيد هاربر " شخص حاسم فى قراراته ، بارد فى أعماله وفى علاقاته الشخصية ، فلم ألاحظ وجود أى عاطفة بينه وبين زوجته أو أى مشاعر نحو بناته ولكن مع هذا ، فإننى لا أستطيع تصديق إقدامه على تصرف بهذه البشاعة ، ولا أستطيع تصديق تورط زوجته وتواطئها معه فى هذا ، وقد أمرت بطرد السيدة إميليا بفستانها الرمادى الرث وعينيها الزائغتين ولقد تم تهديدها بإبلاغ الشرطة إذا عادت مرة أخرى أو تحدثت عما دار بينهما فى هذه الغرفة ، ولقد أديت ما أمرتنى به السيدة بياتريس وقمت بإخراجها من المنزل ، وشاهدتها وهى تبتعد بعربتها ، ومنذ ذلك الحين لم أشعر براحة قط " .

إننى أشعر بأنه يجب على أن أساعدها ولكن ماذا عساى أن أفعل ؟ أليس من تعاليم دينى أن أمد يد العون لهذه المرأة ؟ ولكن واجبى نحو وظيفتى وأصحاب المنزل الذين يوفرون لى السكن والطعام والأموال يحتم علىّ أن أصمت ، وأن أتذكر مكانتى جيداً فى هذا المنزل .

" سأدعو الله أن يلهمنى الصواب ، وسأدعو لهذه المرأة المسكينة التى جاءت من أجل أن تسترد مولودها ، ثم انتهى الموضوع عند هذا الحد " .

وضع ميتش الأوراق جانباً ، وساد الصمت المطبق .

انهمرت الدموع على وجنتى هيلى وحنت رأسها أثناء قراءة ميتش لآخر صفحة .

ولكنها رفعت رأسها الآن ولاحت ابتسامة فى عينيها التى تتلألأ بالدموع وقالت :

" ولكنى عدت إلى المنزل مرة أخرى " .

الفصل السابع عشر

" هيلى " .

خطا ميتش خطوة للأمام ، وذلك عندما هب هاربر من مكانه وقال له : " لا تفعل شيئًا ، انتظر " .

كررت هيلى عبارتها السابقة وقالت : " لقد عدت إلى المنزل مرة أخرى لأسترد طفلى وحقى " .

قال ميتش : " ولكنك لم تستطيعى الوصول إلى الطفل " .

رفعت هيلى ذراعها وقالت : " أحقا لم أفعل ؟ ألم آت إلى هنا ؟ ألم أره ؟ ألم أغن له حتى ينام ليلة بعد ليلة ؟ ولم أفعل ذلك مع الآخرين الذين أتوا من بعده ؟ إنهم لم يستطيعوا التخلص منى " .

" ولكن ذلك ليس كافياً الآن " .

" إننى أريد ما هو ملكى - حقى - إننى أريد ... " ، ثم جالت ببصرها حول الحجرة وقالت : " أين الأطفال ؟ أين ذهبوا ؟ " .

تحدثت روز بهدوء وقالت : " بالخارج ، يلعبون بالخارج " .

قالت هيلى بصوت حالم : " إننى أحب الأطفال ، من كان يتخيل ؟ هؤلاء المخلوقات الأنانية ، الفوضوية ولكنهم لطفاء ، ناعمون ، إننى أحبهم بشدة عندما يكونون نيامًا ، لقد كنت أريد أن أريه العالم ، جيمس ابنى الصغير ثم اندفعت تقول فى غضب شديد : " أتتخيلون أننى أبغى إشفاقها علىّ ، مديرة المنزل هذه ؟ خادمة ؟ أتعتقدون أننى أنتظر تعاطفها وشفقتها ؟ فاللعنة عليها وعلى الآخرين ، كان يجب أن أقتلهم أثناء نومهم " .

" ولماذا لم تفعلى ؟ " .

حولت بصرها نحو هاربر وقالت : " هناك وسائل أخرى للانتقام ، إنك وسيم للغاية . إنك تشبهه كثيرا " .

" إننى لست مثل ريجنالد ، بل أنا حفيدك ، حفيد أحفادك "

زاغت عيناها وأخذت أصابعها تحك ساقيها بقوة وهى تقول : " جيمس ؟ جيمس صغيرى ؟ لقد شاهدتك ، لقد كنت طفلا لطيفا . طفلا صغيرًا جميلا . لقد كنت آتى إليك " .

قال هاربر : " إننى أتذكر ذلك جيداً . ماذا تريدين ؟ " .

" أن تعثر علىّ ، إنى ضائعة " .

" ماذا حدث لك ؟ " .

" أنت تعرف جيداً ما حدث لى ! أنت الذى فعلتها ، إنك ملعون من أجل ما فعلت ، سأظل ألعنك إلى الأبد ، وسأحصل على طفلى ، تراجعت رأس هيلى للخلف وأمسكت ببطنها قبل أن يرتعد جسدها وتقول : " يا إلهى " ، ثم تنهدت بصوت مسموع .

أمسك هاربر بيدها وجثا أمامها وقال : " هيلى " كانت عيناها زائغتين ووجهها أبيض كالقطعة الناصعة البياض " .

" إننى أريد بعض الماء " .

رفع يدها لأعلى ووضع وجهه بين يديها وقال : " لا يمكنك الاستمرار فى ذلك " .

قالت لديفيد الذى مد يده لها بالماء : " أشكرك " ثم أخذت ترتشف من الماء كما لو أنها كانت ستموت عطشاً : " قلق ، ضيق ، حزن ثم ضيق مرة أخرى كل هذه الانفعالات ـ فلقد تأثرت بالخطاب بشدة ، لقد تأثرت أنا أيضاً بهذا الخطاب " .

استدارت نحو ميتش وكانت لا تزال يدها ممسكة بيد هاربر وقالت : " لقد شعرت بالأسف والرثاء نحوها وكذلك نحو مديرة المنزل ، أتدرون ، إنه نفس الشعور الذى يعترى المرء حينما يقرأ كتاباً . المنزل ، الناس ، فلقد كنت أتخيل شعورى إذا ما انتزع أحدهم ابنتى ليلى ولم أستطع استردادها ، بالطبع فإن أول شىء كنت سأفعله هو قتل بياتريس . هذه المخلوقة القاسية وأعتقد أننى انفعلت بشدة مع الأحداث إذا بها تسللت داخلى عند هذه النقطة " .

أحكمت قبضتها على يد هاربر وقالت : " لقد كانت مشاعرها نحوك غير سوية أو طبيعية بالمرة ولكنها تذكرتك

وأنت طفل رضيع وكذلك وأنت صبى ، إنها تشعر نحوك بالحب لأنك من نسلها ولكنك من نسله أيضاً وأنت تشبهه إلى حد كبير أو على الأقل هذا ما بدا لى ، إنه أمر مربك ومحير " .

قال لها هاربر : " إنك أقوى منها " .

" إننى لم أفقد عقلى مثلها على الأقل " .

وضع ميتش جهاز التسجيل جانباً وقال : " لقد أبليت بلاءً عظيماً وأعتقد أنك قد مررت بالكثير اليوم " .

ارتسمت على وجهها ابتسامة وهى تتجول ببصرها عبر الحجرة وقالت : " لقد كان يوماً طويلا ، هل عنفتكم جميعاً ؟ " .

قالت ستيلا مقترحة " : " تقريباً ، أنصتى لماذا لا تصعدين إلى أعلى وتأخذين قسطاً من الراحة ـ لوجان هل تذهب إلى الخارج لتطمئن على الأولاد ، ما رأيك ؟ " .

اتجه لوجان أولاً نحو هيلى وأخذ يربت على رأسها وهو يقول : " بالطبع ، هيا يا جميلة ، عليك أخذ قسط من الراحة " .

" أعتقد أنى سأفعل ، أشكرك " ، قام هاربر وأمسك بيدها حتى تستطيع النهوض : " إننى لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونكم " .

انتظرت روز حتى خرجوا جميعاً من الغرفة : " إن هذا عبء كبير عليها ، إننى لم أرها متعبة بهذا الشكل من قبل ، إن هيلى مفعمة بالطاقة طوال الوقت ، يا إلهى إننى أشعر بالتعب ، وأنا أراها هكذا " .

اتجه لوجان نحو الباب وفتحه وهو يقول : " علينا أن ننتهى من هذا " ، وأردف وهو يفتح الباب : " وبسرعة " .

لوحت ستيلا بيدها وهى تقول : " ماذا يمكننا أن نفعل ؟ إن الانتظار والمراقبة ليسا كافيين ، إننى لا أعرف ماذا يمكن أن يحدث ، ولكن ما أراه أمامى يهز كيانى ويخيفنى " .

هز ميتش رأسه وهو يقول : " يمكننى الذهاب إلى بوسطن ومعاونة فيرونيكا فى البحث فى الأوراق ولكننى سأشعر بالقلق إذا ما تركتكم الآن " .

مدت روز يدها وربتت على يده وقالت : " إن بقاءك معنا يشعرنا بالثقة والأمن والطمأنينة ، إننى أشعر بالقلق أيضاً وأصدقك القول ، إننى بعد ما حدث لا أحبذ أن يقضى ديفيد وقتاً أطول بمفرده فى المنزل " .

صب ديفيد كوباً من المياه الغازية ورفعه فى نخبهم وقال : " إنها لا تزعجنى على الإطلاق وقد يكون ذلك راجعًا إلى أننى لا أمت لها بصلة قرابة ، كما أنى لن أشعر نحوها بأى إثارة لأنها شبح ، وأضف إلى ذلك فإنها ستنظر إلىَّ على أنى خادم - وهذا لن يثير حفيظتها " .

أجابت روز قائلة : " إنها تعرف الكثير ، ولكن هذا منطقى من وجهة نظرها ويجعلنى على الأقل أشعر ببعض الراحة لقد قالت من قبل إنه علينا أن نعثر عليها " .

أكمل ميتش حديثها قائلاً : " قبرها " .

سارت روز وارتشفت من المياه الغازية التى أحضرها ديفيد وقالت : " أعتقد أننا جميعاً نتفق على ذلك ، ولكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك بحق الجحيم ، ونعثر على قبرها ؟ " .

وفى وقت متأخر من الليل ، عندما ساد الهدوء المنزل ، وليلى مستغرقة فى النوم فى مهدها - لم تستطع هيلى أن تستقر أو أن تشعر بالهدوء وقالت : " فى دقيقة أشعر كأنى سأهوى وفى الدقيقة التى تليها أشعر بالانتعاش والطاقة ، لابد أننى مصدر إزعاج وضيق " .

رسم هاربر ابتسامة على وجهه وجذبها لتجلس بجواره على الأريكة وقال : " ها قد ذكرك ذلك بذاتك ، لماذا لا نجلس ونشاهد المباراة ، وسوف أذهب إلى المطبخ لأعد لك بعض الطعام " .

" هل تريد منى أن أجلس وأشاهد مباراة البيسبول ؟ " .

" أعتقد أن البيسبول سيروق لك " .

" نعم ، ولكن ليس لدرجة أن أجلس لفترة طويلة أمام التلفاز لأشاهده " .

تنهد تنهيدة طويلة فيها شىء من الافتعال وقال : " سأضحى تضحية كبيرة من أجلك ، يمكننا مشاهدة أحد الأفلام عن طريق مشغل الأقراص الرقمية DVD ، حتى لو كان دون المستوى " ، تراجعت بظهرها للوراء وهىَ تقول : " حقاً ؟ " .

" ولكن عليك إعداد الفيشار " .

" أتعنى أنك ستجلس هنا لتشاهد هذا الفيلم الملىء بالفتيات دون أن تقوم بإلقاء التعليقات والآراء ؟ " .

" إننى لا أوافق على الشق الثانى من الجملة " .

" أنت تعلم أنى أحب أفلام الحركة " .

" أوه ، يروقنى رأيك واقتراحك " .

" ولكنى الآن أود مشاهدة فيلم رومانسى ، يحتوى على مشاهد جيدة تبعث على البكاء ، ثم طبعت قبلة على

www.dvd4arab.com

جبينه ، وأردفت قائلة : " سأضع الزبد على الفيشار " ، ثم توقفت عند باب الحجرة ونظرت إليه بوجه مشرق وقالت : " إننى أشعر بتحسن " .

إنها لم تمر من قبل فى حياتها بهذا التارجح الشديد فى حالتها المزاجية ، من الطاقة والنشاط والحيوية إلى الشعور فجأة بالتعب والإنهاك ، من المرح والسعادة إلى اليأس ، إنها تمر بهذه التقلبات المزاجية الشديدة فى كل يوم - وبجانب هذه التقلبات المزاجية والانتعاش والتدهور يأتى الترقب لما سيحدث بعد ذلك ، ومتى .

وعندما تشعر بهذا التدهور الشديد وهذا التوتر والاكتئاب تحاول جاهدة أن تذكر نفسها بالأشياء الجميلة التى تمتلكها فى حياتها : طفلة جميلة ، رجل رائع يحبها ، أصدقاء ، عائلة ، وظيفة شيقة وممتعة ، ولكن على الرغم من ذلك عندما يبدأ هذا التدهور فى حالتها المزاجية ، فإنها لا تستطيع السيطرة عليه بسهولة .

انتابها القلق من أن يكون قد أصاب جسدها شىء . اختلال كيميائى أو ورم فى المخ أو قد تكون على شفا الجنون مثل إميليا .

ومع شعورها بالإنهاك والتعب ، قررت الذهاب إلى متجر " والمارت " فى الصباح وذلك لتبتاع بعض الحفاضات والمستحضرات لغسيل الشعر وبعض الاحتياجات الأساسية ، لقد حمدت الله على أنها استطاعت أن تختطف هذا الوقت لتقضيه بمفردها أو على الأصح مع ليلى بمفردهما ، حيث تضع ابنتها فى سلة التسوق .

فلن يشعر أى فرد فى المنزل بأنه عليه مراقبتها وذلك خلال الوقت الذى تقضيه بعيداً عن منزل هاربر أو عن عملها فمراقبتها هى كل ما يفعلون ، مثل الصقور .

إنها تفهم سبب ذلك ، والله يعلم أنها تقدر لهم اهتمامهم ورعايتهم ، ولكن هذا لا ينفى شعورها بالاختناق والضيق - فإنها لا تكاد تفعل أى شىء ولو كان بسيطاً إلا لوجدت من يظهر فجأة من خلفها ليعاونها .

أخذت تتجول بين الممرات وتلتقط ما تحتاج إليه وتضعه فى السلة ، ثم اتجهت بعد ذلك إلى قسم أدوات التجميل واعتقدت أن ابتياع طلاء شفاه جديد ربما يضفى عليها بعض البهجة ولكن الألوان كانت إما داكنة أو باهتة - جريئة بشدة أو فاتحة لم يكن هناك أى لون يناسبها .

إن وجهها يبدو شاحباً وذابلا بشدة هذه الأيام وقررت أنها إذا ما صبغت شفتيها بلون زاهٍ ، فستبدو شفتاها فى غاية الضخامة وتبرزان كأنهما تتقدمانها .

ربما تجرب عطراً جديداً ولكن كل الروائح التى جربتها جعلتها تشعر قليلاً بالغثيان .

فغمغمت لنفسها : " لنطرح هذه الفكرة جانباً ، ثم ألقت نظرة للخلف على ليلى التى كانت تحاول مد يدها نحو مجموعة من أقلام العيون وطلاء الرموش .

التقطت زجاجة من طلاء الرموش لنفسها وألقت بها فى سلة التسوق وهى تقول لابنتها : " ليس الآن يا سيدتى الصغيرة ، وسوف ترين فيما بعد أن هناك مزايا عديدة لكونك فتاة ، يبدو أنك لست مهيأة لوضعها الآن ، والآن هيا لنحضر الحفاضات ، وإذا كنت فتاة طيبة سأبتاع لك كتاباً ذا صور زاهية " .

وذهبت إلى ممر آخر وكانت لا ترغب فى مغادرة المتجر ، لأنها بمجرد أن تفعل ، سيكون عليها أن تصطحب ليلى إلى جليسة الأطفال . ثم بعد ذلك تذهب إلى العمل ، حيث سيلازمها أحدهم كظلها طوال الوقت ولا تستطيع أن تلتفت يميناً ويساراً .

كانت تريد أن تمارس حياتها العادية بشكل طبيعى ، وكانت تريد أن تشعر بأنها تفعل شيئاً . أى شىء وبنظرة شاردة نحو الجهة اليمنى تسمرت فى مكانها .

فقد انتابها شعور بالغثيان والذعر فى ذات الوقت مع إدراكها لشيء ينبض فى أحشائها وظل هذا الشعور يتزايد فى حين كانت الأفكار تزدحم فى عقلها .

وعندما شعرت هيلى بأن قلبها يغوص فى قدميها أغلقت عينيها ، ثم فتحتهما ثانية ونظرت نحو وجه ليلى المشرق ، ثم ذهبت وابتاعت تحليل حمل منزلى .

قامت بتوصيل ليلى ، وظلت محتفظة بابتسامتها وهى تودعها حتى وصلت إلى باب السيارة ، وحاولت ألا تفكر فى أى شىء أو تتوقع أى شىء وهى فى طريقها إلى المنزل ، فلن تفكر فى شىء ولن تخمن شيئاً ، فكل ما ستفعله أن تذهب للمنزل وتجرى الاختبار . مرتين وعندما تأتى النتيجة سلبية وهى بالطبع ستكون كذلك ستقوم بإخفاء عبوة الاختبار حتى تتخلص منها فيما بعد دون أن يعرف أحد بأن هناك شيئاً قد أصابها بالذعر بأنها حامل مرة أخرى .

قطعاً لا يمكن أن تكون كذلك هذا مستحيل .

ركنت سيارتها وتأكدت من أن العبوة فى قاع الحقيبة ومخبأة بعناية ، ولكنها تراجعت خطوتين عند باب المنزل وذلك عندما ظهر ديفيد فجأة أمامها وكأنه مارد .

" مرحبا يا عزيزتى ، هل ترغبين فى أن أحمل عنك شيئاً ؟ " .

تشبثت يدها بالحقيبة وكأنها قطعة من الذهب وقالت : " لا " ثم قالت بصوت أكثر هدوءاً : " لا ، إننى سأضع هذه الأشياء بأعلى ، وسأذهب إلى دورة المياه إذا لم يكن لديك مانع " .

" لا ، ليس لدىّ مانع على الإطلاق " .

أدركت أنها تحدثه بلهجة غير لائقة فوضعت يدها على وجهها وقالت : " إننى آسفة ، إننى لست على ما يرام " .

أخرج من جيبه بعض الحلوى بنكهة التوت وقالت : " لا عليك ، ولكنّ هناك شيئًا آخر أود قوله ، افتحى يديك " .

فابتسمت وأطاعته .

قال وهو يلوك قطعة الحلوى فى فمه : " سنرى إذا كانت هذه الحلوى ستحسن من حالتك المزاجية ، إننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من القلق عليك يا عزيزتى " .

" إننى أعلم ذلك ، إذا لم أعد خلال دقائق ، فإنه يمكنك استدعاء فرقة جيش بأكملها . اتفقنا ؟ " .

" اتفقنا " .

أسرعت إلى أعلى ، ثم أفرغت محتويات العلبة على فراشها - يا إلهى - لقد نسيت الحفاضات ، يا للعنة ، انتزعت اختبار الحمل وهرعت نحو الحمام .

www.rewity.com

شعرت بأنها لن تستطيع التبول ، هل هذا نصيبها ؟ حاولت أن تجبر نفسها على الهدوء وأخذت عدة أنفاس عميقة متتالية ، وتمتمت ببعض الأدعية .

وبعد مرور دقائق ، كان لا يزال مذاق الحلوى فى فمها وهى تحدق إلى اللوحة البلاستيكية المكتوب عليها بشكل واضح كضوء الشمس " حامل " .

قبضت على اللوحة البلاستيكية وهزت رأسها وهى تقول : " لا " ، كما لو كانت ميزان حرارة وكأن ذلك سيعيد الأمور إلى نصابها الطبيعى وأنه لا يوجد حمل نظرت إلى نفسها باحتقار ووضعت يدها على بطنها وهى تقول : " لا ، لا ، لا ! ما هذا ؟ ماذا تكونين ؟ " .

جلست على حافة حوض الاستحمام وكانت تشعر بضيق شديد ودفنت وجهها بين يديها .

على الرغم من أنها كانت تود لو كان بمقدورها أن تختبئ فى الخزانة أسفل الحوض وتتكور هكذا فى الظلام وتظل فى هذا الوضع للشهور التسعة القادمة ولكن لم يكن هناك وقت للانغماس فى الحزن والاكتئاب والرثاء ، أخذت تغسل وجهها بالمياه الباردة لتزيل آثار البكاء .

أخذت تعنف نفسها بقسوة وتقول : " نعم ، معك حق ، إن البكاء سيغير من الواقع ، وسيجعل الأمور مختلفة ، وعندما تنظرين إلى هذا الاختبار اللعين مرة أخرى فسترين عبارة : لا يوجد حمل ، هيلى أنت لست بحامل ، فكل ما تحتاجين إليه هو أن تتقيئى لمدة عشر دقائق أيتها الحمقاء الغبية " .

أخذت تمسح بيدها شلال الدموع الذى تساقط على وجنتيها ونظرت لنفسها فى المرآة وقالت : " ها أنت تجنين ثمار ما غرسته ، ولتتحملى عواقب ما فعلت " .

ساعدتها بعض مساحيق التجميل على إزالة آثار البكاء ، وساعدتها بصورة أكبر النظارة الشمسية التى أخرجتها من حقيبة يدها .

وأخذت تخفى الصندوق الذى يحتوى على اختبار الحمل فى قاع خزانة ملابسها الداخلية تماما مثلما يفعل المدمنون لإخفاء المخدرات وعندما غادرت الغرفة ، كان ديفيد فى منتصف درجات السلم .

" كنت على وشك أن أنادى عليك بمكبر الصوت " .

حدقت إليه وقالت : " ماذا ؟ " .

" كنت سأستدعى فرقة الجيش يا عزيزتى ، لقد تأخرت لأكثر من خمس عشرة دقيقة " .

" آسفة ... لقد كنت ... آسفة " .

كان على وشك الابتسام ولكنه لم يفعل ، ثم هز رأسه وقال : " لا ، إننى لن أتظاهر بأنى لا أعرف بأنك كنت تبكين ، ما الخطب ؟ " .

قالت : " لا أستطيع " ، وكان صوتها يرتجف حتى وهى تتفوه بهاتين الكلمتين ، ثم أردفت قائلة : " سأتأخر عن العمل " .

أمسكها من يدها وأخذ يجذبها حتى جلست بجواره على درجات السلم وهو يقول : " إن الحياة لن تتوقف بأى حال من الأحوال إذا لم تذهبى للعمل ، إن عليك أن تجلسى الآن هنا فى مكتبى ، ثم تفضى للعم ديفيد بمشكلاتك " .

قالت : " إننى ليس لدىّ مشكلة ، بل أنا فى ورطة " ، لم تكن تقصد أن تخبره ، أو تخبر أى فرد ، حتى تأخذ الوقت الكافى للتفكير ، أن تغيب وتختفى عن الأعين لأيام قلائل ، ولكنه طوقها بذراعيه فى حنان ، فقفزت الكلمات من شفتيها .

" أنا حامل " .

أخذ يربت على ذراعها وقال : " آه ، إن هذا شىء لا تستطيع أن تفعله رقائق الشيكولاتة السرية التى أعدها " .

أدارت رأسها ، وألصقت وجهها فى كتفه وقالت : " ماذا دهانى ، لقد أصبحت رمزا للخصوبة يا ديفيد ، ماذا سأفعل ؟ ساعدنى يا ديفيد ماذا أفعل ؟ " .

" تفعلين ما هو صواب ، ولكن هل أنت واثقة مما تقولين ؟ مدت يدها فى حقيبتها وأخرجت اللوحة البلاستيكية الخاصة باختبار الحمل وقالت : " انظر إلى المكتوب بهذه اللوحة ؟ "

قال : " ممم ؟ نعم النتيجة مؤكدة " ، ثم أمسك ذقنها برقة وقال : " ما شعورك يا عزيزتى ؟ " .

" أشعر بالغثيان ، بالفزع ، بالغباء . نعم بالغباء الشديد ، لقد كنا نحتاط لذلك ، فنحن لسنا بمراهقين طائشين ، ولكن العيب بى ، لا أدرى ماذا دهانى " .

انفجر ضاحكا ثم ربت ثانية على كتفها وقال : " آسف ، أعلم أن هذا ليس وقتا مناسبا للضحك ، ولكن دعينا نتناول الأمر بهدوء وننظر إلى الجانب الإيجابى للموضوع ، فإنك تحبين هاربر " .

" بالطبع أحبه ولكن " .

" إنه أيضا يحبك " .

" نعم ، ولكن ـ أوه يا ديفيد ، نحن فى بداية علاقتنا ، فى بداية حبنا ، واقترابنا من بعضنا البعض ، نعم كنت أتخيل . ما الذى يمكن أن تؤدى إليه علاقتنا أو مستقبلنا معا ، إننا لم نخطط معا لمستقبلنا على المدى البعيد ، لم نفكر فى ذلك ، ولم نتحدث عنه معًا " .

" ولهذا فمن الأفضل أن تناقشا الأمر الآن يا عزيزتى " .

" إن أى رجل فى العالم سيشعر بأنه قد نصب له فخ ، وذلك عندما تأتى له امرأة وتقول له إنها حامل منه " .

" هل تنوين أن تتحملى عبء ذلك وحدك ؟ " .

" ليس هذا هو لب الموضوع " .

تراجع للخلف وأزاح نظارتها الشمس حتى يستطيع أن ينظر مباشرة إلى عينيها وقال : " هيلى هذا هو بالفعل لب الموضوع ، فيما يخص أمر ليلى ، فقد فعلت ما هو صواب بالنسبة لك ، وما هو صواب بالنسبة لأبيها وكذلك بالنسبة للطفلة ـ وأنا أعتقد فى رأيى أنه عليك أن تتصرفى بشجاعة مرة ثانية ، عليك بالقيام بما هو فى مصلحة الجميع ، فعليك أن تخبرى هاربر بالأمر " .

" لا أدرى كيف سأخبره ، إننى أشعر بالغثيان كلما فكرت فى ذلك " .

" إذن ، فأنت تحبينه ، ولكنك لن تمدحيه لكون شخصيته هكذا " .

" إننى كذلك بالفعل ، وتلك هى المشكلة " ، ثم أخذت تحدق إلى اللوحة البلاستيكية وبدت الكلمة المطبوعة عليها تصرخ فى عقلها : " إنه سيواجه المسألة ولن يهرب منها ولكن كيف لى أن أعرف إذا ما كان سيفعل ذلك بسبب حبه لى أم بسبب شعوره بالمسئولية ؟ " .

www.rewity.com

انحنى ديفيد وطبع قبلة على جبينها وقال : " لأنك ستفعلين " .

لقد بدا ما فكرت فيه منطقياً ، لقد كان تفكيراً عاقلاً ، رشيداً ولكن على الرغم من ذلك لم يضف سهولة ويسرًا على ما ستقوم به الآن .

لقد تمنت أن تؤجل ما ستفعله ولو لأيام قلائل أو تتظاهر بأنه لم يحدث ولكن كان ذلك تفكيراً طفوليا وأنانيا .

وعندما بلغت المشتل انسلت إلى إحدى دورات المياه وذلك لتجرى اختبار الحمل مرة ثانية ، تجرعت تقريباً جالوناً كاملاً من المياه ، وقد فتحت الصنبور عن آخره ، ثم شرعت تدعو ألا تكون النتيجة إيجابية ولكنها أخبرت نفسها ألا تكون حمقاء .

ثم شرعت تقرأ النتيجة بعينين نصف مفتوحتين .

ولكن ذلك لم يغير من النتيجة .

أخذت تحدث نفسها بأنها مازالت حاملاً ، ولكن ليس هناك بكاء هذه المرة ، ولا لعنات ، ولكنها ببساطة وضعت اللوحة البلاستيكية فى جيبها وفتحت الباب ، وأخذت تهيئ نفسها لما ستفعله بعد ذلك ، ما الخطوة التالية ، يجب عليها أن تخبر هاربر .

لماذا ؟ لماذا يجب أن يعرف ؟ يمكنها أن تهرب الآن ، تحزم حقائبها وتهرب ، فالطفل ابنها هى - ملكها هى .

لقد كان ثريا ، وذا نفوذ ، وسوف يأخذ الطفل ويُلقى بها هى فى الشارع ، سينتزع ابنها منها ، وسوف يستغلها كوعاء فقط وذلك من أجل الاحتفاظ بمجد عائلة هاربر واسمها ، ثم يحصد ويهرب بما زرعه فيها ، إنه ليس له

أى حق فى أن ينتزع ما هو ملكها ، ملكها هى فقط ، ليس له حق فيما تحمله فى أحشائها .

" هيلى ؟ " .

انتفضت كما لو كانت لصاً ثم نظرت نحو ستيلا وقالت : " ماذا ؟ " .

كانت تقف بين نباتات الظل ، تُحيطها الخضرة من كل جانب ، وكانت تبعد عدة ياردات عن غرفة الاستراحة .

كم من الوقت مضى وهى تقف هكذا ، تدور فى رأسها أفكار ليست بأفكارها ؟ .

" هل أنت بخير ؟ " .

أخذت نفساً عميقاً وهى تقول : " إننى لست على ما يرام ، إننى آسفة لتأخرى " .

" لا بأس " .

" إننى سأعوض هذا الوقت ، ولكنى بحاجة الآن ... بحاجة إلى أن أتحدث مع هاربر " .

" إننى بحاجة إلى أن أتحدث معه قبل أن أبدأ عملى " .

" إنه عند معمل التطعيم ، لقد سأل عنك منذ فترة ، هيلى إننى أتمنى أن تخبرينى بما يقلقك " .

قالت قبل أن تفقد أعصابها أو عقلها على الأرجح : " إننى أريد أن أتحدث إلى هاربر أولاً " .

أسرعت مبتعدة ، وأخذت تسير فى عجالة بين المناضد الموضوع عليها النباتات ، وعبر الطريق الأسفلتى ، ومرت بالبيوت الزجاجية ، لقد لاحظت أن العمل على أشده فى المعمل وذلك بعد انخفاض حرارة الصيف قليلاً ، فلقد انخفضت درجات الحرارة قليلاً مما جعل الناس يفكرون فى

اقتناء نباتات فصل الخريف ، ولقد عاد أولاد ستيلا إلى المدرسة ، إن الأيام تمر سريعاً .

إن العالم لم يتوقف لأنها تمر بأزمة .

وقفت خارج معمل التطعيم فى تردد ، ولقد أدهشتها حقيقة أن عقلها الذى كان مكتظاً بالأفكار أصبح خاوياً منها تماماً الآن .

وقررت أن هناك شيئاً واحداً فقط عليها عمله ، وهو الدخول إلى معمل التطعيم الآن .

كان المعمل دافئاً والموسيقى تنبعث من بين أرجائه ، إنه يتناسب تماماً مع شخصيته ، ولقد كان مليئاً بالنباتات فى مختلف مراحل النمو ، تنبعث رائحتها وتملأ أرجاء المكان .

إنها لم تكن تعرف نوع الموسيقى التى تنبعث فى أرجاء المكان ، ولكن كان هناك عزف بآلات الناى والقيثارة ، ولكنها كانت تعلم أنها ليست الموسيقى التى يستمع إليها من خلال سماعات الرأس .

كان ينحنى عند نهاية الحجرة ، وشعرت بأن المسافة التى تقطعها ناحيته هى أطول مسافة تخطوها فى حياتها ، لقد بدت لها طويلة حتى عندما استدار ولمحها وارتسمت ابتسامة مشرقة على وجهه .

لوح لها بإحدى يديه لتأتى نحوه ، وأزاح سماعات الرأس باليد الأخرى وقال : " مرحباً ، لقد كنت أريد أن أراك الآن ، هيا ألقى نظرة " .

" على ماذا ؟ " .

" أطفالنا " .

وعندما حول بصره فى اتجاه النباتات ، لم يلاحظها عندما ارتعدت ثم أردف قائلاً : " تماماً كما توقعنا ، إنها تنمو بحسب الجدول ، انظرى ، لقد تضخمت المبايض " .

غمغمت قائلة : " يبدو أنها ليست وحدها " . ثم تقدمت إلى الأمام لتقف بجواره وتتفحص النباتات التى قاما بتهجينها منذ أسابيع قليلة " .

" أترين ، لقد تكونت الأغلفة ، وسوف نتركها ثلاثة أو أربعة أسابيع أخرى حتى تنضج البذور ، وسوف ينقسم الجزء العلوى ، ثم نقوم بعد ذلك بجمع البذور ، ونزرعها فى أصص ، ونعرضها للهواء بالخارج ولسوف تنبت فى الربيع ، وعندما يصل ارتفاعها إلى ثلاث بوصات ، نقوم بزرعها فى أحواض الزرع الموجودة بالمشتل " .

قالت تحدث نفسها : " إن التحدث عن موضوع مشترك بينهما ، لم يكن تسويفاً من جانبها . ولكنه كان من أصول الذوق والأدب ـ ولكن ماذا بعد ؟ " .

استطرد قائلاً : " تتفتح الزهور عادة فى الموسم الثانى ، ثم نقوم بعد ذلك بدراسة وتسجيل الفروق ، أوجه التشابه ، السمات ، ونحن نأمل فى الحصول على واحدة على الأقل ـ وأنا آمل فى المزيد ـ زهور صغيرة ذات لون وردى قاتم ومصبوغة بالحمرة سنحصل على ما نريد ، سنحصل على زنبقة هيلى .

" وماذا إذا لم يحدث ذلك ، ولم نحصل عليها " .

" إن الاحتمالات ليست صديقة البستانى ، ولكن إذا لم نحصل على الزهرة التى نريدها ، فسوف نحاول ثانية ، على أية حال ، أعتقد أنك ترغبين فى العمل معى لإعداد زهرة من أجل أمى " .

" أوه ، ممم ... " ، إذا كانت المولودة طفلة ، فهل سيطلقان عليها اسم روز ؟ هكذا فكرت فى نفسها ثم أردفت قائلة : " هذا شىء لطيف من جانبك يا هاربر " .

" إنها فكرة ميتش ، ولكنه لا يستطيع حتى غرس نبات بسيط مثل " الشيابيت " إنه يريد أن يُجرب زراعة وردة سوداء ـ لم يجرب أحد من قبل زراعة وردة سوداء ولكننى أعتقد أنه يمكننا أن نحاول ونرى ماذا ستكون نتيجة ذلك ، إنه الوقت المناسب الآن لكى نقوم بتنظيف وتعقيم وتهوية وتجفيف المكان إن التنظيف والتعقيم مسألة مهمة جداً فى زراعة النباتات والزهور بطبيعتها رقيقة وحساسة وتحتاج دائماً للتنظيف والتعقيم ، إن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً ولكنه عمل ممتع " .

حدثت نفسها بأن الإثارة والاهتمام باديان على وجهه لأنه سيبدأ فى عمل شىء جديد ، وتساءلت ماذا سيكون شعوره عندما يعلم أنهما فى انتظار حدوث شىء جديد بالفعل ؟

استطرد قائلاً : " مم ، وعندما تفعلين ذلك ، تقومين باختيار الوالدين ـ النبات الذى يحتوى على حبوب اللقاح ، والنبات الذى يحتوى على البذور ، أى اختيار متعمد حتى تحصلى على صفات وسمات نباتية بعينها " .

عندما تندمج عيناها الزرقاوان مع عينيه العسليتين ، جَلَده وصبره ، اندفاعها ، يا ترى ما الطفل الذى سيحصلون عليه ؟

" نعم ، فأنت تحاول أن تدمجهما معًا وذلك لكى تحصل على أفضل النتائج ـ أو على الأقل الصفات التى ترغبها من كل نبات يتم تهجينه " .

نعم حالته المزاجية ، عنادها يا إلهى قالت : " إن ذلك لا ينطبق على البشر " .

استدار نحو جهاز الحاسوب وشرع فى إدخال بعض البيانات وقال : " ممم ، لا أعتقد ذلك " .

" إن البشر عادة لا يخططون لأطفالهم بهذا الشكل ، فهم لا يتفقون ويقولون هيا دعنا ننجب أطفالاً ذوى صفات معينة " .

ثم أردفت قائلة : " على أية حال ، إن التهجين هو المزج بين شيئين لصنع شىء جديد ، شىء منفصل ، وليس مجرد لهو أو متعة " .

" ممم ، هل أريتك " ألويبرنوم " من قبل ؟ لقد كان نبات المعيقة يمثل مشكلة ، ولكنى سعيد الآن بنموه " .

كادت الدموع تنسال على وجنتيها مرة أخرى وهى تقول : " هاربر ، هاربر إننى آسفة " .

قال دون وعى : " إنها ليست بمشكلة كبيرة وأنا أعرف تماماً كيفية التعامل مع نبات مثله " .

" أنا حامل " .

لقد تفوهت بها ، بسرعة وفى وضوح ، تماماً كإزالة الضمادة من فوق جرح ما .

توقف عن نقر الكلمات فوق لوحة المفاتيح ودار بمقعده ببطء وقال : " ماذا قلت ؟ " .

لم تكن لتفهم التعبيرات التى ارتسمت على وجهه ، فقد يكون ذلك بسبب الغشاوة التى على عينيها وعدم وضوح الرؤية لها بسبب ما تعانيه من مشاعر وأحاسيس ، ولم تستطع أيضاً أن تدرك رنة صوته وذلك بسبب الصدى الذى يتردد فى أذنيها .

www.rewity.com

" لقد كان ينبغى أن أعلم ، لقد كان ينبغى أن أدرك ذلك فى حينه ، لقد كنت أشعر بالإرهاق والتعب ، ولكنى قد نسيت تلك العلامات ، لقد كنت أشعر بالغثيان ، وكانت حالتى المزاجية متقلبة ، لقد اعتقدت ، لا لم أعتقد شيئاً على الإطلاق ، لقد تخيلت أن كل هذه الأحاسيس التى تمر بى بسبب وجود إميليا ولم أدرك أن ذلك بسبب الحمل ، إننى آسفة " .

خرجت هذه العبارات من فمها فى غير ترتيب ، وبصورة تلقائية حتى إنها هى ذاتها لم تكن تدرى ماذا تقول ، ثم أطبقت شفتيها ، حينما أمسك بيدها .

" حامل ، لقد قلت إنك حامل " .

" يا إلهى ، هل تريدنى أن أقولها لك حرفاً تلو حرف " ، لم تكن تدرى هل تنفجر فى البكاء أم الغضب ، ثم انتشلت اللوحة البلاستيكية من جنبها والمطبوع عليها نتيجة التحليل : " ها هى ، اقرأها بنفسك : ح ا م ل " .

أخذ اللوحة من يديها ونظر إليها وقال : " انتظرى - متى اكتشفت ذلك ؟ " .

" اليوم ، الآن ، منذ فترة وجيزة ، لقد كنت فى متجر " والمارت " أبتاع بعض الأشياء ، لقد نسيت حفاضات ليلى وابتعت عبوة طلاء رموش ، أى نوع من الأمهات أنا ؟ " .

نهض وأمسك كتفيها وأجلسها على المقعد وقال : " اهدئى ، هل أنت بخير ؟ أعنى هل ما حدث يسبب لك ألماً أو ما شابه ؟ " .

" إنه ليس مؤلماً بالطبع ، أوه يا إلهى " .

أخذ يحك ظهر عنقه بينما كانت يتفرسها إنه يفعل تماماً ما يفعله مع النباتات التى يقوم بزرعها : " إنه شىء جديد بالنسبة لى ، إلى أى مدى أنت حامل ؟ " .

" على مدى طويل " .

" هيلى أرجوك ، إننى أقصد منذ متى وأنت حامل أو ما الذى تطلقينه على مدة الحمل ؟ "

" أعتقد ستة أسابيع ، خمسة أو ستة " .

" إذن ما هو حجمه ؟ " .

مررت يدها خلال شعرها وقالت : " لا أدرى ، أعتقد أنه قد يكون مثل حبة أرز " .

نظر إلى بطنها ووضع يده عليها وقال : " أوه ، ومتى سيبدأ فى التحرك ، متى سيكون فى حجم أصابع اليد أو أصابع القدم ؟ " .

" هاربر ، أرجوك ، هل يمكن التركيز فيما أقول ؟ " .

" إننى لا أدرى أى شىء عن هذا الموضوع ، وأريد أن أعرف ، إنك فى حاجة لزيارة طبيب ، أليس كذلك ؟ " ثم جذبها من يدها وقال : علينا أن نذهب الآن " .

" إننى لست بحاجة للذهاب إلى الطبيب الآن ، هاربر - ماذا سنفعل ؟ " .

" ماذا تعنين بجملة ماذا سنفعل . إننا ننتظر مولوداً ، أوه يا إلهى " ، أمسك بها ورفعها قليلاً حتى كادت قدماها تمسان الأرض ، وكانت هناك ابتسامة مشرقة مرتسمة على وجهه وقال : " إننا سنرزق بطفل " .

اضطرت إلى أن تُحيط كتفيه وتقول : " لست غاضباً ، أليس كذلك ؟ " .

" ولماذا أكون غاضبًا ؟ " .

إنها تشعر بالدوار ؟ وكانت هناك أحاسيس ومشاعر كثيرة تحتاج إليها ، وبأن كيانها كله يهتز " .

" لأن ، لأن " .

أجلسها مرة أخرى ببطء على المقعد ، وكان صوته هذه المرة حذراً وهادئاً وهو يقول : " ألا تريدين الطفل ؟ " .

" لا أدرى ، كيف لى أن أفكر فيما أريده ؟ كيف أستطيع التفكير الآن " .

" إن الحمل يؤثر على موجات المخ ، أوه إنه شىء شيق ومثير " .

" أنا ـــ " .

" لا عليك ، سأفكر أنا نيابة عنك ، يجب أن تذهبى إلى الطبيب حتى نتأكد من أن كل شىء يسير على ما يرام ، ولسوف نتزوج ، ويحلول الربيع نكون قد رزقنا بالطفل " .

" نتزوج ؟ " هاربر ، لقد فاجأتنى " .

على الرغم من أنه اتكأ بظهره للوراء أمام المنضدة ، إلا أنه كان لا يزال يحيطها بذراعيه وقال : " فى عالمى أنا ، حيث السماء الصافية الزرقاء ، فالأفراد الذين يقعون فى حب بعضهم البعض وينتظرون أطفالاً ، عليهم الزواج فوراً ، إن هذه الخطوة كانت مؤجلة قليلاً فى برنامجنا ولكن علينا أن نقوم بها وننتبه لها الآن " .

قالت : وهل كان لدينا برنامج محدد " .

مد يده وأزاح شعرها خلف أذنيها ، ثم جذبها إليه برفق قائلاً : " نعم فقد كنت أرتب لزواجنا ، إننى أريدك وأنت تدركين ذلك ، وأريد الطفل ، ونحن سنفعل ذلك عاجلاً وليس آجلاً ، وهذا ما ستسير عليه الأمور " .

" إذن فأنت تأمرنى بأن أتزوجك " .

لقد كنت أنوى أن أساعدك وأريد أن أفتنك ، وأرتب لك زواجاً رائعاً ، صحيح أننى كنت سأفعل ذلك لاحقاً ، ولكن كما أن الأمور قد تغيرت والحمل يعوق تفكيرك ـ لذا فعلينا أن نتزوج الآن " .

" إذن أنت لست مستاءً " .

صمت للحظة وكأنه يفكر فيما سيقوله بروية : " لا ، إننى لست مستاءً ، قد أكون منزعجاً قليلاً ، أو أشعر بالرهبة ، أوه يا إلهى ، إن ليلى ستسعد بذلك ، سيكون لها أخ أو أخت لتتحكم فيهما ، انتظرى حتى أخبر أخوىّ بأنهما سيصبحان عمّين ، وسأخبر أمى بأنها ستصبح ... " .

أكملت هيلى الجملة قائلة : " جدة " ، وأومأت برأسها وقد غمرتها السعادة لأنها قد رأت بعض أمارات الشك المرتسمة على وجهه ، وقالت : " فى رأيك ، ماذا سيكون شعورها حيال هذا الموضوع ؟ " .

قال : " سأعرف ذلك " .

" ضغطت بيدها على جبينها كما لو كانت تمنع نفسها من التفكير وقالت : " إننى لا أعرف ما شعورى " .

أسقطت يدها على ساقيها ونظرت إلى هاربر وقالت : " هاربر " ، هل تعتقد أن ما حدث كان غلطة ؟ " .

أحاطها بذراعيه وقد شعر بتهدج أنفاسها وهى تغالب دموعها وقال : " إن طفلنا ليس بغلطة ، بل إنه مفاجأة ومفاجأة سارة " .

www.rewity.com

الفصل الثامن عشر

كان يشعر بالدوار من شدة التفكير طوال اليوم . فقد كان هناك الكثير من الأشياء التى يجب وضعها فى الاعتبار والتفكير فيها والتخطيط لها ، ولكن الخطوات الأولية كانت شديدة الوضوح أمامه تماماً كموضوع الخطوات الأولية فى أى عملية تطعيم يقوم بها .

فسوف يصطحب هيلى إلى الطبيب لكى يفحصها هى والطفل وعليه أن يبدأ فى الاطلاع على كل ما يتعلق بأمور الحمل والأطفال حتى يفهم كيف تسير عملية الحمل وتتضح فى ذهنه الصورة جيدا .

وسوف يتزوجان فى أسرع وقت ولكن ليس بصورة تجعل الزواج باردًا وعمليا ، إنه لا يريد ذلك لهيلى وكذلك لا يريد أن يكون زواجه هكذا .

بل إنه يرغب فى أن يتزوج فى منزل " هاربر " العريق وفى الحديقة التى تعهدها بالرعاية فى ظلال البيت الذى نشأ فيه ، إنه يريد أن يقطع عهده لهيلى وأدرك أنه عليه أن يفعل ذلك أيضا مع ليلى والمولود الجديد الذى هو الآن فى حجم حبة الأرز .

هذا هو ما كان يريده دائماً بل ما كان يخطط له ويتجه نحوه طوال حياته ، إنه شىء لم يفكر فيه من قبل ولكنه يعرفه الآن كما يعرف اسمه .

ولسوف تنتقل هيلى وليلى للعيش فى المنزل المتنقل وسوف يتحدث مع أمه من أجل توسيع المكان وإضافة مساحة إليه مع الاحتفاظ بنفس طرازه القديم .

وحدث نفسه بأنه يريد مساحة إضافية من أجل أطفاله حتى يكبروا ويترعرعوا فى منزل " هاربر " بحدائقه الغنّاء وجدرانه وتاريخه الذى سيصبح أيضا تاريخهم .

إنه يرى ذلك ، ويستطيع تخيله ولكن الذى لا يستطيع تخيله هو طفله الذى سيصبح جزءاً منه .

حبة أرز ؟ كيف يمكن لشىء بهذا الصغر المتناهى أن يكبر ويشب ويصبح شيئا كبيرا ؟ ويصبح غاليا عزيزا ؟

ولكن هناك خطوة عليه اتخاذها الآن قبل الخطوات الأخرى .

عثر على أمه فى الحديقة وكانت تقوم بإضافة بعض نباتات الأقحوان وزهرة النجمة فى أحواض الزرع .

كانت ترتدى قفازات خفيفة وقد بدت عليها آثار سنوات العمل ؟ سروال قطنى قصير ، بلون القلنسوة الزرقاء التى تلطخت باللونين الأخضر والبنى نتيجة لعملية الغرس

التى تقوم بها ، كانت قدماها عاريتين ورآها وهى تخطو خارج أحواض الزرع قبل أن تنحنى على جانبيه .

كان يعتقد وهو طفل صغير أن أمه لا تقهر ، بل تتمتع بقوة خارقة ، وأنها تعرف كل شىء سواء أرادت أن تعرفه أم لا ، إنها دائما لديها الإجابات لكل أسئلته وكانت تحنو عليه وتمطره بأحضانها وقبلاتها ـ وهى كلها أشياء لا يزال يحب انتزاعها منها .

إنه دائما يجدها كلما احتاج إليها ، سواء فى وقت الشدة أو وقت الرخاء إنها دائما بجواره فى كل وقت لم يشعر قط بأنها بعيدة عنه .

والآن قد حان الوقت ليقوم هو بهذا الدور .

رفعت رأسها نحوه عندما اقترب منها وأخذت تمسح جبهتها بيدها دون وعى لقد أدهشه مدى جمالها ، ولفت نظره القبعة التى تميل فوق عينيها وكم كان وجهها هادئا صافيا .

قالت : " لقد قضيت وقتاً رائعاً ، أفكر فى توسيع هذا الحوض وتقليمه ، يبدو أنها ستمطر اليوم " .

رفع بصره إلى السماء بصورة تلقائية ، حتى تروى النباتات ، ضاقت حدقتاها وهى ترفع بصرها إليه خلال الشمس وقالت : " نرجو ذلك من الله ولكن لماذا تبدو متجهماً ، اجلس هنا بجوارى حتى لا تؤلمنى رقبتى " .

جثا على ركبتيه بجوارها وقال : " أريد أن أتحدث إليك " .

" إنك تفعل ذلك عندما تبدو متجهماً " .

" إن هيلى حامل " .

وضعت المالج ـ وهى أداة ترفع بها النباتات الصغيرة ـ جانباً بحذر وقالت : " حسنا ، حسنا ، حسنا " .

" لقد اكتشفت ذلك اليوم ، وهى تعتقد أنه قد حدث منذ ستة أسابيع وقد شعرت بعلاماته ـ أعتقد أنكم تطلقون عليه كذلك علامات الحمل ـ وقد تصورت أن ما تشعر به بسبب تأثير إميليا عليها " .

" إننى أعرف كيف يمكن أن يحدث ذلك ، هل هى بخير ؟ " .

" إنها مستاءة قليلاً ، فزعة إلى حد ما ، أعتقد ذلك " ، نهضت ، وانتزعت نظارتها الشمسية ونظرت فى عينيه مباشرة وقالت : " وماذا عنك ؟ ما شعورك ؟ " .

" إننى أحاول استيعاب الأمر ، إننى أحبها يا أمى " .

" إننى أعلم ذلك جيداً ولكن هل أنت سعيد بذلك يا هاربر ؟ " .

" إننى أشعر بأحاسيس ومشاعر مختلطة من بينها شعورى بالسعادة ، إننى أدرك أن ذلك ليس ما كنت تخططين له " .

قامت بانتقاء إحدى زهرات النجمة بحذر وقد وضعتها بحرص فى الحفرة التى حفرتها .

وقالت : " لا يهم ما كنت أخطط له ، أو ما أريده " ، وأخذت يدها تعمل وقامت بغرس الزهرة ، ثم أخذت تسوى الأرض بيدها وتضغط عليها وهى تتحدث وأردفت قائلة : " إن الأهم ما تريده أنت وهيلى ، ما يهم هو تلك الفتاة الصغيرة والمولود الذى أنتما فى انتظاره " .

" إننى أريد ليلى ، وأرغب فى أن أتزوج هيلى وأتبنى ليلى وأنسبها إلى نفسى ، إننى أريد هذه الطفلة ، إننى

أدرك أن الأمر برمته يبدو وكأننى قد قمت بإذابة قرص فوار فى كوب من الماء ، أعنى أننى قد كونت عائلة كبيرة فجأة ، ولكن ... أوه إنك تبكين ، أرجوك لا تبكى " .

" يجب أن أبكى حينما يخبرنى ابنى الأكبر بأنه سيجعلنى جدة ، يجب أن أذرف قليلاً من الدموع ، أين المنديل ؟ " ، أخرجه من جيبها الخلفى وأعطاها إياه .

جلست على الحشائش وأخذت تجفف عينيها وأنفها وهى تقول : علىّ أن أجلس وأستريح لدقيقة ، أتعلم أن هذا اليوم لابد أن يأتى ، فمنذ اللحظة الأولى التى تحمل فيها المرأة ابنها بين ذراعيها ، تدرك أن هذه اللحظة آتية ، إنها ليست أول ما تفكر فيه بعقلها الواعى ولكن هذه الفكرة موجودة دائماً ، إدراك أن الدائرة تدور والحياة يجب أن تستمر ، فالسيدات يدركن هذه الحقيقة ، والقائمون بأعمال البستنة يا هاربر .

فتحت ذراعيها له وقالت: " ستكون أباً يا هاربر ولأنه دائماً كان يدرك أنه سيكون هكذا فى يوم من الأيام ، دفن وجهه فى أحضانها وقال : " نعم " .

" وسأكون أنا جدة . ولطفلين " ، مالت برأسها للخلف ، وقبلت وجنتيه وأردفت قائلة : " إننى أحب هذه الطفلة الصغيرة ، إنها ابنتنا بالفعل وأريدك أن تعلم أنت وهيلى بأن هذا هو شعورى ، وأننى سعيدة من أجلك ، حتى ولو كان هذا الطفل سيأتى خلال أكثر المواسم المزدحمة بالعمل " .

" أوه ، إن ذلك لم يطرأ على ذهنى " .

ضحكت قائلة : " إننى أسامحك " ، ثم انتزعت القفاز الذى ترتديه حتى تحتضن راحتيه وتشعر بلمسهما وقالت : " هل طلبت الزواج منها ؟ " .

" تقريباً ، لقد أخبرتها بأنه يجب علينا ذلك ، وأرجوك لا ترمقينى بهذه النظرة " .

رفعت حاجبيها وأرسلت نظرة صارمة وقالت : " إنها النظرة التى تستحقها " .

نظر لأسفل نحو أيديهما المتشابكة ثم رفع يدىّ أمه وأخذ يقبلها الواحدة تلو الأخرى وقال : " لا تقلقى سأتولى الأمور جيداً ، إننى أحبك يا أمى ، إنك تبنين علىّ آمالاً عريضة ؟ وتنتظرين منى الكثير " .

" أى توقعات وآية آمال ؟ " .

رفع بصره ونظر مباشرة فى عينيها وقال : " إننى لا أحب وأحترم أى شخص مثلما أحبك وأقدرك يا أمى " ، سالت الدموع من عينيها مرة أخرى وقالت: " إننى سأحتاج إلى ما هو أكثر من هذا المنديل " .

" إننى سأمنحها أقصى ما أستطيع وأول شىء هو خاتم جدتى ، خاتم خطوبة وزفاف جدتى ، فلقد قلت من قبل إننى حينما أتزوج ـــ " .

منحته قبلة ناعمة على وجنتيه وهى تقول : " هذا هو ابنى الحق ، هذا هو الرجل الذى قمت بتربيته وتنشئته ، سأذهب وأحضره لك على الفور " .

إن أحد الأمور التى لم تطرأ على ذهنه من قبل هو كيفية طلب الزواج من امرأة ، عرض الزواج على امرأة هل يصطحبها لتناول عشاء فاخر ويطلب الزواج منها ؟ أم يصطحبها فى

www.rewity.com

نزهة لطيفة ؟ ويقول لها بصوت عال هل تقبلين الزواج منى ؟ هل يطلبه منها من خلال شاشة عرض ؟ لا ، إنها اقتراحات سخيفة .

قرر أن أفضل وسيلة هى عرض الزواج فى المكان وبالأسلوب الذى يناسبهما هما الاثنان لذا فسوف يصطحبها للتريض فى الحديقة فى وقت الشفق .

قالت له هيلى : " إننى لا أشعر بالراحة لأنى تركت ليلى مع أمك ثانية ؟ إننى حامل ولست معاقة " .

" إنها رغبتها بالإضافة إلى أننى أريد أن أتحدث إليك لساعة بمفردنا ، فلا تشغلى بالك ، إننى أدرى بما يدور فى ذهنك ، إننى مولع بليلى ولن أضيع الوقت لإخبارك بما هو واضح وضوح الشمس " .

" أعلم جيداً أنك تحب ليلى بشدة ، إننى فقط لا أستطيع تحمل كل كذلك ، لا أستطيع استيعاب ما يحدث ، إن المسألة ليست مجرد أننى قد حملت مرتين ، ولكن ذلك الحمل والظروف المحيطة به تربكنى " .

" لا ، هذه المرة تختلف ، فأنا هنا إلى جوارك ، أترين شجرة البرقوق هذه ؟ إننى أستطيع أن أعرف أحياناً متى تزهر وتتفتح زهورها " .

توقف ثم مد يده ليتحسس إحدى أوراقها الخضراء اليانعة وقال : " لقد قام والداى بزراعة هذه الشجرة بعد ولادتى مباشرة ، وسوف نقوم نحن بغرس واحدة من أجل ليلى ، وكذلك واحدة من أجل المولود القادم ولكن أترين هذه ؟ إنها تقترب من الثلاثين عاماً حتى الآن وقد قاما بزرعها من أجلى أيضاً ، ولقد كنت أشعر دوماً بالسعادة بذلك ، كنت أشعر بأن هذا المكان من الأماكن المفضلة لدىّ ،

هنا تماماً سنقوم أنا وأنت بغرس أشجار أخرى فى أماكن أخرى ، لى ولك ولكننا سنبدأ هنا فى هذا المكان " .

أخرج صندوق المجوهرات من جيبه وراقبها وقد فغرت فاها وشفتاها ترتعدان ، ثم حولت بصرها إليه وهى تقول : " أوه ، يا إلهى " .

" إننى لن أنحنى على ساق واحدة ، إننى سأشعر بالحماقة إذا ما فعلت ذلك " .

" إن الأمر ليس من الحماقة فى شىء ولكن الرجل يقصد بذلك أن يدلل على حبه وإخلاصه ولهذا يجثو الرجل على قدم واحدة دليل الإخلاص والوفاء " .

" ولكنى أريدك أن تعرفى ما هو شعورى أنا ، إننى أريد أن أستكمل الحياة التى بدأناها ، ليس الطفل فقط وإنما علاقتنا التى بدأناها ، أنت وأنا وليلى ، هذا الطفل ، إننى أريد أن أعيش هذه الحياة معك ، فأنت أول امرأة أحبها وستكونين الأخيرة " .

" هاربر ، إنك تجعلنى لا أستطيع التقاط أنفاسى " .

فتح الصندوق ـ ولاحت على وجهه ابتسامة عندما رأى اتساع عينيها وقال : " هذا الخاتم كان ملكاً لجدتى ، أعتقد أنه موضة قديمة بعض الشىء " .

ازدردت لعابها بصعوبة وهى تقول : " إننى أفضل أن أطلق عليه كلاسيكياً أو إرثاً عائلياً " أو دعنى أقل : " يا للروعة ، إنها رائعة يا هاربر لابد أن روز ـــ " .

قاطعها قائلاً : " لقد كانت تحتفظ به من أجلى ، آخذه لأمنحك إياه ، إلى المرأة التى سوف أقضى معها بقية حياتى ، إننى أريدك أن تضعيه فى أصبعك ، وأن تتزوجينى يا هيلى " .

" إنه رائع يا هاربر بل إنك رائع " .

" هذا ليس كل شيء " .

أطلقت ضحكة متوترة وقالت : " أوه ، لا أستطيع أن أتخيل أن هناك المزيد " .

" أريدك أن تحملى اسمى ، وأريد ليلى أيضاً أن تحمل اسمى ، أريدكما أنتما الاثنان دفعة واحدة ولن أرضى بأقل من ذلك " .

تحسست وجنيته وهى تقول: " أتدرى ماذا تقول أو ماذا تفعل ؟ " .

" طبعاً ، ومن الأفضل لك أن تجيبينى على الفور لأننى لا أريد أن أفسد هذه اللحظة الرومانسية الجميلة بأن أجعلك تضعين الخاتم فى إصبعك بالقوة " .

أغمضت عينيها لدقيقة وهى تتخيل شجرة البرقوق المزدهرة والأجيال المتعاقبة ثم قالت : " إننى أدرك أنك طلبت منى الزواج عندما أخبرتك بأنى حامل ، فهذه هى الأخلاق التى نشأت عليها ، أن تفعل ما هو صواب ، وما هو جدير بالاحترام " .

" ليس هذا هو ... " .

هزت رأسها وقالت : " لقد قلت ما تريد ، والآن حان دورى ، إننى كنت أدرك تماماً أنك ستطلب الزواج منى ، ومن بين الأسباب التى جعلتنى أشعر بالضيق هو أنى لم أكن على ثقة من دوافعك ، هل طلبت منى ذلك لأنك شعرت بأن هذا هو واجبك وأنه يجب عليك الزواج منى ولكننى أعلم الآن أن هذا ليس السبب ، إننى سأتزوجك يا هاربر وسأحمل اسمك وكذلك ليلى ، وسوف نحبك ونظل بجوارك مدى الحياة " .

أخرج الخاتم من الصندوق ووضعه فى إصبعها ، غمغم وهو يقرب يدها من فمه ليقبلها : " إنه كبير جداً " .

" أوه ، إنك لن تستعيده مرة أخرى " .

قبض على يدها وضغط على الخاتم ليبقى فى مكانه وقال : " أمامنا وقت طويل حتى نجعل الخاتم يتناسب مع إصبعك " .

أومأت برأسها ثم ألقت بنفسها بين ذراعيه وقالت : " أحبك ، أحبك ، أحبك يا هاربر " .

أطلق ضحكة كبيرة ثم أمسك برأسها وقبل شفتيها وقال : " كنت أنتظر ردك هذا " .

كانت تشعر بقليل من الحرج وهى فى طريقها إلى روز وميتش بصحبة هاربر لإعلامهما بأمر الزواج ، وأن يطلبا من ديفيد تقديم المشروبات والحلوى احتفالا بهذه المناسبة .

واحتفلت هى بالمناسبتين : إعلان الخطوبة وقدوم الطفل .

احتضنتها روز بشدة وهمست فى أذنيها : " أريد أن أتحدث معك على أنفراد بسرعة " .

" أوه أعتقد أنه ينبغى ذلك " .

" ما رأيك أن نتحدث الآن ؟ هاربر ، إننى سآخذ منك فتاتك لدقائق ، فهناك شيء أريدها أن تراه " ، ولم تنتظر إجابة ، بل تأبطت ذراعها وقادتها خارج الغرفة نحو السلالم .

" ألم تضعى تصورات بخصوص حفل الزواج ؟ " .

" أنا ـ لا ... لدىّ أفكار كثيرة " .

" إننى واثقة من ذلك " .

" هاربر " ... لقد ذكر هاربر شيئاً عن إقامة حفل الزواج هنا " .

" إننى أتمنى ذلك ، فيمكننا استخدام قاعة الرقص إذا ما رغبت فى إقامة حفل صاخب ، أو يمكن استخدام الحديقة والشرفة إذا ما رغبت فى حفل هادئ عائلى ، ناقشا الأمر وأخبرانا بقراركما ، إننى أتوق لأن أشارك فى كل تفاصيل الحفل ، وإننى أنوى أن أكون عنيدة ومتشبثة برأيى . لذا ، فيجب أن تراقبانى جيداً كالصقر " .

" أنت لست غاضبة مما حدث " .

" إننى مندهشة لجملتك هذه " .

قالت هيلى وهما يصعدان درجات السلم : " إننى أحاول أن أضع نفسى مكانك ، ولكننى لا أستطيع - ولن أستطيع استساغة الأمر " .

قالت روز : " لأن لكل منا شخصيته ، وأنا أحب الاحتفاظ بشخصيتى " ثم اتجهت نحو غرفتها .

قالت هيلى : " إننى لم أصبح حاملا عن عمد " . توقفت روز عند باب حجرة نومها ونظرت إلى هيلى التى كانت غارقة فى دموعها وقالت : " أهذا هو ما يدور فى خلدك ؟ أن يجول بخاطرى أنك دبرت ذلك " .

" لا ، ليس هكذا بالضبط ، ولكن هناك كثيراً من الناس سيظن ذلك " .

قالت روز : " إنه من دواعى سرورى أن أقول لك إننى لست ككثير من الناس كما أننى لدى خبرة كبيرة فى الحكم على الشخصيات ولم أخطئ فى حكمى على الشخصيات من قبل إلا مرة واحدة فى حياتى ، وإذا كنت أفكر فيك بطريقة

دونية ، ما كنت سمحت لك بأن تعيشى فى منزلى يا هيلى " .

" عندما قلت إنه يجب أن نتحدث ... أعتقد أنه ربما " ، قاطعتها روز : " أوه ، يكفى الحديث عن هذا الأمر الآن " ، ثم اتجهت روز نحو الفراش ، وفتحت صندوقاً كان موضوعًا فوقه ورفعت بطانية صغيرة زرقاء باهتة .

وقالت : " هذه بطانية هاربر لقد صنعتها له بعد ولادته مباشرة ، لقد صنعت واحدة لكل ابن من أبنائى وهى من الأشياء التى احتفظت بها من أجل أن يتوارثها الأبناء ، إذا كان المولود بنتا ، فإنه يمكنك استخدام بطانية ليلى أو ابتياع شىء جديد يتناسب مع كونها بنتا ولكنى أتمنى إذا كان المولود صبياً أن تستخدمى هذه ، فى كلتا الحالتين ، عليك أن تحتفظى بهذه الآن " .

" إنها رائعة " .

رفعتها روز وقربتها من وجنتيها لدقيقة وقالت : " نعم ، إنها كذلك بالفعل ، إن هاربر هو أغلى الناس لدىّ ، ولا أبغى شيئاً من الحياة سوى سعادته ، وعليك أنت الآن أن تقومى بإسعاده ، فهذا ما يرضينى " .

" سأكون زوجة وفية له " .

" من الأفضل لك أن تكونى كذلك ، هل سنجلس ونمضى الوقت فى البكاء ؟ " .

" أوه ، أوه ، معك حق " .

www.rewity.com

عندما كانت تجلس بجواره فى الظلام ، كانت تستمع إلى رخات المطر المنتظمة .

" إننى لا أدرى كيف أكون سعيدة وخائفة فى ذات الوقت " .

" إننى هنا بجانبك " .

" كنت أشعر هذا الصباح وكأن الدنيا قد تهدمت فوق رأسى ، كنت أشعر وكأننى حقيبة للكتب ، وكل كتاب يضربنى بحافته الحادة ، ولكن تغيرت الأمور وتبدلت وكأن هناك شلالاً من الزهور والورود يتساقط فوق رأسى وأسبح فى عطرها الشذى وفى بتلاتها الناعمة " .

أمسك بيدها اليسرى ، حيث كانت تحرك أصابعها فى عصبية كان الخاتم موضوعًا فى الصندوق الخاص به على طاولة الزينة فقال: " سوف أبعثه إلى الصائغ غداً " .

" لا أدرى كيف سيكون شعورى حيال زواجى من شخص يقرأ أفكارى ، ثم اقتربت منه وهى تقول : " أعتقد أننى كذلك أستطيع قراءة أفكارك " .

الأمان ، الدفء ، والحنان هذه هى مشاعرها وهى معه ، مشاعر رائعة وأجملها حبه لها ومهما اعترى قلبها من القلق ومهما حدث بالليل فإنه بمقدورها أن تتناسى كل ذلك ولا تفكر فى شىء سوى هذا الوقت الذى تمضيه معه .

الأمن والأمان والحب .

إنها تثق فيه بكل جوارحها ، تجعله يضمها ويأخذها بين ذراعيه كما يفعل الآن ، يتلاحم جسداهما اللذان تشع منهما حرارة الحب ويصبحان كيانًا واحداً .

بينما كانت حبات المطر تتساقط محدثة إيقاعاً منتظماً حينما تلامس أحجار الشرفة وكان قلبها يدق بإيقاع منتظم

أيضاً ، إيقاع محمل بالسعادة والترقب ، إنها تفهمه جيداً وتعرفه جيداً إنه كان صديقاً ، زميلاً وهو الآن حبيب وزوج .

قالت وهى تضع وجنيتها على وجنيته وهى تقول : " أحبك يا " هاربر " ، أحبك وسأظل أحبك إلى الأبد " .

" وأنا سأحبك إلى الأبد " .

أخذ يتحسس وجهها بأنامله ، تحسس وجنتيها ، شعرها كان يستطيع رؤيتها فى الظلام ، رؤية جسمها والبريق الذى يطل من عينيها والغموض الذى يكتنفهما ولكنها ملكه كان ينظر إليها ويرى مستقبلهما معاً ، ويتحسسها ويعيش جمال اللحظة ، جمال الحاضر .

كان يطوقها بذراعيه وكان يشعر بدقات قلبها والتى كانت منتظمة كحبات المطر ، أخذ يتحسس بطنها ، ثم وضع وجنيته عليها لدقيقة وهو يتساءل عما ينمو بداخلها ، ثم أخذ يمسح شعرها بيده ويربت على رأسها .

غمغمت قائلة : " يجب أن يكون اسمه الأوسط هاربر ، سواء كان بنتاً أو ولداً ، فمهما كان الاسم الأول الذى اخترناه ، فمن المهم أن يكون اسم هاربر ملتصقاً به " .

أدار رأسه ليطبع قبلة أخرى لطفلهما قائلاً : " ما رأيك فى كليتوس ؟ كليتوس هاربر أشبى " .

قالت : " لابد أنها مزحة ، أليس كذلك ؟ " .

" كيتوس أو هرميون إذا كانت بنتاً فهذا الاسم ليس مضحكا أليس كذلك ؟ " .

ثم عانقها مضيفاً : " ربما كليهم أو جيرترود " ، وكزته فى جنبه وقالت: " يجب التأكد من أننى أنا التى سأملأ

بيانات شهادة الميلاد خاصة أننى أفكر فى الاختيار من بين أسماء النباتات إننى أفضل اسم بيجونيا .

" وماذا ستفعلين إذا كان المولود بنتا ؟ " .

جذبته من أذنه ، وأطلقت ضحكة عالية .

كانت تشعر بالدفء ، والسرور الشديدين وكانت ترقد بجواره

وقد بدأ النعاس يغالب عينيها ، كان سقوط المطر كموسيقى تعزف ، كأغنية تغنى لطفل صغير حتى يسبح فى أحلامه .

لقد تخيلت نفسها تتجه ناحيته وفستانها الأبيض الطويل يتلألأ فى ضوء الشمس وتحمل فى يدها باقة من زهور الزنبق الحمراء وكأنها طفل صغير ، سينتظرها هو حتى يمسك بيدها ويفضى لها بعهود الزواج ، الرابط الأبدى .

حتى يفرقهما الموت .

لا ، ارتعدت وتصارعت دقات قلبها إنها لا تريد أى ذكر للموت فى يوم زواجهما ولا أى عهود متعلقة به .

إن الموت له ظلال ـ ظلال تحجب الشمس .

عهود خاوية ، كلمات يتفوهون بها ، عهود لا يوفون بها غمام يحجب الشمس والأمطار تحيل فستانها الأبيض إلى لون رمادى باهت .

لقد كان الطقس بارداً بل شديد البرودة ولكن كانت هناك الحرارة تشع من جسدها فالكراهية كالأتون والغضب كالنار التى تشعله .

يا له من شىء غريب ، شىء غير عادى أن تشعر بأنها حية ، حية أخيراً .

كان المنزل مظلماً ، كاللحد ،وجميعهم أموات بداخله إلا طفلها فقد كان حيا يرزق وسيظل هكذا إلى الأبد ، فستحيا هى وابنها إلى الأبد بينما الآخرون ميتون ، متحللون .

وهذا هو انتقامها ، وهى مهمتها الوحيدة الآن .

لقد تولدت ونمت حياة أخرى بداخلها وقد دفعتها إلى هذا العالم يصحبها ألم أشبه بالجنون لا يمكن أن ينتزعوه منها إنه ملكها ويجب أن يبقى إلى الأبد بجوارها .

ستعيش فى هذا المنزل مع ابنها وستكون هى سيدة منزل هاربر الفعلية .

فبعد اليوم ، لن تبتعد عن جيمس أبداً ولن يفرقهما أحد .

كان المطر يتساقط فوق رأسها وهى تسير وقد تلطخ طرف ردائها بالطين .

سيلعبان معًا فى الحديقة أثناء الربيع بزهائه ، ترى كيف ستكون ضحكات الأزهار متفتحة والعصافير تغنى كل ذلك من أجلهما فقط ، وستعد الشاى والكعك من أجل طفلها العزيز الغالى .

إن الربيع على وشك القدوم ، ربيع لا ينتهى .

أخذت تشق طريقها عبر الأمطار ، خلال الضباب ، المتكاثف لقد هيئ لها أنها تسمع أصواتاً ، ضحكات ، بكاء ، صراخًا .

لقد كان يهيأ لها بين الحين والآخر أنها تلمح بجانب عينيها أحداً يتحرك وأطفالاً يلهون ، سيدة عجوزا تغط فى النوم على مقعدها ، شاباً يقوم بغرس بعض النباتات والأزهار .

ولكنهم ليسوا من عالمها .

عالمها الذى تسعى إليه وتبحث عنه سيكونون فيه مجرد خيالات .

شقت طريقها عبر الممر ، أو مرت بجانب أحواض الزرع وكانت قدماها عاريتين ومتسختين وعيناها زائغتين تعكسان ضوء القمر .

لاح لها الإسطبل ، إن ما تحتاج إليه ستجده هناك ، وكذلك ستجد الآخرين . الخدم ، عرائس قذرة .

وفجأة وضعت أصبعها على شفتيها حتى لا يسمع أحد ضحكتها التى كتمتها ويمكنها أن تحرق الإسطبل وتشعل النيران التى ستصل إلى عنان السماء ، أوه ستصرخ الخيول ويهرب الرجال .

حريق فى هذه الليلة الباردة .

شعرت بأنه يمكنها إشعال النيران واستدارت لتواجه منزل هاربر ، نعم بإمكانها إحراقه حتى يصير رمادًا تمامًا ، فالنيران تنبعث من كل غرفة ، وسيهلك هو ، ريجنالد هاربر العظيم وكل من خدعوها فى هذا الجحيم الذى صنعته لهم وأشعلته بأيديها .

ولكن الطفل لا ، لا ليس الطفل ، ضغطت بيدها على فمها وهى تطرد هذه الفكرة من رأسها ، لا ، ليس هذا هو ما تريده لابنها .

فيجب أن يأتى معها ، يظل معها .

اتجهت نحو المنزل المتنقل وكان شعرها يلتف ويتشابك حول وجهها ويسقط على عينيها ولكنها كانت تسير على مهل .

حدثت نفسها عند البوابات الضخمة بأنها ليست محكمة الغلق ، فلا يوجد أقفال ، نعم فمن ذا الذى يتجرأ ويطأ أرض هاربر ؟

بل هى التى ستفعل .

أخذ الباب يحدث صريراً وهى تقوم بفتحه ، إنها تستطيع أن ترى البريق الصادر من إطارات العربات ، نعم إنها من أجل السيد العظيم فليس من المعقول أن تكون إطارات عرباته قديمة وباهتة ، يا لها من عربات ضخمة ونظيفة من أجل أن تحمل السيد العظيم وبناته وزوجته العاهرة لأى مكان يبغونه .

بينما أم طفله ، الصبى الذى يريده تستقل عربة مسروقة .

إنه سوف يدفع ثمن أفعاله .

وقفت عند عتبة الباب وكانت تتمايل وعقلها ملىء بالأفكار وتعتريها مشاعر الغضب والانتقام والارتباك والحب ، لقد نسيت أين هى وماذا هى ولماذا هى هنا وفجأة اتضح أمامها الهدف الذى جاءت من أجله .

هل يمكن أن تخاطر وتقوم بإضاءة الأنوار ؟ هل تجرؤ ؟ يجب أن تفعل ذلك ، فهى لا تستطيع أن ترى فى الظلام .

ليس بعد .

على الرغم من أن أصابعها كانت ترتعد من البرودة وهى تقوم بإضاءة المصباح ، إلا أنه كانت هناك نار تضطرم بداخلها وجعلتها تبتسم وهى ترى حبلاً .

ها هو ؟ هذا سوف يساعدها تماماً على أن تفعل ما تريد .

dodya.dodo www.rewity.com

وتركت المصباح مضاءً والباب مفتوحًا وهى تترك المنزل المتنقل وتعود لتسير مرة أخرى تحت الأمطار .

عندما استدار هاربر ومد يده بجواره لم تكن هناك ، كان النعاس لا يزال يغالبه وهو يمد يده لمسافة أبعد متوقعاً أن تلامس يده جسدها .

" هيلى " .

تمتم باسمها وهو يتكئ على مرفقه وأول ما طرأ على ذهنه أن تكون قد ذهبت لتطمئن على ليلى ، ولكنه لم يسمع شيئاً من خلال الشاشة الموضوعة بجانب الفراش .

واستغرق منه الأمر دقيقة حتى يدرك ما يترامى إلى مسامعه . كانت الأمطار تتساقط بشدة ، نهض بسرعة وهو يرى باب الشرفة مفتوحاً وجذب سرواله الجينز .

ارتدى سرواله فى عجالة واتجه نحو الباب وصاح : " هيلى " ، فلم ير شيئاً سوى الظلام الدامس .

غمرته الأمطار المتساقطة وشعر بأن قلبه قد تجمد فى صدره ، أسرع إلى الداخل مرة أخرى واتجه نحو غرفة ليلى .

كانت الطفلة تنام فى أمان ، ولكن أمها لم تكن بجوارها .

عاد مرة أخرى إلى غرفة النوم وأمسك بالشاشة ووضعها فى جيبه الخلفى ، ثم خرج ليبحث عنها .

أخذ ينادى عليها وهو يهبط درجات السلم ، وحدث نفسه بأنها قد تكون فى المنزل المتنقل ، فإنه كان يعتقد دائماً أن إميليا قد ذهبت إلى هناك ، ففى المرة التى رآها

فيها فى الحديقة وهو طفل صغير كان على ثقة بأنها كانت تتجه نحو المنزل المتنقل .

أخذ يتذكر وهو يجرى بأن رداءها كان مبتلاً ومتسخاً ، كما لو أنها كانت تسير تحت الأمطار .

كان يعرف طريقه جيداً فى الظلام ، فلم يكن الممر غير مألوف له ، بل كان يعرف كل شبر فيه ، ورأى الباب مفتوحاً فغمره الشعور بالراحة .

أخذ يضىء الأنوار وهو يسير مسرعاً وقال : " هيلى! " .

كانت الأرض مبتلة وكانت آثار الأقدام تمتد من الغرفة حتى المطبخ ، كان يدرك أن المنزل خال حتى قبل أن يهتف باسمها ثانية وقبل أن يبحث فى كل مكان فيه عنها .

وفى هذه المرة ، جذب سماعة الهاتف وطلب أمه .

وقال : " أمى ، لقد ذهبت هيلى ، لقد ذهبت إلى الخارج ، إننى لا أستطيع العثور عليها - أوه لقد رأيتها فى الطابق الثالث ، إنها فى شرفة الطابق الثالث " .

وضع سماعة الهاتف جانباً وانطلق يعدو مسرعاً .

لم تلتفت ناحيته عندما ناداها باسمها ولكنها استمرت تعبر الشرفة فى سرعة كالشبح ، كانت قدماه تخطوان على الأحجار المبتلة وكانتا تسحق الزهور وهو يقفز من الممر ويسير بين أحواض الزرع حتى يصل إلى السلالم التى تقود لأعلى .

كان يلهث بشدة وقلبه يدق بعنف وهو يصعد .

بلغ الطابق الثالث وهى تقوم بفتح الباب .

ترددت عندما ناداها واستدارت ببطء لتواجهه وابتسمت قائلة " : الموت مقابل الحياة " .

" لا " .

قفز قفزة أخيرة وهو يجذبها من ذراعها للداخل حتى تحتمى من الأمطار ، ثم كرر كلمته ثانية قائلاً : " لا " ثم طوقها بذراعيه وهو يقول " حاولى أن تشعرى بى ، أنت تعلمين من أنا ومن أنت " .

أحكم ذراعيه حولها عندما حاولت أن تقاومه واحتضنها بشدة حتى عندما كان رأسها يتحرك يميناً ويساراً وكانت أسنانها تصطك كالكلب الشرس .

" سآخذ ابنى " .

" إن لك ابنة ، ابنتك ليلى وإنها نائمة ، هيلى ابقى معى " .

طوقها بذراعيه بشدة عندما شعر بجسدها يتراخى وسمعها تقول : " إننى أشعر بالبرد ، أشعر بالبرد يا هاربر " .

حملها عبر قاعة الرقص الواسعة بينما كانت حبات الأمطار تصطدم بالنوافذ .

وقبل أن يبلغا الباب ، دفعه ميتش وبعد أن ألقى نظرة سريعة أخرج نفساً عميقاً وقال : " لقد ذهبت أمك لتطمئن على ليلى . ماذا حدث ؟ " .

قال بينما كانت هيلى ترتعد بين ذراعيه : " ليس الآن " وسار بجانب ميتش وهو يقول : " سنناقش الأمر فيما بعد ، إنها بحاجة للدفء والراحة ، وعلى الآخرين الانتظار " .

www.rewity.com dodyadodo

الفصل التاسع عشر

قام بلفها بالغطاء من رأسها حتى أخمص قدميها وجلس بجانبها على الفراش وهو يجفف شعرها بالمنشفة .

" إننى لا أتذكر أننى نهضت أو غادرت الغرفة " .

" هل تشعرين بالدفء الآن " .

" نعم " ، ما عدا البرودة التى كانت تسرى فى عظامها وتساءلت هل يمكن أن يصل الدفء إلى داخلها مرة أخرى وأردفت قائلة : " لا أدرى ما الوقت الذى مكثته بالخارج " .

رجعت للوراء ووضعت يدها على كتفيه ، لقد كان بحاجة إلى الدفء بالقدر الذى كانت تحتاج إليه هى وقالت : " لقد بحثت عنى وعثرت علىّ " ، طبع قبلة على شعرها المبتل وقال : " إننى سأفعل ذلك دائماً " .

" لقد حملت الشاشة الخاصة بليلى " ، وحدثت نفسها بأن هذا فى حد ذاته يعنى الكثير ، ثم أردفت قائلة : " لقد تذكرتها ولم تتركها بمفردها " أحاطها بذراعيه ولامس وجنتيها بوجنتيه وهو يقول : " هيلى إننى لن أتخلى عن أى منكم " ، ثم وضع يده على بطنها وهو يقول : " أى منكم ، أقسم بذلك " .

" أعلم ذلك ، إنها لا تؤمن بالوعود ، أو العهود ، أو الحب أما أنا فأفعل ، إننى أومن بحبنا وعلاقتنا " ، ثم أدارت رأسها قائلة : " كنت لا أومن من قبل أما الآن فلا ، إننى أملك كل شىء أما هى فلا تملك شيئاً " .

" هل تشعرين بالأسف من أجلها بعد كل ما حدث ؟ " .

" إننى لا أدرى ما هو شعورى نحوها " ، ياله من شىء رائع أن تتكئ برأسها على صدره القوى وأردفت قائلة : " أعتقد أنى أفهمها أو على الأقل أعرف بعض الأشياء عنها فنحن تقريباً فى نفس الموقف ، أعنى الحمل والرفض لهذا الطفل فى بادئ الأمر " .

" إنك لا تشبهينها فى شىء " .

" هاربر ، اطرح الشخصيات ومشاعرك جانباً لدقيقة وانظر إلى الأمر نظرة موضوعية ومحايدة تماماً كما تفعل خلال عملك ، انظر إلى الموقف ـ فنحن الاثنتان كان فى حياتنا رجل ونحن الاثنتان ننتظر قدوم طفل ولم نحب والد هذا الطفل ولا نريد أن نرى حياتنا تتغير أو نضع على عاتقنا أى مسئوليات ، ثم فجأة نحب الطفل بشدة ونريده وبغض النظر عن الأساليب والأسباب المختلفة أصبحنا نرغب فى الطفل ونحبه بشدة " .

كرر جملتها قائلا : " أساليب مختلفة وأسباب مختلفة ، حسناً ، إننى أستطيع أن أفهم ذلك ، فظاهرياً هناك تشابه " . فتح الباب ودلفت منه روز وهى تحمل صينية وتقول : " لن أقوم بإزعاجكما ، هاربر عليك التأكد من أنها تناولت الشاى " ، بعد أن وضعت الصينية على حافة الفراش ، استدارت ووقفت بجانب هيلى وأخذت وجهها بين راحتيها وطبعت قبلة على وجنتيها وقالت : " عليك ببعض الراحة " .

مد هاربر يده وأمسك يد روز لدقيقة وقال : " أشكرك يا أمى " .

قالت روز : عليك الاتصال إذا كنت فى حاجة لأى شىء " .

قالت هيلى بهدوء عندما أغلقت روز الباب خلفها : " لم يكن لدى إميليا من يهتم بها ولا كان هناك من يرعاها " .

قال هاربر : " ومن الذى كانت تهتم هى به ؟ ومن الذى كانت ترعاه هى ؟ " . ثم أضاف قبل أن تجيب هيلى : إن حب الامتلاك والاستحواذ ليس اهتماما ورعاية ، ثم نهض وأخذ يصب الشاى ، إن ما حدث لها كان منذ وقت طويل ولكن أتدرين ؟ لا يوجد أى أبطال فى قصتها الحزينة " .

أمسكت بقدح الشاى وقالت: " لابد أن يكون هناك أبطال يجب دائمًا أن يكون هناك أبطال لكل قصة ولكن لا ، إنها لم تكن بطلة ، ولا بطلة مأساة مثل جوليت لقد كانت فقط حزينة وتملؤها المرارة " .

أضاف قائلا: " ومجنونة ومشاعرها باردة " .

" نعم إنها لم تكن لتفهمك جيداً أعتقد أننى على دراية كافية بها الآن تجعلنى أثق من ذلك ، إنها لم تكن تفهم قلبك ومشاعرك أو إخلاصك وهذا مؤسف أيضاً " .

اتجه نحو الباب ، لقد ارتوت الأشجار والنباتات كما كان يتمنى وأخذ يشاهد الأرض وهى تتشبع بمياه الأمطار .

ثم أخذ يستعيد ذكرياته ويفتش بداخله متجاهلاً غضبه ، وقد شعر بالشفقة والرثاء وهو يقول : " لقد كانت دوما حزينة ، لقد كنت ألحظ ذلك عندما كنت طفلاً صغيراً وكانت تأتى هى إلى غرفتى وتغنى كانت حزينة وضائعة وكنت أشعر بالأمان وهى بجوارى مثلما تشعرين وأنت فى صحبة شخص يحبك ويرعاك ، لقد كانت تهتم بى وبأخوى وأعتقد أن ذلك يعنى شيئاً "

" إنها لا تزال تهتم بكم ، أستطيع الشعور بذلك ولكنها مرتبكة ومشوشة . هاربر إننى لا أتذكر ما حدث " .

خفضت القدح الذى تمسك به فى يدها واعترتها مشاعر مختلفة وهى تقول : " إننى لا أستطيع أن أتذكر شيئاً مثلما حدث فى مرات سابقة ، لقد كنت أستطيع أن أرى أو على الأقل كان جزء منى يرى ، إننى لا أستطيع أن أشرح أو أصف لك إحساسى وقتذاك ، لقد كانت الأمور مختلطة هذه المرة ومشوشة ولم أستطع أن أرى ، ليس كل شىء . لماذا اتجهت نحو قاعة الرقص ؟ ماذا كانت تفعل هناك ؟ " .

كان يريد أن يطلب منها أن تسترخى وألا تفكر فيما حدث ولكن كيف يمكنها ذلك ؟ وبدلاً من ذلك عاد وجلس بجوارها .

" لقد ذهبت إلى المنزل المتنقل . لابد أنك ذهبت . لقد كان الباب مفتوحاً واستطعت أن أعرف أنك اتجهت إلى المطبخ فقد كانت الأرض مبتلة ومتسخة " .

" هذا هو المكان الذى اتجهت إليه فى تلك الليلة ، الليلة التى ماتت فيها هنا ، من المؤكد أنها ماتت هناك فى تلك الليلة ، ولا أعتقد خلاف ذلك ، لقد رأيناها أنا وأنت من قبل وهى تقف فى الشرفة وكان فستانها مبتلاً ومتسخاً . وكانت تمسك حبلاً فى يدها " .

" من المحتمل أنه كان هناك حبل فى المنزل المتنقل " .

" ولماذا تحتاج إلى حبل من أجل الوصول للطفل ؟ هل من أجل توثيق المربية ؟ " .

" لا أعتقد أن ذلك هو السبب الذى احتاجت إلى الحبل من أجله " .

ولقد كانت تمسك أيضاً بالمنجل أو ما شابه ، وتذكرت أنه كان لامعاً وحاداً ، ربما كانت تريد أن تقتل من يحاول أن يعترض طريقها ، ولكن لماذا كانت ستحتاج إلى الحبل ، ماذا كانت ستفعل به إذا لم تكن تحتاج إليه فى شد وثاق أحد ؟ " .

اتسعت عيناها ووضعت قدح الشاى جانباً وارتجفت عندما قرأت تلك النظرة فى عينيه .

" أوه ، يا إلهى . تقتل نفسها ؟ أن تشنق نفسها به ، أهذا ما يدور فى رأسك ؟ ولكن لماذا ؟ ولكن لماذا تتحمل مخاطر المجىء إلى هنا إذا كانت تريد أن تنتحر ؟ لماذا تأتى وسط الأمطار وتشنق نفسها فى قاعة الرقص ؟ " .

" لقد كان المشتل خلف القاعة فى الطابق الثالث فى ذلك الوقت ، أليس كذلك ؟ " .

www.rewity.com

شحب وجهها مرة أخرى بعد أن كانت قد استعادت نضارته بعض الشيء وهي تقول : " المشتل " .

لا ، حدثت نفسها وهي تتخيل ما حدث ، إنها لن تشعر بالدفء مرة أخرى .

كانت " هيلي " معتادة على مرور الوقت سريعاً أيام الإجازات ، فقد كان وقتها مكتظاً بالأعمال المنزلية ـ التسوق ، إرسال الملابس للتنظيف ، إعادة تنظيم وترتيب الأشياء مرة أخرى ، العناية بليلي والعديد من المهام الأخرى التي لا تنتهي ـ إنها بالكاد تتذكر ما هو شعور الذين لا يعملون في وظيفة كل الوقت ولديهم مساحة كبيرة من أوقات الفراغ .

ومن كان يعلم أنها أحبت انشغال وقتها على هذا النحو ؟

شعرت بالقلق والملل عندما وجدت نفسها تجلس هكذا دون أن تفعل شيئاً ، ولكن عندما يأمرك رئيسك في العمل بأن تأخذي إجازة ، فلا جدال ولا نقاش في ذلك ، على الأقل عندما يكون الرئيس روزاليند هاربر .

لقد أرغمت على النفي إلى منزل ستيلا في هذا اليوم وحدها حتى دون صحبة ليلي حتى لا تشتت انتباهها . فلقد أخبروها بأنه يجب أن تستريح وقد حاولت ذلك بحق ولكنها لم تشعر بالرضا عندما مارست هوايتها المفضلة وهي القراءة وكذلك لم يكن مشغل الأسطوانات الذي منحته لها ستيلا مصدر تسلية لها وجعلها المنزل الخالي الهادئ تعد الدقائق بدلاً من أن يجعلها تهدأ وتنام .

أمضت بعض الوقت في التجول بين حجرات المنزل ، الحجرات التي قد ساعدت من قبل في طلائها ، فقد حول

كل من ستيلا ولوجان هذا المكان إلى منزل جميل ، وقد كان المنزل يجمع بين ذوق ستيلا وموهبتها وحبها للتفاصيل وكذلك حب لوجان وإحساسه بالمساحات الخالية ، وحدثت نفسها وهي تقف خارج الحجرة بأن الأولاد جيفن وليوك قد شاركا أيضاً في إعداد المنزل بأسرتهما الضيقة الملتصقة بالجوار والأرفف المحملة بالكتب الكوميدية ولعبهما ، لقد أسس لوجان وستيلا هذا المنزل من أجلهما ومن أجل أطفالهما ، فقد كان المنزل يحتوي على المزيد من الإضاءة والألوان ، مع الحرص على وجود فناء فسيح يحيط بالمنزل ، لقد كان فناء على الرغم من جمال حدائقه وأناقتها ، يسمح للأطفال والجرو الصغير باللهو واللعب بين جوانبه .

التقطت الكلب باركر الذي كان فقط بصحبتها خلال اليوم وأخذت تداعبه وهي تهبط درجات السلم .

هل تتمتع بمهارة ستيلا في تكوين منزل وعائلة ؟ عائلة متحابة ومترابطة ؟ هل ستتمتع بذكاء ورجاحة عقلها ؟

إنها لم تخطط لذلك بنفس أسلوب ستيلا ، ولم تفكر بنفس طريقتها ، فقد كانت تعيش حياتها وتشعر بالسعادة والرضا وهي تعمل في المكتبة وتساعد والدها في تنظيم منزلهما الذي يجمعهما معاً ، ولقد كانت تفكر بين الحين والآخر في تعلم بعض الدروس والمحاضرات في الإدارة والأعمال ـ وذلك حتى تحقق حلمها في أن تفتح مكتبتها الخاصة بها ، في يوم ما ستفعل .

ولقد فكرت في الحب ـ إن معظم الفتيات يفكرن فيه طوال الوقت ، ولكنها لم تكن تتلهف عليه أو تفكر فيه وفي الحب الكبير الذي سيملأ قلبها وما يتبعه من مسئوليات،

www.rewity.com dodyadodo

الارتباط الأبدى ، البيت ، الأطفال ، فكل تلك الأشياء كانت بعيدة تماماً عن تفكيرها .

ولكن الأمور تبدلت وتغيرت ودفعتها فى اتجاه لم تكن تتوقع أن تسير فيه ، فها هى لن تبلغ السادسة والعشرين بعد ، وحامل للمرة الثانية وتعمل فى مجال كانت لا تدرى عنه شيئاً منذ عامين فقط .

وغارقة فى الحب حتى أذنيها .

وها قد قرر شبح خفى ومضطرب نفسياً أن يستعير جسدها من وقت لآخر .

وعندما أخذ باركر فى النباح ، أنزلته ثم تبعته إلى المطبخ ، حيث ينبح عند الباب الخلفى .

فقالت : " حسناً ، حسناً ، هيا أخرج فلن أكون صحبة جيدة لك اليوم " .

أطلقت سراحه ودعته يذهب للخارج ، فانطلق يعدو عبر الفناء وبين الأشجار كما لو كان لديه موعد ولا يريد أن يصل متأخراً .

أخذت تتجول عبر الفناء . لقد كان يوماً جميلاً رائعاً ، فلقد أضفت الأمطار بهاء على الأشياء ولطفت من الطقس قليلاً ، أو يمكنها أن تتمدد على إحدى الأرائك وترى إذا كان يمكنها أن تغفو قليلاً .

رجعت بالمقعد إلى الوراء ، وفكرت فى أن تقرأ كتاباً ، ولكنها راحت فى سُبات عميق فى غضون دقائق قليلة .

استيقظت على صوت شخير ، وأخذت تتساءل فى حيرة وهى تضع يدها على فمها ولكن الصوت كان لا يزال مستمراً ، كان هناك غطاء خفيف من القطن مُلقى فوق جسدها وقد حنى أحدهم المظلة فوقها .

أدركت أن مصدر الصوت هو باركر الذى كان ينام على ظهره بجانب مقعدها وكانت قدماه مرفوعتين فى الهواء فبدا وكأنه كلب غير حقيقى ، كلب لعبة " .

لقد أصبحت حياتها حقاً غريبة فى الآونة الأخيرة ولكنها لا تعتقد أن الكلب هو الذى قام بتحريك المظلة أو إحضار غطاء لها .

عندما نفضت النوم عنها وهمت بالنهوض ، لمحت ستيلا تأتى من الباب الخلفى وهى تحمل كوبين من الشاى المثلج .

سألتها : " هل نمت جيداً ؟ " .

" لقد غلبنى النوم هنا . أشكرك " ، ثم أضافت وهى تمد يدها لتأخذ كوب الشاى : " ترى كم الساعة ... أوه " نظرت إلى ساعة يدها وقالت : " لقد نمت لأكثر من ساعتين " .

" عظيم ، إنك تبدين أفضل " .

" الحمد لله ، أين الأولاد ؟ " .

" لقد اصطحبهم لوجان معه بعد انتهاء اليوم الدراسى . لقد كانوا يريدون الذهاب للعمل معه ، إن الطقس رائع بالخارج ، أليس كذلك ؟ إنه يوم مناسب لتناول الشاى فى الفناء " .

" هل كل شىء على ما يرام فى المشتل ؟ إن هذا الطقس يشجع الناس على الخروج والمجىء إلى المشتل " .

" هذا ما حدث بالفعل ، لقد كان اليوم مشحوناً بالمرح ، انظرى إلى زهور الريحان الرقيقة هذه " ، ثم أضافت هيلى تتنهد :

" إننى أحب هذا الفناء وهذه الحديقة " .

" لقد أديت أنت ولوجان عملاً رائعاً فيها ، لقد كنت لتوى أفكر بأنكما فريق جميل ومتعاون " .

" ومن ذا الذى كان يظن بأن شخصية متقلبة المزاج ، عالة ببواطن الأمور ، وعلامة مثلك أن تعثر على الحب الحقيقى والسعادة ؟ " .

" لقد عثرت عليه بالفعل " .

" أعتقد ذلك ، أيتها الذكية . والآن هل تناولت شيئاً ؟ " .

" لا ، لم أكن جائعة " .

" لابد أنك تشعرين بالجوع ، سأذهب لأحضر لك بعض الشطائر " .

" لا تشغلى بالك يا ستيلا " .

" سأحضر لك شطائر اللحم البارد والخبز المحمص بالزبد " .

هزت هيلى رأسها فى استسلام وقالت : " إنك تعرفين نقاط ضعفى " .

" عليك بالجلوس هنا ، فالهواء النقى مُفيد فى حالتك وسأعود خلال دقيقة " .

وكانت على حق ، فقد عادت بعد دقيقة وهى لا تحمل فقط بعض الشطائر وإنما كمية كبيرة من العنب والجبن ، وبعض الرقائق والبسكويت .

dodyaadodo www.rewity.com

نظرت هيلى إلى الطبق الموضوع على ساقيها فرفعت بصرها نحو ستيلا وقالت : " هل تقومين معى بدور أمى ؟ " .

أطلقت ستيلا ضحكة عالية وجلست عند ساق هيلى وأخذت تربت عليها وتضغط عليها برفق بطريقة جعلت عضلاتها تسترخى وتستريح " : إن أفضل ما كنت أشعر به وأنا حامل هو العطف والتدليل من الآخرين " .

قالت هيلى : " إننى لم أجد هذا العطف والتدليل فى الشهور الأولى للحمل الأول " .

أخذت ستيلا تربت على قدم هيلى وهى تقول : " إذن ، فأنت تعوضين ذلك هذه المرة ؟ كيف تشعرين الآن ـ هل أنت أفضل من ذى قبل ؟ " .

" إننى أشعر بتحسن ولكن متعبة بعض الشىء ـ وحالتى المزاجية متقلبة ولكنى على كل حال أفضل من ذى قبل " . ثم أضافت بعد أن أخذت قضمة من الشطيرة : " إننى أكره أن أعترف بذلك ولكن الغفوة الطويلة ، وذلك الطعام الشهى جعلانى فى أفضل حال ولا أحتاج إلى تدليل سأعتنى بنفسى يا ستيلا أعدك بذلك ، لقد كنت حريصة على ليلى ، وأنا حريصة على الطفل أيضاً هذه المرة وسأعتنى به وبنفسى جيدا " .

" أدرك ذلك تماماً ، بالإضافة إلى أنه لن يفرض عليك أحد أى اختيار " .

حركت كتفيها فى قلق وقالت : " إننى أشعر بالتوتر عندما أجد الآخرين قلقين بشأنى " .

" إذن فستشعرين بالتوتر دوماً لأننا لن نمنع أنفسنا من ذلك ولكن ليس بصدد أى شىء يحدث " .

" لقد كانت الليلة الماضية حقاً ... لقد استخدمت كل كلمات الوصف من قبل ، لقد كانت ليلة عصيبة ، غريبة عجيبة ، شاذة ، ستيلا إننى لم أخبر هاربر بكل شيء ، لم أستطع " .

" ماذا تعنين ؟ " .

" إننى لم أخبره بشعورى حينئذٍ ، وإلا فسوف يعنفنى ويوبخنى كما يفعل كل الرجال ، وأنا أريدك ألا تخبريه بشيء " .

" أخبرينى بما يجرى " .

" إنه شعور أو إحساس ولا أدرى إذا ما كان من جراء الضغط أو أنه كان شعوراً حقيقياً . إننى أشعر يا ستيلا بأنها تريد الطفل ـ هذا الطفل ـ طفلى " ، ثم ضغطت هيلى بيدها على أحشائها .

" كيف ... " .

" إنها لا تستطيع ، بل لن تستطيع أى قوة على وجه الأرض ولا فى أى مكان بأن تفعل ذلك وتبعدنى عن طفلى ، إنك تعرفين هذا الشعور ـ فبداخلك ينمو طفلك . إن هاربر سيغضب وسيشعر بالصدمة " .

" اشرحى ما حدث لى " .

" إن الأمور مشوشة ومختلطة بداخل عقلها ، هذا هو التعبير الذى أستطيع أن أصف به وأشرح ما حدث . إنها تتأرجح بين الحاضر والماضى ، إنها تعيش الماضى والحاضر فى نفس الوقت ، فحينما تعيش الحاضر تريد أن تنتزع ما هو ملكى ، هذا الطفل ، الحياة ، الجسد ، بل الأكثر من ذلك الثروة والنفوذ ، إنها تريد المشاعر والأحاسيس والعوض عن حرمانها ، أتفهمينني ؟ " .

" نعم " .

" إنها تشعر بالخوف الشديد ، وتتسم بالأنانية الشديدة حينما يرتبط عقلها بالحاضر ، أما حينما تعود للوراء ، حينما تعيش اللحظات التى مرت بها ويهيأ لها أنها لا تزال تعيش فيها ، يعتريها الغضب وتعصف بها مشاعر الانتقام ، لذا فهى تريد أحداً لكى يدفع ثمن ما حدث لها ، وألا يعتريها الحزن وتصبح جديرة بالشفقة وتبغى أن ينتهى كل ما يحدث لها ، لقد كانت متعبة ، مشوشة ، إن هاربر يعتقد أنها قد انتحرت " .

" أعلم ذلك ، فقد تحدثنا قليلاً " .

" إنه يعتقد أنها قد شنقت نفسها فى المشتل هناك ، بينما كان الطفل نائماً ، من المحتمل أن تكون قد ارتكبت ذلك بالفعل ، لقد كانت تشعر بالضياع وكان عقلها مشوشاً ، ولذا فهناك احتمال كبير أن تكون قد فعلت ذلك " .

نهضت ستيلا عبر الفناء وأخذت تنظر عبر الحديقة قائلة : " لقد عدت أحلم بتلك الأحلام ثانية " .

" ماذا ؟ متى ؟ " .

" ليس هنا ، وليس أثناء الليل ، يمكنك أن تطلقى عليها أحلام يقظة ـ أثناء العمل فى منزل هاربر ـ مثل أحلام الوردة الزرقاء التى كنت أحلم بها من قبل ، ولكنها أحلام شديدة البشاعة ، وهذا هو ما كانت تريد أن أراه ، لقد كانت بتلاتها كالشفرات الحادة التى ستُقطع أصابعك إذا ما حاولت لمسها ، وإنها لم تنبت فى حديقة هذه المرة " ، ثم نظرت خلفها والتقت عيناها بعينىّ هيلى وهى تستطرد : " بل كانت تنبت فى قبر . قبر غير معلوم ـ وزهرة الداليا الزرقاء هى الوحيدة التى تنمو عند هذا القبر " .

" متى بدأت هذه الأحلام ؟ " .

" منذ أيام قلائل " .

" هل تعتقدين أن هذه الأحلام تنتاب روز أيضاً ؟ " .

" علينا أن نسألها " .

" ستيلا ، علينا أن نصعد إلى حجرة الطفل القديمة " .

استدارت وأمسكت بيد هيلى وهى تقول : " سنفعل " .

إنه من الأفضل التحدث دون وجود الرجال وبخاصة عندما يكون الحديث عن ترتيبات الزفاف ، فلقد شبهت هيلى الرجال بأنهم يتناثرون كالذباب عندما يتعلق الأمر بقوائم المدعوين والألوان المستخدمة فى حفل الزفاف .

لذا فقد تمكنت السيدات من الجلوس فى فناء منزل ستيلا فى إحدى الأمسيات وكانت ليلى تلهو وتجرى حولهن أو تلعب على الحشائش مع الكلب باركر .

" أعتقد أنه لم يكن من السهل إبعاد هاربر ، أعتقد أنه كان يريد أن يشارك فى وضع خطط الزواج ، فإنه سيتزوج هو الآخر " .

تبادلت روز وستيلا نظرات ضاحكة قبل أن تمد روز يدها وتربت على يد هيلى وتقول : " إنك طفلة لطيفة ، حمقاء " .

قالت هيلى : " أعتقد أن ذلك لا يهم كثيرا طالما أننا نستطيع التحدث على حريتنا الآن " ، ثم لوحت بيدها وقالت : " على أية حال . هل ضايقتك إميليا مرة أخرى ؟ " .

قالت روز مؤكدة : " مرتين ، وفى كلتا المرتين كنت وحدى فى وحدة التطعيم ، وكنت أعمل ، ثم فجأة أجد

نفسى فى مكان آخر ، مظلم ، وكان الظلام الدامس يحيط بالمكان حتى إنه كان من الصعب علىّ أن أحدده وكان باردا ، قارس البرودة وكنت أقف فوق قبر مفتوح ، وعندما نظرت داخله رأيتها تنظر إلى وكانت يدها تقبض على ساق وردة سوداء أو أنها بدت سوداء فى الظلام " .

سألتها ستيلا : " ولماذا لم تخبرينا بذلك؟ " .

" ولماذا لم تخبرينا أنت أيضاً عما حدث لك ، لقد كنت أنوى إخباركما بذلك وكذلك إخبار ميتش ، ولكننا قد شغلتنا بعض الأشياء الأخرى " .

وضعت هيلى ابنتها ليلى فوق ساقيها وأبدت إعجابها بالسوار المصنوع من البلاستيك الذى كانت تلهو به وقالت : " إننى أعرف متى بدأ ذلك وقد اقترحت إعداد جلسة لتحضير الأرواح وقد سخر منى الجميع واعتبروها مزحة ، ولكن ربما كان علينا أن نحاول مرة أخرى ، فثلاثتنا مرتبطات بها ، وربما تخبرنا بما تريده ما إذا ما حاولنا الاتصال بها " .

قالت روز بلهجة قاطعة : " إننى لا أخرج العمامة أو الكرة السحرية ، وعلى أية حال أنا أعتقد أنها تريدنا أن نعثر عليها ، أعنى أن نعثر على قبرها، رفاتها ، ولكنها لا تعلم أين هو قبرها أو رفاتها " .

قالت ستيلا : " ولكننا لا نستطيع الجزم بأنه فى منزل هاربر " .

" لا يمكننا الجزم بذلك ، إن ميتش يبذل قصارى جهده حتى يعثر على سجلات الوفيات والدفن ، ولكننا لا نعتقد أنه يوجد شهادة وفاة خاصة بها ".

www.rewity.com

أومأت هيلى برأسها قائلة : " لقد تم الدفن سراً ، ولكنها تريدنا دوماً أن نعرف ما حدث لها ، فذلك يسبب لها القلق وعدم الراحة " ، ثم هزت كتفيها وابتسمت ابتسامة خافتة وقالت : " وهذا شيء أعلمه جيداً وبوضوح ، فإذا ما قتلها أحدهم أو كان قد قتلت نفسها ، فعلينا أن نعرف ذلك و نكشف مكان قبرها " .

قالت روز : " لقد كانت حجرة الطفل مستخدمة عندما ولدت أنا " .

سألتها هيلى : " هل كنت تنامين فى هذه الحجرة وأنت طفلة رضيعة؟ " .

" هكذا قالوا لى ، فى الأشهر الأولى على الأقل مع المربية ، ولم تكن جدتى توافق على ذلك، فقد كانت تستخدمها كحجرة للترفيه ، وقد ضغطت على والدى حتى قاموا بنقلى إلى حجرة فى الطابق الثانى ، إننى لم أستخدم هذه الحجرة قط حينما كان أولادى صغاراً " .

" لِمَ ؟ " .

أخذت تفكر فى سؤال هيلى ثم قالت : " فى بادئ الأمر ، كنت لا أريد أن يقطن الأطفال فى حجرة تبعد عن حجرتى كثيراً وكذلك كنت لا أحب هذه الحجرة ولا أشعر نحوها بالراحة ، إنه شعور لا أدرى تفسيره ولم أفكر فيه طويلاً آنذاك " .

" هل جئت بأثاث ليلى من هذه الحجرة ؟ " .

" نعم ، فبمجرد أن كبر ماسون وثبت على المهد ، قمت بإعادة أشيائه وأثاثه إلى هذه الحجرة مرة أخرى ، فلقد اعتدت أن أقوم بتخزين أشيائهم هناك عندما يكبرون ولا يعودون بحاجة إليها ، إننا لا نستخدم الطابق الثالث، فإن

استخدامه سيكلفنا الكثير وهو مساحة إضافية لسنا فى حاجة إليها ، ولكنى على الرغم من ذلك كنت أقيم حفلات راقصة فى الماضى فى قاعة الرقص " .

عقبت هيلى على حديثها قائلة : " إننى لم أصعد قط إلى هناك ، وهذا شيء غريب ، فإننى أحب دوماً أن أتجول خلال المنزل وحجراته ، وأرى كيف تبدو من المنظور القديم ، وكل تلك الأشياء ، ولكنى لم أفكر قط فى الصعود إلى أعلى طوال هذه المدة التى عشت فيها فى المنزل . وأنت يا ستيلا ؟ " .

" نعم ، إنك على حق ، فهذه الحجرة غريبة ، لقد كان الأطفال يلهون ويطوفون بالمنزل لأكثر من عام ، وقد تعتقدون أننى كنت أبعدهم عن هذه الحجرة فى بعض الأحيان ولكنى لا أعتقد أننى قد رأيتهم من قبل هناك ، وإذا حدث وكانوا قد فعلوا ذلك خلسة ، لكان ليوك قد أفشى ذلك ، إنه يفعل ذلك دوماً " .

أخذت روز تتجول بنظراتها بينهم وقالت: " أعتقد أنه علينا أن نصعد إلى الغرفة ، يجب علينا ذلك " .

سألتها ستيلا : " هل نفعل ذلك الليلة؟ " .

" أعتقد أننى لن أطيق الانتظار حتى الليل ، فإننى سأصاب بالجنون " .

قالت روز : " أعتقد أنه إذا كان ينبغى علينا أن نفعل ذلك ، فلنفعله جميعاً ، نحن الستة ، على ألا يكون الأطفال بصحبتنا ، سنجعل ديفيد يجلس معهم ويراقبهم فى الطابق الأسفل ، وعليك التأكد من ذلك يا هيلى ، أعتقد أنك الآن الأقرب إليها " .

" إننى على ثقة من ذلك، ولكنى لست أنا فقط ، فهناك شىء آخر أريد أن أحدثكما بشأنه ، هاربر ومشاعرها نحوه أخذت هيلى تتحسس ذراعيها وقد شعرت ببعض البرودة وأردفت قائلة : " إن مشاعرها نحوه متضاربة بشدة وقوية أيضاً . أنها تحبه فهى تراه طفلاً وهو حفيد حفيدها . وفى نفس الوقت تكرهه ـ لأنه رجل ، فهى ترى هاربر رجلا ومن دم ونسل ريجنالد ".

نظرت إلى ستيلا ، ثم إلى روز وقالت : " هذه التركيبة والمجموعة من المشاعر، إنها مشاعر قوية ، وأعتقد أنها قوية بسبب العلاقة التى تجمعنى بهاربر ".

أومأت روز برأسها : " الحب، صلة النسب والقرابة ، الانتقام ، الحزن ، والجنون ".

أخرجت هيلى نفساً عميقاً وقالت : " إن مشاعره نحوها أيضاً متضاربة ومختلفة، لا أعتقد إذا كان ذلك مهماً ، ولكنى أعتقد أن كل شىء مهم الآن عند هذه النقطة ، أعتقد أننا لابد أن نصل إلى نهاية ما يجرى " .

قالت ستيلا : " نحمد الله على كل حال " .

" نعم ، ولكنى أريد أن ننتهى من هذه المسألة ، أريد أن نضع ترتيباتنا من أجل الزواج ومن أجل هذا الطفل ، أريد أن أجلس معكما لنتحدث عن الزهور والموسيقى والفستان الذى سأرتديه فى حفل الزفاف " .

أمسكت روز براحتها وقالت لها : " سنفعل " .

" فى الليلة الماضية ، قبل هذه الأحداث ، كنت أتخيل أننى أرى نفسى فى رداء أبيض طويل وأمسك بباقة من الزهور ... ولكنى أعتقد أن ذلك غير مقدر لى ، ثم هزت

كتفيها وربتت على بطنها وهى تقول : " أعتقد أنه ليس مقدراً لى أن أرتدى الفستان الأبيض الطويل " .

ربتت روز على يدها وقالت : " يا عزيزى ، كل عروس لابد لها أن ترتدى الفستان الأبيض " .

شرعوا فى تناول الطعام أولاً. الوجبة العائلية . هذا النوع من الطقوس التى تضمهم جميعاً ، حيث تكون الزهور والأطفال من حولهم يثرثرون ، وكانت روز تقول دائما إن هذه الطقوس العائلية لهى شىء مهم ، وكانت هيلى توافقها الرأى وترى الهدف من وراء ذلك .

إن هذه الطقوس العائلية المقصود بها أن نعرف ماذا نكون ومن نكون وما سنكون عليه بغض النظر عن المشاكل أو ربما بسببها .

لقد منحت كل ذلك ، لهذه العائلة ، الأم ، الأخت ، الحبيب ، الإخوة ، والأصدقاء ، وطفلة يحبها الجميع وطفل آخر قادم .

وسوف تبذل كل ما فى وسعها لكى تحافظ على هذه العائلة وعلى سلامتها ، لذا شرعت فى تناول الطعام، أخذت تشاركهم الحديث و تستمع إليهم فى اهتمام ، ودفعت قلقها وتوترها وبدت طبيعية تماماً .

لقد كانت الأحاديث تدور عن الزهور والكتب، عن المدرسة والكتب ، وهاهو قد تناول حديثهم خطط الزواج الذى تحلم به وتتطلع إليه .

" أعتقد أن هيلى حدثتك عن رغبتنا فى إقامة الحفل هنا بالمنزل ، إذا كان هذا يناسبك يا أمى " .

dodyad.do www.rewity.com

وضعت روز الشوكة جانباً وقالت: " هذا ما أريد سماعه ، وما رأيكما أن نقيمه فى الحديقة ونأمل أن يكون الطقس معتدلاً وجميلاً فى ذلك اليوم ، وسوف نضع بعض المظلات ، سأقوم بوضع وتثبيت الزهور بنفسى ، وأصر على ذلك ولا أريد من أحد أن يعارضنى ، أعتقد أنكم تريدون زهور الزنبق الحمراء، أليس كذلك؟ .

" نعم، إننى أريد أن أحمل باقة من زهور الزنابق الحمراء " .

" أوه ، إنك تريدين ألواناً صارخة وجريئة ولا تريدين ، أو ترغبين فى شىء تقليدى ، وحيث إنه كان لدينا حفلا زفاف هذا العام ، لذا يمكننا تحديد التفاصيل دون عناء " .

قال لوجان لهاربر ناصحاً إياه : " عليك بالابتعاد وعدم التدخل الآن ، انج بنفسك وكل ما عليك قوله : هذا يبدو رائعاً ، وإذا كان عليك الاختيار بين شيئين ، فاحذر ولا تقع فى هذا الفخ وقل لهم إن كليهما عظيم ، وعليها هى أن تختار " .

قالت ستيلا بجفاء : " إنه يعتقد أنه لطيف وظريف ، إننى لن أركله تحت المائدة لأنه على حق " .

قال جافين : " إن الجميع يتزوجون ولماذا علينا أن نرتدى أربطة العنق ؟ " .

قال لوجان : " لأنهن يهوين تعذيبنا ، فهذا هو أسلوب النساء " .

قال جافين : " ولكن عليهن هن أيضاً أن يقمن بارتداء أربطة العنق ؟ " .

قالت ستيلا : سأرتدى رباط عنق ولكن عليك أنت الآخر بارتداء كعوب حذاء عالية " .

قال ليوك : " إننى أعرف جيداً لماذا يتزوج الناس ، وذلك كى يناموا فى فراش واحد و ينجبوا أطفالاً ثم وجه سؤاله لروز قائلا : " هل صنعت أنت وميتش طفلاً ؟ " .

نهضت روز من أمام المائدة وقالت : " لقد عرفنا نصيبنا منذ فترة طويلة والآن أعتقد أنه عليكما مساعدة ديفيد فى تنظيف المائدة حتى تحصلا على الآيس كريم الذى أعده لكما " .

" حسناً أيها الجنود الصغار اجمعوا إلى العمل وأنت أيضاً أيها الجندى " ، فقد قال ذلك موجهاً حديثه إلى ليلى قبل أن تحملها هيلى ، فقد اتجه نحوها ديفيد وأخرجها من مقعدها العالى وقال : " لا يعنى كونك قصيرة بأنك ستهربين من المهام المنزلية ، إنها تحب مساعدتى فى تشغيل مغسلة الصحون يا هيلى " ثم أضاف : " نحن على ما يرام " .

" أريد أن أتحدث معك لدقيقة فى المطبخ يا ديفيد " .

ثم أمرهم قائلاً : " انتباه أيها الرجال ، ثم حمل ليلى خارج غرفة الطعام وهو يقول : " سوف ننهى هذه المهمة ، أرجو ألا تقلقى " .

" لا ، ليس هذا ما أقصده ، إننى أعلم أن ليلى تكون بخير معك ، إننى أريد التحدث معك بشأن الزفاف ، إننى أريد أن أطلب منك شيئاً " .

أنزل ليلى ثم أعطاها ملعقة ووعاء حتى تلهو بهما وسألها : " ماذا تحتاجين يا هيلى ؟ " .

" أعلم أن ذلك قد يبدو غريبا ، ولكنك يجب فى يوم زفافك أن تفعل كل شىء ممكن لتجعل من ذلك اليوم أفضل يوم يناسبك ، أليس كذلك ؟ " .

www.rewity.com

" إذا لم يكن أفضل وأجمل يوم هو يوم الزفاف فماذا عساه أن يكون ؟ " .

" صحيح ، لذا فإننى كنت أتساءل آملاً ، إذا لم يكن لديك مانع أن تأخذ أنت بيدى وتسلمنى إلى هاربر " .

" ماذا ؟ " شحب وجهه وقال : " أنا؟ " .

" أعلم أنك لست كبير السن إلى هذا الحد لتحل محل أبى أو ما شابة ، ولكنى فكرت فى ذلك على هذا النحو ، فأنت صديق حميم وكذلك من أفضل أصدقاء هاربر وكيف أننا نمثل عائلة واحدة وهو يوم سيجمع العائلة ، بل هو يوم العائلة ، أنت تعلم أن أبى رحل ولن يكون بجوارى فى مثل هذا اليوم ولن يكون هناك أحد من أقاربى أحبه كما أحبك ، لذا أريدك أن تسلمنى إلى هاربر فهذا سيعنى الكثير بالنسبة لى " .

اغرورقت عيناه بالدموع وهو يطوقها بذراعيه وقال : " هذا أروع شىء سمعته فى حياتى ، أروع شىء " .

" هل توافق ؟ " .

أمسك بكلتا يديها وأخذ يقبل راحتيها الواحدة تلو الأخرى ويقول : " إن ذلك سيكون شرفاً لى ، بل شرف عظيم " .

" أوه ، كنت أعتقد أنك ستظن أن الأمر سيكون سخيفاً " .

" لا ، على عكس ذلك تماماً ، إننى فخور جداً ، وقد تأثرت بذلك تأثراً كبيراً وإذا لم تذهبى الآن يا عزيزتى ، فإننى سأبدو مرتبكاً محرجاً أمام جنودى " .

أخذت تشهق وتقول : " وأنا أيضاً ، حسناً سنتحدث عن هذا الأمر فيما بعد ، ثم انحنت لتقبل رأس ليلى وقالت : عليك أن تكونى فتاة مطيعة " .

أخرج ديفيد نفساً عندما توقفت عند الباب وقال لها : " هيلى إن أباك سيكون فخوراً جداً بك ؟ " .

كان أفضل ما تستطيعه هو أن تمنحه إيماءة من رأسها وأخذت تجفف دموعها وهى تستمع إلى الأصوات الصادرة من الردهة ثم توقفت وهى تستمع إلى رنة الغضب فى صوت هاربر .

" إننى لا أحبذ هذه الفكرة على الإطلاق ، ولا أوافق على ما خططتم له أنتم الثلاثة " .

قالت روز برنة سخرية ، استطاعت أن تسمعها هيلى من خارج الغرفة : " هكذا نحن معشر النساء " .

رد عليها قائلاً : " ليس لى يد فى كونكن نساء ، ولكن حقيقة أن امرأتى حامل ، تجعلنى لا أخاطر بذلك " .

" حسناً ، ولكن ما الذى تنوى فعله فى السبعة أو التسعة أشهر القادمة " .

" أن أحميها " .

" من الصعب مجادلتك " .

قاطعها صوت ميتش الهادئ وهو يقول : " إن الجدال لن يفيد ، يمكننا أن نتباحث ونناقش الأمر ، فإننا لن نستطيع التوصل إلى اتفاق كامل ولكن يمكننا الوصول إلى بعض القرارات " .

شدت هيلى قامتها ودلفت إلى الحجرة وقالت : " إننى آسفة ، لقد كان من الصعب ألا أستمع إلى الحديث الدائر بينكم ، يا هاربر كنت على وشك أن أطلب منك أن نذهب إلى الخارج حتى أتحدث معك فى أمر ما ولكنى شعرت بأن ما أحتاج أن أقوله يجب أن يقال هنا ، أمام الجميع " .

" ولكنى لدى ما أود قوله ومن الأفضل أن أقوله لك على انفراد " .

ابتسمت قائلة : " هناك أمامنا فيما بعد متسع من الوقت لتقول لى كل ما تريد على انفراد ، أمامنا الحياة كلها ، إننى أعلم أنك لم تقله حتى الآن بسبب الأطفال ولكنى أود أن تسمعنى قبل أن تقول أى شىء " .

تنحنحت وسارت عبر الحجرة وقالت: لقد كنت أجلس بمفردى صباح اليوم وكنت أتساءل كيف أتيت إلى هنا، فإننى لم أفكر مطلقا من قبل أن أنتقل من المكان الذى نشأت فيه بل وأن يكون لدى طفلان قبل أن أخطط لحياتى وما على فعله بعد ذلك وأن تكون خطوة الزواج وانجاب الأطفال خطوة لاحقة تأتى بعد أن أكون حققت شيئا لنفسى ، وأن أحصل علىّ بعض المتعة ولكن هانذا أعيش فى مدينة أخرى وسأتزوج ولدى طفله وفى انتظار طفل آخر وأعمل فى مجال لم يطرأ على ذهنى من قبل أن أعمل فيه ، كيف وصلت إلى هنا؟ وما أفعله ؟ " .

" إذا كنت لا تشعرين بالسعادة ... " .

قاطعته قائلة : " أرجوك ، أنصت إلى حتى أنتهى من حديثى ، ولقد سألت نفسى أنه مازال أمامى خيارات كثيرة فهناك دائما خيارات لذا سألت نفسى ، هل هذا هو ما أريده ، هل هذا هو المكان الذى أحب أن أكون فيه ، ما الذى أريد أن أفعله؟ نعم ، إن ذلك ما أريده تماما إننى أحبك إننى لم أعرف أن بداخلى كل تلك المشاعر والأحاسيس " .

ثم ثبتت نظرها على هاربر فقط ، ثم وضعت يدها على قلبها وهى تقول : " إننى لم أكن أتخيل أن أحب طفلة كما أحب ليلى ولم أكن أتصور أن أحب رجلاً فى حياتى كل هذا

الحب كما أحببتك يا هاربر لو كان أمامى كل رجال العالم لكى أختار بينهم لكنت اخترتك يا هاربر وأن أكون معك ومع أطفالنا فى هذا المكان ، هاربر إننى أحب هذا البيت وأحب المكان بقدر حبك أنت لهم ، أحب المكان كما هو ، وما يرمز إليه، وإنه سوف يجمع أطفالنا فيما بعد ".

" أعلم ذلك وإننى أفكر ذات التفكير ، ولهذا أنت المرأة المناسبة لى " .

" إننى لن أستطيع أن أبتعد عن هنا وأرجوك لا تطلب منى أن أفعل ذلك، إننى لن أستطيع أن أبتعد عن هذا المنزل ، أو هذه العائلة ، والعمل الذى أحببته والوسيلة الوحيدة التى تمكنى من البقاء هو محاولة فعل شىء ، وأن نحاول أن ننهى ما يحدث ونعيد الأمور إلى نصابها وأن نصحح الخطأ أو على الأقل نتفهمه ، ربما كان من المفترض علىّ أن أفعل ذلك، ربما قد عثرنا على بعضنا البعض لأن ذلك كان مقدراً لنا ، إننى لا أدرى إذا كان بإمكانى فعله إذا لم تكن معى ، ثم تجولت ببصرها وقالت : " إذا لم تكونوا جميعا معى " .

ثم نظرت إلى هاربر وقالت : " هاربر ابق معى يا هاربر ضع ثقتك فى لأفعل ما هو صواب ، ضع ثقتك بنا جميعاً " .

خطا نحوها وضمها قائلا : " إننى دائما بجوارك " .

www.dvd4arab.com

الفصل العشرون

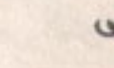

قالها ميتش وهو يضع شريطاً احتياطياً فى جيبه :

" ليس هناك ضمان بأن شيئا سيحدث " .

قالت هيلى وهى ترطب شفتيها : " أعتقد أنه بإمكانى ذلك أعنى أعتقد أنه بوسعى أن أجذبها إنها تريد ذلك أو على الأقل ، جزء منها يريد ذلك منذ ما يقرب من قرن " .

سألها هاربر : " وماذا عن الجزء الآخر " .

ثم أضاف قائلاً : " نزعة الانتقام فعندما تتملكها الرغبة فى الانتقام ، تميل إلى إيذائك أكثر منى " .

أوضحت روز قائلة : وبوسعها إيذاؤنا جميعاً ، ولقد رأينا ذلك بأنفسنا " .

هز لوجان رأسه قائلاً: إذن علينا أن نصعد الآن مسلحين بآلات التصوير وشرائط الكاسيت " .

قال ميتش : " إننا قلة قليلة " .

أمسك لوجان بيد ستيلا وقال : " حسناً ، وبما أن ذلك يزيد من المخاطر ، ولن يتراجع أى منا ، فعلينا المخاطرة " .

قالت روز حينما شرعوا فى الصعود : " علينا أن نبقى معاً ، مهما حدث ، إننا لن نواجهها من قبل كمجموعة وأعتقد أن فى ذلك قوة " .

أومأ هاربر برأسه : " لقد كان لها دوماً اليد العليا والسيطرة وإنها هى دوماً التى تبدأ الخطوة الأولى ، نعم علينا البقاء معاً ـ ومواجهتها كمجموعة " .

عندما بلغوا الطابق الثالث ، انحرفت روز نحو قاعة الرقص وبحركة تلقائية ، خطت خطوة داخلها وفتحت الباب .

" كانت هناك حفلات رائعة تقام فى هذه الغرفة ، إننى أتذكر أننى كنت أتسلل فى الليل لأشاهد الرقص " .

مدت يدها لتضىء الأنوار ، وسقط الضوء على الأثاث المغطى بقطع القماش والأرض الخشبية الجميلة وقالت : " كنت على وشك أن أبيع هذه الشمعدانات ذات مرة " ، ثم نظرت لأعلى الشمعدان الثلاثى الذى يتدلى من الحلية المزخرفة المنمقة ، ثم أردفت قائلة : " ولم أستطع أن أحمل نفسى على فعل ذلك ، على الرغم فى أن ثمنه كان سيجعل الحياة اليومية أسهل وكنت أقيم حفلاتى هنا وأعتقد أنه قد حان الوقت لأعيد ذلك " .

أحكمت هيلى قبضتها على يد هاربر وقالت : " لقد أتت إلى هنا فى تلك الليلة، إننى على ثقة من ذلك، أرجوك لا تتركنى ، لا تترك يدى " .

" ليس هناك مجال لذلك " .

" لقد أتت من أبواب الشرفة ، فلم تكن مغلقة ولقد كان بوسعها أن تحطم الزجاج إذا ما كانت قد وجدت أبواب الشرفة مغلقة ، لقد دخلت الحجرة وأوه ... الذهب والكريستال ، رائحة شمع عسل وزيت الليمون ، إن الأمطار تتساقط ، قم بإضاءة الأنوار " . قالت روز بهدوء : " لقد أضأتها " .

" لا ، لقد قامت إميليا بإضاءة الأنوار يا هاربر " .

" إننى هنا بجوارك " .

" إننى أستطيع أن أرى ما يجرى ، إننى أستطيع أن أرى " .

كان الضباب يتكاثف خلفها عند الباب والدخان يحجب الأرض اللامعة ، وكانت قدماها مغطاتين بالطين والدماء ، حيث كانت تخطو على الأحجار وكانت تخلف وراءها بقعا من الطين والدماء حينما تخطو .

إنها لا تزال حية ، قلبها يضخ الدماء .

هكذا يعيشون فى منزل هاربر ، الحجرات الضخمة المضاءة بالشمعدانات اللامعة ، المرايا المطلية حوافها بالذهب ، الموائد الطويلة اللامعة ، النخيل المزدهر ، اليانع والذى ذكرها برائحة المناطق الاستوائية .

إنها لم تذهب إلى المناطق الاستوائية من قبل ، ولكنها ستذهب يوماً ما هى وجيمس إلى هناك ، فيوما ما سيسيران على الرمال الناعمة بجوار المياه الزرقاء الدافئة .

ولكن لا ، لا إن حياتها هنا ، فى منزل هاربر . لقد نبذوها وطردوها ، ولكنها ستعود ، ستبقى هنا دائما . لترقص فى هذه القاعة المضاءة بالمصابيح البللورية .

وأخذت تتمايل وترقص رقصة الفالس دون مرافق وأخذت ترفع رأسها لأعلى وكانت حافة المنجل الذى فى يدها تلمع وترسل ضوءا .

إنها سترقص هنا ، ليلة بعد ليلة إذا ما رغبت فى ذلك ، وستحتسى المشروبات بألوانها المختلفة وترتدى أفخر المجوهرات وأغلاها وستعلم جيمس كيف يرقص رقصة الفالس معها ، إنه سيكون وسيماً وهو يرفل فى حلته الزرقاء الناعمة يا للصورة الجميلة التى سيصنعانها .

الأم وطفلها .

يجب أن تذهب إليه الآن ، تذهب إلى جيمس ، حتى يظلا معاً إلى الأبد .

وأخذت تتجول بالخارج ، أين عساها أن تكون حجرة الطفل؟ فى الجناح الآخر بالطبع . إن حجرات الأطفال ومن يقومون برعايتهم لا تكون بجوار قاعات الرقص الكبيرة والحجرات الفاخرة الراقية ، برائحة المنزل الذكية ، إن الروائح العطرية تفوح منه ، إنه منزل ابنها وهو الآن منزلها هى .

كان ملمس السجادة ناعمًا كالفراء تحت قدميها ، وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخرا وكان الجميع نيامًا ، كانت المصابيح مضاءة إضاءة خافتة .

وأخذت تحدث نفسها بأنها لن تدخر وسعاً وستقوم بإحراقهم جميعاً .

أوه، إنها يجب أن تحرقهم جميعاً .

وتوقفت عند السلالم ، لابد أنهم ينامون بأسفل هنا ، الوغد وزوجته العاهرة ، إنه المكان الذى ينام فيه الأغنياء

www.rewity.com

وذوو السطوة والنفوذ ، إنها تستطيع أن تهبط لأسفل ، وتقتلهم وتقطعهم إرباً وتسبح فى دمائهم .

أخذت تحك حافة المنجل الحادة بإبهامها ، وتحدث نفسها إن دماءهم زرقاء ، دماء آل هاربر تسيل ، هل ستسيل دماؤهم الزرقاء؟ دماء آل هاربر ، إن منظر دماؤهم سيبدو رائعاً وهى تسيل من أعناقهم ـ إن دماءهم الملكية ستلطخ الملاءات الفاخرة .

ولكن قد يسمعها أحدهم ، قد يسمعها أحد الخدم ويعترض طريقها قبل أن تنتهى من مهمتها .

وبهدوء شديد، وضعت أصابعها على وجنتيها وأطلقت ضحكة خافتة كانت هادئة كالفأر .

هادئة كالشبح .

اتجهت نحو الجناح الآخر ، وإنها ستفتح الأبواب إذا ما كانت مغلقة وتنظر بداخلها .

لقد كانت تدرك بقلب الأم الذى بداخلها وهى تفتح مزلاج الباب بيديها اللتين ترتعشان بأن جيمس ينام بالداخل .

كان هناك ضوء خافت بداخل الحجرة ومن خلال هذا الضوء استطاعت أن ترى الرفوف الموضوع عليها اللعب والكتب ، والكرسى الهزاز ، خزانة الملابس الصغيرة والأدراج .

وكان يرقد هناك ـ مهد الطفل .

انهمرت الدموع من عينيها وهو تخطو نحوه ، فها هو طفلها يرقد هناك فى مهده ، ها هو ابنها العزيز الغالى إن شعره الأسود نظيف وناعم ووجنتاه مشوبتان بحمرة تنم عن الصحة والرعاية .

ليس هناك طفل أجمل من طفلها جيمس ، إنه يبدو جميلاً وناعماً وهو ينام فى مهده ، إنه يحتاج إلى الرعاية والتدليل ويحتاج إلى من يهدهده ويغنى له ، أغنيات جميلة ، إلى ابنها الحبيب .

لقد نسيت أن تحضر غطاءه! كيف لها أن تنسى غطاءه ؟ إنه سيكون عليها أن تستخدم الغطاء الذى أحضره له الآخرون عندما تحمله معها .

وأخذت تتحسس بنعومة ورقة شعره الناعم الرقيق وأخذت تغنى له أغنية الأطفال .

" سنكون معاً للأبد يا جيمس ، لن يفرقنا أحد أبداً " .

وجلست على الأرض وشرعت فى العمل .

أخذت تستخدم حافة المنجل من أجل أن تقوم بتقطيع الحبل، لقد كان من الصعب أن تقوم بعمل أنشوطة ولكنها قد فعلت ذلك وكونتها بطريقة جيدة، وضعت المنجل جانباً ، وحملت مقعداً وضعته مباشرة تحت المصباح المتدلى من السقف وأخذت تغنى بصوت خفيض وهى تقوم بربط الحبل فى أجزاء المصباح .

أخذت تخلع التعويذة التى كانت ملتفة بحبل حول رقبتها ، لقد تذكرت ترنيمة العرافة ، ولكنها كانت تتذكر الكلمات بصعوبة وهى تلف التعويذة حول المقعد .

واستخدمت نصل المنجل لتجرح راحة يدها وتجعل الدماء تسيل فوق هذه التعويذة .

لقد سال دم إميليا إلين كونور ، إنها نفس الدماء التى تجرى فى عروق طفلها ، دم الأم ، سحر قوى وفعال .

كانت يداها ترتعدان ولكنها استمرت تدندن وهى تتجه نحو سرير الطفل ، ولأول مرة منذ ولادته ، حملت الطفل بين ذراعيها .

ولطخت غطاءه ووجنتيه بالدماء .

آه ، إنه دافئ ناعم وجميل للغاية ! وأخذت تبكى من فرط السعادة وهى تحتضن الطفل وتضمه إلى فستانها المبتل والمتسخ وعندما بدأ يتحرك ويتشنج ، ضمته إليها أكثر واحتضنته بشدة .

اهدأ ، اهدأ يا عزيزى ، اهدأ يا صغيرى ، لقد جاءت أمك ، إن ماما لن تتركك بعد الآن ، أخذ رأسه يتحرك ، ويحرك شفتاه كما لو أنه يبحث عن صدر أمه ، وعندما أزاحت الفستان عن صدرها وضمته أخذ يتشنج وأطلق صرخة عالية .

اهدأ ، اهدأ ، لا تبك ولا تقلق يا طفلى ، طفلى الحبيب ، وأخذت تهدهده بيدها واتجهت نحو المقعد وهى تقول : " لقد جاءت إليك أمك ، إنها لن تتركك ابدًا اذهب مع أمك يا صغيرى جيمس اذهب مع أمك الآن إلى حيث لن نعرف الآلام أو الأحزان ، حيث سنرقص معاً رقصة الفالس فى قاعة الرقص ونحتسى الشاى ونتناول الكعك فى الحديقة " .

وأخذت تصعد أعلى المقعد وكان يثقلها حمله وأربكها تشنجه وعندما بدأ ينوح نظرت إليه بابتسامة ، ثم لفت الأنشوطة حول عنقها ، وأخذت تغنى بصوت خافت ، ثم لفت الأنشوطة الصغيرة حول عنق الطفل .

والآن ، ها نحن معاً .

فتح فجأة الباب الذى يفصل بين الحجرتين وأضاء أحدهم النور مما جعلها تدير رأسها ، وتكشف عن أسنانها كمن يحمى صغيره .

أطلقت المربية التى استيقظت لتوها صرخة عالية ووضعت يدها على وجهها عندما وقعت عيناها على السيدة فى ردائها الأبيض المتسخ و هى تحمل الطفل بين ذراعيها وهو يصرخ من الخوف والجوع ، ويلتف حول عنقه حبل متدل .

" إنه طفلى ، ملكى " .

وعندما ركلت الكرسى من تحت قدميها ، اندفعت المربية للأمام نحوهما .

وأفسحت صرخاتها الطريق للظلام والضياع والبرودة ، فجلست هيلى على أرضية المكان الذى كان ينام فيه الطفل وبكت بين ذراعى هاربر .

كانت لا تزال تشعر بالبرودة ، رغم جلوسها فى الردهة والغطاء يلتف حول ساقيها والنار تتراقص فى المدفأة التى أشعلها ميتش .

وجهت حديثها لهم قائلة : " لقد كانت تريد أن تقتله أوه ، يا إلهى ، لقد كانت تريد أن تشنق طفلها " .

وقفت روز تنظر نحو النيران : " حتى تحتفظ به للأبد ، إن ذلك يفوق حد الجنون " .

" كادت تفعل لولا دخول المربية فى الوقت المناسب ، كانت ستنجح فى ذلك ما لم تسمع المربية بكاء الطفل وتهرول نحو الحجرة " .

" امراة أنانية " .

رفعت هيلى يدها وأخذت تتحسس كتفيها وهى تقول : " أعلم ذلك ، أعلمه جيداً ولكنها لم تفعل ذلك لكى تؤذيه ، فإن ما فعلته فى اعتقادها كان سيجمعهما معاً ويجعلهما يعيشان معاً فى سعادة أبدية ، أوه يا إلهى لقد كانت محطمة تماماً ثم فى النهاية عندما شعرت بالضياع مرة أخرى " ، هزت هيلى رأسها وأردفت : " لقد ظلت تنتظره وأعتقد أنها كانت تراه فى كل طفل كان يأتى إلى منزل هاربر " .

سألت ستيلا " : " لقد كانت تعيش فى جحيم وكان هذا ضرباً من الجنون " .

حدثت هيلى نفسها بأنها لن تنساه أبداً ثم قالت : " المربية ، إنها هى التى أنقذت الطفل " .

قال ميتش : " إننى لم أستطع أن أصل إلى بيانات كافية عنها ، لقد دخلت المنزل أكثر من مربية فى تلك الفترة خلال طفولته ولكن المعلومات عن تلك الفترة كانت تشير إلى فتاة تدعى أليس جاميون ، حيث تتطابق هذه المعلومات مع المعلومات التى يحتوى عليها خطاب لوسيل فقد تركت أليس منزل هاربر فى فبراير عام ١٨٩٣ ولم أعثر على معلومات أكثر عنها " .

أغمضت ستيلا عينيها وهى تقول : " لقد طردوها من المنزل ، هذا هو ما فعلوا معها ، ربما يكونون قد أعطوها بعض النقود ، أو قاموا بتهديدها " .

قال لوجان : " هذا هو اعتقادى أيضاً " .

قال ميتش : " سأحاول بقدر الإمكان أن أعثر على المزيد عن المعلومات عنها " ، استدارت روز نحوه ومنحته ابتسامة .

ثم قالت : " إننى أقدر مجهودك ، لولا هذه المربية لما جئت إلى الدنيا أنا أو أولادى " .

قالت هيلى بهدوء: إن ذلك ليس ما أرادت أن تخبرنا به ، إنها لا تعرف أين هى ، أين دفنت ، وماذا فعلوا بها ، إنها لن تغادر المنزل ولن تستريح وتهدأ حتى نعثر عليها " .

لوحت ستيلا بيدها وقالت : " كيف ؟ " .

تفرست روز فى وجوههم وهى تقول : " إن لدىّ فكرة وأعتقد أنها يمكن أن تنجح بنسبة كبيرة " .

قال " هاربر " معترضا: " ما هذه الفكرة ، أن تحاول هيلى رؤيتها وهى تشنق الطفل مرة أخرى ؟ " .

" يمكنها هى أو أى أحد منا أن يرى ما حدث لاحقاً وذلك عن طريقنا ، أعنى أنا وهيلى وستيلا " .

أطلق هاربر سراح يد هيلى لأول مرة منذ أن صعدوا إلى الطابق الثالث ونهض من فوق الأريكة وقال : " إنها فكرة غبية " .

قالت روز : " لا تتحدث معى بهذه اللهجة يا هاربر " .

" إنها اللهجة التى سأستخدمها عندما تجن أمى ، ألم ترى لتوك ما حدث بأعلى؟ والطريقة التى سارت بها هيلى من قاعة الرقص حتى حجرة الطفل القديمة؟ والأسلوب التى تحدثت به كما لو أنها ترى الأحداث الماضية مرة أخرى وكأنها جزء من هذه الأحداث ؟

" لقد رأيتها بالفعل ولهذا السبب علينا أن نصعد مرة أخرى " .

www.rewity.com

هز لوجان كتفيه كما لو كان يعتذر وقال : " إننى أوافق هاربر تماماً فيما يقوله يا روز ؟ فلا يمكن أن نجلس هنا ونترك ثلاث سيدات يصعدن إلى أعلى بمفردهن " .

" إننى أتوقع أن يحدث الكثير يا ميتش ؟ رفعت حاجبيها عندما جلس وقطب جبينه فقالت : " إنك ستفاجئنى مرة ثانية " .

استدار هاربر نحو زوج أمه وقال : " أتوافقها على هذه الفكرة ؟ " .

" هاربر إننى لا أحبذ هذه الفكرة ولكنى أعرف إلام ترمى أمك ولماذا ؟ ، وقبل أن تعترض يجب أن تفكر فى ذلك : أنهما سيفعلان ذلك فيما بعد وعندما لا نكون موجودين بالمنزل " .

قال هاربر : " وماذا لو فعلنا ذلك معاً ؟ " .

قالت روز : " لقد استغلها رجل فى يوم من الأيام ، وجرحها وسرق طفلها ونبذها وطردها ، لقد أصبحت تطاردنى أنا وستيلا مرة أخرى ، إنها لن تثق بك أبداً ، وربما يكون باستطاعتنا أن نجعلها تثق بنا نحن " .

" وربما تلقى بكن من شرفة الطابق الثالث " .

اتجهت روز نحوه وابتسمت ابتسامة متوعدة وهى تقول : " هاربر إنها هى التى سنلقى بها خارج هذا المنزل ، وهذا وعد منى ، فلقد نفد صبرى ولم أعد أتعاطف معها ، ثم نظرت نحو هيلى وقالت : " قد لا تزالين تشعرين نحوها ببعض التعاطف ، ربما يكون فى ذلك ميزة ، أما أنا فلا ، إننى مصرة على أن ألقى بها خارج المنزل " ، ثم سألت هيلى قائلة : " هل بمقدورك أن تصعدى ثانية ؟ " .

" نعم أستطيع ، فأنا أريد أن ننتهى من هذه المسألة فلا أعتقد أننى سأشعر بأية راحة إلا إذا فرغنا من هذا الأمر " .

" إنك تطلبين منى أن أخاطر بحياتك " .

نهضت هيلى واتجهت نحوه وقالت : " لا ، إننى أريدك أن تثق بى " .

" أتدرين كيف يبدو الأمر ، فإنه يهيأ لى أنه كأحد أفلام الرعب وهناك تلك البطلة الشقراء ضئيلة الحجم الغبية التى تنزل بأسفل إلى القبو بمفردها عندما تسمع أصواتاً تصدر منه وعندما يحوم بالمنزل سفاح محترف " .

أطلقت روز ضحكة عندما سمعت حديث هيلى وهما تقفان فى الطابق الثالث وقالت : " نحن لسنا بأغبياء " .

ثم أضافت ستيلا : " ولا شقراوات ، هل أنتما مستعدتان ؟ " .

شبكتا أيديهما وهما تتجهان نحو الردهة .

قالت هيلى : " إن المشكلة تكمن فى احتمال عدم معرفتها هى بما حدث لها بعد ذلك ، فكيف سنعرفه نحن حينئذٍ ؟ "

أمسكت روز بيد هيلى وقالت : " علينا أن نخطو معاً ، بمَ تشعرين الآن ؟ " .

" إن قلبى يدق بعنف وبسرعة ، روز هل بإمكاننا أن نفتح هذه الحجرة مرة ثانية حينما ننتهى من هذا الموضوع ؟ هل نجعلها قاعة رقص مرة اخرى . حجرة تنبعث منها الأضواء والألوان الجميلة " .

" إنها فكرة رائعة " .

قالت ستيلا : " ها نحن قد وصلنا ، اتجهن نحو القاعة معاً " .

سألتها روز : " كيف كان شكل هذه الحجرة فى الماضى حينما رأيتها يا هيلى " .

أشارت هيلى بذقنها قائلة : " ممم ، لقد كان سرير الطفل هناك ، بجانب الحائط وكانت الأضواء خافتة وكانت المصابيح عتيقة تعمل بالجاز كما فى أفلام " إنجريد برجمان " كالفيلم الذى حاول فيه شارلز بوير أن يجعلها تصاب بالجنون وكان هناك فى هذا المكان كرسى هزاز ، ومقعد ذو ظهر عال ـ والذى كانت تستخدمه هى ـ وكان هناك بعض الرفوف الموضوع فوقها بعض اللعب والكتب و ... " .

سقط رأسها للخلف ، ورفعت عينيها لأعلى وعندما بدأت تختنق تسمرت قدماها فى مكانهما .

وسمعت من خلال العاصفة التى أخذت تدوى فى أذنيها صوت روز وهى تصرخ مع ستيلا حتى تخرجاها من الحجرة ولكنها هزت رأسها بعنف .

" انتظروا ، انتظروا يا إلهى إنه يحترق ! الطفل يصرخ والمربية ، المربية لا تتركونى " .

قالت روز : " إننا سنخرجك من هنا " .

" لا ، لا ولكن لا تتركونى ، إنها تموت ـ إنه أمر فظيع ، بشع ـ إنها فى قمة الغضب " ، جعلت هيلى رأسها يسقط على كتف روز ، إن المكان الذى يحتويها مظلم ، مظلم بشدة لا يوجد به ضوء ولا هواء ولا أمل ، إنها قد ضاعت تماماً لقد سلبوه منها مرة ثانية وهى الآن وحيدة ، وستبقى وحيدة للأبد ، إنها لا تستطيع أن ترى ولا تستطيع أن

تشعر ، إن كل شىء يبدو بعيداً بارداً مظلماً هناك أصوات ولكنها لا تسمعها إنها مجرد صدى صوت بالنسبة لها ، إن المكان خاو ، إنها تسقط ، إنها تشعر بثقل ، إنها لا تستطيع أن ترى سوى الظلام ، إنها لا تعرف أين هى ، إنها فقط تسبح فى هذا الظلام .

تنهدت هيلى بشدة وتركت رأسها يستند على كتف روز وهى تقول : " إننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من هذا الشعور الذى يعترينى حتى فى هذه الحجرة ، إننى أشعر بالأسف من أجلها ، لقد كانت بحق أنانية ، باردة تبحث عن المادة وهى بحق عاهرة بكل ما تحمله الكلمة من معان ولكنها دفعت ثمن هذا ، أليس كذلك؟ لقد ظلت تشعر بالضياع لأكثر من مائة سنة ، وهى ترى الأطفال الآخرين ولم تر طفلها ، لقد دفعت الثمن " .

" ربما تكون كذلك ، هل أنت بخير؟ " .

أومأت هيلى برأسها وقالت : " إننى أشعر بنفس الشعور الذى كان يعترينى من قبل ، إننى أشعر بأنها كانت تجذبنى كما كانت تفعل قبل ذلك ، لقد كنت أقوى منها ، إننى أحتاج إلى الحياة أكثر منها ، وأعتقد أنها متعبة ، متعبة مثلنا تماما " .

قالت ستيلا : " ربما تكونين على صواب فى هذا . ولكن عليك ألا تتخلى عن حذرك " ، نظرت ستيلا لأعلى نحو المكان المعلق به مصباح يعمل بالجاز قائلة : " لا يجب أن تتخلى عن حذرك ولو لدقيقة " .

نهضت ستيلا وساعدت هيلى فى الوقوف على قدميها : " هيا نهبط لأسفل ، لقد فعلت أقصى ما بوسعك ، وكلنا كذلك " .

www.rewity.com

" إن ذلك لم يبد كافياً لقد كانت طريقة انتحار بشعة ، فلم يكن موتاً سريعاً وقد رأت المربية وهى تجرى وتهرب بالطفل وكانت تمد يدها نحو طفلها حتى وهى تختنق " .

قالت روز : " مهما كان اعتقادها فإن ذلك ليس حباً أو مشاعر أمومة " .

أخذت هيلى تبلل شفتيها وهى تتوق لبعض المياه وقالت : " لا ، إنه لم يكن كذلك ولكن كانت هذه مشاعرها ، لقد كانت تلعنه ـ تلعن ريجنالد ، لقد كانت تلعنهم جميعاً ـ كل آل هاربر لقد كانت تريد أن تبقى هنا دائماً ، ولكنّ جزءاً منها أصبح متعباً ، إن الجزء الذى تغنى به أغنيات الأطفال أصبح متعباً ، لقد أصبحت تشعر بالضياع " .

أطلقت تنهيدة طويلة ، ثم ارتسمت ابتسامة على شفتيها وهى ترى هاربر ينطلق نحوها وقالت :" إن ما لدينا يفوق ما لديها بكثير . نحن بخير" ، ثم تركت السيدتين لتذهب إليه وقالت : أعتقد أننا لم نحصل على ما كنا نبغيه ولكننا بخير " .

" ماذا حدث ؟ " .

لقد رأيتها وهى تموت ولقد شعرت بها تسبح فى الظلام ، شىء بشع . لقد كان يكتنفها الظلام والبرودة والوحدة لقد كانت ضائعة ، ثم مالت نحوه وجعلته يصحبها لأسفل وأردفت : " إننى لم أعرف ماذا حدث لها ، وماذا فعلوا بها إنها تسبح فى الظلام والبرودة " .

" هل دفنت ؟ " .

" لا أعلم ، لقد كان أكثر من ذلك ... لقد كانت وكأنها تطفو بعيداً فى الظلام ، تهبط لأسفل ، حيث لا يمكنها أن

ترى أو تسمع أو تشق طريقها " ، ودون وعى أخذت تحك رقبتها وهى تتذكر إحساسها والحبل ملتف حول رقبتها : " ربما كان شيئاً روحانياً ـ أتدرى لقد كان المكان شبيهاً بنفق مظلم " .

ثبت هاربر بصره قائلاً : " تطفو ، تسبح ماذا عن الغرق ؟ " .

" نعم ، أعتقد أن الأمر كذلك ، كانت تبدو وكأنها تغرق " .

قال وهو ينظر إليها : " البحيرة ، إننا لم نفكر فى البحيرة من قبل "

كانت هيلى تقف على حافة البحيرة فى ضوء الفجر وتقول :

" إن ذلك ضرب من الجنون، إن الأمر سيستغرق مزيداً من الوقت ، ويجب أن نساعد فى ذلك ويمكننا أن نحضر أناساً آخرين ليقوموا بهذه المهمة ، فريق البحث والإنقاذ " .

وضعت روز يدها على كتفها وقالت : " إنه يريد أن يقوم بذلك ، إنه بحاجة إلى ذلك ، كانت تراقب هاربر وهو يرتدى الزعافات وقالت : " علينا نحن أن نتراجع ونفسح لهم الطريق ليقوموا هم بدورهم فلقد قمنا بما كان علينا على أكمل وجه ، والآن حان دور الرجال " .

كانت البحيرة تبدو مظلمة وعميقة حيث كان الضباب يتكاثف على سطحها ، وبدت لها زهور الزنابق الطافية ونبات ذيل القط وأوراق السنوسن التى كانت تبدو جذابة من قبل نذير شؤم وبدت لها غريبة ومخيفة .

ولكن تذكرت هيلى كيف هرع هاربر إليها حينما صعدت لأعلى حيث حجرة الأطفال .

قالت هيلى بصوت خافت : " لقد وثق بى والآن علىَ أن أثق به " .

اتجه لوجان نحو هاربر ومنحه مصباحاً يضىء تحت المياه وقال: " هل معك كل ما يلزمك ؟ " .

أخذ هاربر عدة أنفاس عميقة حتى يملأ رئتيه بالهواء وقال : " لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة قمت فيها بالغوص ولكننى لم أنس الخطوات " .

" إننى أستطيع أن أحضر بعض الطلبة ، كأصدقاء ابنى والذين يعرفون هذه الخطوات أيضاً " ومثلما كانت تفعل هيلى أخذ ميتش ينظر إلى سطح البحيرة الممتد الذى تكاثف فوقه الضباب وقال : " إنها بحيرة كبيرة وسوف تستغرق وقتاً طويلاً حتى يقوم المرء باكتشافها " .

" إنها مهمتى التى على أن أقوم بها ، وإننى أوافق هيلى فيما قالته ليلة أمس من أنها ربما تريد أن نعثر عليها ، إننى يعترينى نفس الشعور " .

وضع ميتش يده على كتف هاربر وقال : " عليك النظر إلى ساعتك دائماً ، ويجب عليك أيضاً أن تصعد إلى السطح كل ثلاثين دقيقة وإلا فستلقى بى أمك وراءك " .

نظر هاربر نحو هيلى وابتسم لها وقال : " سأعود قريباً " .

ونظرت هى نحوه وانحنت ووضعت يدها على وجنتيه وقبلته وقالت : " حظاً سعيداً " .

" لقد حصلت على ما كنت أحتاج إليه ، لا تقلقى ، لقد كنت أسبح فى هذه البحيرة ... " ثم نظر نحو أمه وقد تراءت ذكرياته عندما كان يسبح فى البحيرة ويحرك يديه الصغيرين فى الماء بينما كانت أمه تحمله وأردف قائلاً :

" لقد سبحت فى هذه البحيرة عدة مرات لا أستطيع إحصاءها " .

" إننى لست قلقة ، فأنا واثقة منك " .

قبلها مرة أخرى ، ثم أخذ يتفحص الأنبوبة التى سيضعها فى فمه ، ثم عدل من وضع القناع ونزل إلى قاع البحيرة .

أخذ يحدث نفسه بأنه سبح فى هذه البحيرة مرات لا حصر لها ، وهو يتبع شعاع الضوء الذى كان يخترق المياه ، لقد تذكر كيف كان ينزل ليسبح فى هذه البحيرة فى وقت الظهيرة من أيام الصيف أو قبل أن يذهب لعمله فى الصباح .

وتذكر وهو يسلط الضوء على قاع البحيرة ويتفحص ساعته كيف كان يسبح مع أخويه ، فقد علمته أمه هو وأخويه العوم فيها و تذكر ضحكاتهما ولهوهما واللحظات الجميلة اللطيفة السعيدة .

هل كان كل ذلك يجرى فوق قبر إميليا ؟

قطع البحيرة كلها ، ثم بدأ يفتش فى كل جزء .

مرت ثلاثون دقيقة ، ثم ساعة .

وصعد إلى السطح حيث جلس على حافة البحيرة وكانت ساقاه تتدليان فيها بينما ساعده لوجان فى تغيير خزان الأوكسجين ، فقال هاربر : " لقد بحثت فى نصف البحيرة تقريباً ولم أجد سوى علب المياه الغازية والعصائر ثم رفع رأسه نحو أمه وقال : " لا تنظرى إلىّ ، لقد حصلت على بعض التقدير " .

انحنت لأسفل وقالت : " أعتقد ذلك " .

" ليحضر لى أحد حقيبة ،فإننى سأغتسل بمجرد أن أصعد " .

www.rewity.com

" سنفكر فى ذلك لاحقاً " .

" إن البحيرة ليست عميقة ، ربما يصل عمقها لحوالى ثمانى عشرة قدماً على أقصى تقدير ولكن الأمطار حركت بعض الطين فأضحت البحيرة مظلمة قليلاً " .

جلست هيلى بجانبه ولاحظ أنها كانت حريصة على ألا تلامس المياه قدمها وقالت: " كنت أتمنى لو كان بمقدورى الذهاب معك " .

" ربما فى العام القادم وسأعلمك رياضة الغوص " ثم ربت على بطنها وقال: " عليك البقاء هنا ورعاية هرميون " .

ثم غاص فى المياه مرة أخرى .

لقد كان عملاً مملاً ورتيباً ويفتقر إلى المغامرة والنشوة التى كان يشعر بهما حينما كان يغوص فى أيام الأجازات ، ولقد جعله البحث خلال المياه والنظر نحو دوائر الضوء يشعر بالصداع .

لم يكن يسمع شيئاً سوى صوت أنفاسه وهو يستنشق الأوكسجين من خلال الخزان، لقد كان الصوت كئيباً وجعله يشعر بالضيق ، كان يتمنى أن تنتهى هذه المهمة ويجلس بعد ذلك فى مطبخه الدافئ الجاف يحتسى القهوة بدلاً من السباحة هكذا فى هذه المياه اللعينة المظلمة باحثاً عن رفات امرأة كانت تضايقه وتسبب له الإزعاج فى بعض الأحيان .

لقد شعر بالتعب ، والإعياء من التركيز على حياة امرأة مجنونة منتحرة ، امرأة لو تركوها تفعل ما تريد لقتلت طفلها . ربما ...

شعر بألم فى بطنه ، لم يكن إعياء ، بقدر ما كان غضباً ، وهو شعور يمكنه أن يجعل المرء ينسى أنه تحت المياه لعمق يصل إلى خمس عشرة قدماً أو أكثر .

نظر إلى ساعته ، ثم ركز انتباهه على تنفسه وأخذ يتبع الضوء المنبعث .

ما الذى حدث له ؟ لقد كان ريجنالد وغداً ، لا شك فى ذلك ، وكذلك كانت " إميليا " أنانية وشريرة ولكن الحب الذى تولد من هذه العلاقة هو الذى كان مهما .

هذا ما يهم، والعثور على إميليا شىء مهم أيضاً .

ربما دفنت بين الأشجار فى الحديقة ولكن ما الذى يجعل المرء يقوم بالحفر فى الحديقة فى حين أنه يمتلك بحيرة خاصة؟ هذا منطقى أكثر ، لقد كان أكثر منطقية وتساءل لماذا لم تطرأ هذه الفكرة على ذهنهم من قبل؟

وتذكر ثانية ربما لم تطرأ هذه الفكرة على ذهنهم من قبل لأنها غريبة ، فالناس يستعملون البحيرة حتى فى العصر القديم من أجل السباحة والصيد والجثث التى تغرق فى البحيرة لابد أن تطفو على السطح ، لهذا لم تطرأ هذه الفكرة على ذهنهم .

لماذا سيغامر ريجنالد بافتضاح الأمر ؟

انتقل إلى منطقة أخرى وأخذ يسلط ضوء المصباح ، مرت ساعة أخرى فى هذا الظلام وقرر أنه يكفى هذا اليوم وعليه أن يعيد ملء خزان الأوكسجين ويستأنف مهمته فى الغد ، فسرعان ما سيأتى الزبائن إلى المشتل ، ولا يوجد شىء يؤدى إلى ركود حركة البيع سوى علم الزبائن بأن هناك من يبحث فى البحيرة عن رفات امرأة .

أخذ يسلط الضوء على جذور زهور الزنابق المائية وأخذ يحدث نفسه بأنه قد يحاول أن يقوم بعملية التهجين للحصول على زنابق حمراء ، اعتراه السرور وهو يلاحظ نمو النبات وأنه يتمتع بصحة جيدة ، وقرر أنه سيصعد للسطح .

وفجأة خيل إليه أن الضوء قد سلط على شيء فى القاع نحو الجانب وتفحص ساعته وأدرك أنه عليه أن يصعد إلى السطح ولكنه غاص لأسفل وأخذ يتفحص هذا الشيء الذى التقطته عيناه .

ورآها ، رأى رفاتها . العظام ملطخة بالطين وشعر بالرثاء نحوها حينما رأى أنها مثقلة بالأحجار والحصى وقد كان الحبل الذى شنقت به نفسها يحيط بالعظام ، باليدين وبالساقين .

نفس الحبل الذى كانت تريد أن تخنق به ابنها .

ولكن ، أليس من المفترض أن تطفو على السطح ؟ لماذا لم يبل الحبل ؟ ولم يتغير مكان هذه الأوزان ؟ إنها المبادئ الأولية للطبيعة ، أليس كذلك؟

ولكن الطبيعة لا تأخذ فى اعتقادها الأشباح واللعنات .

أخذ يبدل بيده فى المياه متجهاً نحوها وفجأة دفعه تيار شديد للخلف فأخذ يتقلب عدة مرات وسقط المصباح من يده .

وأصبح فى الظلام مع الأموات ، وقد بدأ الهواء ينفد .

حاول أن يتمسك بهدوء أعصابه وجاهد حتى يجعل جسده يسترخى وذلك حتى يسقط للأعماق ومن ثم يمكنه الصعود نحو السطح مرة أخرى .

ولكن دفعته موجة أخرى عنيفة .

ورآها ، رآها وهى تسبح عبر المياه ورداؤها الأبيض منتفخ ، وشعرها يطفو خلفها وقد اشتبك الحبل به وكانت عيناها متسعتين ويطل منهما الجنون والشراسة وأخذت تمد يدها التى كانت تتلوى كالمخالب .

وشعر بأن يديها تقتربان منه وتلتفان حول عنقه وتعتصرانه على الرغم من أنه كان لا يزال يراها على بعد قدم منه تقف فى المياه فوق عظامها .

وحاول الابتعاد عنها ، ولكن لم يكن هناك شيء ليحاربه ، وحاول الاتجاه نحو السطح ولكنها كانت تشده لأسفل بكل ما أوتيت من قوة تماماً كالأحجار التى جذبتها للقاع من قبل .

لقد كانت تحاول قتله ، كما خططت لقتل ابنها من قبل ، وأخذ يحدث نفسه ربما كانت هذه هى الخطة برمتها أن تأخذ هاربر معها .

وأخذ يفكر فى هيلى التى تنتظره على السطح ، وفكر فى طفله التى تحمله ، وفى الابنة التى جعلها تحمل اسمه .

لا ، إنه لن يتخلى عنهم .

نظر لأسفل باتجاه العظام ، وحاول أن يجد طريقا للشفقة نحوها ، ثم نظر نحو إميليا التى كان قد مسها الجنون .

أخذ يحدث نفسه وقد استجمع كل إرادته وقال إننى أتذكرك لقد كنت تغنين لى ، أعلم إنك لم تفكرى فى أن تلحقى بى أذى من قبل تذكرينى إننى الطفل الذى جاء من نسل طفلك العزيز .

dodyadodo www.rewity.com

أمسك بسكين الغوص وشق راحته بنصلها ، تماماً كما فعلت هى بيدها من قبل ، سالت دماؤه وامتزجت بالمياه المظلمة ، واتجهت نحو العظام المتسخة .

إنها دماؤك التى تجرى فى عروقى ، إنها دماء كونور بقدر ما هى دماء هاربر إنها التى ربطت إميليا بجيمس وجيمس بروبرت وروبرت بروزاليند ، وروزاليند بى ، لهذا أنا عثرت عليك دعينى أذهب ، دعينى أصطحبك إلى منزلى لا يجب أن تكونى وحيدة بعد الآن أو ضائعة .

عندما خف الضغط على رقبته ، جاهد وأخذ يركل برجله فى الهواء حتى يصعد على السطح ، إنه لا يزال بمقدوره أن يراها وتعجب لكيفية رؤية الدموع تنهمر على وجنتيها .

سأعود لك مرة أخرى .أقسم لك .

ودفع بنفسه نحو السطح ، وهيئ له أنه يسمعها وهى تغنى ، تتغنى بنفس الصوت الهادئ الخافت الذى كانت تغنى له به فى طفولته . عندما نظر إلى الخلف كانت أشعة مصباحه تنبعث من القاع وتسقط عليها .

ثم رآها وهى تختفى تماماً كالحلم .

وصل إلى السطح ونزع الأنبوبة التى يضعها على فمه وأخذ يستنشق الهواء الذى آلم حنجرته ، وبهر ضوء الشمس عينيه فأغمضهما من شدة الضوء ، وسمع من خلال الهدير الذى يطن فى أذنيه أصواتاً تهتف باسمه .

واستطاع رغم الضوء الشديد الذى كان مسلطاً على عينيه أن يرى هيلى وهى تقف على حافة البحيرة وتضع يدها على بطنها، وتتلألأ فى معصمها القلوب المصنوعة من حجر الياقوت كالأمل المضيء .

أخذ يسبح نحوها عبر زهور الزنابق ، يسبح هارباً من الموت إلى الحياة ، وجذبه كل من ميتش ولوجان خارج المياه حيث رقد على ظهره ، يستنشق الهواء وهو ينظر فى عينى هيلى .

وقال : " لقد عثرت عليها ".

الخاتمة

أرسلت الشمس بأشعتها خلال أوراق شجر الجميز والبلوط ، وألقت نورها على الحشائش الخضراء ، وأخذت العصافير تغرد وتملأ الهواء بألحانها العذبة .

ووسط كل ذلك كانت تقف شواهد القبور المصنوعة من الرخام الأبيض والجرانيت الرمادى والمحفور عليها أسماء الموتى ، وكانت هناك باقات من الزهور موضوعة بجانب بعض هذه الشواهد وقد ذبلت بعض بتلاتها ، بينما أخذت تتمايل بعض البتلات من خلال النسيم الخفيف وكانت هذه الزهور من أجل الموتى الذين رحلوا .

وقف هاربر بين أمه وهيلى وقد أمسك بأيديهما أثناء مراسم الدفن .

dodyadodo www.rewity.com

قالت هيلى : " إننى لا أشعر بالحزن ، إن ما نفعله هو الشيء الصحيح ، بل أكثر من ذلك ، إنه من العطف أن نفعل ما نفعله " .

نظرت روز نحو القبور ـ والأسماء المحفورة فوقها : ريجنالد وبياتريس ـ ريجنالد واليزابيث وقالت : " إنها تستحق أن تكون هنا بجوار ابنها " .

وكان يرقد فى هذا المكان الآباء ، والعمات ، الخالات ، والأعمام ، وكل سلالة عائلة هاربر . قالت روز : " علينا أن نقوم بحفر اسمها على الشاهد فى الربيع : " إميليا إلين كونور " .

أدار ميتش رأسه نحوها وقبلها وقال : " لقد فعلت ذلك بطريقة غير مباشرة ، عن طريق دفن رفات ابنها معها وكذلك صورته ، إن هيلى على حق ، فذلك من باب الرحمة والعطف " .

" لولاها ، لما جئت أنا ، هاربر أو أوستن ، ولا مارسون ولا الأطفال الذين سيأتون من نسلهم إنها تستحق أن تدفن بجوارهم " .

تنهدت ستيلا قائلة : " مهما اقترفت ، فإنها تستحق أكثر مما لاقته فى الماضى إننى فخورة لأننى كنت جزءًا من كل هذا وشاركت فى أن تستعيد اسمها وأتمنى أن تنعم بالسلام . منحت لوجان ابتسامة ، ثم ابتسمت إلى ديفيد والآخرين وقالت : " لقد كنا جميعاً جزءًا من ذلك " .

ربت لوجان على ظهر ستيلا وقال : " لقد نبذوها وألقوا بها فى البحيرة وكل ذلك من أجل الحفاظ على ماذا ؟ سمعة العائلة " .

أضاف ديفيد قائلاً : " لقد تم العثور عليها الآن ، ولقد أبليت بلاءً حسناً يا روز لأنك استطعت أخذ الموافقة لكى تدفن هنا " .

" إن اسم هاربر ما زال له ثقله فى محاربة الروتين وأصدقكم القول ، لقد كنت أريد منحها ذلك بقدر ما كنت أريد إبعادها عمن أحب ثم نهضت وقرصت خد هاربر برفق وأردفت قائلة : " ابنى الشجاع ، إنها تدين لك بالكثير " .

لم يوافقها فى رأيها وقال " لا أعتقد ذلك " .

ضغطت هيلى على شفتيها وقالت : " ولكنك عدت إليها مرة أخرى ، حتى بعدما حاولت إيذاءك ، لقد عدت وساعدت فى انتشال رفاتها " .

لقد وعدتها بأننى سأفعل ، إن آل آشبى يوفون بوعودهم تماماً كآل هاربر إننى أنتمى لكليهما ، وأخذ بعض التراب من على الأرض ووضعه فوق قبرها ، وأخذ يقوم بتسويته وقال : " لقد انتهت المهمة " .

رفعت روز وردة حمراء وقالت : " ما الذى يمكن قوله عن إميليا لقد كانت مجنونة لكن لنكن صرحاء ، فقد ماتت ميتة شنعاء ولم تكن حياتها أفضل حالاً ولكنها تغنى لى ولأطفالى وأنا من نسلها ، عليك أن تستريحى وتهدئى يا جدتى " ثم ألقت بالوردة على قبرها .

وفعل الآخرون مثلها وأخذوا يلقون بالورد فوق قبرها وتراجعوا للخلف ، ثم قالت روز وهى تشير نحو هاربر وهيلى : " دعونا نتركهما بمفردهما لدقائق " .

أغمضت هيلى عينيها وقالت : " لقد رحلت ، لقد شعرت بذلك ، لقد كنت أدرك أنها قد ذهبت قبل أن تظهر أنت على السطح ولقد أدركت أنك عثرت عليها قبل أن

تخبرنا بذلك ، إن الأمر كان يبدو وكأن الحبل الذى يربط بينى وبينها قد انقطع " .

" إنه أسعد يوم فى حياتى حتى الآن " .

نظرت نحو التابوت والزهور الموضوعة فوقه وقالت : " لقد حصلت على ما تريده ، لقد كنت أشعر بالرعب وأنت فى البحيرة ، كنت أخاف ألا تعود لى مرة أخرى " .

أمسك بكتفيها وأبعدها عن القبر وجعلها تستدير نحوه ، نحو ضوء الشمس وقال : " إن علاقتنا لم تنته فمازال أمامنا حياة لنعيشها معاً لقد حان الوقت لكى نبدأ حياتنا الآن " .

ثم أخرج خاتماً من جيبه ووضعه فى إصبعها قائلاً : أعتقد أنه يناسبك تماماً الآن " ثم احتضنها مضيفاً : آن الأوان لكى نتزوج الآن " .

" أعتقد أنها فكرة رائعة " .

تشابكت أيديهما ، وسارا مبتعدين عن الموت ، يشقان طريقهما نحو الحب ، نحو الحياة .

وفى منزل هاربر كانت حجراته وردهاته هادئة تحتضن أشعة الشمس ، وتمتلئ بعبق الذكريات وتنبعث منها رائحة الماضى وتفتح ذراعيها لتتنسم عبير المستقبل .

كان لا يوجد أحد يغنى بها .

ولكن كانت تحيطها الحدائق الغناء .